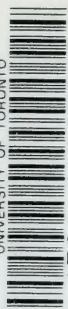
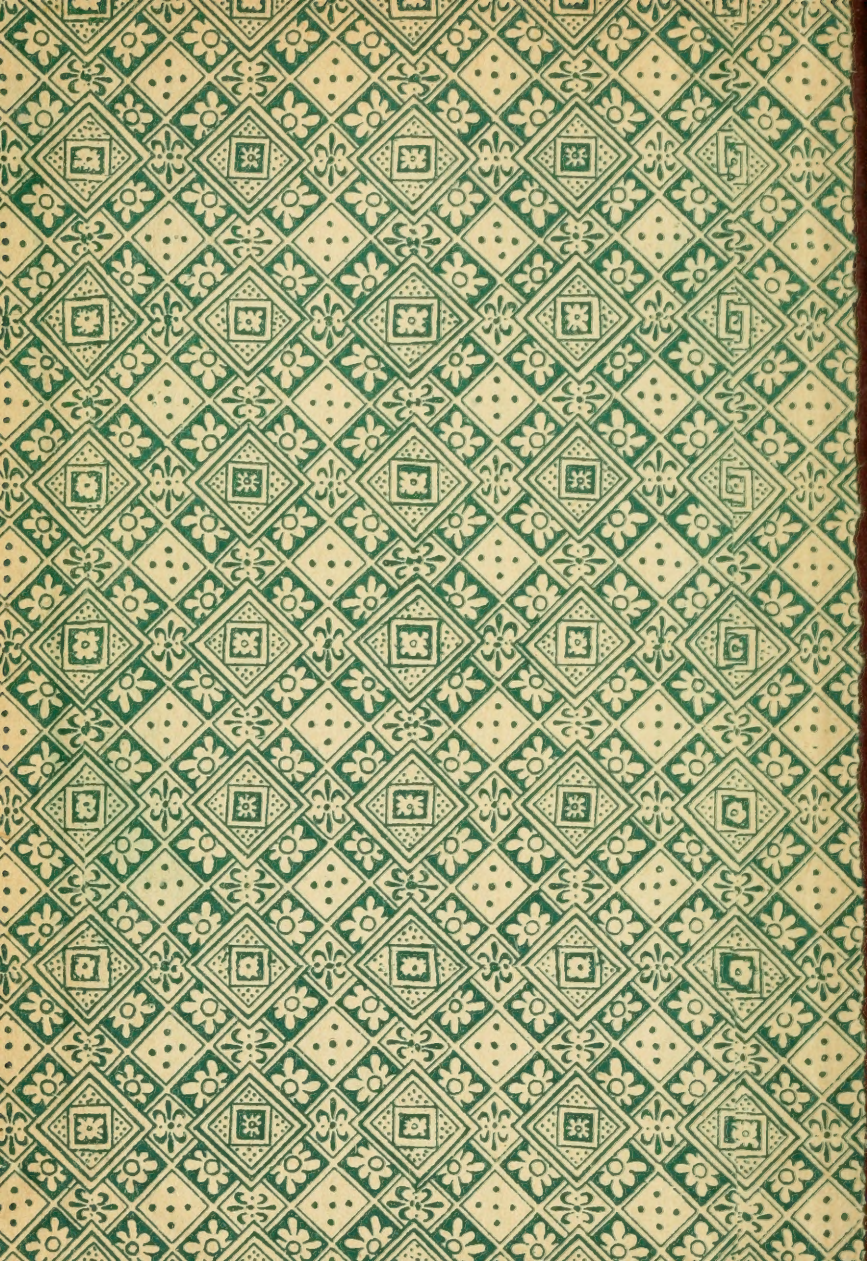


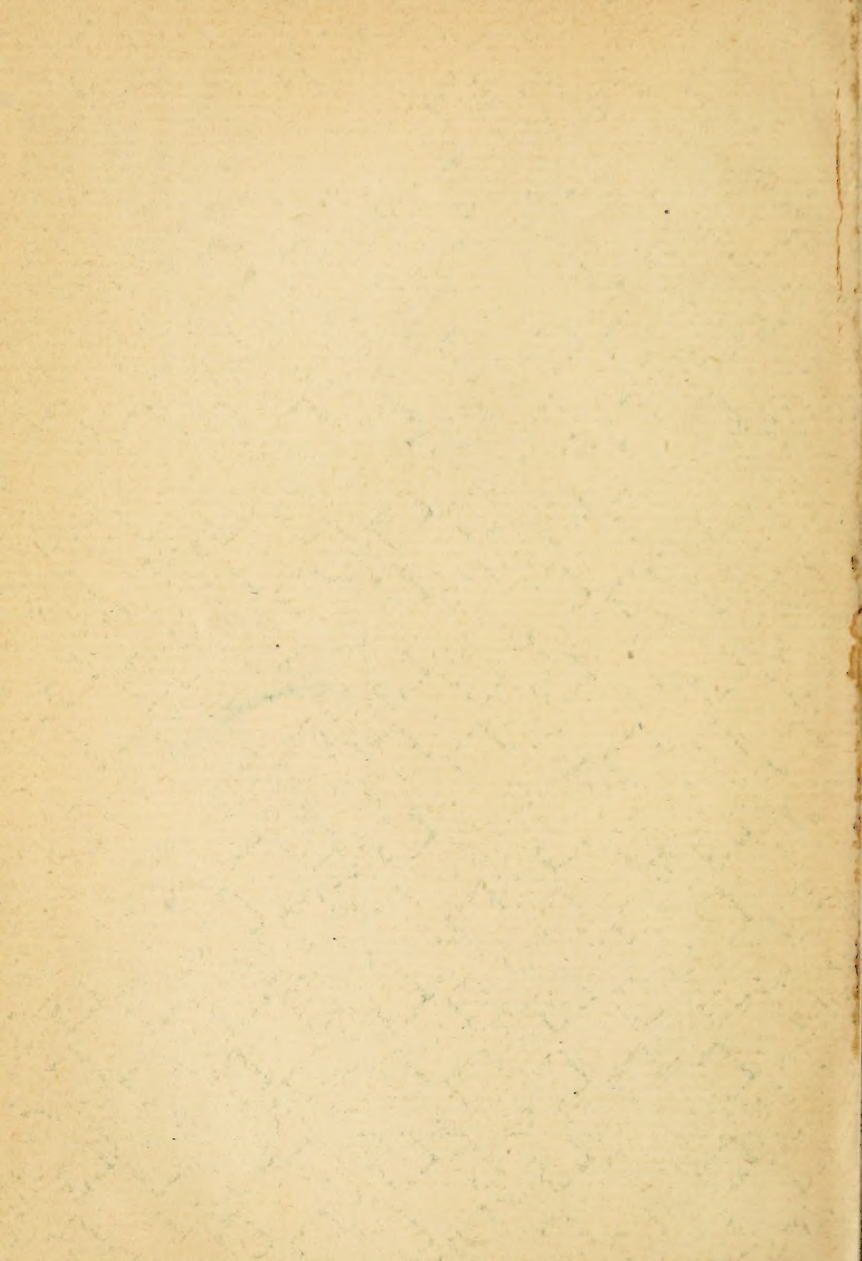
UNIVERSITY OF TORONTO

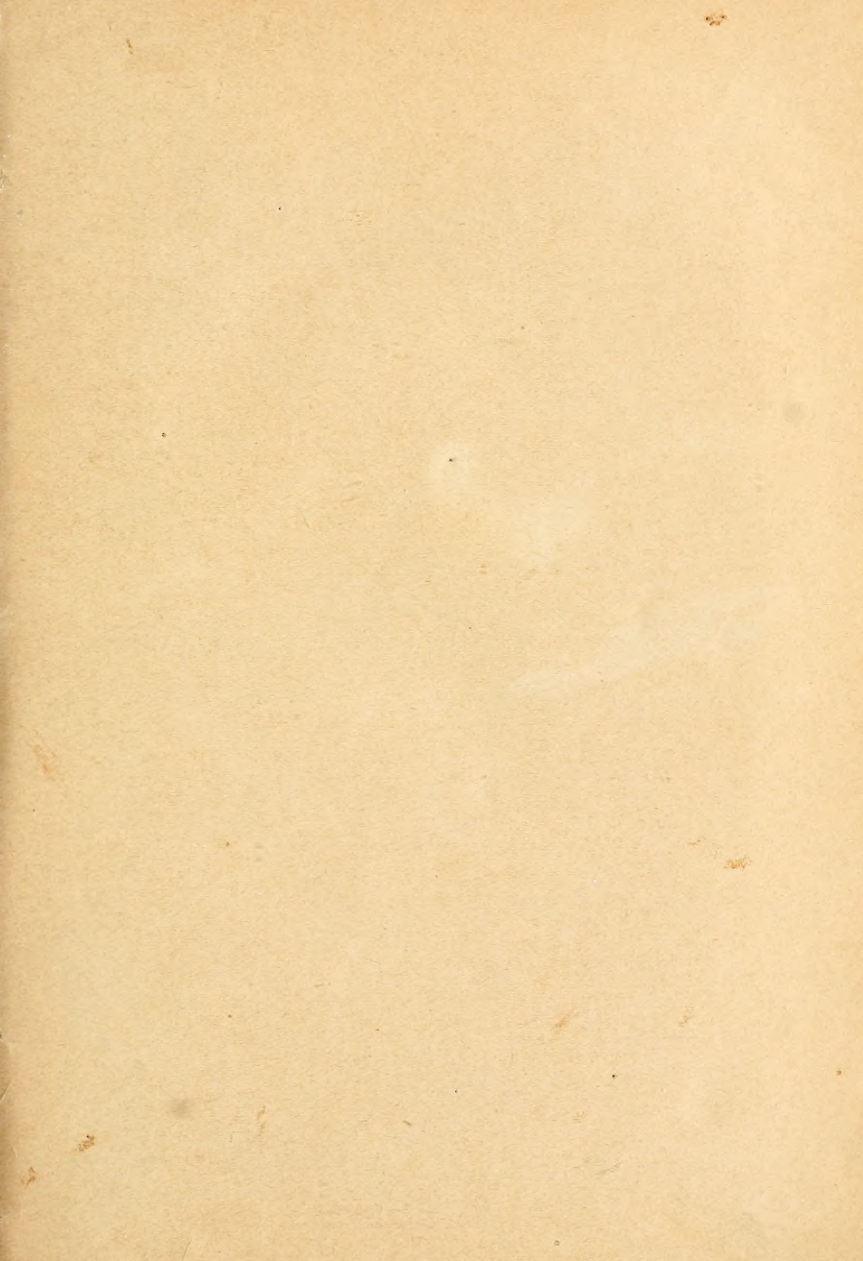


3 1761 01448337 4



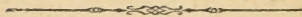






صحيفة موضوع

١٨٠	الحالة العمومية في مصر
١٨٥	الدولة العلية ومصر
١٩٣	التهم الكاذبة
٢٠٥	الفلاح المصري
٢١٦	ما بعد عطبه
٢٢٢	مصر والاحتلال
٢٣٢	خطاب من صحافي
٢٣٤	رد المرحوم عليه
٢٤٢	كلمة عن كتاب المسئلة الشرقيه

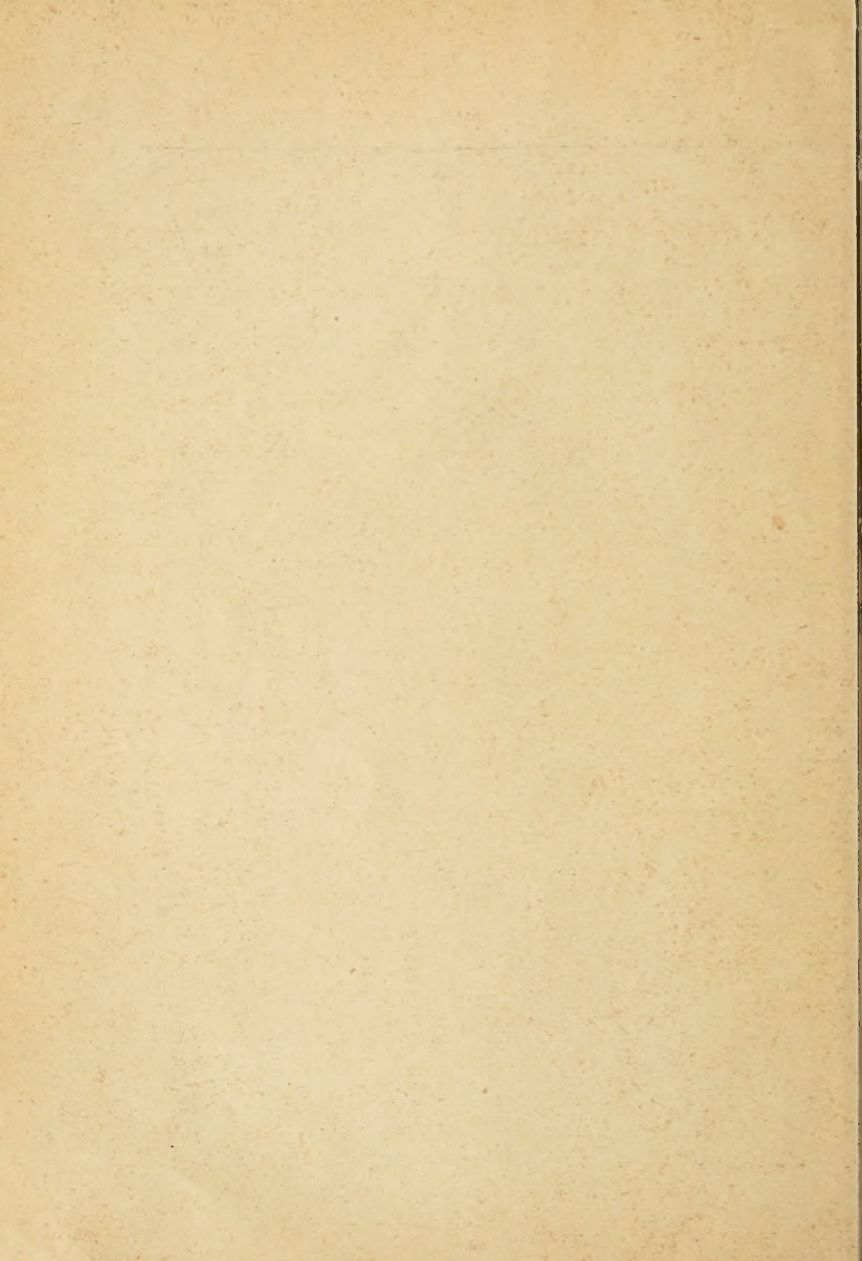


صحيفه موضوع

٧٩	سياسة الدول الاوروبية والسلام
٨٣	خطة الانكليز في مصر
٩٠	خطبة في باريس
١٠٥	دسياسة احتلالية
١٠٦	الحقيقة لاتعدم انصارا
١٠٨	عودة المرحوم الى مصر
١١١	كتاب سياسى من باريس
١١٧	الخديوية المصرية
١٢٨	ملخص عام ١٨٩٧
١٣١	عام ١٨٩٨
١٣٣	خطبة وطنية بالقاهرة
١٥١	حول الدسائس
١٥٤	تكذيب افتراء
١٥٩	الجيش المصرى
١٧٠	حديث مع المترجم
١٧٨	مقدمة المسئلة الشرقية

— ❧ فهرس الجزء السادس ❧ —

موضوع	صيفة
نحن واليونان	٧
مصر والدولة العلية	١٠
الرد على الريفورم	١٧
خطبة بالاسكندرية	٢٢
القرار بالاجماع	٥٠
اقوال الجرائد	٥٣
السفر مرة اخرى الى أوروبا	٥٧
جلالة السلطان	٥٩
لرئيس الوزارة الانكليزية	٦٠
أقوال الجرائد المجرية	٦١
أقوال المستر سيمون	٦٤
تعليق ذى نيويورك هيرالد	٦٧
الاحوال فى مصر وتركيا	٧٠



هذه الامنية وهأنا اليوم ألبى ذلك النداء وأضع فى مجموعة
تاريخ « مصطفى » ذلك السفر النفيس وايس صنيعى
فيه بأكثر من صنيع الناقل الامين على ما ينقل للناس «



تضمنت كل صفحة من صفحاته قطعة من تاريخ الدول ذوات الشأن . ذلك هو الكتاب الذي اشتمل على كل فصل من الفصول السياسية المخزية المحزنة التي مثلت في العالم في هذا العهد الاخير تمثيلاً مخجلاً »

*
* *

وقد كان لصدوره في يوم السبت ٢٣ ابريل من ذلك العام صدى ودوى في الاندية الاهلية والمجامع الوطنية والمراجع السياسية فأقبل الوطنيون متنافسين في اقتنائه ودرايته لا لانه الكتاب العربي الوحيد الذي صور كل دولة وما عملت تصويراً تاماً ولا لانه كنز تاريخي بقي محبوباً عن عشاقه سنين طوالاً ولا لانه ذو شأن كبير ولكن لانه صوت محام قوى الحججة صادق المهججة من محامي الشرق الذين اذا ترفعوا في قضية كسبوها بالدليل والبرهان لا بالجمعجة وشقشقة اللسان وأذكر في هذا المقام أنه قد طاب الينا اكثر من مرقة ان نعيد طبع هذا الكتاب والطالبون ألوف من الاذكياء الفضلاء فكانت العوائق تعوق المؤلف تغمده الله برحمته عن تحقيق

من كل صوب فاذا كنا على علم تام بما كان منها في الماضي
استخلصنا من تلك الغير ما ينفعنا من العبر في المستقبل
كتاب المسألة الشرقية صوت محام عن الشرق عاهد
النفس أن لا ينطق الا بالحق فلو كان في هذا الوجود محكمة
انصاف لا صدرت الحكم بأن الغرب متعصب والشرق هادىء
غير متعصب ولو كان الشرقيون عامة والمسلمون خاصة متعصبين
كما يتخرص خدمة الا هواء وعباد الاغراض ما أذنت تركيا وهي
في عنفوان صباها الاول وأوج مجدها السياسى العظيم أن يبقى
في الشرق اذ ذاك أمة من الامم التى تناوئها العداء اليوم
نهارا جهارا

فالذين يدرسون هذا الكتاب يطوون آخر صفحة من
صفحاته وقد انطوت فى صدورهم مجموعة تاريخية سياسية لأهم
حوادث العالم فى السنين الاخيرة تلك الحوادث التى لها
علاقة بالدولة العلية خاصة وبالشرق والشرقيين عامة
ذلك هو الكتاب الذى ينصف ذوى الحقوق ويشهد
على ذوى العدوان بعدوانهم المبين . ذلك هو الكتاب الذى

لغليها فكانت أوروبا كما قال جلالة السلطان عبد الحميد خان
الثاني تحاربنا حربا صليبية في شكل سياسى وكم لهم من تدابير
وتقارير لم يصح منها شئ وباءوا بالخذلان المبين

لقد رضينا الدولة العلية المحروسة زعيمتنا الدينية والسياسية
فمن العدل أن نعرف كل ما يتعلق بها لا سيما فى القرنين
الآخريين اللذين اشتدت فيهما مكاييد الأعداء على غير طائل
لنكون ملمين بكل شئ ذى علاقة تاريخية بذلك الملك
المحروس بعناية الله وبقلوب المسلمين فى العالمين

كتاب المسألة الشرقية حجة أقامها التاريخ على تعصب
الغرب على الشرق وبرهان أنطقته الحوادث المتتالية على عدوان
أولئك الذين يحبون أن يلقبوا بالتمدينين وما مدينتهم الامين
وعداء الانسانية فى مظاهر شتى . وكتاب هذا شأنه جدير
أن يدرس بالامعان والتدبير حتى نكون أعلم الناس بتاريخنا
ونكون شهود عدل على صدق شهادة التاريخ

كتاب المسألة الشرقية كتاب وضع والشرق اليه فى
شديد الافتقار . فانا الآن فى عصر تكنفنا فيه مطاعم الدول

كبيرة وجدت الحلقة الاولى منها يوم أحست دولة آل عثمان
المباركة المخائل المرجوة الشباب بوجودها السياسي في العالم فلما
وضع هذا السفر الجديد وان شئت قلت لما فك الرصد عن
هذا الكنز الثمين بانث حقائق كانت في غموض واستتار
وشف العيان عما اختبأ وراء الستار

كان الشرقى اذا قيل له ان ثمة مسألة شرقية لا يعلم أية
مسألة يكلم فيها . والنجيب النجيب من كان يلم الماما بطرف
من هذه المسألة ولكن لما وضع هذا الكتاب عرف القراء به
أن المسألة الشرقية مسألة الدولة العلية منذ معين من السنين
وكفى بهذا اللفظ الموجز في الدلالة على أهمية مسألة هي مسألة
المسائل عند الشرقيين

وطئت أقدام الأتراك المسامح الامجدين ثرى أوروبا
وظهر فيهم جلال الاسلام ومجد الخلافة الاسلامية وفتحوا
الاقطار ودوخوا الامصار وأنالهم الله أكتاف الاقوياء ومنذ
ذاك العهد أخذت تلك الامم الحاسدة والمقهورة تعادى الدولة
العلية المحروسة وتحاول أن تحو وجودها السياسي شفاء

أصور ببضعة أسطر أو أصف ببعض فقرات أو أمثل ببعض
شذرات تلك الحقيقة الناصعة التي بهرت ألباب الناظرين .
وانما أنا أتوخي أن أعرف هذا الكتاب الى غير عار فيه بما
أحسب انه كاف في التعريف ولهم بعد أن يدرسوه أن
يعذروني في القصور فما كل مطلوب ينال

كتاب المسألة الشرقية خير كتاب في التاريخ السياسي
أخرج للناس بهذا اللسان المبين فقد جمع أشدات حقائق كانت
مبعثرة في المظان السياسية والمراجع الرسمية . وكان نعم
الكفيل لقارئه بأن يسمعه من صميم فؤاد كل دولة من دول
الغرب صموتا يعبر عن مطامعها وميولها أصح تعبير

كان الشرقى قبل نحو عشر سنين غير واع لما مثل على
مرسح السياسة في العالمين من الفصول المدهشة الغربية آخذا
من الامور بطواهرها فيما يتعلق بهذا الشأن معطيا أجمل صبر
على ترك الحوادث تجري في أعنتها بلا روية ولا امعان غير
عارف كيف افضت حلقات المطامع السياسية الكبيرة الآتية
من قبل الغرب بعضها الى بعض حتى تألفت منها سلسلة

*
* *

ثم ظهر كتاب المسئلة الشرقية وهو الكتاب الذي كان
ينقص كل مشتغل بالمسائل السياسية فلا عجب اذا قلنا ان
الجرائد قد تلقتة اذ ذاك كما تتلقى أعز كتاب طبع في هذا
العهد . وقد تفضل كاتب مجيد فبعث الينا بهذه الكلمة عن هذا
الكتاب الكريم . قال ذلك الفاضل تحت العنوان الآتى ما نصه :

المسائل الشرقية

﴿ كلمة عن هذا الكتاب ﴾

« لو كان كل من يكتب كلمة عن كتاب يتوخى تصوير
ما يكتب عنه تصويراً متقناً . أو لو كان كل من يريد أن
يصف شيئاً يتحرى أن يعطى في وصفه شكل الموصوف . أو
لو كان كل من يشاء أن يرسم خيالا لحقيقة ماثلة يجد في أن
يقرب الخيال من الحقيقة قربا ما — اذاً لألقيت القلم من بين
يدي ولم أتصد لكتابة كلمة واحدة عن ذلك الكتاب الذي
سطعت بسطوعه أشعة التاريخ الصحيح لاني أضعف من ان

واني لا أخفي عليك أئى ما كنت أظن مع ضعف صحتى عند
البدء بالعمل فيه أن أصل الى هذه النتيجة من وضعه وحسن
صحتى التى ستسرك

واني كنت أود أن أرسل اليك أول نسخة تصدر
ولكننى آمل أن تحضر قريبا كما وعدت لتقرأه فى مصر
ان الدسائس بين مصر والاستانة كثيرة والانكايز
يعملون ليل نهار ليقطعوا صلة الود التى بين الخديو والسلطان
ولكنهم لا يفلحون

انه يسرنى كثيرا اطلاع اخواننا الضباط على كتاب
المسئلة الشرقية ليعرفوا كيف يستفيد الانكايز من الحوادث
التى تروج فى الغالب اطماعهم بين الامم الطاهرة المستقيمة
المخالصة

متى قمت الى مصر ارسل تلغرافا بعنوان خائنا العزيز
فأنى سأقصدده لاقضى عنده فى ذلك الجو الزراعى الجميل اياما
استريح فيها من عناء العمل حتى اعود الى مصر للقائك .
ادامك الله لاخيك المخلص مصطفى كامل «

وقد رأينا بمناسبة المناقشات الحاضرة ان نسأله رأيه في
عدة مسائل تنحصر في الحالة العلمية الاقتصادية النيابية في
مصر فنتفضل علينا بالرد الذي نشره هنا بكل سرور مثنين
على همة هذا الوطني العظيم واننا نستطيع قراءنا الاذن في
ان نفرد لكل موضوع من هذه المواضيع التي كشف
مصطفى كامل عن حقيقتها الغطاء فصلا خاصا خدمة لامة
رفعها التاريخ وخفضتها حكومة جلالة الملكة بمراوغة رجالها
واخلافهم عهد الشرف والتاج»

*
**

كتب الي رحمه الله خطابا في ٢٣ ابريل سنة ١٨٩٨

قال فيه :

« أخى الاعز حرسه الله

بعد التحية والتسليم والاعراب عن شوق عظيم. أبشرك
بأن كتاب المسئلة الشرقية قد انتهى طبعه اليوم وسيوزع
على المشتركين فيه غدا وأملى ان يكون الاقبال عليه عظيما
كمجموعة أعمالى في عام لانه جاء والحمد لله وافيا بالغرض

ولكنها كانت مدركة بما كان لديها من كبار الرجال الوطنيين
مركزها ولولا خطأ رجال العسكرية الشائن لكانت مصر
اليوم في مجبوحة من الرفاهية والسعادة وكان أهلها أحرارا
وضيوقها مكرومين ! واني أوكد لك أن الامة المصرية اليوم
ارقي من الصرب ورومانيا والجبل الاسود ولا ينقصها الا
حكومة اهلية تسير معها كتفا بكتف في طريق الرقي والفلاح
هذه هي أجوبتي على استئناك ولو كان عندي متسع
من الوقت لافضت في الشرح ولكني أسألك العذر فاني
أبشر طبع كتاب وضعته في المسئلة الشرقية واملئ ان ينتهي
بعد اسبوع

وفي الختام ارجو منك ان تتفضل بقبول اجل احترام
واسمى اعتبار المخلص

مصطفى كامل

وقد نشرت هذه الجريدة الكبيرة رد المرحوم بعد ان
كتبت من عندياتها ما تعريبه « اننا قدمنا للقراء في العام
الفائت شيئا مما كتبه الينا الوطني المصري « مصطفى كامل »

الغزل ولا الصناعة الجلدية ولا غيرها لأنها ان شجعت نافست
صناعاتها وبالجملة فان حياة انكلترا في مصر تقوم باعدامنا
وحياتنا كذلك لا تقوم الا باعدامها والحكم العدل بيننا وبينها
جلاؤها عن ديارنا

سادسا — ان التجارة الوطنية لا تقوم قائمتها ولا يتسع
نطاقها الا اذا كانت المصانع الاهلية في رواج . ولما كانت
الصناعة المصرية اليوم أشد بؤسا من شقاء مصر امام
الاحتلال فكذلك التجارة الوطنية لا تذكر بجانب هذا
الاعدام

اما اذا كان غرضك مما سألت حالة التجار الوطنيين
فأنى اشرك بأنهم أخذوا ينافسون التجار الاجانب بكل
الوسائل وأن الوطنيين قد أدركوا ضرورة معاملة اخوانهم
الوطنيين حتى يتسع نطاق محالهم التجارية مما يؤهلهم لانشاء
مصانع كبيرة داخل البلاد وكل آت قريب

سابعا — عند ما منحت الامة المصرية مجلس النواب
في شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ كانت غير مستعدة استعدادها الحاضر

بنصف مليار من الجنيهات الانكليزية وكذلك العقارات
فأنها تقدر بخمسين مليون من الجنيهات
أما ديون الاهالى فأنها تبلغ ٢٥ مليون جنيه .

ومناسبة ذكر هذه الديون أوكد لك ان ديون الاهالى
ما كانت تتجاوز سبعة ملايين من الجنيهات عند احتلال
الانكليز مصر وسبب زيادة هذه الديون راجع الى المضاربات
التي روجت انكترا سوقها بمصر ونشر الاخلاق الفاسدة
في البلاد من أمراض المدينة الاوروبية !!

خامسا . - ان الصناعة الاهلية كادت تكون معدومة
بعد أن كانت سوقها رائجة فإنه عند ما ارتقى محمد على عرش
مصر أخذ يحمي ميت الصناعة فأنشأ الورش والمعامل وجاء في
عصره يوم على مصر صنعت فيه الجوخ والصوف والكتان
وخيوط الغزل والسكر والصابون وغيرها .. وكان جيش
الصناع كبيرا للغاية . ولكن الانكليزيرون اليوم ان من
مصالحهم قتل كل صناعة في داخل البلاد يكون في وجودها
مزاومة للصناعة الانكليزية فهم مثلا لا يشجعون بيننا صناعة

بحجة ان الحكومة لا تريد من مدارسها الاموظفين والتعليم في
مصر كاف حاجة هؤلاء الموظفین من العلم ومن اراد أن
يتفقه فيه فلينذل في سبيله من ماله .

هذه هي الارسالية وهذا تاريخها الذي انتهى بأن لامصرى
يتعلم اليوم في أوروبا على نفقة حكومته أو بعبارة أخرى على
نفقة أمته !

ثالثا - ان عدد الموظفین الاورويين قد كان قبل
الاحتلال لا يذكر بجانب عدده اليوم فقد كان على ما علمت
من الواقفين على هذه المسائل مائة وسبعة وثمانين موظفا
منهم ثلاثة وثمانون فرنسيا وأربعة وخمسون ايطاليا وثلاثة
عشر انكازيا والباقون من أجناس مختلفة واسكنهم اليوم ٩٧٣
أورويا منهم ٨٩٣ انكازيا اما مرتباتهم فقد كانت قبل
الاحتلال نحو ٨٠٠٠ جنيه فأصبحت اليوم نحو ٩٠٠٠٠٠ جنيه
رابعا - ان البلاد غنية جدا وما يصلح من أرضها للزراعة يقدر
بنحو ٣٢٠٠٠٠ هكتار مربع (أى ٧٦٠٠٠٠٠ فدان
تقريبا) المزروع منه الان نحو مليوني هكتار مربع تقدر قيمتها

ولان على ابوابهما كتبت آيات الفخار العلمى من زمن بعيد!
انى اذكرهما والدمع يجول فى عينى فبعد ان كانت غرف
التدريس فيهما مليئة بابناء البلاد اصبحتا محط رحال عشرة
او عشرين لشدة مضايقة رجال الانكليز لطلابهما وللأوامر
التي لاتطاق والنظام الذى هو جدير بابناء الكتاتيب

ثانيا - انه يكاد يجمد المداد عند محاولتى شرح حالة
الارسالية المصرية تلك الارسالية التي كانت زهرة مصر
وعنوان ذكاء أبنائها ومحط آمالها وواسطة التعارف بيننا وبين
العلم العصرى والتي كانت تذكر في مقدمة ارساليات العالم
الراقى والحكومات الاهلية البارة بأبنائها

كان فى مصر ارسالية لاتقل عن ٤٠ طالبا سنويا يرجع
تاريخها الى محمد على الكبير مؤسس البيت الخديوى واستمرت
من راق الى أرقى حتى نهاية حكم اسماعيل وأوائل حكم توفيق
حتى دخل الاحتلال الانكليزى مصر وحاول المرة بعد المرة
أن يلغيا فلم يستطع لان المراقبة كانت عليه شديدة من جميع
الممالك ولكن المستشار الانكليزى المالى انغاها فى سنة ١٨٩٥

القاهرة في ١٧ ابريل سنة ١٨٩٨

« صديقي الحميم مدير »

تلقيت بيد السرور والارتياح كتابك الكريم وقد سررت جدا للاسئلة التي تفضلت واخترتني للاجابة عليها :

اولا — ان حكومة الاحتلال لم تزد مدرسة واحدة على المدارس التي كانت قبل عام ١٨٨٢ فإنه كان في مصر مدارس للحكومة وأخرى لاوقف المسلمين فأصبحت اليوم كلها تحت كنف الحكومة . وانك ربما تدهش عندما أقول لك أن الاحتلال الغي مدارس كانت قبله في مصر زاهية زاهرة فقد الغي مدرسة الطب البيطري ومدرسة الزراعة ومدرسة الآثار المصرية ومدرسة الخرس والعمي ولا يبعد أن يلغى غدا مدرسة الطب والمهندسخانه بحجة وجود أطباء كثيرين من اليونانيين والارمن والسوريين وغيرهم أو بحجة أن جو مصر معتدل جميل لا يحتاج الى صناعة الطب

اني اذكر من بين المعاهدات العامية هذين المعهدين لانهما من آثار السلف الصالح سواء كان وطنيا أو فرانيا

ثانيا - عدد رجال الارسالية المصرية الاوروبية في
كل عام

ثالثا - عدد الموظفين الاوروبيين في الحكومة
المصرية قبل الاحتلال واليوم

رابعا - ماهي ثروة البلاد الحقيقية وكم تبلغ ديون الاهالى

خامسا - ماهي حالة الصناعات الاهلية

سادسا - ماهي قوة التجارة الوطنية

سابعا - كيف كان استعداد الامة المصرية امام الدستور

البرلماني الذي منحته في سنة ١٨٨١

هذا وأمل أن أراك في صيف هذا العام ببودابست فاني

في شوق عظيم اليك

وفي الختام أرجوك أن تتكرم بقبول فائق احترام

هـ. رينزير

المخلص

بودابست في ٧ ابريل سنة ١٨٩٨

*
**

فاجابه المترجم بما تعريبه :

تقوم فيه ثورة يكون الحال كذلك من الخوف لعدم وجود
النظام الشامل للأمن العام

ان في فرنسا الكثيرين من أبناءها الذين عاشوا في مصر
قبل الاحتلال والذين يكذبون قول كاتب تلك المقالة التي كرها
افتراء وما على جريدة الليبرتيه الا ان تتحرر الحقيقة منهم
لتدرك اننا مع الانكليز بأئسوس وان حالتنا يرئى اليها !

الم يكفنا ما نحن فيه من ذل وهوان منتظرين ساعة
الخلاص معتمدين على انفسنا ونصرء الحق حتى نقرأ ما قرأنا
من اتهام شائن وقول عقيم

أن الامة المصرية من ارقى امم الارض اخلاقا ان لم
تكن ارقاها لا تعتدى بغير حق ولا تساب متاعا انزى ولا
ترتكب اثما حبا في الآثام ولا تشوه صحف تاريخها البيضاء
بسيات التمدينين بل ولا تكذب على العالم كما كذبت انكلترا
ان الرجل الذي يماطل في المعاملة لا يعامل فما بالسكم
تتقون بانكلترا وقد ماطلت كثيرا وكذبت طويلا وها هو
تاريخها يعيد نفسه . وتتهمون امة لم يكن ذنبها الا انها شرقية

بكل شيء لفعل بلا تردد . ولذلك يسعى اللورد كرومر بكل ما في وسعه ليقرب نظام المحاكم المختلطة حتى لا يكون في مصر أثر دولي بعد ان ذهبت المراقبة الثنائية بذهاب المراقب الفرنسي وبعد أن ذهبت الدائرة السنوية وبعد أن ذهب نفوذكم من المصالح . وأنى اعتقد ان الانكليز أمام سلامة نيتكم وغيركم من ذوي المصالح في بلادنا سيعملون ضدكم في كل شيء !

واما الاوروبيون القاطنون في مصر فأنهم قبل الاحتلال كانوا اسعد حالا منهم اليوم . فقد كانوا على الاقل يعاملون امة بغير مزاحم لهم . ولكنهم والانكليزي قد أصبح قابضاً على كل مصادر الثروة في البلاد تعس حالهم حتى أن الكثير منهم أصبحوا يجدون الإقامة في مصر مما لا يطاق

نعم أن الاوروبيين الذين كانوا في مصر زمن الثروة خافوا على أنفسهم كثيراً فتركوا البلاد راحلين واهلهم الى بلادهم ولكن هذا لا يدل على أنهم كانوا غير آنين على ارواحهم واموالهم قبل الاحتلال ! لانه في اي بلد قامت او

سلطة جلالة السلطان أصبحت في مصر اسما بلا روح
فألاوامر العالية يجبر سمو الخديوى على اصدارها بموافقة
وزارته التي أغلب أفرادها من صنائع الاحتلال والتي أقامها
الاحتلال نفسه ولعلمم تذكرون ما كان من معارضة اللورد
كرومر وحكومة اللورد روزبرى عند ما أراد سمو الخديو
تعيين وزارة توافق مشربه مما ترتب عليه تهديده بجميع
الوسائل وتم لانكلترا ما أرادت !

أنه لو كان الانكليز كما يقول عميدهم في مصر يقصدون
بسلب سلطة الخديو أن تتمتع بها الامة خلولوها حق مراقبة
اعمال حكومتها . ولكن الحال على العكس من ذلك فجلس
الشوري الذي وضع أساسه اللورد دوفرين لم يكن فيه راحة
السلطة الدستورية ولم تجبه الحكومة الي طلب واحد من
طلباته العديدة التي برهن بقوة على صحتها مدة وجود الاحتلال
أن الاحتلال سلب سلطة الخديو لتكون سلطته فهو في
مصر عدو الامة عدو الخديوية عدو رقي المصريين طامع في
كل شيء حتى أنه لو استطاع أن يطرد جميع الاوروبيين ليستأثر

هؤلاء الانكايز لو جدم فرقا هائلا ! ففرنسا ما كانت ترسل
لمصر الا كل رجل يشرف سمعتها ويخدم البلاد خدمة نافعة
ولكن انكايتر غير ذلك على خط مستقيم . وسببه ان فرنسا
كانت تعمل بنية خالصة غير طامعة في مصر . أما انكايتر
فن مصاحبتها ان يعيش المصريون كما خلقوا لا يعرفون من
العلم شيئا حتى تستنزف أموالهم بلا معارضة ولا ممانعة
وبالجملة فاني لو أردت أن أفصح لكم عما وصلت اليه
حالة التعليم بعد ما أفصحت في كتاباتي وخطاباتي لا حتجت
الى صحف كثيرة دون أن أوفي الموضوع حقه لان الحقيقة
فيه ساطعة سطوع الشمس في رابعة النهار وكل من خالفها
كان عدوا للحق أو مأجورا في خدمة الانكايز !
أما العرش الخديوي الذي ادعى الكاتب أن الانكايز
وطدوه بعد أن كانت تعبت به أيدي الثائرين فهو قول باطل
مردود وفيه الحقيقة معكوسة . فبجانب الاحتلال تكاد تكون
سلطة الخديو اليوم خيالا . فالخديوية المصرية التي هي سلطة
شرعية معترف بها من جميع الدول والتي هي تابعة مباشرة

عاما ثمانية آلاف تلميذ يتعلمون جميعا بمصاريف ثقيلة يدفعها آباؤهم وبذلك حرم الكثيرون من أبناء الفقراء من العلم ؟ أنسيتم الارساليات التي كانت تذهب في كل عام من مصر الى بلادكم بعد أن يؤدي أفرادها الامتحانات النهائية فيقضون أعواما بينكم يردون فيها موارد العلم حتى اذا ما ثقفوا عقولهم وهذبوا نفوسهم عادوا اليناء علماء ليفيدوا بعد ان استفادوا ؟ ألم يكن رجال الحكومة الذين يقومون الآن بكل الاعمال المنسوبة للانكليز من أولئك الذين رضعوا لبان العلم في فرنسا ونالوا أكبر الشهادات الناطقة بفضلهم منها ؟ ألم تكن طرق الري في مصر التي يتباهى بها الانكليز اليوم من غرس ارشادات كبار المهندسين الفرنسيين. والتي سار على منهجهم فيها المهندسون الوطنيون ؟ ألم يكن عدد الاساتذة الفرنسيين الذين كانوا في مدارس الحكومة عند ما دخل الانكليز بلادنا نحو ٤٢ أستاذا فأصبحوا اليوم ستة بينما صار عدد الانكليز فيها ٢٨ معلما ؟ وعلاوة على ذلك لو خصتم شهادات الفرنسيين الذين كانوا يوظفون في مدارسنا كمعلمين وشهادات

وانى لفي غاية الدهش من جريدة فرنسية قرأ محرروها
التاريخ وهم مع ذلك يقبلون نشر مثل هذه المفتريات ويقدمون
لقرائهم نظريات غير معقولة وعلى الاخص قول هذا
الكاتب ان الانكايز دخلوا مصر في وقت كان فيه الجهل
مخيا على عقول ابناءها! أنسيتم أن محمد علي الكبير لصداقته
للويس فيليب مكن عقدة الارتباط بين مصر وفرنسا وجلب
الى وطننا العزيز من علماءكم في كل علم وفن من شهد لهم
التاريخ بطول الباع وسعة الاطلاع فوضعوا للعلوم الحديثة
أمتن الاساس وللصنائع والفنون المصانع العديدة واخرجت
مصر في ايامهم من ابناءها من اذا ذكر واليوم اهتز الفخار
لذكرهم ورددت ارجاء مصر الشناء على فضلهم وجليل أعمالهم ؟
أنسيتم مدرسة الطب ومؤسسها فرنسي ومدرسة الحربية
ومؤسسها فرنسي ومدرسة الحقوق ومؤسسها فرنسي
وغيرها من المدارس العالية والثانوية والابتدائية ؟ أنسيتم أن
الاحتلال دخل مصر وفيها نحو سبعة آلاف تلميذ يتعلمون
مجاناً أو بأجور قليلة جداً فأصبح اليوم فيها بعد ستة عشر

طردتها جنود مصر؟ أم تتر دراويش السودان بدساتنهما
وضعف عزيمة بعد الذين استغوثهم لبلوغ مآربها؟ أم تكن
هي الدولة التي كذبت على العالم بأسره فكيف لا تكون الحافرة
لهذه المكيدة بيدها الاثيمة؟ أم تكن هي الدولة التي
اشتهرت بأثارة حرب الدهاء كلما بدرت لها بادرة أمل أو
طمع؟ أم تكن هي التي احتلت مصر لاشهر فقضت فيها
سنين؟ أم تكن هي الدولة التي تسلب باسم الانسانية والمدنية؟
أم تكن هي الدولة التي تركتنا نعمل لتجني ثمر مجهوداتنا؟
أم تكن هي الدولة التي خانت نابليون. أم تكن هي الدولة التي
لقبها التاريخ بالغادرة؟ أم تكن هي الدولة التي تقتل أمة بأسرها
لتصل الى بغيتها بين ربوعها؟ فكيف يقول مرسلهم انها
نشرت الامن بعد الثورة وكانت رسول سلام لاشيطان
خصام؟ ان الذي يريد أن يزف الى انكلترا الشناء العاطر
والشكر الجزيل يلام لوما شديد اذا كذب على الحقيقة
والتاريخ وجعلهما من حقها في مصر. فانها في مصر غاصبة
خادعة أثار تائرة الجهلاء والخائنين لتستفيد شأنها في كل أمر!

و ديون الحكومة لا تزال كما هي والضرائب زادت وكل شيء
أصبح في البلاد غالياً ؟

أيقصد بهذا اليسر خلق الوظائف لرجال الانكايز بالمرتبات
الباهظة ؟ أيقصد التصرف في أموال الحكومة بلا مراقبة ؟
أيقصد تصرف كل انكايزى رأس مصلحة في ما ربط لمصلحته
من المال بلا معارض واذا سئل عن مبلغ مهما كان قدره كان
جوابه كيف أسأل وانا ربكم الاعلى ؟ أم يقصد بهذا اليسر انتقال
هيئة الحكومة من القرن التاسع عشر الى القرن الاول بينما
نجد كل ما فيها انكايزيا ؟ انه ان كان يقصد ذلك كانه فله الحق
أن يكتب المجلدات الضخمة ومن مقالات الاطباء ما شاء
فان الانكايز ما احتلوا مصر الا وقد احتلها الشقاء وما دخلوا
مصلحتها الا وقد دخلها الطمع ولن يبق الطمع مما كان وما
سينكون شيئاً !!

٧٢ الم تكن الثورة التي ذكرها دسيصة من دسائس
انكايزيا ؟ ألم ترسم الحكومة الانكايزية هذه الخطة المحزنة
من قرن مضى ؟ ألم تعتد على مصر مرة قبل هذه المرة وقد

لا يأمن على نفسه فما مر عام أو عامان حتى بدل هذا الاحتلال
الاوروبي الرحيم العسر المالي يسرا والخلل أمانا والجهل علما
وأعاد الى عرش الخديوية هيبتها ووصولتها واصبح كل أوروبي آمن
على نفسه وماله وتجارته

واسترسلت هذه الجريدة في هذه الكلمات التي رفعت
بها الاحتلال الى أعلى عليين وخفضت فيها المصريين الى أسفل
سافلين .. »

وما قرأ المترجم هذه المقالة حتى تناول القلم وكتب لها
تحت ذلك العنوان ما تعريبه !
« جناب المدير »

قرأت في جريدتكم مقالة لرجل مجهول الاسم ولاأظنه
الا من الانكليز الذين لا غرض لهم الا ابتلاع بلادنا أو من
صنائعهم المأجورين قال ذلك الكاتب ان الاحتلال دخل
البلاد وهي على أبواب الافلاس فأخذ بيدها ورفعها من اليسر
مكانة علياء فليقل لنا ان كان من للصادقين ! اين هذا اليسر
وديون الامة اصبحت اربعة امثال ما كانت قبل الاحتلال

ان السياسة الفرنسية كانت في الازمان السالفة سياسة
حزم وعمل وليكننا نراها اليوم سياسة تردد وتسويق وهذه
السياسة العقيمة أضاعت الكثير من نفوذها في الشرق ولعل
البقية الباقية في مصر تعيد ولو شيئاً من تلك الذكرى التي
لا نساها

وفي الختام فاني لا أزال متمسكا برأى من ان التجريدة
الحاضرة وبال على مصر احتلالا ودما ومالا ... !

مصر والاحتلال

كتبت جريدة الليبرتيه الفرنسية الشهيرة نصلا تحت
هذا العنوان قالت فيه :

« ان المصريين ناكرون الجميل ! لان الاحتلال
الانكليزي دخل بلادهم بعد ان وقعت في افلاس مالي
وعمت الثورة نواحيها وخيم الجهل على ربوعها وأصبح عرش
الخدوية مهددا وكل أوروبي كان اذا سار في أى طريق

مما هو معلوم مشهور وذهبت ضحية سيااتهم الآلاف
المؤلفة من نفوس المصريين وهام اليوم يستردونه ثانيا بدماء
وأموال المصريين فليس لهم حق في احتلاله بل يجب عليهم
أن يرحلوا عنه وعن مصر اذا كانوا من أهل الشرف الذين
يردون الامانات الى اهلها

نعم ان الانكايز قد عرفوا كيف يشغلون أوروبا عن
مسئلة مصر بهذا السودان الذي سيكون حجتهم البالغة كلما
قامت زوبعة سياسية حول مصر فباسمه يهددون مصر في
مصالحها ومصاحبة الاجانب ويرجعون على أنفسهم بالمسؤولية
في وجوب المحافظة على هاتين المصلحتين

وانه اذا كانت هناك مسؤولية عن ترك انكلترا تعمل
كما تشاء في وادى النيل فهي لا ريب عائدة على أوروبا التي
كان في يدها مناقشتها الحساب على المواعيد الرسمية التي
حددتها للجلاء ولكنها وقد تركتها ستلاقي المتاعب الجملة في
وقوفها عند حدها . واني أرى ان الفرصة أصبحت ضائعة
امام هذا السودان الذي أوجد لانكلترا حججا قوية عملية !

هذه النتيجة

انه كما يقول رجال الجندية هنا ليس أمام الجيش الا عاصمة السودان التي بفتحها يعود لمصر ما كان لها . واني لا اظن ان ذلك يكون بعيد المنال بل انه قريب لان الضربات الكثيرة التي توالت على رؤوس السودانين لا بد أن تكون قد اربعتهم وهزت قلوبهم أمام قوة مصر وسواعد ابنائها وقد تحققنا اليوم أنه أصبح من مصلحة انكلترا أن لا تترك ضابطا انكليزيا في السودان بعد فتحه لان الامة السودانية شديدة التعصب فقد بلغ من نفس ابنائها حب الدين مبلغا كبيرا . والضباط المصريون ورجال الادارة المصرية قادرون على ادارته أحسن ادارة ونشر الوية الامن في ربوعه باسم جلالة السلطان وسمو الخديو والا لو دفعت المطامع انكلترا الى دعوتها القديمة من وجوب مراقبة نشر الامن في السودان خوفا على مصر فاننا نخاف على مصر اكثر منها ومصر لا تخاف الا بقاء الاحتلال فيها . . . !!

ان الانكليز هم الذين أثاروا نائرة السودانين في الاول

الانكايز الذين في الجيش المصري هم الذين نقلوا وأقاموا؟
وهل الكمية القليلة من جنود الانكايز التي كانت تسير في ظل
الجنود المصرية والتي مالقت شيئا من متاع الجيوش هي
التي سببت هذا النصر الكبير؟

لا بد أن الجرائد الانكايزية ستزيدهم نخرا وترفع من
قدمهم بينما تحط من قدرنا أولاتذكرنا فقد عر دتنا هذه الحملة
كلما لاحت لها بارقة من أعمال الانكايز في مصر!

ان السودان كما لا يخفى على القراء قطعة من مصر وقد
سأخ منها بلا حق شرعي لان الحكومة الخديوية المصرية
ليس لها أدني حق في التنازل عن أى شبر من أرضها أو من
أملاكها للغير. فالسودان على هذا الاعتبار باق ملكا لمصر
وايس للانكايز حق في الادعاء بأنه ملك جديد انضم اليها
فاذا فتحته اليوم العساكر المصرية فقد أعادت اليه السلطة
الخديوية التي اعتدى الدراويش عليها عشرين سنة تقريبا .
واذا كانت الجنود الانكايزية اشتركت معنا في فتحه فاننا
ما كنا في حاجة اليها وقد كان جيشنا بل وأقل منه كافيا لبلوغ

انه عند ما اعلنت تجريدة السودان صرحت برأى في
هذه الحملة وقات ان الانكايذ لا يريدون بها الافتيح باب من
اثنين أما القضاء على الجيش ليجددوا جيشا غيره وهو ما يدعو
لاطالة أمد الاحتلال واما فتح السودان وهو ما يدعو الى
اطالة أمد الاحتلال ايضا بحجة استتباب الأمن فيه زمنا طويلا.
فضلا عن ان بلاد السودان نائية واسعة وليس في وسع الجيش أن
يستولى عليها في زمن قصير بل لايشك الكثيرون في أنه
في حاجة الى عشرات من السنين ليصل الى هذه الغاية
مضى على الجيش المصرى ثمانية أشهر وهو يستعد
لهذه الواقعة بعد واقعة أبى حمد وقد لقي أشد الصعوبات في
هزم جنود الامير محمود الذى هو اكبر قائد يذكركه التاريخ
بين جنود السودانين .

ففي حرارة السودان المحرقة نقلت العساكر المصرية
كل حاجات الجيوش وشيدت الحصون ثم انتهى الامر
بانتصارها فهل بعد هذا يقال ان المصري غير كفء لان
يكون انسانا ككل انسان يدير حركة بلاده بنفسه ؟ وهل

وقبضوا بأيديهم التي ترحمهم على منابع النيل الذي فيه حياة
مصر بأسرها

ان الجيش المصرى قد انتصر انتصارا باهرا وهو ما
يملاً قلب كل مصرى سرورا بصفته جيش البلاد وقوتها واليه
ترجع عظمتها وسلطانها . ولكن النتائج التي ستعود علينا من
وراء هذا النصر واضحة مما يقوله اليوم مأجورو الانكليز
ومروجو سياستهم من أن الفخر عائد الى الانكليز بصفتهم
قوادا والى جنودهم الذين اشتركوا في الحملة . وسواء كانوا
صادقين أو غير صادقين فما لاشك فيه أن دماء المصريين
واموالهم قد بذلت في سبيل فتح السودان وهو ما يجعل لهم
الحق الاول في ادارته والاستيلاء على خيراته . فهل الانكليز
الذين تعودنا منهم الطمع المتناهي يتركون لنا السودان متى
فتحناه بدمائنا واموالنا ووضعنا يدنا عليه برمته ؟ هذا ما ترك
الجواب عليه للايام . غير اني أقرر هنا حقيقة مرة وهى أن
الانكليز لا يعملون لغيرهم بل كل اعمالهم تنحصر في فائدتهم
حتى ولو كان فيها قتل شعوب الارض قاطبة

✦ ما بعد عطبرة ✦

كتب رحمه الله مقالة في شكل رد على اسئلة وجهتها
اليه جريدة الاكلير الباريسية الشهيرة في ١٩ ابريل سنة
١٨٩٨ هذا تعريبها :

« بعد أن جاءتنا الانباء بانتصار الجيش المصرى فى واقعة
العطبرة هذه الواقعة التى كان الكثيرون من رجال الحرب
يتنبأون بفشله فيها . رأينا أن ننشر رأى مصطفى كامل فيها بما
لديه من المعلومات وعلى الاخص فانه من الذين قالوا عند بدء
حملة دنقله أن نتيجة هذه الحملة ستكون مشؤومة على مصر
من الوجهتين السياسية والاقتصادية ولان رأيه فى مثل هذه
المسائل الخاصة بمصر يفيد قراء الاكلير كثيرا وقد تكرم
وأرسل الينا مانصه :

« ان الفرخ كان يعمنا والسرور يشملنا اذا كان وراء
هذا الانتصار نصر لنا ولكن الحقيقة التى ان لم تظهر اليوم
للعيان فستظهر غدا متي أتم الانكليز عملهم فى هذه الحملة

الاجلاء الانكليز عن مصر « اه

*
* *

ما جاء يوم الجمعة ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ حتى ذاع في الملاء
نبأ انتصار الجنود المصرية على الامير محمود بطل الدراويش
في السودان واكبر قوادهم وقد بعثت في اليوم التالي (السبت
٩ منه) بتلغراف للمرحوم اعلمته فيه بالانتصار وبجودة صحتي
بخاءني منه كتاب قال فيه :

« ان أملي كبير في قرب لقاءك لا أقف منك على كل

تفصيل وما لقيته من المتاعب في جيش يخدم غيرنا
كتاب المسئلة الشرقية على وشك الانتهاء من الطبع
وقد جاء كتابا لا اشك في أنه سيسرك

طلبت مني اجملة الزراعة الايطالية أن اكتب اليها مقالة
على احوال الفلاح المصري فكتبتها وأرسلتها اليها منذ بضعة أيام
كل شيء سائر الى الامام ولا شيء ينقصنا غير
وجودك »

يكن عالما بطرق الاقتصاد لانه ورث حياة اليسر ورخاء المعيشة
عن آباءه وأجداده . ولذلك أصبح واجب الاغنياء والحكومة
معا أن ينشر بينه التعليم ليكون مقتصدا في مستقبل الايام حتى
يتبقى نتيجة التزام الشديد الذي سيلاقيه في غده . فإن الامة
المصريه يزداد عددها زيادة محسوسة ولذلك فإنه لا بد ان يأتي
يوم تصعب فيه الحياة على الكثيرين عندما تضيق الارض
بسكانها وليس لهم متكل يتكاملون عليه في ثروة البلاد غير
الزراعة . وكذلك أصبح من واجب الحكومة والاهالى معا
أن يهتموا بنشر الصناعة حتى ترتقى التجارة ولو بمقدار حاجات
سكان مصر وما جاورها من البلاد الافريقية المتأخرة . لان
الامة التى تعتمد على مصدر واحد من مصادر الحياة لا بد أن
تصادفها أزمات معاشية مؤلمة بالرغم من أن تاريخها لم يذ كر
مسئلة واحدة من هذا القبيل

وبالجملة فإن حالة الفلاح المصرى العلمية والصناعية
والاقتصادية تعيسة للغاية ولا يمكن اصلاحها الا بأصلاح
الحكومة وتحويل دفتها الى الطريق الاهلى وذلك لا يكون

أن الانكليز قد برهنوا على أنهم لم يحترموا اقسامهم ولا
وعودهم . وان الذين يقولون أن الفلاح المصرى راض عن
الاحتلال مخطيء كل الخطأ . نعم أن الفلاح المصرى ما كان
يعنى أبداً بالمسائل السياسية ولكن أليس الاجحاف بالحقوق
وعدم احترام الامم الغاصبة للامم المغصوبة يعلم هذه كيف
تنقم على تلك وكيف يصبح كرهها ورائيا في النفوس !

أن الذين يقولون أن الفلاح المصرى يحب اكنز الذهب
ويضربون الامثال به ويضعون لذلك ما شاؤوا من الروايات
والتقصص كاذبون ولم يكن قولهم صحيحا لانه كيف يمكن
الجمع بين حب المال وحب اقتناء الارض !

والفلاح المصرى يسجل كل يوم في المحاكم المختلطة ما
يدل على أنه ميال لامتلاك الارض كلما توفر لديه شيء من
النقود ؟؟ نعم انه يوجد بعض المصريين من تزيد ارباحهم من
ارضهم زيادة كبيرة على نفقاتهم واثمان احتياجاتهم وليسكن هذا
البعض لا يعتقد به !

أن الفلاح المصرى سواء كان كثير الثروة او قليلا لم

جنسه وسبب تأصل هذه العادة في المصريين بعد ان كانوا من الف سنة مشهورين بالبخل والحرص على المال أن الدم العربي امتزج بهم واصبحت مكارم اخلاقه سائدة فيهم . حتى أن الرجل يفديك بحياته اذا التجأت اليه أو احتتميت في جاهه الى غير ذلك من الصفات العربية العالية المشهورة

أن الفلاح المصرى الذى ما كان يعرف من أحوال ادارة بلاده شيئاً فى الزمن السالف اصبح اليوم يدرك الحالة السيئة التى هو فيها ويكره الاحتلال الانكائزى بكل جوارحه والسبب فى ذلك راجع الى انتشار الجرائد الوطنية التى تفصح له كل يوم عن جرائم الانكائز بمصر حتى ان الامة بأسرها كانت تلهب قلوب ابنائها شوقاً لقراءة انباء الحرب الاخيرة بين الدولة العلية واليونان مما آلم الانكائز كثيراً ونسبوه للتعصب المزعوم !

وسبب تعلق الفلاح المصرى بالدولة العلية لم يكن تعصبا اعمى كما قال الانكائز بل هو ناشىء من احترام هذه الدولة المحترمة للحالة السياسية التى رسمتها لنفسها بأزاء مصر فى حين

الى دم واحد مما لا يدع للشقاق بينهما سبيلا فما قول اولئك
الذين اتهمونا بالتعصب ضد الاجانب المسيحيين في اليونانيين
الذين ليسوا مصريين وهام يتجولون في البلاد شرقا وغربا
متجرين بالربا والخمر وهما محرمان في الدين الاسلامي! فلو كان هنا
تعصب اما كان يوجه الى هؤلاء الذين اذا سئلوا اثنوا على
معاملة المصريين لهم أحسن من معاملة بني جنسهم انفسهم!!
واذا كان الفلاح المصري المسلم متعصبا كما يقولون فهل
هناك شك في أن العلم اول قادر على ازالة هذا العيب من
نفسه فلم لا تهتم الحكومة بنشره وتشجيع الذين يؤسسون
المدارس بمساعدتهم وتسنع قانون تميم التعليم الابتدائي مجانا!
ان في استطاعة الحكومة ان تتخذ من عقول المصريين
علماء ومن قلوبهم جنودا كما تأخذ من أرضهم ذهبها ولكنها
لم تفعل ولن تفعل ما دامت حكومة انكليزية غاصبة!
ان الكرم العربي لا يزال بكل معانيه عند الفلاح
المصري فايما سرت تجد الابواب مفتوحة للضيوف والموائد
منسوبة والفرح عاما عند قدوم غريب مهما كان دينه أو

في البلاد الراقية أصبحت في هذا الاوان مما لا يستهان به
ان الكثيرين من أعيان البلاد قد أسسوا كتاتيب من
زمن بعيد ولكنها في الغالب لا تكون الا في البلاد الاكثر
عماراً من غيرها أما القرى الصغيرة والعزب الكبيرة فالنادر
منها ما يجد فيه السائح كتاباً

ان الفلاح المصري لم يكن متعصباً الا لثلاثة أشياء من
اعتدى على أحدها فكأنه اعندى عليه نفسه وهي امرأته
وزراعته وماشيته ومن يراجع تقارير القضاء السنوية عندنا
يجد أسباب جميع الجرائم الكبيرة ترجع الى واحد من هذه
الثلاثة . أما ما يقال عن الفلاح المصري المسلم من انه متعصب
تعصباً دينياً فهو بهتان كبير واختلاق ممقوت لان الاقباط
وهم المصريون المسيحيون يعيشون مع المسلمين في قرية واحدة
حتى تكاد تكون عيشتهم واحدة وما سمعنا مرة ان مصرياً
مسليماً اعتدى على مصري مسيحي بسبب مخالفته له في الدين
ولا لمجادلات دينية

ولو قال قائل انهما من جنس واحد وربما رجع أصلهما

ما نأسف له كثيراً حكومة أجنبية عن البلاد !
ان الفلاح المصرى يعرف كيف يستثمر أرضه بكل
الوسائل وقد زاد اهتمامه باقتناء الارض والتعلق بها من
يوم ان تولى سمو خديوينا المحبوب عباس باشا فانه لما رأى
الاحتلال قد استولى على كل ادارة فى البلاد غصباً حول
نظره الى استغلال الاراضى وقد أصبح سموه بين الفلاحين
مثل الذى يضرب فى الفلاحة والنشاط وهى همة أكسبت
الكثيرين من الذين كانت ثروتهم لا تذكر أرضاً واسعة
تقدم اليهم ثمراً يالغاً جنياً

والفلاح المصرى لم يكن متعلماً تعليماً يأمن معه على
حقوقه مع الآخرين من الاغتيال ولكنه بطبيعته زكى
يحسب ويعامل ويبيع ويشترى كل ذلك غير مستعين فيه الا
بأصابع يديه العشرة فهى آلة عده وأستاذ ميقاته . وان
انساناً كهذا الانسان ما كان يليق بحكومة كحكومتنا فى
أواخر القرن التاسع عشر أن لا تهتم بشؤونه وتهمله بلا علم
حتى ولا القراءة والكتابة بينما نجد حياة الزارع العلمية

على حالتها الاولى من بذرو وتقلب وسقى ودرس وغيرها فان
الضرايب المضروبة على الاطيان ثميلة جدا . فمثلا اذا زرع
الفلاح قمحا وأراد بيعه في الاسواق فإنه يدفع نصف ما يربحه
حتى يوصله اليها لانه ينقل كل شىء على الدواب الى السكة
الحديدية وهناك يجد التأخير الشائن والاجر الباهظ . واذا
نقله في النيل فلن يأمن عليه تأثيرات الجوى لعدم صلاحية سفن
النقل وان أطول الزمن الذى تستغرقه السفن يزيد فى الآونة
وربما هبطت الاسعار بعد مضى زمن طويل كهذا

انه كان يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة
أهلية تبذل كل جهدها فى نجاح حان انقلاص ومساعدته وهو
منها ومن خزينتها السكل فى السكل ان تغنى بتعميم السكك
الحديدية فى كل بلد وقرية من بلاد وقرى مصر حتى توفر
على الفلاح نفقات كثيرة ينفقها بلا جدوى وكانت هى ترح
أيضاً الاموال الطائلة . وليست فائدة السكك الحديدية
مقصورة على نقل البضائع بل تنقل أيضاً المسافرين والمواشى
وغيرها من المنتجات الحيوية الاخرى ! ولكنها وهذا

ويرجع التقصير في هذا العمل المهم الى الحكومة المصرية الحاضرة لانها لم تبد أقل عناية رسمية بترقية الحالة الزراعية في البلاد. الامر الذي كان يجب أن يكون موضع عنايتها قبل كل أمر. فاذا سألت سائل عن كمية القمح أو القطن أو الذرة أو غيرها مما انتجته الارض في عام لا يستطيع الوقوف على رقم صحيح يعول عليه. بينما نرى الحكومات الزراعية كأمریکا مثلاً لها نظارة خاصة بالزراعة وتصدر في كل عام تقريراً مفصلاً حاوياً لكل ما يهم علماء الزراعة

وقد اهتمت الجرائد الوطنية هنا بهذا الامر المرة بعد المرة ولكن الحكومة لم تعرفها أذنا صاغية. وليس هناك من سبب الا أن اكثرية الاراضي ملك للاهالي والاعتناء من قبل الحكومة بشؤونهم الزراعية يزيد من المحاصيل مما يملأ جيب الفلاح ذهباً وهو مالا ترضاه حكومة الاسم لها والنقل للاحتلال الانكليزي الذي ألقى على العالم أكبر درس من اعمال حكومته بأزاء بلاد الهند ومع هذا الخلل الذي فيه الزراعة المصرية التي لا تزال

الحرير وعنى بتعميم زراعة شجر التوت وقد نجح ذلك الرجل العظيم في كل اعماله

ان مواقيت الزراعة المصرية تختلف باختلال الفصول وهى ترجع الى التاريخ المصرى القديم (التاريخ القبطى) الذى يتفق تماما مع التاريخ الشمسى وهو التاريخ الذى يبتدىء تقريبا بعد تاريخ ميلاد المسيح بنحو مائتين وثمانين سنة

ان الفلاح المصرى مجد فى غيظه نشيط فى عمله فهو لا يؤخر عمل اليوم الى الغد يعنى كثيرا بتربية المواشى والطيور المنزلية ويحافظ عليها كمحافظة على نفسه .

وليس الفلاح المصرى أقل من غيره من فلاحي العالم علما بما يجب عليه نحو ارضه ولكن الذى ينقصه وجود مرشدين رسميين يلقنونه الطرق الزراعية الحديثة حسبما قرره علماء الزراعة من أن طريقة زرع الارض تحتاج الى تغيير كلما مر الزمان لتغيير الجو ولضعف الارض وتحمل المياه التى ترد اليها وعلى الاخص متى كانت مياه انهر بما لا يوافق نماء الزرع فى بعض الاحيان

أحد أبنائها لا بد أن يكون فيها قلوب لو أتحدت هزت العالم
ونالت - مهما طال الزمان - بغيثها »

الفلاح المصري

سألت المجلة الزراعية الإيطالية المترجم ان يضع لها رسالة
في حالة الفلاح المصري فأجابها الى سوءها وقد نشرت ما كتبه
في اول ابريل سنة ١٩٠٨ وهذا تعريبه :

« انى لم اكن من المزارعين المصريين الذين عاشروا
الفلاح ووقفوا على احواله ولكنى اعرف الكثير منها بما
وقفت عليه من اهلى وعشيرتي .

لا يخفى على القراء ان مصر بلاد زراعية من عهد بعيد
وكانت اصناف الفول والعدس والبصل والقمح والذرة والارز
واصناف كثيرة غيرها تزرع فى ارض مصر وهى لا تزال
تزرع الى اليوم ولكن الصنف الذى رفع أسعار الاراضى ونقل
مصر الى درجة تحسدها عليها البلدان الاخرى الزراعية هو
القطن فقد جلبه محمد على باشا الى مصر كما جلب اليها دودة

وكذلك نمو عدد الامة يقضى بأزدياد كمية الاراضى المنزرعة
وهذه الكمية الزائدة تطلب مجارى ترويتها مما يضاعف عمل
مصلحة الري .. !!

هذه يا جناب المكاتب النظرية الطبيعية فى تحسين ماليتنا
من حيث زيادة الايرادات! ولكن قل لى لماذا تزيد المصروفات
اذا كان عدد الموظفين المصريين فى وفر مستمر أليس لان
المباني الضخمة التى تستنزف جزءاً كبيراً من المصروفات يدخل
جيوب ابناء التأمير ومرتبات الرؤساء الانكليز التى بلغت
اليوم ٩٢٣ الف جنيه بعد ان كانت قبيل الاحتلال ٧٢٦٠
فقط . هى التى ابتاعت الميزانية لها وعظما . ???

أرجوك أن تبلغ العالم الايطالى مصائبنا وتذكرهم بأن
الطامع لا يكون مصاحراً حياً . « اه

*
*
*

بعد أن نشرت الجريدة الحديث قالت ! « ان مكاتبنا
متأثر للغاية من هذا الحديث وهو يقول ان « مصطفى كامل »
يكاد يكون شعلة من الوطنية النضرة الطاهرة . وان أمة هو

وإذا قل قائل ان زيادة الإيرادات في ميزانية الحكومة يدل بصراحة على تحسين النظام المالي نقول له مجاهرين بهذه الحقيقة ولو آلت الكاذبين . ان زيادة الإيرادات لا تذكر عند الماليين إذا كانت تصرف كلها لأنه على قدر الإيرادات كانت المصروفات ولكن يقال ان المالية المصرية تحسنت وانتقلت من أدوارها السيئة الى النظام الكافل للبلاد سعادتها متى زادت الإيرادات عن المصروفات زيادة محسوسة يسد منها الدين شيئاً فشيئاً ! ولكن هل هذه الزيادة التي تستنزفها المصروفات العائدة الى مصادر انكليزية مع بقاء الدين على ما هو عليه يعد عملاً نافعا وتحسيناً مالياً ؟

ومع ذلك فإن زيادة الإيرادات لا تعمد من عمل الانكايز الا في أمر واحد وهو زيادة الضرائب على الاطيان والعقارات وأما بقية الزيادة فراجع الى زيادة عدد الامة الذي يستلزم زيادة التجارة والصناعة وهو ما يزيد دخل إيرادات الكمارك والبوسته والتلغرافات والسكك الحديدية كما يزيد دخل المحاكم من كثرة احتكاك الناس في معاملة بعضهم بعضاً

— انى أرى انك محق فى كل ماقامته ولكن ألم يعمل
الانكايذ حسنة واحدة فى مصر يستحقون عليها ثناءكم؟
— ان مايسمونه حسنة أو حسنات لم يك الغرض منه
تقديم الثمرات الينا ولكنها اليهم فظاهرها لنا لانها تعمل باسم
الحكومة الخديوية ولكنها فى الحقيقة لهم لانها لا بناأهم
وأدواتهم ومصالحهم؟

ان المسئلة الوحيدة التى يمتنون علينا بها مسئلة المالية وهى
مسئلة واضحة ظاهرة فالمالية المصرية ما كانت فى فوضى الا
فى آخر أيام اسماعيل ولكنها كانت فى ايام من كانوا قبله من
الولاية حسنة سليمة حتى كان الاقتصاديون يعدون حكومة
مصر أول حكومة مالية لبعدها عن الدين والاستدانة . فهل
وجود رئيس حكومة مبذر واحد يدل على ان مصر
لا تحسن التصرف فى ماليتها الى الأبد وهل حكومات أوروبا
خلقت على هذا الرقى المالى وحافظت على محاسنه الى اليوم
أما كانت انكايذ نفسها فى أكبر فوضى مالية فى القرن الثامن

بلادنا بينما كل منهم يحاسب حكومته بحق وبصوت عال على
تصرفاتها الحسنة ويريد لها ان تبلغ حد الكمال ؟
أمهيبيج انا لاني مصري احب مصر وعلى يميني وشمالى
بيوت خربها الظلم ونفوس كادت تباع فى الاسواق ضحية
الاهواء والغايات ؟

أمهيبيج انا لاني اعتقدان الدولة العلية روح مصر ومصر
قلبا وانه لا سلامة لسكيتهما ما لم ترتبط بالاخري ؟
أمهيبيج لاني ابكى نور العلم الذى كاد يرحل من ديارنا
وحل محله الجهل الممقوت والظلام الحالك ؟
أمهيبيج لاني وقفت على ما وصلت اليه الامم من
الحضارة وال عمران بهمة حكومتها الاهلية واريد لبلاد انسب
اليها وامة انا أحد ابنائها تلك الحضارة وذلك العمران ؟
ألطم ان كان المهيبيج فى نظر كم من يوصى بالقريب خيرا
ويحض على العلم واخراج العدو من دياره ونقل امة من حضيض
الذل والفاقة الى اوج الشم والسعادة فأنى اول المهيبيين !
دعهم يقولوا عنا ماشاؤوا فانا منهم ساخرون !

بل أفك لانى خاطب الحق !!! الا اننا فى زمن لا يستحي
فيه معتد أئيم !

كان الاجدر بهؤلاء الانسانيين ان يقولوا انى هأعج
لضياع الاستقلال ! لسرقة الاموال ! لقتل ذكاء الاطفال
لتعس الحال ! للاخلاف فى العهود والاقوال !

أمهيج أنا لان الطلاب اجتمعوا فى عيد سمو الامير
ودعوني لحفلتهم فأجبت بكل ارتياح ؟ كيف يدعون
أنهم ما دخلوا مصر الا لتوطيد عرش الخديوية حتى اذا ما
التفت الامة حوله قاموا يدعون اننا مهيجون ؟ الم يكن فى
هذا الادعاء ما يثبت دعوانا من أنهم يكرهن كل متقرب
من العرش وأنهم كاذبون فيما ادعوه عند احتلالهم هذه البلاد؟
أريدون ان نلتف حول الوكالة البريطانية والراية الانكليزية
تاركين الخديوية المصرية والراية العثمانية ؟ أريدون ان نتخذ
العدو حبيبا والسفك طيبيا ؟ اننا لم نكن معتوهين الى هذا
الحد حتى لا نميز بين العدو والصديق والغريب والقريب

أمهيج أنا لانى احاسب الانكليز على تصرفاتهم السيئة فى

الله في معونته والله يتولى الحقوق

هناك تندم أوروبا وتقول ليتني سمعت ! ليتني فعلت
ليتني أمددت أمة مظلومة سألتني نصرتها ورد حقوقها اليها !
هناك لا تنفع ليتني بعد ان تلبس الانسانية الاوروبية
ثوب الحداد وتلبس مصر المظلومة ثوب العدل واحة
الاستقلال

هناك تكتب الدماء البريئة « اننا لم نظلم أنفسنا ولكن
الانسانية ظلمتنا خاربناها خلاص أمتنا من جورها وقدمنا
أرواحنا فداء عنها »

ليشهد العالم ذلك اليوم اذا دامت أوروبا في صمم
وانكتر افي تعد وافتيات ومصر في عذاب أليم !!

فسأله المكاتب : « انهم يقولون انك مهيبج وانك أتلفت
على الطلاب أمرهم وقلبت حالهم من سكينه الى ثوران ؟ »
- ايقولوا ما شاءوا فانهم أعداء ظاهرون ونحن أمة في
ديارنا مهاجمون مسلوبون ! نعم أنا مهيبج لانى اذ كر الوطن !
بل مجرم لانى أقول بلادى ! بل سفاك لانى أشهر بالغايبين !

بمبدأنا « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » فقل لي بالله عليك
أتوجد أمة كهذه الأمة التي أغاثت الفنيةيين ورحمت الاتيونيين
وكانت مقبرة الطاغين حتى جاءت جماعة تظلمها من
الاوروبيين??

اننا نمول الى الان على الدم في تحرير بلادنا بل عوانا
وسنعول مادام في الوجود انصاف على القلم واللسان لنكون
خدام الحقيقة واقفين أمام عهد الانكيز وقفة الساهر على
صاحته الراغب في اصلاح حاله . واليوم الذي نرى فيه - ولعله
لا يكون - أذان أوروبا المتمدينة قد صمت عن سماع شكوانا
وتلبية ندائنا نكون مضطرين الى تغيير خضتنا والترقي في اتخاذ
وسائل أخرى فعالة أساسها الاعتماد على عقلنا ومالنا وساعدنا
هناك تخرج الأمة المصرية للعالم عملا من أعمال الأمم

المستميته في التمسك بحقوقها في العالمين

هناك تشهد الانسانية منظرًا من أبشع المناظر منظر مصر
الجميلة وحوها حليلها وخليلها يتقاتلان في حباها . هذا في عذره
وذلك في حقه ولا بد ان يكون النصر حليف الاول لان يد

الصحية يزداد عددنا ولوضعنا حداً لهذه الفوضى المالية التي
يسمونها رقيقاً وكنزاً ووفرنا نحو ثلث المصروفات التي تذهب
سدى في موارد غالية أو في تجربة يظهر بطلانها بعد ان تتكبد
الخزينة من ورائها الآلاف من الجنيهات

ان الله لم يخلق أمة بليدة في أرض طيبة لانه جل شأنه
لم يكافيء البلاداء والخابسين بل هو يحسن على الدوام الى العاملين
الناهين فبلادنا من أخصب بلاد العالم تربة ومن أعد لها جوا
واحكمها موضعاً وأيسرها طريقاً والامة المصرية من أذى
أمم الارض عقلاً وأحسنها معاملة وأقربها الى الخير سبيلاً
ولذلك كانت حقيقة بأن تملك أرضها وتتمتع بخيراتها

ان التاريخ قد سجل على الانكليز جنایات كثيرة ولم
يسجل علينا الى اليوم جنایة واحدة . انهم أقسموا وحنثوا
ووعدوا وما أنجزوا واخذوا وما أعطوا . كل ذلك على
مسمع من العالم وهم لا ينجلون

أما نحن فقد عاملنا الغريب معاملة القريب وأحسننا الى
من أسأوا الينا وفتحنا ديارنا للنازلين بيننا وتمسكنا على الدوام

يجهلون تمام الجهل حالتنا السياسية الاقتصادية فهم لا يقرؤون شيئاً عنها واذا قرؤوا فما يغشهم ويغير معالم الحقيقة امام أبصارهم كستقرير اللورد كرومر . وعندى ان أحسن طريقة لسير الممالك الكبيرة سيراً عادلاً مع الحكومات الصغيرة أن تنشر تقارير كافة الوكلاء السياسيين حتى يقف الرأى العام على الحقيقة بخدافيرها . لانه لو كان الوكلاء السياسيون فى مصر ينشرون عنها تقارير سنوية سياسية اقتصادية لكان اللورد كرومر يتأدب فى تقاريره ولا يصف الاحتلال بالملك الكريم والامة المصرية بالشيطان الرجيم

ان علة خذلان الامم الصغيرة التنافر القائم بين أفرادها وتخميم الجهل على ربوعها . وقد أدركنا هاتين النقطتين الاساسيتين فى رقى الامم والتفنفنا حول أميرنا وها نحن أولاء مجدون فى نشر المدارس الاهلية لنبلغ بها ما نريد من حضارة وعمران

نعم انه لو كانت حكومتنا أهلية لجعلنا كل المنازل مدارس ولا أرسلنا الارساليات لانحاء المعمورة ولا عتينا بالاحوال

لنشر الحقيقة في العالمين حتى يتحول الذين ظنوا فينا السوء
الى أصدقاء يعطفون الينا عطف العادل على المظلوم
ان الانكليز عقبه امامنا أى عقبه . لانهم طامعون
والطامع لا يرتاح له بال ولا يكل له عزم الا اذا استعمل كل
الوسائل لتخدير أعصاب المطموع فيه حتى يسلبه علمه متى
أراد ويعتصب منه داره ومتاعه متى شاء .

فقد جاؤا الى بلادنا مقسمين أغلظ الايمان آخذين على
أنفسهم الموائيق بالأيمكثوا في مصر الا ريثما يتممون العمل
الذي دخلوها من أجله وهو توطيد عرش الخديوية المصرية
بنشر الامن ليأمن الدائنون على ديونهم

ولكن ماذا عملوا ؟ انهم سلبوا العرش الخديوى سلطته
وأخلوا بالامن في البلاد والقرى بما نشره من حرية كاذبة
وخور قتالة . وهام الدائنون لم يأخذوا قرشاً من ديونهم
بعد ستة عشر عاماً على احتلالهم وبعد ان كثرت الضرائب
ونما ايراد الخزينة !!

ان الاوروبيين المقيمين منهم في مصر البعيدين عنها

« قابل مكاتبنا الخصوصى « مصطفى كامل » الوطنى
المصرى المشهور بعدائه لانكاترا والذى يبذل جميع قواه
سائلا لوادى النيل استقلالاً وللمصريين ابناء الفراعنة حرية
وعدلاً. وقد تحدثت معه فى شؤون حجة على الحالة فى مصر .
ولما كان حديث كهذا يفيد كثيراً احرار الايطاليين الذين لهم
بمصر أكبر علاقة رأينا أن ننشره برمته وهذا تعريب
الحديث :

« ماهي آخر أمنية تريد أن تصل مصر اليها؟

- ان غاية أمانينا أن نرى مصر مصر العلم مصر الحرية
مصر النعيم مرة أخرى ... لانه اذا كانت مصر قد بلغت فى
زمن من الازمان من الحضارة والعلم ما لم تبلغه أمة فى الوجود
فقد كان ذلك من عمل أبنائها الاولين . ولما كنا نعتقد أننا من
سلالة أولئك الذين افتخر بهم التاريخ وعدوا فى زمنهم
أساتذة العالم بذلنا كل ما فى وسعنا للتشبه بهم والنسج على منوالهم
ولما كانت العقبة الكؤود فى طريق رقينا وجود
انكاترا فى بلدنا رأينا أن أول واجب علينا العمل صباح مساء

من مدارس لنشر العلم بين الطبقات المصرية حتى يقف ابناؤنا
 واخواننا على درجة الوطنية الالمانية ومبلغ مدارك الالمانيين
 من العلم . وأنى أوكد لجنابك أن المانيا ترحب كثيرا اذا كانت
 سياستها في مصر مصرية اكثر منها انكليزية لاننا نرى أن
 العلائق بين وكيلكم السياسى في مصر ومعتمد انكلترا على
 تمام الوثام في حين أننا نجد لها فترة بين الامتين الالمانية
 والانكليزية . وليس هناك سبب لذلك الا قلة مصالحكم في
 مصر . ولكن لاتنس مصالح التحالف الثلاثى في مجموعته
 فتجارة النمسا في مصر تكاد تكون اكثر من كل تجارة
 سواها وكذلك ايطاليا فان لها في بلادنا المقام الاول بين دول
 هذا التحالف فالكثير من ابناءها يقطنون مصر ومنهم عدد
 غير قليل من الموظفين بمصالح الحكومة المختلفة » اه

— ❦ — التهم الكاذبة ❦ —

نشرت جريدة لاكورييرى الايطالية الشهيرة حديثا

للمترجم هذا نصه !

يقبلون الحقائق الظاهرة للعيان . خذ مثالا على ذلك أنه عند ما يسافر سموه الى الاستانة ويظهر جلاله السلطان مزيد التلطف وعظيم الرعاية عند استقباله يسارع الانكليز على لسان سماسرتهم وابواق احتلالهم الى نشر مثل قولهم «وان الخديو قوبل بالازدراء وهى اهانة للامة المصرية» ... الى غير ذلك من الكلمات المهيجة

وهذا السلاح الذى يستعمله الانكليز اليوم لا يجادفتور فى العلائق العثمانية المصرية الشاهانية الخديوية قد سجل عليهم من زمن بعيد حتى أطلق عليهم الكيرون من لقب «جواسيس أوروبا» وهو حقيقة لا ننا رأينا لانكلترا اليد الفعالة فى كل خلاف قائم بين الشرق والغرب لتقضى هي من ورائه ابحاثها — وماذا تظنون فى المانيا؟

— انا نعتقد فيها الى اليوم اعتقادا حسنا بيد أنها لم تعمل فى مصر عملا يذكر واذا كانت مصالحها اليوم فى مصر قليلة أزاء مصالح غيرها من الدول ففي استطاعتها اكثارها بما تنشئه من مصارف تراحم المصارف الانكليزية وما تؤسسه

محمد علي في مصر ؟ فلم يقولون بعد ذلك ان ميل الامة
المصرية للدولة العلية لم يكن الا شعلة من لهب التعصب الديني ؟
اننا اذا كنا متعصبين كما يقول الساخرون بشعور الامم
الراغبون في هلاك العالم ما عاش بيننا مسيحي واحد الى اليوم !!
ولكن الغرض يعنى ويصم !

فسأله المندوب : واذا كان هذا الارتباط متينا الى هذا
الحد بين أمتي مصر والدولة العلية فهل هو كذلك بين الخديو
والسلطان ؟

— اني تكلمت على هذه النقطة المهمة كثيرا ولكن
أعداء مصر والدولة أو بعبارة أخرى ساسة الانكليز لا يودون
أن يروا الاتفاق سائدا بين الخديويه والسلطنة العثمانية بل
يودون من صميم افئدتهم أن يحل الشقاق محل الوثام والخصام
محل السلام . ولذلك فهم يشيعون في الدوائر العثمانية على
الدوام بواسطة جواسيسهم ومأجورهم أن سمو الخديو
يسمي لتشييد خلافة اسلاميه يكون على رأسها . كما يشيعون
في مصر أن جلالة السلطان ناظم على سمو الخديو حتى انهم

ثالثاً انها الدولة الاسلامية الوحيدة التي لها املاك في
أوروبا وآسيا وأفريقيا وأغلب هذه الاملاك اسلامي . ونحن
أبناء دين يحتم علينا ان نكون كالبنين المرصوص يشد بعضه
بعضاً وان نعامل ذوى الاديان بالرفق والانسانية وان نجاهد لهم
بالتى هي أحسن

هل رأت أوروبا من الدولة العلية عداً للمسيحيين
المستظلمين برايتها كعداء أهل هولندا المسيحيين المتمدينين
لاهل جاوه المتوحشين على رأيكم ؟ هل صادرت الدولة العلية
أموال الكنائس القائمة في بلادها كما صادرت النمسا أوقاف
البوسنة والهرسك وصادرت روسيا أموال مسلمي قزان
واسريليبي موسكو ؟ ألم يكن عدد عظيم من المسيحيين
يشغل أهم الوظائف في دوائر الحكومة العثمانية بينما نرى
الهندي والجزائري والتتري وغيرهم من أبناء الامم الاسلامية
أو الشرقية المحكومة بدول مسيحية محرومين من مراكز
بلادهم العلية ؟ ألم تختار الدولة العلية من بين رجالهم القواد
والاطباء والعلماء لينشروا علمهم وكفاءتهم بين أبنائها كما فعل

مسلم لهذه المعاونة الواجبة شيئاً مما تسميه صحافة العالم المتمدن
بالتعصب ولكن مابالكم ترمون المسلمين الذين يساعدون
المسلمين، بهذا النعت الشائن ! انه ما التهب نار الحرب بين
الدولة العلية واليونان حتى دفعت الحمية الوطنية والغيرة
الاسلامية أبناء مصر لم يد المساعدة للجيش العثماني الظافر
ولكن الذين يرون في الشرق قبيحاً ما يرونه في الغرب حسناً
قد رمونا بالتعصب وقالوا فينا ما قال مالك في الخمر ! فلم هذا ؟
ألسنا ذوى عواطف تشعر وتعلم ؟ ألم تكن مساعدة المصريين
للدولة العلية كمساعدة الايطاليين وغيرهم من أمم أوروبا الذين
تطوعوا في الجيش اليوناني لمحاربة اخواننا العثمانيين ؟ أليست
مساعدتنا للدولة ونحن أبناءها واخوانها كمساعدة فرنسا
للولايات المتحدة يوم جاهرت بخلع النير الانكازى وهى
بعيدة عنها ولم يكن بينهما رابطة شرعية تحتم هذه المساعدة ؟
انه بالرغم من توجيه التهم اليها ازاء علاقتنا بالدولة العلية
أوكد أن هذه الرابطة تقوى على ممر الايام وليس تمت
ما يحلها أو يؤثر في عقدها المتينة

تنتشر بسرعة مع انتشار العمران في العالم . لانهم وحدهم
القادرون على بث المواظ بين أمم أوروبا ليخففوا من ثوران
هذا التعصب ويقيموا قصورا من الاخاء بين الامم جمعا بما
أوتوه من سعة العلم وغزارة القلم وقوة العارضة وحجة القول
وسحر البيان

اننا هنا نلطف كثيرا بما نكتبه من وقت الى آخر بمناسبة
اعتداء أوروبا على الدولة من هيجان الشعب الاسلامي ونلقى
ما تحدثه الحوادث على حساب الخرق في السياسة أو مطامع
السياسيين

وأنى أوكد لقراء البرلينرتاجيبلاط أن النهر يسكن ماؤه
ويقف تياره اذا بعدت عنه يد الصياد فأوروبا هي التي في قدرتها
الضرب على أيدي صيادي الامم سافكي دماء الابرياء سالي
حقوق القصر واليتامى بعضا من حديد حتى تجلس الانسانية
على عرشها المحبوب وتنتشر الحب الصالح بين أبناء البشر
انك ترى باجناب الصحافي أن أمم أوروبا تعاون بعضها
بعضاً متى حات باحداهن مصيبة أو نزلت كارثة ولا ينسب

العكس من ذلك؟؟

ألم يكن في نتيجة انتصار الدولة العلية على اليونان ما يحقق
هذه النظرية وذلك من شأنه أن يزيد في تعلقنا بالدولة العلية؟؟
أن المصريين عن بكرة أبيهم في حاجة الى الاتحاد
وأوروبا بأعمالها العدائية اتتولية ضد الدولة العلية تعاملنا كيف
تتحد وتمسك بها ونؤازرها في كل ملة. لان وجه دنا السياسي
متوقف على نصرتها . وأنى أوكد لجنابك أن الذين يهمهم
سلامة العالمين المسيحي والاسلام لا يجدون دواء لهذا الداء
المضال داء تعصب المسيحية غير أجبار أممهم بسلطتهم الادبية
عليها على قبول مبدأ « لكم دينكم ولى دين » لان هذا هو
مبدأنا الذى نطق به القرآن الشريف كتابنا المقدس وأمرنا
باتباعه . والا فانه اذا استمرت أوروبا على مناصبتنا العداء أتيح
ذلك لا محالة — أن لم يكن اليوم فغدا — أكبر البلايا واشد
الرزايا على العالم بأسره

أن الكتاب المسيحيين الاوروبيين الذين قطعوا في نور
العلم شوطا بعيدا هم المسئولون عن هذه النتائج السيئة التي

« قابل مندوبنا الخصوصي « مصطفى كامل » المصري
زعيم الحركة الوطنية وحادثه في شؤون شتى اهمها تأثير انتصارات
الدولة العلية في مصر وهذا هو الحديث :

ما هي احساسات المصريين الان نحو الدولة العلية ؟

- ان احساسات المصريين نحو الدولة العلية لا تزال كما
هي احساسات التابع للمتبع وكما مر الزمان قويت الرابطة
بين مصر والدولة العلية لجملة اسباب .

اولا - ان المصريين في أغليتهم مسلمون بحيث أن العناصر
الأخرى التي لم تدن بدين الاسلام لم تمكن جزأ من عشرين
من تعداد المسلمين القاطنين أرض مصر . وبما أن دولة الخلافة
الاسلامية هي الدولة العلية وسلطانها هو رئيسنا الديني فنحن
كلما زدنا عدداً كثر تعلق النفوس بهذه الدولة المحبوبة

ثانيا - اننا رأينا في أيامنا هذه فوق ما قرأناه في التاريخ
أن أوروبا جمعاء تحارب الدولة العلية بصفتها دولة اسلامية والوا
فلم نجد لها تهلل وتكبر كلما انتصرت أمة مسيحية على أمة اسلامية
في حين أنها تتألم وتستشيط غيظا اذا كان الامر على

ان أوروبا اذا تركت انكلترا في مصر بلا مراقبة فعليه .
واذا أهملت مناقشتها الحساب فيما أخذته على نفسها من عهد
فانه يأتي يوم تضيع فيه أفريقيا كلها وتأسف أوروبا حيث
لا ينفع بعدئذ أسف !

ان أقرب باب لافريقيا هو القطر المصرى ولاوروبا
أملاك كثيرة في هذه القارة العظيمة فالمانيا وفرنسا وايطاليا
وبلجيكا لها فيها أملاك تذكر فهل تترك هذه الدول انكلترا
تخلق عليها حتى تسلبها متاعها . انى لا أظن ذلك فلتعجل المانيا
بعمل تضمن فيه مصالحتها في الشرق بحفظ استقلال مصر
وحرية قناة السويس وهاهي الفرصة اليوم سانحة لهذا العمل
العظيم بعد ان خرجت الدولة العلية منصوره في حربها مع
اليونان وان ضياع الفرص لا يعوض . .

مصطفى كامل «

﴿ الدولة العلية ومصر ﴾

نشرت جريدة البرلينرتاجبلاط الالمانية حديثا دار بين
الترجم ومندوبها في مصر في ٢٤ مارس سنة ١٨٩٨ هذا تعريبه :

التصرف في أموالنا بلا حسيب ولا رقيب »
قال صاحبنا هذا القول ثم بكى من شدة تأثره فأمن
الحاضرون على كلماته وكان من بينهم المسيو (م) أحد
أساتذة المدارس وهو رجل فرنسي خدم مصر باخلاص
وأخرج لها الكثير من الشبان النابغين

. فماذا يقول قراء الزيتنغ بعد هذه الآلام التي سببتها
أوروبا لمصر والتي نسالها اليوم ان تعمل في بلادنا لازالتها
اني شرحت أكثر من مرة موقع مصر السياسي
والاقتصادي مما وافقتني عليه أغلبية جرائد أوروبا ورجال
السياسة فيها واليوم نرى أوروبا مفتونة بمواعيد الانكياز
الباطلة خائرة القوى امامها ضعيفة العزم في خدمة الانسان
نعم ان أوروبا كذلك لان في استطاعتها ان تقف على
حالة المصريين الحقيقية من تقارير قناصلها التي أوكد انها مليئة
بالحقائق ولكن لا أعلم لاي سبب تهمل هذه التقارير في
زوايا الاهمال بلا عمل يذكر أو نتيجة تطمئن العالم المصري
وتوطد الثقة بينه وبين أوروبا

لاهم يسعون وراء المنفعتين الانكازيتين منمنعة مايمؤون به
جيوبهم من المرتبات الباهظة والمنفعة التي تعود عليهم مادامنا
جهلاء??

امام هذا المنظر الخيف المنزع ترى حكومتنا الاهلية
لاهية ساكتة لا تحرك شفة ولا تعارض في أمر فهم باسم
الامة يصادقون على كل شيء . هذه الامة المسكينة التي
تصرف على عدوها وسالها والخائن والمنافق من أبناءها يعيشوا
ويقووا ضدها ويحاربوها في وجودها

وماذا أقول لك ولو أردت أن أحصى الارقام التي تسرق
من المالية باسم البيع والشراء والايجاد والانشاء بلغت
الملايين من الذهب . ولم نذهب بعيداً?? وهذا الجيش . أم
يكن في ميزانيته ان تتمرن جنوده سنوياً على ضرب النار مما
قدر للاتفاق في سبيله مائة وثلاثين ألف جنيهه على الاقل
فأين ذهبت هذه النقود امام هذه الحملة السودانية التي
ما تمرنت فيها العساكر برصاصة واحدة منذ بدؤوا بأعمال
التجريدة!!! ألم يكن هذا البرهان وغيره حتمية ساطعة على

علينا جميعا من كبيرنا الى صغيرنا بالاعدام تنتظر ساعة العفو
ساعة الخلاص بنافذ الصبر. ان الانكاز كما تعلم هم القابضون
على الحياتين المنادية والادبية في البلاد وفي ايديهم معاول
واشرالك ينسفون بالاولى الحياة الادبية ويصطادون بالثانية
نتيجة مجهودات الامة. فانهم قد اكثروا من المدرسين
الانكاز ليقتنوا العلم لقوم لغتهم العربية باللغة الانكازية
ولينسفوا ما بقي من مكارم اسلامية وأخلاق أهلية واحساسات
وطنية. انهم اذا ذكروا الوطن المزمري حقدوا واذلوه ونسبوا
ما فيه من رفعة باقية موهومة الى وجودهم والى قرأهم
واحسانهم للانسانية. مع ان الوطنيين يا أخي ليسوا الا أرضاً
وسماء حتى ان العاجز الغبي الذي لا يميز بين النهار والليل يحكم
على وطنهم المجدد بالاعدام بينما يرحب بوطننا الذهبي الذي
دونه جميع الاوطان فلم هذه الاعمال؟ اليس لانهم لوشروا
العلم الصحيح واحسنوا الى البشر احسانهم الى انفسهم يستقون
من على وجدهم حيث تعرف الامم حقوقها فتسترد منهم بقوة
العلم التي هي اكبر قوة في الوجود ما سلبوها منها؟ اليس

الاحتلال في مصر قد استخدموا من ابناء التامير نحو ٤٦
انكليزيا اكبرهم سنا لا يبلغ الثالثة والعشرين واكثرهم علما
لم ينل غير الشهادة الثانوية وأقلهم مرتبا يتناول شهريا ٢٥
جنيها !!!

فهل سمعتم ايها الاوروبيون الشرفاء المتمدنيون ازامة
تجاهر بكره الخيانة والدناءة وتدعى انها تطارد اللصوص اينما
وجدتهم تسلب في راحة النهار حقوق امة تعتبر بلادها قطعة
من أوروبا؟ انكم ماسمعتم وما سمعنا ولكن هاهي الامة
الانكليزية تسمعنا في الغدو والرواح الغرائب والعجائب !!

ضمني مجلس من مجالسنا الوطنية الحافلة بذكر هذه
المسائل المؤلمة وقد تعرفت فيه الي رجل من كبار رجال
الحكومة الذين كادت اعمال الانكليز تصعقهم اشدة هولها
وبشاعة جبروتها . فسألته عن هذه الاعمال فقال وهو يتأوه
بين كل فقرة وفقرة من كلامه تأوه الوطني الصادق امام
بلادته المسلوبة المغصوبة مانصه :

« عن أى شئ تسألني ايها الاخ ونحن اليوم وقد حكم

اليهم هذه المقدمة الجميلة ليتمفوا على الحقيقة التي طالما طواها
غدر الزمان ولكن عدل الله لاعظم
والسلام من اخيك
محمد حكمت

✧ الحالة العمومية ✧

(في مصر)

كتب رحمه الله مقالة في جريدة زيتنغ الالمانية الكبيرة
نشرتها في ٩ مارس سنة ١٨٩١ هذا تعريتها :
« ان الحالة العمومية في مصر مؤالة مبكية . فالانكايز
يعملون اليوم كل شئ جهارا حتى سئم احرار المصريين الحياة
ولم يعد للصبر سبيل . فهم في كل سنة يجلبون الى مصر من
اخوانهم عددا عديدا ليحشروهم في الوظائف حشرا بلامسوغ
شرعى وبلا علم يؤهلهم لهذه الوظائف
ففي هذا العام الذي هو العام السادس عشر على وجود

الجليل ماتعريبه :

ان هذه اول مرة قرأت فيها مقدمة سياسية في المسئلة
الشرقية بقلم مصرى . وانه لو لم يكن اسمك عليها لحكمت
من فورى بأنها من قلم سياسى مسن محنك . ولكن لا عجب
فأنت عظيم الشرق وطود سياسته .

اني كنت اود من صميم فؤادى ان أكون بجانبك
لاقوم بترجمة كتابك برمته لان التواريخ التى عندنا قديمة
وغير مباح لنا ان نقرأ او نقرئ فى مدارسنا شيئا منها .

انك حملت حملة منكورة على انكلترا ولك الحق فى ذلك
لانها دولة المكر والخداع بالرغم من اعتقاد بعض اخواننا فيها
اني أومل لمصر السعادة التى طالما سعي التاريخ لانالتها
اياها ولكن سعيه ذهب على الدوام ادراج الرياح

اذا كنت قد عزمت على ان تشرف فى هذا الصيف
الاستانة فانبأنى حتى اقدم لك شعرا تركيا تحية لهذه المقدمة
البليغة العالية

ومع هذا ارسل لك كشفا باسماء الذين يجب ان ترسل

اني بالرغم من اشتغالي بتأليف كتاب (المسئلة الشرقية)
الذى سيكون سفرا تقيسا للغاية احادث السياسيين وانشر
المقالات في جرائد أوروبا ...

اتصل بي ان الجيش المصرى سيرحف قريبا على عطبرة
لمحاربة الدراويش

فأرجو منك مكاتبتى كثيرا فى هذه الايام حتى نطمئن
عليك

سألنى جناب مدير مجلة العالم الاسلامى الفرنسية أن
اكتب له شيئا عن حالة الجيش المصرى . وقد كتبت له
ما اعلمه مستعينا بأراء حضرة خالنا العزيز
ان شوقى اليك لشديد

*
* *

ما جاء اول مارس سنة ١٨٠٨ حتى ظهرت مقدمة كتاب
المسئلة الشرقية باللغة التركية مترجمة أحسن ترجمة مفرغة فى
أحسن قالب . وقد جاء للمترجم كتاب من محمد بك حكمت
أحد شعراء الأتراك و احرارهم قال فيه بمناسبة هذا العمل

فقال المكاتب : وعلى م عولت بعد الان أتستمر
ورفاقك في هذا الجهاد على هذا الاسلوب أم عولتم على
اتخاذ وسائل أخرى ؟

- اني أصرح لك بأن سياستنا صريحة لاسر فيها وان
الحامي في قضية لا يعتمد الا على الصراحة في دفاعه حتى يظهر
الحق جليا أمام الملأ اجمع . ومن مصلحة مسألتنا ان نعتمد على
أنفسنا أولا وان لا نتعدى حدود السكينة والحكمة في جهادنا
وان نضم الينا ثانيا ما نستطيع من اهل الحق وذوى الوجدانات
مهيا كانت أديانهم ونحلهم .

وان أوروبا التي صمت اذانها وانغمضت جنونها عند
احتلال الانكليز لبلادنا ترتكب اثما كبيرا اذا حضرت
مشهد اعدامنا على مسرح السياسة الانكليزية فلنعمل واتعملوا
فان الانسانية والمصلحة تدعوان الى استقلال مصر وحرية
قناة السويس « .. اه

*
**

كتب الى رحمه الله خطابا قال فيه :

كبير على غرسهم بذور التربية الصحيحة التي روحها الوطنية
في قلوب الناشئين الذين أتموا دراستهم في مدارس الحكومة ؟
— ولم لا تقول يا جناب المكاتب انهم بذروا بذور الظلم
فهل لنا منظر نتاجها فصحننا مستغيثين بمن هم أصل هذه البلية
وهذا البلاء؟؟ أنسيت جنابك ان الانسان قطعة من الارض
التي نشأ فيها فيحن اليها حنو الابن البار بالام الحنون ؟ قل لي
كيف قام المجريون في وجهكم وانتم على جوارى يحفظ شيئا من
الشبه بين جنسيكم ؟ ألم يكن الدافع للوطنيين الذين هم تيجان
التاريخ على حب بلادهم تلك الصلة الكبيرة التي تربطهما من
مبدأ الخليقة الي اليوم

الا ان الطامع لا يأتي حسنة الا قسر او ليس في الاجبار من
العمل ما يسمى حسنة. فحسنت الانكياز التي يدعون انهم اتوها
في مصر لم يكن خيرا عايدا علينا بل عليهم كما ذكرت لك فنحن
نكدو ونعمل ونملا خزائن الحكومة وهم يجنون ثمار اتعابنا باسم
حسنت ظاهرها في عين أوروبا خير عميم لمصر وباطنها شر
مستطير واقنيات كبير

ان رقما في الميزانية اصغر من الرقم الحالى ومصروفا
راقب فيه مصاحبة الامة لاحب الينا من هذا العدد الضخم
الذي لانكنا فيه المغنم وعلى مصر المغرم !!!

فقال المكاتب . ولم لاتضعون تقارير مسببة تفصحون
فيها عن أمركم هذا ليقف الرأى العام الاوروبى على الحقيقة ؟؟
- انا عولنا على نشر آرائنا وخواطرنا وما نالنا وينولنا
من الاجحاف على صفحات الجرائد الاوروبية السيارة لانها
أسرع مبلغ للشعوب ولان عدد من يقرؤها يفوق عدد قراء
التقارير كثيرا

نعم ان التقارير على قلة من يقرؤها تقف السياسيين وهم
الكل في مسألة مصر على حقيقة الحال وتكون بمثابة كتب
موضوعة يرجع اليها فى كل وقت ولكن عدم اصدارها
فى هذا الوقت لا يمنع من أن نقوم به قريبا فحزبنا لم يتكون الا
حديثا وهو الان أخذ فى الا انتشار ولا بد أن يجاهر يوما
بعمله بعد أن لبث الى الآن سرى

- ان الانكناز يقولون ان وجودك بين المصريين دليل

أما المصروفات فأغلبها يدخل في جيوب الانكليز ولا ضرب لك مثلاً صغيراً

من يدخل مدارس الحكومة لا يجد أداة بيد تلميذ الا ومصدرها انكليزى ولا يصادف وجهاً أبيض تعلوه قبعة الا ويكون وجه انكليزى ولا يسمع صوتاً يرن في نظارة المعارف الا صوت الانكليزى !

ومن يدخل ثكنات الجندي لا يجد فيها أداة غير انكليزية ولا رئيساً غير انكليزى ولم يجد شيئاً مصرياً (الا العدس والبقول وهما من غذاء العسكر)

ومن يعرج على نظارة الاشغال لا يجد شيئاً مما غلامه من ادوات البناء الا انكليزيا لان المقاول اما انكليزى او اجنبى غيره ممن اشترط عليه ان يستحضر ادوات انكليزية !!

كذلك الحال في السكك الحديدية ومصاحبة الصحة والبوايس والكمارك وخفر السواحل وغيرها . . وغيرها !!
فهل نتمنا فائدة في هذا والدين باق كما هو وقد مضى على نكاترا وهي محتملة مصر ما يقرب من ستة عشر عاماً

فقال الم كاتب : أن الانكايز ينشرون في العالم من حين
الى حين انهم رفقوا مالية البلاد ووضعوها على أضمن أساس
ليس كذلك ؟

- نعم لا أنكر انهم اكتسبوا ثقة أوروبا بعد أن كانت
منقودة ولكن بماذا اكتسبوها ؟ انهم اكتسبوها بهذه الارقام
التي تنشر حبرا على ورق لا يحاسب عليها ناشرها اذ لا رقيب
عليه !!!

وبيان ذلك أن الانكايز اذوا الضرائب ومنعوا زراعة
الدخان ايزداد دخل الكمارك بما يرد منه على مصر وضربوا
للبدل العسكري ضريبة عمموها في كل القطر وأخلوا الامن
ليكثر ايراد المحاكم وفتحوا المصارف ليرهنوا أملاك الامة
ويعمموا الاستدانة التي هي في نظر كل الاقتصاديين مجلبة
الدمار على الامم

وأنه اذا كان رقم الايرادات يزداد في كل عام عن الذي
قبله فكذلك المصروفات تزداد ايضا . والفضل في الايرادات
راجع الى ما ذكرته لك وفيه أكبر فضل على المصروفات .

حادثته أكد لي أن المصريين اليوم أسعد حالا مع الاحتلال
الانكائزي مما كانوا قبله . وقولك مناقض بالمرّة لقول هذا
البعض !!

فأجابه المترجم على الفور : « أن الذين حادثهم أن قلوا
أو كثروا ليسوا على ما أظن الا دخلاء يفسحون من كان مثلك
بأنهم مصريون وهم ليسوا في الحقيقة الا غرباء استأجرهم
الانكائز لخدمة سياستهم ! واذا كانوا مصريين فهم من طبقة
الموظفين الذين باعوا الآخرة بالدنيا والوطن بالوظيفة
وهؤلاء ليسوا والحمد لله كثيرين ولا بد أن يحو الزمان
أثرهم شيئاً فشيئاً او يثوبوا الى رشدهم عند ما يقع الظلم على
رؤوسهم فإن الانكائز يستفيدون على الدوام من الخيانة
ولكنهم اعداء الخائنين متى قضوا منهم ما ربهم واطمأئعهم !
أني اقول لك الحقيقة كما هي . فإذا أردت أن تؤمن
عليها او تتأكد منها فسل من شئت من الوطنيين الاحرار
الذين لا علاقة لهم بالحكومة ولا بالاحتلال وهم يقصون
عليك ما سمعته مني حزفا بحرف

أخفت يظنون أن بلادنا أصبحت مستقلة سعيدة عالية الشأن!
نعم أن يوما فيه نرى مصر قد أخذت مكانها اللائق بها
بين الأمم هو يوم لا تشكوفيه من ظلم ظالم أو جور جائر بل
تكون كسكل الأمم التي ترتفع اصواتها امام حكومة أهلية
لحسن قيادة دفة مرافق البلاد.

أن الرجل الذي له وجدان يتألم لا يستطيع رؤية أم
عزيزة تذبج في رائحة النهار بدون أن يتحرك . فنحن كذلك
مع هذا الاحتلال غير الشرعى الذى طال عليه القدم ومثل
أكبر دور من أدوار الغش والخداع لانسكت حتى اذا بحت
صواتنا أو عصبت السنتمنا فى افواهنا . لانه العار الابدى
المسجل علينا ما دام فينا والوصمة الوطنية التي تمنكرها حقوق
الاطوان ما دام بين ربوعنا

أنى أوكد لك يا جناب المسكاتب ان قلب المصرى يذكر
فى كل خفقة من خفماته الجلاء لان السعادة لا تكون فى
الشقاء كما أن الاستقلال لا يكون فى الاحتلال
فقاطعه المسكاتب وقال : « ان بعض المصريين الذى

مصالحها وتأديب الدولة الطامعة الساخرة منها وكل آت قريب
١١ فبراير سنة ١٨٩٨ مصطفى كامل «

- الأحوال المصرية -

- حديث مع المترجم -

قابل مكاتب جريدة الألكسترا جبالا النمسية المتجول
المترجم بدارنا بالعاصمة ودار بينهما الحديث الآتي في شؤون
مصرية كثيرة نشرته تلك الجريدة الكبيرة في ٢٣ فبراير
سنة ١٨٩٨ وهذا تعريبه !

« المكاتب - يشيعون في الدوائر السياسية الأوروبية
أن المصريين قد نسوا مسألة الاحتلال ولم يعد لهم صوت
يرتفع بعد الآن . فهل هذا صحيح ؟؟

المترجم - قد دهشني سؤالك هذا غاية الدهش لأنه
كيف ينسى المرء أمه الحنون التي لا رحمة في الوجود تعادل
أحمتها ولا شفقة تشبه شفقتها . أن الذين يقولون أن أصواتنا

اشعلوا نار هذه الحرب ليشغلوا الدولة عن مسألة من ام
المسائل العثمانية في افريقيا ! أنهم خافوا أن توغر الدولة
الالمانية - التي هي العدو اللدود للدولة الانكليزية -
للدولة العثمانية بأن تحدث القلاقل على حدود مصر الشرقية
وتسوق جنودها الي داخل البلاد في وقت تكون قد رحلت
فيه الجند المصرية والانكليزية عن مصر لاسترداد السودان
وبذلك يععون في فح السياسة الالمانية ويضيع منهم الابيض
والاسود !!

ان كبار السياسيين في أوروبا متفقون على ان الانكليز
يخلقون كل يوم جديدا في عالم السياسة بلوغهم الغاية التي
يرمون اليها فلا يس يعيد بل من المعقول جدا ان يخلق الانكليز
أنفسهم في الغد شيئا آخر في نفس جسم الدولة العلية !

نعم ان تنافس هاتين الدولتين الالمانية والانكليزية
يفيدنا كثيرا لان فيه صاعقة مقبلة تقضى على احدهما بينما تضعف
الاخرى وتتركها في النزع زمتا طويلا . هناك يقوم المصري
ليسترد حقوقه ان لم تكن أوروبا قد قامت بواجبها نحو صيانة

ليس شرعيا ولم يكن بالمرّة من اختصاص الجنود؟ . نعم ان
السرعة التي ترى السياسة الانكليزية وجوب اتباعها في فتح
السودان تحتم هذا العمل الذي يعوق سيره التبديل والتغيير كما
يقول بعض الضباط الانكليز وجرائد الاحتمال . ولكن
أليس في ميزانية الجيش الذي لا يعرف لها حساب ما يكفي
جعل الاورطة المخصصة لأي عمل ما أورطتين

وبالجملة فان حالة الجيش المصري حالة تعسة للغاية لا
يمكن تطبيقها على حالة أقل الجيوش الاوربية استعدادا ونظاما
ان الجيش المصري الذي هو جزء من الجيش العثماني
لا ينعم الدولة اليوم في أي حرب لانه فضلا عن أن نظامه
مخالف للنظام الحديث الاوروبي كما يقول الكثيرون فان
الانكليز لا يسمحون بانضمامه الى جيش الدولة اذا دعت
الحالة الي ذاك .

نعم ان الوقت اندي فيه تارت الحرب الاخيرة بين
الدولة واليونان كان الجيش المصري مشتغلا بما هو فيه
الآن من استرداد السودان ولكن اليس الانكليز هم الذين

الانكاز أصبحوا يسخرون من العالم كله وقد سجلوا على أنفسهم بهذا الاخلاف في الوعود عارا في صحف التاريخ لن تمحوه حسناتهم حتى لو كانوا مصادفة يأتون بالحسنات

انى أرى ان المثل الذى ضربته على تعس حالة الجندى المصرى واستخدامه فيما لم يكن من شأن الجنود لم يكن شياً مذكورا بجانب ما أقصه على قراء مجلة العالم الاسلامى

اختص رئيس الجيش ذلك الرجل الجبار كتشنر باشا احد الاورط بنقل التعيينات من شاطيء النيل الى القطار فلما رأى رئيسها المصرى ان المرض المسبب عن النصب الزائد أهلك الكثير من رجاله شكاهم الى الرئيس ليرحمهم ويستبدلهم بغيرهم. فhez الرئيس الانكازى الممتدين العظيم كتفيه وقال « ان موت أورطة بأسرها لايهمنى فالامة المصرية تعد بالملايين ومن يموت من الجنود نجد عوضه فى الحال » من هذا المثل وغيره يدرك القراء ان الشدة قد بلغت من نفس هذا القائد الاوروبى مبلغ القوة مع ان العدل يقضى بالتبديل والتغيير فى كل عمل واجب النفوذ فما بالك بعمل كهذا

من برالى بحر ومن بحر الى بر وينشئ السكك الحديدية وينى
القناطر والشكنات وبالجملة يطلب منه تشييد مدن فوق حجاجم
الذين قتلهم برصاصه أو مزق أجسامهم كل ممزق بقنابله
فالجندي المصرى نجار وحداد وتراب وبناء وفاعل وجمال
وخدام وجندى كل ذلك فى حرارة السودان وتحت سلطة
الانكايز

أخبرنى موظف مالى من موظفى نظارة الحرب فى
بلادنا العساكر المصرية يحملون حتى غذاء وملابس ومواد
الجنود الانكازيه المرافقين لحملة السودان من جهة لينقلوها
الى جهة أخرى . فهل بعد هذا الاستعباد الامم فى صورة المدنية ???
ان الانكاز اول المدعين انهم ممدينو العالم رحماء بالجنس
البشرى وانهم مادخلوا مصر الا ليقيموا فيها ستة أشهر
حتى يستتب الامن ثم يعودون من حيث أتوا فما بالهم اتخذوا
الحدود المصرية بعد ان أستتب الامن داخل البلاد عكازا يتعكزون
عليه كلما ضايقتهم المطالبة بالجلاء أو لاحت لهم لآفة من أوروبا
يكون وراءها حرمانهم من البقاء فى أرض الفراعنة . الا ان

وهذه الاقسام يحل بعضها مكان البعض كلما لاح
للرؤساء تبديل وتغيير !

والنظام المتبع الآن ان في الجيش ثمانى عشرة اورطة
مصرية يياده منها اثنتى عشرة اورطة من المصريين وست
اورط من السودانين ولا يوجد على رأس هذه الاورط
مصريون الا في اربع منها فقط واما الاربع عشرة اورطة
الاخرى فجميع رؤسائها من الضباط الانكليز !

وكذلك بطريات الطوبجية فلا يوجد فيها بالمره رئيس
مصرى اما الايات السوارى ففيها بعض المصريين وكذلك
بقية فروع الجيش

ان في كل جيوش العالم لا يشتغل الجندى ورئيسه الا
بكل عمل حربى كانشاء القلاع والحصون وحفر الخنادق ووضع
العراقيل والتعايم العسكرية بكل أنواعه ولكن الحال في مصر
غير ذلك فانه بينما يضم الجندى المصرى راميته ليسترىح من
عمل عسكري أو وقعة حربية تناديه أعمال النقلة التي لم تكن
من شؤون الجنند بالمره فينقل أكياس الغذاء وحزم المواد

اذ بددت فرق هذا الجيش المتعس في وقائع كثيرة اشتبكت
فيها وفي جهات شتى بالسودان مع اهله ودر او يشه

بعد ان تم للانكليز هذا الامر بسهولة غريبة اسسوا
جيشا جديدا لا يتجاوز العشرين الف جندي وقد وضعوا على
رأسه عددا كبيرا من الضباط البريطانيين ليكون لهم أحسن
مدرسة حربية مصرية يجربون فيها كل نظام يخطر ببالهم
لا ليكونوا اساتذة ماهرين يلقنون فنون الحرب الحديثة
لمن ائتمنتهم أوروبا على احتلال بلادهم!

فإن الضابط الذي لا يتعدى رتبة الملازم في الجيش
الانكليزي يلحق بجيشنا برتبة البكباشي وينتقد من المرتب
هنا ما هو ستة امثال مرتبه هناك . وهو ما لم نسمع به في
التاريخ!

للجيش المصري الآن وفي كل مدة الاحتلال ثلاث
نقط يوزع فيها قسم في السودان الشرقى ومركزه سواكن
وقسم بالسودان الغربى ومركزه حلغا وقسم آخر بمصر
ومركزه العاصمة

وظن الناس جميعا في مصر وفي غير مصر انه سيكون التوفيق
حليفه في خديويته ولكن الحوادث خاتته ولينه المتناهي
وطيبته التي كادت تكون زهدا اضعفت كثيرا من جاهه
وقوت كثيرا جهلاء قادة الجيش والذين نهجوا منهمجهم .

ذلك ان الجيش المصرى كان على رأسه في ذلك الاوان
قواد من الغنصر الشركسى المحبوب الباسل وليكنهم كانوا على
ما يظهر من الذين لا يحسنون كثيرا سياسة الجند ومن سوء
حظهم او من سوء حظ مصر ان وجد بجانبهم رؤساء فرق
مصرية لم تخرجهم المدارس العالية بل آخرجتهم صفوف الجند
وهم من سلالة مصرية صرفة . وقد حنق هؤلاء على أولئك
واشتبك التباغض الجنسى بينهم مما ادى الى النزوع الى الثورة
العرايية التي انتهت فصولها باحتلال الانكليز لمصر ...

دخل الانكليز مصر في وقت كانت فيه الثورة السودانية
قائمة بعد ان احكمت السياسة الانكليزية حلقاتها وعرفت كيف
تثير لهيبها . فرأى من رأسوا الجيش المصرى من ضباط
الانكليز أن ينفوا ما بقى من جيشنا القديم وقدامهم ما ضمروا

كفائه وعدده حتى زمن حكم اسماعيل باشا الخديو السابق
فان الجيش المصرى بلغ فيه مبلغا عظيما من الرقى . ومن يراجع
تقارير ضباط الاركاز الحرب الاجانب الذين استخدموا فيه
كالجنرال ستون وغيره يعلم مقدار عدده وعدده فقد بلغ عدد
رجالها في وقت من الاوقات من ضباط ووصف الضباط وجنود
١٢٠ الف نسمة . كما بلغت عدده من الطراز آخر طراز

لان اسماعيل كان مغرما بتأسيس مملكة ضخمة فانشأ
السفن وبنى الحصون واستجاب العدد واستخدم الاوروبيين
لتدريب الجند وهو عمل كان يجب معه أن يكون مقتصدا
ليأمن الوقوع في غائلة الدين وضيق ذات اليد

ولو كان اسماعيل مع نشره المعارف واصلاحه البحرية
والحرية عول على وضع نظام مالى قائم على اساس متين
ما كانت البلاد وقعت في هذا المرض المالى العضال وما كان
الاجنبى وجد بابا يدخل منه هذا الغيظ الذهبى تحت هذه
السماء النادرة المثال !!

ذهب اسماعيل وجاء توفيق وقد استلم ملكا كبيرا امدينا

ويؤلم فوء ادى بصفتى مسلما مخلصا يرى القوة فى الدولة العلمفة
والمجد المقبل فى سلامتها والالتفاف حول رافتها . . .

بلغ عدد هذا الجيش فى مدة محمد على ثمانين الف جندى
وقد جلب له من أوروبا اساطين الحرب وقواد الجيوش
الذفن اشتهروا بسعة الاطلاع وقوة الابداع فى تنسيق النظام
وترتيب الجنود ومنهم الكولونل سيف الفرنسى الشهير الذى
اسلم وغير اسمه واصبح سليمان باشا الفرنسى

قاد محمد على هذا الجيش فى بعض الغزوات ولكن
الذى اشتهر بقيادته زمنا طويلا هو ابنه ابراهيم باشا الذى
تولى ملك مصر زمنا قصيرا وقد اثنى المؤرخون جميعا على
استعداد المصرى للجنديفة غير ان الازمنة المختلفة التى هاجت
فيه حب منافسة معاصرة واستيلاء الاجنبى على بلاده لم
تمكثه من التدريب على القيادة العامة فصار مرؤوسا طيعا
حازما ولعله يكون كذلك اذ جاءه حظ التراس فى مقببل
الايام !

جاءت بمد محمد على ادوار الخديويين والجيش كما هو فى

مدير مجلة العالم الاسلامى يسأله فيه ان يفصح لقراء مجلته عن
حالة الجيش المصرى واستعداده ومبلغ حفظه مع محتلى مصر
فكتب له ما تعريبه !

« انى اجدا لشرف منتهى الشرف فى أن اخاطب قراء
مجلة كبرى كهذه المجلة المقروءة المؤثرة فى شئون جيش حينا
له من حب البلاد لانه المدافع عن حوزتنا الساهر على صياتنا
الحامل لراية وطنيتنا الا وهو الجيش المصرى .

انى لم اكن عالما بفنون الحرب ونظام الجند حتى اصفهما
وصفا دقيقا ولذلك اتكلم هنا على اعماله القديمة والجديدة
ونخفه الذى سطره له التاريخ وما لحقه من الغبن فى هذا العصر
الذى جرت فيه كلمات الرقى والمدنية والانسانية حتى على
لسان من لم يشبوا عن الطوق بعد !

كان فى مصر جيش كبير نظمه المرحوم محمد على باشا
رأس العائلة الخديوية حتى كاد يكون أول جيش فى العالم
الشرقى بعد الجيش العثمانى الباسل وقد غزا به محمد على بلادا
كثيرة لا أود ذكرها لان فى ذكرى بعضها ما يحرك اشجانى

انا لاننكر ان أعمال مصطفى كامل كلها رزينة حكيمة
لا تقل عن أعمال أى كبير ذكره التاريخ وان له فى بلاده
عصبية تذكر بالاعجاب والاعظام وأنه من ابناء فرنسا فى
العلم ولكن ننكر على غيره الشدة فى القول والحماسة فى الرأى !!
وزجو من مصطفى كامل واخوانه أن لا يعتبروا جريدة
لوريان كل الأمة الفرنسية حتى تؤثر كلماتها على العلاقة
المتينة التى بين الامتين...!» اه

هذا ما كتبه جريدة لوريان تعليقا على كتاب المرحوم وقد
دهشنا فيه لامر واحد وهو أنها نسبت الى بعض المصريين
الحماسة والشدة وبنيت على ذلك قولها فكيف اذا تريد وهى
بعض ايضا أن تخرج عن هذه الخطة التى رسمتها بنفسها! الا ان
الحق ظاهر لا يحتاج الى دليل....!

— ❖ الحيدش المصرى ❖ —

ورد على المترجم كتاب من المسيو فرانسوا دى مسين

كرماء لضيوفنا» وأن تفضلوا بقبول أجل اعتباري واسمى
احترامى مصطفى كامل «

نشرت جريدة لوريان هذا الكتاب وعلقت عليه بما تعريبه:
«نؤكده لمصطفى كامل ولكل مصرى ان مراسلنا لم يكن مأجورا
ولم يكن انكليزيا بل ربما كان عائشا في وسط انكليزي وانا
ما قصدنا بنشر رسالته الحظ من كرامة المصريين ولكننا رأينا
لم يعترفوا المحتلى بلادهم بعمل واحد نافع بل هم يهجونهم صباح
مساء بكل قوة وشدة مع ان الضعيف المظلوم لا يجسد عادة
حيلة لنجاحه في رفع الظلم عنه الا بذكر العدل!

نعم اننا عملنا عملا جليلا في مصر قبل الاحتلال الانكليزى
ولكن خطأ السياسة كثير الوقوع ولا يطلب من أية حكومة
مهما كان علو كعب ابنائها في العلم وأساليب السياسة أن تنزه
عن السقوط في مهواة الهفوات من أى نوع كانت

اننا نحب المصريين كثيرا ونميل الى خلاصهم وعودتهم
الى التحلى بتاج الملك وجواهر العلم ولكن لنصل الى تحقيق
هذا الحل يجب أن يساعدونا من جانبهم بالتؤدة والسكينة

نسيتم اوتناسيتم كل ذلك فانكم لاشك ذاكرون وطنيتكم
التي ليست الا دروسا نقشت على كل قلب يقول فرنسا !!
انا كلما رتقنا خروق سياسة حكومتكم وه طدنا العلائق
بين امتنا العزيزة وامتكم الكريمة قام منكم من يجد الحياة في
وحدة فرنسا وعزتها فيعمل على اتساع الخرق

انك يا جناب المدير لو كنت تقراً العربيه لكنت بعثت
اليك بنتف من سباب اذئاب الانكايروم أجورهم ضد الوطنية
والوطنيين ل ترى الي اي حدتهان كرامة الوطن والوطنية في
بلادنا . الى أي حد يغري الاحتلال الدخلاء والمنافقين على
هجو امير البلاد ورئيسها الشرعي

ولو سأنتي ما ذنب الأمير وما عمله . لقلت لك ازذنبه
الوحيد في نظر الانكايروم انه صديق جلاله السلطان المخلص
له المطيع لا وامره المحترم لتبعيته بينما يريد الدهاء الانكايروم
ضمه اليه حتى تضيق مصر (لا قدر الله)

هذا ما أكتبه لجنابكم اليوم وأرجو منكم أن تثقوا بصداقة
المصريين ووطنيتهم الصادقة التي مبدؤها « احرار في بلادنا

واختاروا قشوره وهجروا لبابه. وانهم لم يضموا السودان اليها
بل استبدلوا دماغنا في فتحه ومن يعرف ماذا تكون النتيجة
اما مصطفى كامل الذي قال عنه مكاتبكم انه من عمل
الانكايير الصالح فهو قول مردود لان الانكايير لا يؤهلون
المصريين ليقفوا في طريقهم ويذكروهم بشرف تاجهم وكرامة
اقسامهم !!

نعم ان المراسل بنى عملنا على اللؤم ونكران الجميل
ولكن اسمع لمصرى مثلى أن يسألك سؤالاً بسيطاً
« ايعد الدفاع عن الاوطان في نظركم لؤماً . ولا تعدون
السكوت عنه جبناً وخيانة »

اذا كنتم اتم ابناء الامة الفرنسية قد قمتم في وجه
حكومتكم الاهلية الرؤوفة بكم عدة مرات وهى منكم لانكم
شعرتكم بمظلمها فكيف تجدون من اللؤم قيام أمة جاءتها
المظالم من سلطة اجنبية عنها طامعة فيها !!!

الم نكن بشر امثالكم نشعر بما تشعرون وتتألم كما تتألمون
انسيتم مركزنا السياسى ؟ انسيتم مصالحكم عندنا ؟ ان كنتم

ولذلك هو يسأل أوروبا ان تعطي الانكيز الحرية التامة
في تأدينا حتى لا تعرض بما لها ومصالحها الجمة في مصر للضياع
. . . الى اخر ما افترى »

هذا ما افترى مراسلكم علينا به ويعلم الله انه ما جور من
الانكيز لان يدا تتصل بقلب طاهر يشعر وبعين ترى
لا تكتب على نفسها انما كما كتبت يد هذا المراسل
ان الانكيز العمليين دخلوا مصر بعد ان قضى فيها
الفرنسيون العلماء ٦٥ عاما بين اطباء ومهندسين ومعلمين
ومالين فأقاموا معالم الدوارس واوجدوا من افريقيا مملكة
أوروبية كبيرة . . .

اني يا جناب المدير لو أردت أن أشرح لك ما سبقت
شرحته في اغلب عواصم أوروبا بالقلم واللسان حملت نفسي
فوق طاقتها ولذلك أرسل اليكم خطبة باريس التي القيتها في
اواخر سنة ١٨٩٥ بقاعة الجمعية الجغرافية ورسالة «خطر مصر»
للعلم متى قرأتوهما تعرفون كيف بدد الانكيز اموالنا وحملوا
الامة ديونا عمومية وخصوصية ونسفوا الفضيلة من العلم

الجريدة وكتب اليها كتابا هذا تعريبه!

الخميس ٣ فبراير سنة ١٨٩٨

جناب مدير جريدة لوريان

« قرأت في أحد الاعداد الاخيرة من جريدتك جملة على الوطنيين المصريين كتبت بتحيز كبير الاحتلال ألا انكليزي واشياعه وليست عايتها مسحة من الحق . ولما كنت اعتقد أن مبادئكم حرية وشريفة وانكم تستظلون براية الحرية والاخاء والمساواة رأيت أن أرسل اليكم كتابي هذا خدمة للحقيقة راجيا نشره في المكان الذي نشرتم فيه مقالكم التي نسبتم الي فيها أمورا أنا أبعد الناس عنها وكذلك ابناء وطني جميعا

يقول مراسلكم المصرى « أن المصريين عمى لا يفقهون ولاثم لا يعترفون بجميل ! ويدعي في مقاله أن الاحتلال الانكليزي أحسن الينا فنظم ماليتنا ورد الينا السودان ونشر المعارف بيننا واحي فينا « مصطفى كامل » . . . الى غير ذلك مما عده نعمما وجهها الانكايز لمصر واتهمنا بنكرانها والعمل على اشعال نار الثورة في بلادنا

عقولهم او ليصرفوا اوقاتهم بها عن العمل النافع والعلم الرافع
أنا ايها الصديق لا نعمل شيئا الآن ضد الانكليز
سوى كتابة صك وطني اساسه « مصر للمصريين » ليضيه
ابناء الوطن جميعا فمنهم من ينقش اسمه عليه بمداد الحبار ومنهم
من يكتبه بماء القلوب ومنهم بدماء الشرايين »

فقال له هذا الصديق وهو يحاوره اني اعتقد اننا ايضا ان
واضع خطة الاحتلال الجائرة اذا تمثل امامك لا اثرت فيه
وانسيته انكليزيته وحوالته مصرياً . بارك الله فيك ونصرك
بروح من عنده

*
* *

قامت جرائد الاحتلال تكتب الجمل الشديدة المؤلمة
وقد تسربت عدواها الى جرائد أوروبا فاتهمت جريدة
لوريان المرحوم بالدعوة الى ثورة مما أخاف الاوربيين كثيرا
فاضطر رحمه الله أن يكذب هذه الدعوى وعزم على السفر
لولا أنه كان يشتغل بكتاب المسئلة الشرقية ويباشر طبعه
بنفسه لينشره كما أعلن عنه من قبل ففضل أن يرد على تلك

جميعا من عرى. واشبعتنا من جوع. واوجدتنا من عدم. فنحن
لسنا ملكا لا نفسنا بل ملكا حلالا لها. وأنى اعتقد أيها الاخ
أن الانكليز الحاضرين ليسوا من أهل القرون الوسطى
الذين ما كانت بغيتهم الا اسالة الدماء انهارا وراء غاية ذميمة
أو طمع ممقوت. بل اعتقد انهم مع حبهم في عدم وجود
وطنيين صادقين يشعرون بحب لمن ظهر بينهم مظهر الرجال
وناقشهم الحساب وذكرهم بالعهود والايمان

انهم طبعيا ودون أن نمحي من الوجود ولكنهم لا يستطيعون
الى ذلك سبيلا وليس عندهم من حيلة سوى التهديد والوعيد
على السنة مأجورينهم الخائنين لبلد يحملهم وسماء تظلمهم ونعيم
فيه يرتعون

اني أو صيك وصية وطني مصري لاخيه ان تقول لهم اذا
لقتهم أن لا يجهدوا أنفسهم في قتل الشعور الوطني فانه سري
وسيسرى الى أبد الأبدين. واعلم أيها الصديق ان درسا من
دروس الوطنية يلقي على الناشئين لأفعل في نفوسهم من ألف
العوبة يستحضرها الانكليز من بيت الشيطان ليضلوا بها

فاسأل الله معي ان يوفقنا لهذا العمل العظيم الكبير
ويحفظك لاختيك
مصطفى كامل «

١٣ يناير سنة ٩٨

*

حركت عقارب الاحتلال أذناهم اذنبوا الارصاد والعيون
حول سكن المرحوم وأحاطوا حركاته بجيش من الجواسيس
لان الدخلاء فينا أفهموا المحتملين ان حركة ثورية تعد في
السروان محرك الشبان فيها هو « مصطفى كامل »
جاء رجل كريم من ذوات الاسكندرية اليه يوما وقال
له اني سمعت من سورى انهم ينصبون لك اشرا كاليوقعوك
فيها وليكون لهم منك نصر على غيرك فأحترس فانهم
غادرون

فأغرب المرحوم في الضحك وأجاب هذا الصديق
الحميم : « اننا واياهم من خلق الله والله حتم على كل مخلوق كريم
الصفات على الشيم أن يحب بلاده . لان الاعتراف بالجميل
فضيلة وليس هناك جميل أكبر مما فعلته مصر معنا . فهي كستنا

بلغت محبة المترجم من نفوسهم مبلغا كبيرا واخذوا
من تلك الساعة يزورونه في منزله كلما مكنتهم الفرصة واتخذوه
امامهم المقصدى وقبلتهم المرجوة وقلمهم الكاتب ولسانهم
الناطق .

*
* *

تاقت نفس المرحوم بعد أن رأى دروس الحياة تكاد تنطق
من بين شفاة ابطال النابتة الى تأسيس مدرسة يربي فيها ابناء
الامة على مبادئه فكتب الى كتابا قال فيه :

« اني أيها الاخ العزيز اتنى ان يسعدنى الزمان
فأقيم تحت سماء بلادنا الغالية دار علم يؤمها باأسو العقول لنصقلها
بأسو القلوب لنحيينها . حتى يتم الجند عدتهم ويكون لمصر
منهم نعم المدافع ونعم النصير

ولسكنى مع هذا الشعور لست غنيا لا قوم بعمل كبير
كهذا يحتاج لآلاف من الجنهات التي منها الكثير في جيوب
لا تعلوها قلوب فسبحان القادر العليم

المتصفة به آلاما مستمرة. فالسود يعذب من نفسه كل وقت
وآن. وبالغرور والحسد يستحيل الوصول الى الاتحاد بين
جماعة من الناس. فاجتنبوا هاتين الصفتين. واجعلوا الاتحاد
رائدكم فيه تبلغوا كل آمالكم وتحققوا كل رغبة شريفة تخرج
في نفوسكم

وانكم ان كنتم قد أخذتم على انفسكم خدمة سمو
العباس وخدمة الوطن المحبوب وعزمتم على اعلاء شأن
البلاد بما ستأتونه من شريف الاعمال فاجعلوا الاتحاد فيما
بينكم أساس آمالكم وأساس أعمالكم. وأن أتمن نصيحة
ألقاها وألقيها على أبناء بلادى المحبوبة وأختم بها كلامى معكم
الليلة هي: العمل بالاتحاد على خدمة الوطن العزيز» .. اهـ

ما جاء المترجم على اخر كلمة من خطابه حتى دوت القاعة
دويا مؤثرا بزفرات اصوات الشبان العاملين الذين رغما عن
دروس الانكيز المملوءة كرها للدولة وسخطا لمصر نبي في
افئدتهم الشعور الوطنى فقادهم الي هذا الاجتماع فكانوا جميعا
بشرا سويا

يظن بعض الاشخاص متى اتوا دراستهم انهم صاروا فلاسفة
هذا العصر واكبر علماء مصر فيتركون الكتب وينسون
العلوم ولا يراجعون شيئا مما تعلموا واذا القيت عليهم نصيحة
نبذوها وان كتب لهم كاتب ينصحهم بشيء اعتبروا نصيحته
موجهة لغيرهم لا لانفسهم . فقد شوهد كثيرا أن بعض الناس
اذا قرأ في الجرائد نصيحة صادقة واستحسنها قال « أنه
لكلام حق ولكن الامة ميتة »

فهل يعتبر ان الكاتب لم يقصده بنصحه بل قصد غيره .
والغرور يحمله على اعتبار نفسه شعبا آخر غير الشعب الذي
تلقى عليه النصائح . فاذا كان كل شخص يعتبر نصيحة الناصح
لغيره لا لنفسه فمن يعمل اذا بالنصيحة ???

ان التواضع اشرف الصفات والغرور من اكبر النقائص
وقد قال الخالق جل وعلا « ان الله لا يحب كل مختال فخور »
فلا يأخذنكم الغرور فهو اصل الشقاق وسبب كل فساد
ولا تفرقوا فتنشلوا وتذهب ريحكم
وكذلك الحسد فانه اقبح الصفات ويهب النفوس

العمل بإنشاء المدارس المختلفة لتعليم أبنائها
وإن احتياج الأمة للحكومة علامة تقدمها وتأخرها
فكلما كانت الأمة عاجزة عن العمل ضعيفة عن خدمة نفسها
وتدبير شؤونها كانت أشد حاجة للحكومة من غيرها. وكلما
كانت قادرة على كبار الأعمال وعلى تدبير شؤونها وأمورها
كانت قليلة الاحتياج للحكومة أي عزيزة قوية لا تخالف
لها الحكومة رغبة ولا ارادة. والأمة التي تحس دائماً من
نفسها بأنها لا تستطيع أن تعمل شيئاً وحدها بغير مساعدة
الحكومة ومعاونتها هي كالطفل المحتاج إلى وصي يدير له شؤونه
أما الأمة التي تدبر شؤونها بنفسها ولا تكلف الحكومة إلا
بالمحافظة على الأمن العام وعلى شرف الدولة في الداخل والخارج
فهي كالرجل الرشيد التام الإدراك الغني عن الوصي
فاعملوا أيها الإغزاء لجعل وطنكم رشيداً قوياً غير محتاج
لوصي من ابتائه ولا من الأجانب

وأن لكم في العمل لخدمة الوطن العزيز عدوين عظيمين
يجب عليكم قتالهما أشد القتال وهما الغرور والحسد. فلقد

فكان الامة آلة لا وظيفة لها الا أن تنقلها الحكومة
حيث تشاء وتسيرها كيف تريد مع أن الامة يجب أن تكون
لها ارادة خاصة وأعمال ظاهرة

وهاهي الدول العظيمة القوية السلطان الواسعة المدنية نرى
الامة فيها قائمة با كبر الاعمال . فشركات السكك الحديدية
أغلبها في أيدي جمعيات من الافراد بل نرى أن بعض
الشركات المكونة من أفراد من الامة القائمة بالمشروعات
الفردية استعمرت بلادا من أفريقية صارت تحكمها
فشروعات الافراد هي التي تبعث الحياة والنشاط في الشعوب
وهي التي تكسب المدنية بهاءها ورونقها الحقيقي

ولولا الحياة الحرة والاشتغال بالتجارة والصناعة واعتبار
الاشغال هما شرفا عظيما ما قامت المدنية الغربية ومارأينا من
امم أوروبا هذا التقدم الغريب . ولقد رأيت في كل البلاد
التي زرتها في أوروبا جمعيات أهليه عديدة للتعليم فالامم
هنالك مع اهتمام الحكومات أعظم الاهتمام بامور التعليم
لا ترتكن على الحكومات وحدها بل تبرهن على قدرتها على

الاستقلال نور من أنوار العرفان وأنه كما أن الافراد لا يعتدى
للصوص على أمتعتهم الا في ظلام الليل كذلك الامم لا تنفقد
حياتها المعنوية ووجودها وأقدس حقوقها الشرعية الا اذا
كانت عائشة في ظلام الجهالة الحالك ولا شك انه لا يمكنكم
القيام بتنوير الامة وارشادها حق الارشاد الا اذا كنتم
عائشين في الحياة الحرة مجاهدين بانفسكم في سبيل الحياة
لاعمالا في ادارة أوديان تنقدون في آخر الشهر ماهية
معلومة تقتل فيكم عواطف الاستقلال وتحبس في نفوسكم
الحرية الشخصية والميل لعظام الامور

فالحياة الحرة هي أصل الخير وهي التي تؤهلكم لخدمة
أمتكم أكبر الخدم وأشرفها . وهي التي تساعدكم على نشر
فضائلكم ومبادئكم الوطنية بين سائر الافراد شرقا وغربا
وقد يعتقد الكثير من المصريين ان الحكومة مسؤولة عن عمل
كل شيء للبلاذفان قلت لهم اسسوا المدارس لتربية أبنائكم
أجاوبك هذا واجب الحكومة . وان عرضت عليهم أي مشروع
مفيد للوطن وبنيه قالوا لك هذا من خدائص الحكومة !!

صرنا مدينين لمصر بدين عظيم اذا قصرنا في الوفاء به كنا
ناكثين لعهود معنوية عظيمة . منكرين لجميل كبير قام به في
الوجود وجودنا ويقوم به احترامنا وكنا في آن واحداً كبير
خصوم أولئك الذين سهروا الليالي الطوال في تعليمنا وضحوا
في سبيل تربيتنا كل نفس وعلمكم تتساءلون عن هذا الدين
العظيم الواجب علينا جميعاً

فأقول لكم انه دين خدمة الوطن بنشر نور التربية والعرفان
بين ابناءه . فان سنة التضامن الاهلي بين افراد أمة تقضى
على كل فرد أن يعمل لتعميم السعادة والخير بين سائر الافراد
حتى تزداد رابطة هذا التضامن اى رابطة الوطنية قوة ومتانة
وغنى عن البيان اننا نتمتعون اليوم بسعادة كبيرة هى نور
المعارف والآداب فيجب علينا تعميمها بين ابناء البلاد حتى
يعرف كل منهم فائدة التضامن الاهلي ويقدر عندئذ كل مصرى
الوطنية حق قدرها . فان نور العرفان هو خير هبة وهبها
الله الامم وأعظم نعمة على العالمين
وانى أذكركم بما قلته في فرصة أخرى من ان

السادة ولكن شرف عواطفنا وصدق وطنيتنا واخلاصنا
لمصر يجعلنا في الطبقة العالية من الامة .

قد يكون الرجل الصادق الوطنية فقيرا في المال ولكن
يعيش ويبقى في التاريخ من اكبر سرات الوطنية

فتعلقوا بوطنكم كل التعلق ودافعوا عنه أشد الدفاع
وطالبوا بحريته واستقلاله وان متم قبل أن تحقق آمالكم وامانيكم
فاتركوا الابنائكم من بعدكم اقدس ميراث يجب عليهم صيانتهم
والمحافظة عليه

وان خير وسيلة تخدمون بها وطنكم هي أن تنشروا
أنوار المعارف والآداب فيها. فنور العرفان هو روح الاستقلال
وان أمة انتشر الجهل بين ابنائها لا تحمى الا بالظلم والعدوان .
فنور المعارف طارد للذل والمظالم ووطد لاركان العدل والعمران .
ولقد حصلنا جميعا بعد عناية طويلة من آباءنا وأتباع كثيرة
وسهر طويل على التربية والتعليم أى حزننا هذه الشجرة الطيبة
التي ثمرها الحرية والاستقلال

واننا من أول يوم حصلنا فيه على قواعد التربية والتعليم

فكيف تقدم أنت عليه؟». وهو قول فاسد وفكر سافل لان الوطنية لا تميز فيها بين الصغير والكبير والغني والفقير بل كلنا سواء أمام مصر وكل واحد منا مسؤول عن مصائبها مطالب بخدمتها واعلاء قدرها

وقد أتانا التاريخ بالامثال الجملة على ان افراداً فقراء قاموا من آخر طبقات الهيئة الاجتماعية وأتوا في بلادهم باكبر الاعمال واشرفها فهل كانت «جان دارك» أميرة فرنسا أو اكبر اغنيائها أو هل كان اجتمع الشعب وانتخبها حتى قامت محررة لوطنها؟ وهل كان (كوشوت) اكثر المجريين مالاً واكبرهم شأنًا حتى قام بما قام وانقذ بلاده ورفع قدرها؟

كلا. لم تكن «جان دارك» الفتاة فقيرة رأت ان الوطنية تحم عليها نصرة وطنها فقامت واتت بما اتت من جلائل الاعمال ولم يكن «كوشوت» في بادئ امره الا محامياً صغيراً فقيراً. ولكن وطنيته رفعته الى الصف الاول في أمته. وهكذا الوطنية الحقيقية تجعل صاحبها فقيراً كان أو غنياً في الصف الاول من الامة. فتمد نكون فقراء أيها

لم سألت هذا السؤال؟ فقال لهم « لاني كنت اخاف أن اموت
واكون قد خالفت عادتى طول حياتى وهى الحياة من كل
شيء مجرى وبكل شيء مجرى وحده دون غيره. فقاواله وكيف
تكون بهذه الوطنية وقاتلا مجرما؟ فجابهم وياله من جواب
« ان نفسى اذا كانت تلوث بجرمة القتل فهى لم تلوث بخيانة
الوطن بل بقيت بالرغم من ذلك نفسا وطنية صادقة »

فاذا كان المجرمون السفاكون للدماء القاتلون للابرياء
يعرفون ويعتقدون أن الوطنية هى هذا الاحساس الشريف
الذى يجب احترامه فوق كل شيء ويجب اجلاله حتى اذا
تلوثت النفس باقبح الجرائم البشرية فكيف اذا بكم وانتم
نخبة المتعلمين ونخبة الشبيبة المصرية الطاهرة أى موضع الآمال
فى حسن المستقبل

وانكم اذا خرجتم من المدارس ودخاتم فى صفوف
الرجال وشرع أحدكم فى عمل من الاعمال سمع ولا محالة
من قوم وظيفتهم تثبيط الهمم واقعاد العزائم. « ومن انت حتى
تعمل هذا العمل. واذا كان الاغنياء والكبراء لم يقدموا عليه

« لاتعامل بالغلظة رجلاً حراً ينسب لامة حرة . بل اذهب الى بلدك وعامل من يظلمون فيه من غير ابنائهم بهذه المعاملة »

وهي جملة صدرت عن رجل من آخر طبقات الامة الفرنسية ولكنها مملوءة بالمعاني التي لا يغيب عليكم ادراكها ولقد عرف الوطنية كل انسان في الوجود ولم ينكرها الا العدد القليل بل شوهد أن بعض المجرمين السافكين للدماء أجل الوطنية واحترمها ومازكت لوطنه بعهد ومن ذلك ما سمعته في المجر من أن رجلاً مجرياً قتل زوجته وحكم عليه بالاعدام فلما اقتربت ساعة الموت جاؤوه وسألوه « هل من بغية لك قبل الموت ؟ » فقال لهم أريد أن أسألكم سؤالاً واحداً واقسم عليكم أن تجيبوني جواباً صادقاً. فقالوا له سل ماشئت فقال ! « هل في الخبز الذي اكلته في سجنى أو في الملابس التي وضعتموها على جسدى أو في الاشياء التي استعملتها في هذا السجن شيء صنع في غير بلاد المجر ؟ » فاجابوه كلا . كل شيء اكلته أو لبسته أو استعملته صنع في بلاد المجر ولكن

واخلاص الاوطانهم وادركتم أن الحياة سريعة الزوال وأن
لاشرف لها بغير الوطنية والعمل لاعلاء شأن الوطن وبنيه
ولا بدع اذا كانت حياة الامم الواقعة تحت نير الاستعباد
تعد ارذل الحياة . حياة يفضل الموت عليها . فان لذة الحياة
الانسانية في الحرية . واذا بقي شعب طويلا محكوما بغير
ابنائهم فقد شيئاً فشيئاً احترام الامم واجلالها لشأنه . أي فقد
كل فرد من افراده احترامه في الوجود وشرفه وهما اعز
شيء على النفوس الحساسة

وقد يرى الانسان الاستقلال بعكس العبودية يبعث في
النفوس رفعة وشهامة ويجعل الفتي متملذا بالحياة كالغنى . ومن
الامثال العديدة التي تدلكم على ذلك وعلى ان أسفل الناس
درجة في الامم الحرة يعتبر نفسه سعيدا على القدر لا يحمل
على رأسه غير الشرف والفخر . ان أحد اخواننا المصريين
بباريس ركب مرة عربة وكان سائقها يعرف انه مصرى فلما
سارت العربة أخذ صاحبنا المصرى يستعمل شيئاً من الغلظة
مع سائق العربة فالتفت اليه هذا الأخير وقال له :

واسمى رائد لكل اعمالكم الاتية يجب أن تكون الوطنية
فالوطنية هي أشرف الروابط للأفراد والاساس المتين
الذي تبنى عليه الدول القوية والممالك الشاخنة. وكل ماترونه
في أوروبا من آثار العمران والمدنية فما هو الاثمار الوطنية .
وقد مضى على مصر زمن طويل كان أهلها غافلين عن حقوق
وطنهم ناسين أنهم أبناء مصر وأنه يجب عليهم أن يكونوا
جميعا على قلب رجل واحد للدفاع عنها والذود عن حقوقها .
ولكنها اليوم قد قامت من رقدتها وانتهت من نومها بفضل
سمو العباس حفظه الله

واصبح اليوم الوطن المصري ينتظر منكم ومن بقية
ابنائهم عدلا وانصافا . اصبحت مصر تؤمل منكم أن ترفعوها
الى منصة الحرية والاستقلال وأن تردوا اليها حقوقا وهبتها
من الخالق نفسه . ولا ريب انكم انتم معشر المتعلمين معشر
النابعين في المعارف والآداب اول من يسأل عن خدمة مصر
وتأييد مبدأ الوطنية الحقيقية . فانكم قرأتم في التاريخ الامثال
الكثيرة للوطنية وعرفتم سير أناس عديدين ماتوا محبة لبلادهم

جميعا شبانا من ابناء الاغنياء انتقلوا من درجة الانسانية الي
درجة البهيمية ومن مصاف العقلاء الي مصاف المعتوهين ومن
القصور العالية الفخمة الي المنازل الحقيرة ومن الثروة الطائلة
الي الفقر المدقع بعة السكر او الميسر او الاثنين معا

ومن صفات سمو العزيز حفظه الله انه يعمل بدينه
الشريف ويحترم او امره ونواهييه وهي صفة دونها كل الصفات
وفضيلة تعد ام الفضائل . فالدين هو عماد الوجود وهو روح
النشاط والشجاعة وعنو الهمة بل روح كل الشعائر الطيبة .
فقوموا به واعملوا باوامره ولا تنسوا ان حب الوطن من
الايان

اجل أيها الاخوان الاعزاء ان الوطنية يأمر بها الدين
الشريف وتأمر بها النفس الناطقة ويأمر بها الضمير الطاهر
وقد قلت لخم ان سمو العباس رعا الله اشتهر في بلاده وفي
الامم الاخرى بالوطنية الشديدة والغيرة على مصالح بلاده .
فان كنتم صادقين في تعلقكم بسمو العزيز عاملين بدينكم الشريف
فأول صفة يجب عليكم أن تجاهاروا بها أمام الملا كما هي الوطنية

وجاهد حفظه الله ويجاهد كل يوم في سبيل صيانة مصالح أمته
وإصلاح شؤونها. واني لا أنكر أن آمال سمو العزيز الشريفة
لم يتحقق الى اليوم اكثرها بل واهمها ولكن الروح الجديدة
التي دبت في الامة والعزم الشديد الذي اتصف به سمو العباس
حفظه الله يملآن الانسان املا في المستقبل ويؤكدان بأن
آمال سموه الشريفة ستتحقق كلها ولا محالة يوما من الايام
وحيت كنتم جميعا من نخبة شبان مصر ومن اصدق
الصادقين لسمو العزيز فواجب عليكم ان تتصفوا بصفاته العالية
وتجعلوا مبادئه الشريفة في الحياة مبادئ لكم فسمو العباس
حفظه الله من اكبر امراء العالم عرف بحب التواضع وملاطفة
الصغير والكبير. فاجعلوا التواضع من الصفات الاساسية
لكم في الحياة فهو دليل شرف النفس ورفعته وبرهان على
ان صاحبه عظيم القدر ذكي الفؤاد. ومن صفات اميرنا
المحبوب انه يكره السكر والسكرارى والميسر واهله فاجتنبوا
هذين الدائنين العظيمين بل هذين الوبايين القناكين. وارانى
لست في حاجة الى تبليان مضار هذين الدائنين فقد شاهدتم

الملوك والامراء طبقة فوق طبقة الامة ورئيسا للهيئة الحاكمة فقط بل جاء عارفا للمهمة العالية الشريفة الواجب عليه القيام بها فعرف انه رئيس الامة وروحها كما انه رئيس الهيئة المنفذة فاخلص لمصر بصفته رئيسا على حكومتها ورئيسا لامتها. وكان أول أمير معان بأن عليه لمصر واجبين واجب الخديوية الجليلة وواجب الوطنية الحققة لان سمو العزيز عباس باشا يعتبر نفسه قبل كل شيء مصرياً تحتم عليه الوطنية خدمة مصر وبقاءها حرة سعيدة رفيعة القدر والمقام وانها لصفات رفعت مكانة العباس في الوجود وجعلت امته مخصصة له اشد الاخلاص بل حملت الاجانب واعداه انفسهم على الاعتراف بعلو ذكائه وشرف فؤاده . وانكم كلكم تعلمون ان اكبر امنية لسمو العباس هي أن يرى شعب مصر شعبا متقدما في سبيل المدنية والاهلية غنيا عن الاجنبي قويا بنفسه قادرا على الدفاع عن وطنه . وان يتبدل بلاد مصر مجددا السالف ومكانها القديم . فلذلك وجه سموه حفظه الله كل رعاية للمدارس وابتائها وبذل اقصى الجهد في نشر التعاليم بكل الوسائل

وأتحدث معكم يا مستقبل مصر ورجاؤها في هذا المستقبل
المنتظر وفي ذلك الواجب العظيم الذي يجب علينا جميعا أن نقوم
به حق القيام وأعني به واجب خدمة الوطن العزيز

فكان احتفالكم الليلة باعثة للسرور والارتياح في نفسى لانه
احتفال بعيد جلوس مولانا واميرنا المحبوب (عباس حلمي
باشا الثانى) ادام الله أيامه ولانه جمع نخبة من أفضل شبان
مصر على الوفاء والولاء لسمو العزيز

واني اعترف لكم باننى لا استطيع شكركم حق الشكر
على هذه العواطف الشريفة التى دفعتكم للاجتماع والاحتفال
بهذا العيد السعيد والتذكارة المحيية . ويعجبني من كلام زميلكم
الفاضل قوله « ان اجتماعكم الليلة لا يعد مظهرة خارجة عن
حدود واجباتكم بل اهم هذه الواجبات واقدسها »

حقا حقا ان اظهار الاخلاص لسمو العزيز واعلان المحبة
لذاته الشريفة لو اوجب مقدس على كل مصرى صادق الاحساس
شريف المبادئ فان سمو العزيز حفظه الله أول مبادئه خدمة
أمتة والعمل لاءلاء شأنها . ولم يعتبر نفسه ككثيرين من

وبعد أن تناول الطعام وتناول كل منه ما تناول وقف
أحد أعضاء الحلقة ودعا لسمو العزيز وأثنى على المرحوم وسأل
أخوانه الاتحاد في خدمة هذا الوطن العزيز وما انتهى من
كلامه بين التصفيق والاستحسان حتى وقف المرحوم وقفته
المخلصة المؤثرة فأخذ أخواننا الاعزاء أبناء الوطن الأصدقاء
يحيونه تحية الحب المتبادل فشكرهم شكراً جزيلاً حيث قال :

✧ خطبة وطنية ✧



« أخواني الاعزاء

لقد شكرني حضره زميلكم المناضل على حضورى بينكم الليلة
واجابتنى دعوة الذين تفضلوا بدعوتى الى هذه الحلقة الزاهرة
على أن الشكر يجب أن يقدم منى اليكم لانى أرى فى حضورى
بينكم شرفاً عظيماً لى وأقدر عنايتكم بدعوتى حق قدرها وإطالما
تمنيت أن أقضى بضع ساعات مع نخبة المدارس المصرية وأناجى
أولئك الذى خرجت من صفوفهم وما نسيت عهدهم .

اجتمع تلاميذ المدارس الاميرية وفي مقدمتهم طلاب المدارس
العالية والثانوية وعقدوا الخناصر على اقامة وليمة كبرى بحديقة
الازبكية يوم تذكركار جلوس سمو الخديو المعظم . وقد لبى
الدعوة جميع التلاميذ بلا استثناء واتخذوا مكان « سنتى »
الشهير بالحديقة للاحتفاء بالعيد واقامة هذه المظاهرة الكبرى
التي هي في تاريخ مظاهرات الناشئين اول مظاهرة من نوعها
اذ كانت برهانا واضحا على ان الامة من كبيرها الى صغيرها
ملتفة حول سمو الامير بعيدة عن الاحتلال كارهة لوجوده
وقد شرف دارنا وفد من هؤلاء الطلبة الكرام لدعوة
المرحوم الى حضور الوليمة وترأسها اذ كل طالب يعتبره استاذه
في الوطنية وتاجه الذي يفتخر به على مر الزمان وقد لبى
المترحم نداءهم بكل ارتياح واشترك معهم بكل جوارحه
وما جاء مساء يوم السبت ٨ يناير سنة ١٨٩٨ حتى كانت
حديقة الازبكية عروسا تجلى بهاؤها وقد بدد ضوء جمالها
ظلام مساءها وكانت حفلة رجال الغد عمدها وبيت قصيدها
فقد بلغت من جمال التنسيق وحسن الوضع حدا فائقا

مرضاً خيف على حياته منه ولم يكن الله أراد أن يواصل جهاده حتى يتم عمله فينشر الشعور فينا ويحيا بعده موته في عملنا ولذلك واصل اعماله حتى اذا جاءت :

الاصبنة السكنة

١٨٩٨

كان في أحسن صحة وأتم عافية يتسم له الدهر وتتدلل أمامه المصائب وتتوله اخوانه الراسخة قدمهم في الوطنية لا يعرفون غير مصر ولا يذكرون غير مصر ولا هناء لهم الا بخلاص مصر حتى ان صورتها ارتسمت على سويداء قلوبهم وفي كل قطرة من دماءهم

دخل هذا العام والمترجم كاه أمل في أن مجهوداته قد كونت من النابتة قلوباً أوفى الى مصر منها الى حاملها . وقد تحق أمل في هذه الغصون المباركة الشجرة من الامة حيث

أن يقف على منصة الخطابة ليشكو اليه حال مصر ويستعطف

فؤاده علي مصر

بينما كنت تري الناس وقد كاد التملق يأكل عاطفة

الكرامة والاباء في قلوبهم . ترى « مصطفى كامل » لا يتم

بنعيم الدنيا مرددا قوله تعالى « وما الحياة الدنيا الا متاع

الغرور »

بينما كنت ترى من اعتر بكبره وهو صغير ولقبه وهو

حقير ينظر للناس شذرا ناكر اعليهم اجتماعهم وذاته الهائلة (!)

في صلب واحد . كنت ترى أخاك مصطفى يلاطف الناس

بحالة واحدة ولا يتعالي الا على الذي نسب لنفسه ما ليس

اهلاله ووضعها فوق نفوس البشر وهو لم ينبت بعد ليخرج

من الارض

هذا هو « مصطفى » الذي قضى عام ١٨٩٧ على هذا النحو

الذي عرفه القراء وقد قدم في كل عمل من أعماله مثلا ناطقا

ونسقا متبعا

ولا عجب بعد هذه الاعمال اذا مرض في هذا العام

حتى كان يخيّل لمن وقف على حقيقته أنه ملك كريم لا يعرف
من عمل الشيطان الا السخط عليه وعلى من اتبع هواه في
العالمين

بينما كانت ساحات اللهو تضاء بأبهى الثريات وفي
مراسمها تلعب العقول بالعقول مكتظة بيني الانسان من
الشيوخ الى الشبان ذكرانا ونساء كنت تري « مصطفى »
جالسا على منضدته في زاوية من غرفة النزل يصور الآم مصر
ويرجو الساسة لاعانة مصر. فاصحاحا لآبناء مصر. جاءه لا على
اعداء مصر. وهو مع هذا الحال الذي يسميه بعضهم عناء وحنونا
يشعر بلذة روحانية تحتها عاطفة وطنية هي جنة الخلد للعاملين
ونزل الفردوس للوطنيين

بينما كنت تري الشاب وقد تزييا بمفاخر الشباب وركب
سيارته او جواده ايراهن على سباق او بقامر او يخل او يسرق
ود الجمال هو وزمرته من أبناء المهتمين بلقب الذوات والاعيان
تري « مصطفى كامل » النصرى العصامي يقطع الشوارع
والحارات ليلحق سياسيا قبل أن يترك مكتبه او خطيبا قبل

لهم الا خدمة الوطن المصرى بصدق واخلاص والعمل لبقائه
الى الابد حرا سعيدا متمدينا (مصطفى كامل)

حلوان ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٧

*
* *

انقضى عام ١٨٩٧ وقد عمل فيه المرحوم عملا يذكره له
التاريخ باثناء العاطر دفاعا عن بلد عزيز هو ابنه الذى حفظ
وده ورعي عهدده واعترف بحمليه وبحقوقه عليه

سافر فى هذا العام مرتين مكث فيهما نحو سبعة اشهر
جال فيها مكررا كل عواصم اوروبا مناديا مستغيثا وهكذا
الوطنية الحقيقية تدفع النفوس الكبيرة الى اقتحام كل شاق
فى سبيل نصرة بلادها وخدمة امتها

لتتعلم النابتة كيف تخدم الاوطان وكيف يهجر الرجل
بلادده واهله ساعيا سعي الكرام مجهدا نفسه بكل صبر
وثبات ليعود الى اصل تكوينه ومحط ابائه واجدادده حاملا
راية الظفر مكلا بتاج النصر

قضى أيامه بعيدا عن لذات الدنيا وهو فى عنفوان العمر

كلها يوماً ما

وان مصر بلا خديوية تكون بلا أوروبيين أى بلا

أفريقيا محضاً

ولو أن دولة واحدة أوروبية ساعدت سمو الخديو
مساعدة فعلية لخدم سموه مصر وأوروبا خدمة جليلة للغاية .
ولكن خطأ الماضي لا يصح البقاء عليه في المستقبل ! فأن شرف
أوروبا ومصالحها يقضيان عليها بتخليص مصر من ربة
الانكليز

وقد بدت لنا جملة أمور تدل على ان في أوروبا دولاً
عظمى تريد تحرير مصر ووادي النيل . فلتعجل بالعمل ان
كان في النية عمل فقد رأينا من الالام ما يستحيل أن نرى
بعده شيئاً

وأن اليوم الذي ترد فيه أوروبا لوادي النيل حياته
وحرية تجدها امامها فيه اميراً عالي الزكاء شديد الوطنية محباً
للعدل والمدنية تتبعه الامة المصرية بأسرها . وها هو يجد اليوم
وبجواره طبقة حرة متعلمة مهذبة ذكية مكونة من رجال لاهم

الجليلة . فضلا عن ذلك فان جلالة السلطان الاعظم « عبد الحميد » يعلم علم اليقين ان مسألة مصر بالنسبة للخلافة الاسلامية هي مسألة حيوية . ويعلم كذلك ان احتلال الانكاز لمصر هو اكبر واعظم اعتداء حصل ضد سلطته العالية واحترامه العظيم

ولكن الذي يظهر جليا من كل الدسائس الانكازية هو رغبة الانكاز في هدم الخديوية المصرية . وقد يتساءل كل انسان ما واجب اوربا امام هذه الرغبة وما هي رغبتها ؟ لا مرء انه اذا كانت حقوق مصر مرتبطة بحقوق الخديوية كل الارتباط فانه لا يمكن كذلك احترام حقوق اوربا والدفاع عنها الا بالمحافظة على الخديوية المصرية واحترام حقوقها الشرعية . فالخديوية المصرية هي السلطة العالية التي قبلتها اوربا وضمنت وجودها والتي تضمن في مصر لأوربا حقوقها ولرعاياها الراحة والامان

واذا وصل الانكاز الى هدم الخديوية أو الى اضعافها فقط فان حقوق اوربا في مصر تفقد كل ضمان وتضيع

الدسائس في الاستانة هذه الفرصة للوقعة بسمو الخديو
وادعوا ان البرنس عزيز بك أرسل من لدن امير مصر
للاتفاق مع ابن الرشيد على تهيج القبائل العربية ضد الحكومة
السلطانية. مع ان سمو الخديو قد بذل جهده لارجاع البرنس
عزيز بك عن قصده الذي ليس وراءه شيء ما واني لا اشك
لحظة واحدة في أن جلالة السلطان « عبد الحميد » مدرك
بهارته الفائقة وتبصره النادر المثل اسرار هذه الدسائس
فهي لا تصيب منه أقل اصغاء. كذلك قد رأى جلالته في
حكمه الطويل من السياسة الانكليزية أموراً كثيرة تبين
جلالته باوضح بيان ان الدسائس الموجهة ضد عزيز مصر
قد دبرت كلها بايدي الانكليز!

وليس من ينكر ان الموجد لسياسة الميل للدولة العثمانية
والتعلق بها اشد التعلق التي اتبعتها الامة المصرية في هذه
السنوات الاخيرة بكل ظهور وبهاء انما هو سمو الخديو
(عباس حلمي باشا) فهو الذي ادرك قبل كل انسان الاهمية
السياسية العظمى للاتفاق بين السلطنة العثمانية والخديوية

عن بعض الامور واني لا افول أن لهذه التقارير نتيجة أو تأثيرا
ولكن القائمين بهذا الامر يظنون انها ان لم تؤثر كلها فلا يبعد
ان يؤثر بعضها

وقد ادعي هؤلاء السفلة في تقاريرهم ان سمو الخديو
عباس باشا يطمع في اخلافة الاسلامية وهي دسياسة يستحيل
على العقل قبولها ولا يمكن اصحابها يؤملون منها ولو تشويش
الاذهان في يلدز

ولما ارسل مولانا الخديو في الصيف الماضي سفينة حاملة
لبعض الذخائر الى طشيرز وقبضت عليها سفن اليونان ادعي
هؤلاء القامون بنشر الا كاذيب ودس الوشائيات ان الخديو
قد أرسل هذه السفينة لمساعدة اليونان ضد الدولة العلية وأن
أمر القبض عليها ليس الا العوبة اتفق عليها من قبل بين
الخديو ومملك اليونان

وقد سافر اخيرا الى بلاد العرب البرنس عزيز بك
واشيع قبل سفره انه يتصد زيارة الامير ابن الرشيد المعروف
بنفوذ العظيم في جزء كبير من بلاد العرب . فانتهز ارباب

العاجز عن ادارة شؤون بلاده . ولكنها وشاية لم تنتج شيئا
آخر غير لفت الانظار الى امور مصر
اذ لا يستطيع أحد أن ينكر ان آمال سمو العزيز عباس
باشا اوجدت في أوروبا للمسئلة المصرية حياة جديدة . واذ
كانت الحكومات الاوروبية لم تقرر الى اليوم امر الجلاء
فمن الامور التي لا خلاف فيها ان الرأي العام الاوروبي قضى
هذه السنين الاخيرة على احتلال الانكاز لمصر اشد القضاء
اما في الاستانة فدسائس الانكاز ضد أميرنا المعظم
دبرت في الايام الاخيرة بمهارة ونشاط عجيبين . فان سواس
انكلترا رأوا في التقرب الحاصل بين جلالة السلطان الاعظم
وجلالة الامبراطور غليوم خطرا عظيما على بقائهم في مصر
اذا كانت العلاقات بين يلدز وعابدين حسنة طيبة . فبدلوا
جهدهم في القاء بذور الشقاق بين السلطة العثمانية والحدوية
المصرية . وان الناس كافة يعلمون ان للسياسة الانكازية
في الاستانة عمالا سرعيين يدعون انهم اترك وما هم الا سفلة
لا وطن لهم وهو لاء العمال اعتادوا ان يرفعوا للمابين التقارير

الولاء نحو العزيز. وقد زار سمو عباس باشا في الايام الاخيرة
بعض مديريات الوجه البحرى فقبل من سائر الاهالى
والسكان ابداع وأجل وأصدق مقابلة. واحتفل المصريون
في هذه المديريات بزيارة سمو الامير احتفالا مارأى انسان
له مثيلا

واني أقول ولا أخشى في الحق لومة لأثم ان أرض
الفراعنة مارأت في تاريخها الطويل أميرا محبوبا من أمته هذا
الحب الصادق غير سمو الخديو (عباس حلمى الثانى)
وقد اغتاز الانكيز كثيرا من هذه السياحة الدالة على
حقيقة ميول المصريين. وتحققوا اليوم جيدا أن كل دسائسهم
ضد شخصه الكريم وكل اعمالهم المدبرة بغاية المهارة يكفى
لاسقاطها وضياع نتائجها يوم واحد !!!
وان أمل الانكيز في هدم السلطنة المعنوية لسمو الامير
باطل لا محالة !!

وبينما الانكيز يدسون الدسائس المختلفة في مصر ضد
الامير يعمل رجالهم وسواسهم في أوروبا لاظهار سموه بظهور

سموه ومستقبله وقالت بلسان الاعمال والمظاهرات النصيح
« أن اخلاصها لسمو العزيز يزداد كل يوم »

وفي الواقع أن أمتنا لم تنس مطلقا هذه الكلمات الصادرة
عن شرف الاحساس والوطنية الصادقة والثبات التي فاه بها
سمو الخديو عباس باشا عام ١٨٩٣ « اني افضل الموت على
التنازل عن حقوق ملكي وحقوق امتي »

وإذا كان غاية مرعى الانكياز اضعاف السلطة الخديوية
فقد استعملوا للوصول الى هذا السبيل ادني الوسائل فصار
كل عدو الامير محبوبا منهم مكافأ بل صاروا يشجعون كل خائن
وكل اجنبى يجاهر لمصر بالعدوان وصار كل محب لسمو الامير
مبغضا منهم مهدد الحياة . فحجة الخديو - صاحب السلطة
الشرعية التي جاؤا مصر بحجة الدفاع عنها وجمع القلوب
حولها - صارت اليوم في اعين أبناء التاميز جريمة لا تقنفر
وذنب لا ينسى !!

ولكن بالرغم عن هذه الاعمال وهذه الخطة التي لا تليق
بشرف بريطانيا فان الامة المصرية بقيت كما ذكرت صادقة

لسموه في أعينهم ذنب آخر غير انه يريد تخليص امته من
النير الانكليزي وقيادتها متى صارت حرة قابضة بيديها على
زمام امورها في طريق التقدم والمدنية

ويستحيل أن يقرأ الانسان مطاعن اسفل واذنى من
المطاعن الموجهة من الجرائد الانكليزية ضد خديونا المعظم.
ولقد خدمت هذه المطاعن السافلة سموه في مصر وفي أوروبا
كثيرا خلاف ما يشتهي الانكليز واطهرت مقدار شجاعته
فزاد بذلك نفوذه المعنوي ولكنها في ذاتها تدل دلالة واضحة
على اطماع الانكليز في مصر بل أقول انها البرهان الساطع
على تلون رجال السياسة الانكليزية وتدليسهم في تصريحاتهم
ولقد اتبعت الامة المصرية نحو سمو اميرها المعظم
وتابع اليوم وفي المستقبل سياسة التعلق الشديد والارتباط
المكين بشخص سموه كما اظهرت المرار العديدة التضامن
المشترك بين حقوقها وحقوق الخديوية الجليلة. واذا وجدت
في شخص سمو الخديو الحالي اسمي واعظم مدافع عن هذه
الحقوق المشتركة الشرعية فقد علق حظها ومستقبلها بحظ

بلادهم مناقض كل المناقضة لتصريحات وزرائهم الرسمية
وتقريرات جرائدهم المعتمدة . وشاهد انه عوضا عن تقوية
سلطة الخديوية يعمل الانكليز لضعافها

ومن البديهي ان نفسا طاهرة وروحا شريفة كروح
سمو أميرنا لا يمكنها أن تقبل هذا الموضوع المنجمل وترضى
بضياع سلطتها مع تفهيم العالم كله أن المضيعين لها يقوونها
ويؤيدونها !!!

ولما وجد سموه لحقوق ملكه وحقوق أمته قوة عظيمة
ولشرف بريطانيا مكانا عاليا ولشرف أوروبا احترامها خاصا
صرح علنا وجاهر بأنه يتبني ويريد ارادة قاطعة أن يتمتع
بحقوقه الشرعية التي لاخلاف فيها

فكان هذا التصريح باعثا على المعارضة اللدودة العلنية
من قبل الانكليز

ولم يجهل أحد منذ ذلك الحين أن اعتداء الانكليز على
سلطة الامير صار بينا مستمرا . وقد ابتدأت مطاعن الانكليز
ضد الخديو عباس باشا بكل قحة ودناءة في حين أنه ليس

وقد كان المرحوم الخديو السابق توفيق باشا مدينا
للانجليز بتداخلهم لمصلحته أثناء الثورة العرابية وكان يرى
ضياع سلطته وقوته الشرعية بمساعي الانكايز ولكن لم يكن
يستطيع الاحتجاج علنا ضد أولئك الذين كانوا يسمون
أنفسهم أصدقاءه

ولاريب انه كان يظن ككثير من المصريين وقتئذ أن
حكومة جلالة الملكة تقوم من نفسها بالوفاء بوعودها
وتحترم شرفها باجلاء الجنود الانكليزية عن مصر يوماما
وبينما كان الانكايز يعملون في مصر على تقويض
السلطة الخديوية في عهد المرحوم توفيق باشا كان وزراءهم
وكانت جرائدهم في لندره ينادون امام أوروبا وامام العالم كله
أن وظيفة جنود دولتهم ورجالها في مصر تقوية السلطة
الخديوية واعادة احترام الخديو وحقوقه الشرعية اليه
وهي العوبة مضحكة وسخرية كان عمرها قصيرا !

فأنت . سمو الخديو عباس حامى باشا المملوء بالشيبية
و"شهامة لما جاس على اريكة مصر رأى أن عمل الانكايز في

تلك هي الآراء التي يراها كل سياسي خبير وقد قضى
على الوفاء لشخصك بذكرها والاطالة في بيانها وعساها أن
تقع لديك ولدى أصدقائك ومن يرى رأيك من المصريين
موقع الاعتبار .

هذا وتفضل أيها الصديق بقبول سلام من يدعو معك
بحرية مصر وخلصها القريب . . اهـ

(الامضاء)



ختم رحمه الله هذا العام عام ١٨٩٧ بمقالة فائضة نشرتها
جريدة « البرلينر تاغبلات » الألمانية باللغة الألمانية هذا
تعريها :

﴿ الخديوية المصرية ﴾

« لقد وجهه الانكياز أكبر عنايتهم من أول يوم
احتلوا فيه مصر للقضاء على الخديوية المصرية ومحو آثارها
من الوجود فاستعملوا وهام يستعملون اليوم أكثر من
ذئ قبل كل الوسائل لجعل خديو مصر بلا نفوذ فعلي في بلاده

فأن جلالة السلطان صاحب الصوت الاول بين دول أوروبا
في مسألة مصر ولا بدله من أن يأخذ بالشار في مسألة بلادكم
التي خدعه الانكليز فيها اكبر خداع. فيجب عليكم ان تكونوا
على تمام الصفاء والوفاء في علاقاتكم مع جلالة السلطان. واني
اعلم ان هنالك دسائس عديدة تدس ضدكم وضد سمو اميركم
وليكني اعتقد انه يسهل عليكم ان تبددوا هذه الدسائس
وتحافظوا على ميل الخليفة لـكم

ثالثها - جعل الرأي العام الاوروبي واقفا على الدوام
على احوالكم فإن ممالك أوروبا اليوم مسيرة بركة الرأي
العام وطالما رأينا الحكومات مشتغلة بمسائل مهمة فتمتركها
بالرغم عنها للاشتغال بمسائل اخرى تثيرها الجرائد والرأي
العام وتتناقش فيها المجالس النيابية فإن كانت مسألة مصر في
الجرائد والمنتديات وكنتم دائماً على مسرح السياسة الاوروية
قائمين بابطال الاشاعات والاراجيف الانكليزية فانكم تنشؤون
لمسئلتكم اهمية كبرى ويزداد انصارها كل يوم وتتوالى الضربات
عندئذ على هذه الصخرة الاحتمالية الضخمة

القطرة بعد القطرة يُخمر الصخرة كلها فكذلك العمل ضد
الانكايذ في مسألة مصر فإن كل عمل بانفراد قطرة ماء تنزل
على صخرة الاحتيال

ولا أريد أن أطيل الكلام معك في هذا الموضوع
لانك بعد السياحات الطويلة والمقابلات العديدة قد أدركت
ذلك بل وعرفت ما فوقه ولكن قبل اختتام اذكر لك ما
اجمع عليه السياسيون هنا بشأن مصر وهو ان مسألة بلادكم
الجميلة حية قائمة ذات الشأن الاول في المسائل السياسية ولكن
على المصريين واجبات اذا قاموا بها نالوا بغيثهم وهي واجبات
ثلاثة

اولها - اتحادهم كل الاتحاد حول اريكة سمو العباس
واعلان العدوان لكل طاعن في سموه فإن في القضاء على
السلطة الخديوية القضاء الابدى على حقوق الامة المصرية .
وخديويكم اجسدر امراء مصر بالحرب والاجلال لا سيما وانه
مبغض من الانكليز وهم لا يبغضونه الا لانه محب لكم
ثانيها - تعزيز مركز سمو الخديو المعظم في الاستانة

عصر القلم واللسان

نعم انى أعرف انك انت واصدقاءك تقومون بهذا
الامر خير قيام ولكن أمة عددها عشرة ملايين يجب ان
يدافع عنها وينشر الحقيقة عن شؤونها عدد اكثير بكثير منكم
واضعاف اضعافكم

ولعلك تقول لى انكم اشتغلتم بنشر الحقيقة فى هذه السنين
الاخيرة لكنكم لم تروا لهذا العمل نتيجة فأجيبك على ذلك
بأن هذا الرأى فاسد كل الفساد . فان أمة مثل أمتكم تود نيل
حريتها واستقلالها لا يصح لها أبدا أن تمل العمل خمس او
عشر سنين بل يجب عليها ان تعمل بثبات واستمرار على الدوام
مهما لاقت من الصعاب وقام فى طريقها من العقاب بل
أقول يجب عليها أن تزيد مجاهرة بارائها ورجائها كلما زادت
الاطار .

وانى أذكرك ايها الصديق بقول الشاعر الالمانى وهو
« ان كل قطرة ماء تنزل على الصخرة تحفر منها شيئاً »
فقطرة الماء وحدها لا تحفر الصخرة كلها ولكن نزول

الانكايز عاملون في اوروبا على اضعاف ميل السياسيين
والكتاب لسمو خديويكم كما أنهم يعملون في مصر على اضعاف
سلطته الشرعية !

ولقد فرحت كثيرا بما قلته لى عن محبة الاهالى لسمو
الخديو وشدة تعلقهم به وسرني ما وصفته لى من استقبال سموه
في سياحته الاخيرة في الوجه البحرى مما يدل بلا ريب
على فساد مزاعم الانكايز

ولكنى مندهش كل الاندهاش من انكم معشر المصريين
لا تعرفون أن تنتفعوا من مثل هذه المظاهرات الشريفة فانها
مرت ولم يدر بها أحد من المشتغلين بسائل مصر انفسهم .
مع اننا نرى الانكايز يجسمون كل أمر ضدكم وهم لم ينجلوا
من ان يشلوا لنا غلاما سافلا لا شأن له ولا اعتبار كرجل
رفيع الشأن قوى الكلمة وكشاعر طائر الصيت . فلم لا يهتم
فضلاء المصريين بالتعرف برجال الاقلام والسياسة في اوروبا
ويكاتبونهم في كل فرصة ويعرفونهم الحقائق ?? ان ذلك
اكبر خدمة يستطيع المصرى أن يؤديها لوطنه في هذا العصر

لو انتقل ملك مصر من يديه ونسبوا واضع القصيدة الهجائية (١) في سمو الخديو الى هذا الحزب ممثلين اياه لاوروبا رجلا كبيرا وشاعرا طائر الشهرة. وقد ود الانكليز بذلك تغير سياسي اوروبا وافهامهم ان الامة المصرية ميالة الى الاحتلال الانكليزي معادية لاميرها

ولا يفوتك أن اتشار مثل هذه الاشاعات والاساطير يضر كثيرا بمسئلة مصر في أوروبا ويكون كالضربة القاضية على آمالكم الحققة ومطالبكم الوطنية الشريفة ولست أنكر عليك ان هذه الاشاعات السافلة قد أثرت تأثيرا سيئا على افكار كثيرين من احدقائى انفسهم مع انهم يعلمون من عهد بعيد أن الامة المصرية شديدة التعلق بأمرها وان سمو عباس باشا يمثل بينكم الوطنية الحقيقية وان آمالكم وميولكم تطابق اماله وميوله ولما جاءني كتابك اطلعت عليه كثيرين من المشتغلين بمسئلة مصر فأدر كوا سر الاشاعات الانكليزية وفظنوا الى أن

(١) وهي القصيدة التي كان ذم بها بعضهم سمو الخديو وجرء، بشأنها تحقيق

ذلك فإنه بدأ عقب شفاؤه بتأليف كتاب المسئلة الشرقية الذي هو اول كتاب في بابه وضع باللغة العربية ...

ومما يذكر هنا ان الكتب السياسية بين المرحوم وبين من عرفهم من اساطين السياسة الاوروبية اخذت ترد عليه بكثرة . وقد كان رحمه الله كتب الى رجل كبير فرنسى له مقام خاص ومركز سياسى يذكر بالاحترام كتابا وقد رد عليه جنابه بكتاب هذا تعريبه :

« باريس في ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٧ »

صديقي العزيز - ورد لى كتابك الاخير فتلوته بكل امعان . واني اشكرك شكرا جزيلاً على تفضلك بمراساتي ما بين حين وحين فقد كنت تشوفا الى ورود هذا الكتاب لاتف منه على حقيقة الاحوال فى مصر فان الانكياز قد ملاءوا أوروبا اخباراً غريبة جداً بشأن مصر وسمو أميرها أشاعوا ان فى مصر حزبا كبيرا عظيم النفوذ قوى الكفاءة ينتقد جهارا على اعمال سمو الخديو ويعاديه علنا ويؤذ

أن تكون ناجحة لأنها كما تعلم صادرة باخلاص لا أمل في
شيء من ورائها سوى عودة مصر الى زهوها ورجوع السيادة
فيها لابنائها المخلصين

سأبتدىء بمشيئة الله بعد أيام في وضع كتاب على
المسئلة الشرقية يكون فيه نفع للمشتغلين بمسئلة الدولة ومسئلة
مصر ولى وطيد الامل ان يأتى كتاباً مفيداً والله الموفق
لا تتأخر عن مكاتبتى كثيراً ولا تنس أن ترسل الى
تلغرافا عند قيامك لمصر حتى أسافر للقياء بالاقصر
أن الدسائس التي يدبرها الاعداء ضدنا كثيرة ولكن
الله سينصرنا عليهم نصراً عزيزاً

.....
*
* *

كان رحمه الله بينما يحدث الصحافيين ويناقش الداخلين
والخارجين ويقنع البائسين يبعث بمقالاته المؤثرة المنفعمة اخلاصاً
وحماسة ووطنية وحقاً الى الجرائد الاوروبية الكبيرة وغير

لم يمض يومان حتى وقع في مرض انهك قواء واقلق
بال مصر وكان النضل في شفاائه لمدينة حلوان التي اشار عليه
بها الاطباء وما ابل من مرضه في اواخر شهر نوفمبر حتى عاد
الي عمله السياسي وكتب الي بعد طول الانتظار وقلق البال
كتابا بهذا نصه:

من مصر الي بربر

في يوم الجمعة ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٧

أخي

.....

انك لاشك قلقت كثيرا حتى بعثت بثلاثة تلغرافات
بعد عدة خطابات سائلا عن صحتي على الاخص وصحة
العائلة على الاعم . لانه مضى على نحو ثلاثة أشهر لم أكتبك
فيها كلمة .

اني كنت في مرض شديد يئست معه من حياتي
وقد أصابني بعد وصولي الي العاصمة بيومين وهو مسبب
عن كثرة الانعاب التي صادفتها في هذا العام والتي أومل

اجانب عن الفلاح لاندرک ما بنفؤاده فكيف يستطيع هو
أن يعرف هذا النفؤاد ويدرك ما به ويتكلم عن عدم عنايته
بشؤون الوطن ؟

هذا وتفضل بقبول احترامى مصطفى كامل «

وقد علقته عليه تلك الجريدة بما تعريه :

« ان على هذا الكتاب مسحة الحق والاخلاص ونحن
لانشك ان المسيو شيوتفرت قد اقتنع بما فيه ولذلك نرجو
من قراءنا أن يحجوا ما علق بأذهانهم من كتابه فأن هذا الرد
صادر من صاحب الدار وهو انرى بما فيها وعلى الاخص
ما يخصه منها »

*
* *

عاد المترجم الى الوطن فوصل العاصمة فى ١٠ اكتوبر
وقد استقبله الكشيترون بكل ترحيب وتعظيم ماعدا جرائد
الاحتلال فانها اختلقت عليه ماشاءت واتهمته بالتناول على
الجناب العالى الخديوى ودولة شقيقه الى غير ذلك من
المفتريات !!

وأغلبهم أبناء الفلاحين
أما أنا فافتخر وأشرف باني ابن ضابط شهيم أبوه فلاح
مصرى

يظهر اذا جليا اننا لسنا من تلك الفئة الغنية الغربية
الاصل عن الفلاحين ولسنا كذلك بظلمة الفلاحين فى الماضى
لانهم اما اخوتنا واما آباؤنا

اما اكتبنا للجيش العثمانى فما هو الا ثمره وطنيه يانعة
صادقة نعم هو ثمره الوطنيه الحقيقيه لاننا نعلم علم اليقين أن
انكلا ترا لآرمى بكل دسائسها ضد تركيا الا الى مصر

واننا بسرورنا وباحتفالنا بالانتصارات التركيه نسر
ونحتفل بهزيمه السياسة الانكليزية أى باجمل وابهى شىء
يتمناه على الدوام كل مصرى وطنى

« واني أختتم كتابى للدكتور (شيونفرت) بأنى
أجله اعظم اجلال غير أنى مندهش جداً من أن رجلا مثله
يقول عن الفلاح المصرى انه لايعنى بشؤون بلاده
فاذا كان الدكتور (شيونفرت) يقضى علينا بأننا

وما قرأ المرحوم كتابه هذا حتى رد عليه لساعته بما

تعريبه :

— الحقيقة لا تعدم انصارا —

ويانه في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٧

يا حضرة المدير

اسمح لى ان ارد على ما كتبه مسيو (شيونفرت)
في جريدتك ونشروته في عدد ٣٠ سبتمبر الجارى بشأن
(الوطنية المصرية)

يدعى المسيو شيونفرت ان المصريين القائمين بالدعوة
الى الوطنية هم من اصل اجنبى وليس لهم بالفلاحين اذنى
علاقة . وقد تكرم حضرته بأن عدنى من رجال الفئة المترفة
عن الامة البعيدة الاصل منها أى ممن لا يجرى فى عروقهم
الدم المصرى الحقيقى

وهي دعوة باطلة كل البطلان لان كل المصريين القائمين
بالدعوة الوطنية العاملين ضد الاحتلال الانكليزى الساعين
وراء تحرير مصرهم مصريون من سلالة المصريين الحقيقين

الحقيقة واتحدت لخدمتها كانت قوة لاقدرة لقوة مهما كانت
أن تقف في طريقها

سافر المترجم بعدئذ الى برلين فمكث بها عشرة أيام وقد
كتبت الجرائد عنه شيئاً كثيراً مما يحتاج في نشره الى مجلدات
ضخمة. وقد نشرت شركة هافاس بمناسبة هذه الحركة ما يأتي.
« أن جميع السياسيين الاوروبيين، كادوا يتفقون على
حل مسألة مصر وقد انغم اليهم بقوة سياسة المانيا »

*
* *

— دسياسة احتلالية —

بعث أحد الاحتاليين الى السيوشيون نفرت الكاتب
الالمانى الشير بكتاب يتول له فيه ان الذين يدافعون عن
مصر وفي مقدمتهم «مصطفى كامل» ليسوا من جنس مصرى
الى غير ذلك من الاقاويل التى لاغرض منها الا التشويش
على دفاع المخلصين ودفعت الكاتب الالمانى الى كتابة مايعرقل
مساعى حماة مصر. وقد كان وكتب جناب الكاتب كتاباً بهذا
المعنى ونشره في جريدة فوسيشه زيتنغ في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٧

لتحيي تركيا !
ليحيي العباس !
ليحيي جلالة السلطان عبد الحميد الذي نعيش جميعا تحت
ظل رايته المقدسة .. اهـ

وقد نشرت الجرائد الاوروبية على اختلاف نزعاتها
ملخص هذه الخطبة النفيسة وعلقت عليها ماشاءت سياستها.
وقد قالت جريدة الجولواو وقتئذ « ان المصريين أمة على جانب
عظيم من النشاط والجد وهم مخلصون لرابطتهم الدينية
الاسلامية اخلاصا حقيقيا لا تشوبه شائبة المدنية الكاذبة ولا
يكدر معناه الجميل الغايات السياسية الدنيئة وانا نعتقد أنهم
ماداموا على هذا الاخلاص فلن يجد العدو الى قلوبهم سبيلا »
اما شركات البرق فانها كعادتها نشرت في العالم ملخص
الخطبة مما كان له عند جميع المصريين اعظم وقع وقد لاحظ
الكثيرون ان الشتائم لم تهطل عليه فيما مضى هطولها في هذه
المرّة ولكنه رحمه الله ما كان يكثر بسببها بل استمر في
طريقه معتمدا على قوة الحق وقلوب الامة التي متى عرفت

فلقد عرفنا بعض رجال كانوا يتظاهرون بالوطنية والنيرة
على مصالح مصر ثم ظهر امرهم وكشف الغطاء عما في سرائرهم
ولم يبق ريب في انهم اضر على مصر من اعدائها الظاهرين
واحمد لله ان عدد المنافقين في مصر ليس بالكثير كما
يتوهمه البعض ولكن مهما كان عددهم قليلا فلنحذرهم كل
الحذر ولنضم صفوفنا بعضها الى بعض ونلتف جميعا حول
الوطن العزيز الحامل لواءه الشريف خير امير وافضل مصري
سواء خديونا المعظم (عباس حلمي باشا) فهو روح الوطنية
في مصر وهو اول من يغار على حقوق بلاده المحبوبة . وقد
نال حفظه الله بما له من الوطنية والحكمة والذكاء وحب العلم
والتقدم محبة شعبنا المصري وثقة العالم المتمدنين واحترامه . وحقق
بذلك لمصر مستقبلا ساطعا منيرا . فلنصدقه كل الصدق
ولندافع عنه أحسن دفاع ولنخلص له بالقلب واللسان ولنقسم
بالله والوطن على محبته وولائه مادام على هذا الاخلاص لمصر
واني اسألكم في الختام ان تنادوا معي :

لتحي مصر !

وناد باعلى صوتك : « لقد انجلى الاجانب عن بلادنا فم آمنًا
مطمئنًا . عندئذ تسكن روحى ويتم لي الموت بسلام »

هذا مثل صغير يكفى وحده لتعريفكم كيف قامت هذه

البلاد وبماذا تقوم

وإذا كانت نخامة ملك الامم التمدينه ورفعة مقامها
وحرية افرادها وسعادة انائها أموراً من شأنها تنشيطنا على
العمل لتحرير مصر وابلغها هذا المبلغ البعيد فهنالك امم أخرى
تنذرنا بسوء المصير إذا استسلمنا للمحتلين واهملنا أشرف واجب
علينا في الحياة . فالهند وراءكم وايرلندا امامكم تنذرانكم اناء
الليل واطراف النهار بالخراب والدمار والحجاعة والعار والموت
إذا رضيتكم بالمذلة وسلمتم البلاد للمحتلين . فحاسبوا انفسكم
وأسألوها اتفضل العار على الشرف . والذل والهوان على العز
والرفعة . والموت على الحياة ؟؟

ان امتن اساس لخدمة الوطن العزيزه والوفاق والاتحاد
ولسكن بين الصادقين الذين يضحون حياتهم محبة لمصر وعملا
لانقاذ مصر

ولا ريب انكم اعجبتم بهم وغبظتموهم فقد عاشوا كرماء اوفياء
لاوطانهم وماتوا مشرفين اعالى الاقدار والمقامات وبقيت
اعمالهم دروسا ومثلا للابناء والاعقاب . ولا ريب انكم اتمتم
ان يظهر في المصريين كثير من امثال هؤلاء الرجال حتى تبلغ
مصر مبلغ هذه البلاد من عزة السكامة وقوة البطش والسلطان
ولا جرم ان انفع درس يحتاج اليه المصري من أوروبا
هو الوقوف على قوة الاحساس الوطني في البلاد على اختلافها
فأهل هذه البلاد على تفرق مشاربهم وأهوائهم يحبون بلادهم
حبا شديدا ويستقبل الفرد منهم الموت في سبيل خدمة بلاده
ومن أجل ما ذكره التاريخ من احساسات هؤلاء القوم
نحو بلادهم أن قائدا فرنسيا أحس في عام ١٨١٥ باقتراب منيته
حينما هزم نابليون الهزيمة الاخيرة واحتلت عساكر الدول
الاوربية المتحدة أرض فرنسا . فدعا اليه احد اصدقائه وقال
له « ان لي عندك امرا أسألك بجرمة فرنسا أن توديه بعد
موتى » فقال له صديقه « وماذاك ؟ » فاجابه القائد قائلا « اذا
انجست العساكر الاجنبية عن ارض فرنسا العزيزة فزر قبرى

تاريخ بلاده وفي تاريخ الأمم رجالاً من عظماء الرجال ومثلاً
كبيراً . والتاريخ مملوء بذكر الرجال الذين نهضوا من الطبقات
الفقيرة إلى اسمى المراتب بوطنيته الصادقة واحساساتهم
السامية

فاعملوا إذا والامل ملء قلوبكم ولا تيأسوا طرفة عين بل
ليزدد عملكم بازدياد الخطر . شأن ذوي النفوس الشريفة
والمقاصد العالية

واني لست في حاجة لأن ألفت أنظاركم إلى ما ترونه
في أوروبا من مظاهر الوطنية الجليلة ومن معالم الحياة الحقيقية
فهذا العمران العظيم ناطق بآبوع بيان بأنه من ثمار الوطنية
وكل ما في هذه الديار من عدل ونظام وحرية واستقلال
ونعيم كبير وملك عظيم هو من مبدعات هذا الاحساس
الشريف الذي يسوق أفراداً إلى العمل لغرض
مشترك ومطلب واحد ولا ريب عندي انكم كلما دخلتم مدافن
عظماء الرجال وزرتم قبورهم قبرا عجبتم بهذه الوطنية العالية
التي رفعت مقام هؤلاء الرجال وخلدت لهم الذكر الجليل

العزيزة ورأواغيرهم من ابناء الامم الحية يضحى في سبيل بلاده
كل نفيس وعزير. لاريب أن ضماثركم تجيبكم انكم اتم وحمدكم
أى كل رجال الشيبية المصرية المسؤولون عن احياء مصر
وكفناكم من الشيوخ رضاؤهم عنكم وعن اعمالكم
وقد يحسب الواحد منكم نفسه صغيرا حقيرا من الهيئة
الاجتماعية المصرية فيقول « ومن أنا حتى ادافع عن بلادى
واطالب بحريتها واسعى لسعادتها » وهو فكر خطأ فكل
مصرى مسؤول عن حالة مصر ولسكل مصرى الحق في خدمتها
بل عليه واجب خدمتها واعلاء شأنها . وجميع المصريين سواء
امام مصر . وحنائها لسكل فرد من ابناءها لا ينقص عن حنانها
للاخر . وقد جاءنا التاريخ بالامثال العديدة على قيام افراد
من آخر طبقات الهيئة الاجتماعية باكبر الاعمال واشرفها .
وقد ارانا التاريخ فتاة حررت فرنسا وطنها وطردت الانكاز
من ربوعه . وهذا (كوشوت) محرر المجر بدأ صغيرا حقيرا
لامقام له في بلاده ولا مكانة . ولكن وطنيته الطاهرة وفؤاده
المتقد غيرة على وطنه وخلوه عن الغرض الشخصى جعلته في

الذي يري النار بعينه ويقف عند حد المشاهدة فلا يعمل
لاطفائها هو شريك في الاثم لمن اسعرها . فكيف بنا ونحن
نرى الاجنبي يعتدى على حياة أمتنا ووطننا ويهتك عرض بلادنا
ويسلبنا اموالنا وحقوقنا ويستذلنا ويحسن للحيوان الاكجم
اكثر من احسانه لنا . حياة ذليلة للموت خير منها والموت
في سبيل الحياة الشريفة خير من حياة ذليلة

وإذا كنا معشر الشبان لم نخرج على بلادنا هذه المصائب
الجمّة . فلا جرم أننا اذا أهملنا الامر كنا الجانين على انائنا
من بعدنا . فلقد سلمنا ابؤنا مصر وفيها بقية حياة فهل يليق
أن نسلمها لابنائنا ميتة لا حراك بها ؟ ان مصر لعليل أنتم
تعرفون دواءه فقدمو دلهما ولو قطعت ايديكم بالسيف ومزقت
افئدتكم بالخناجر

وانكم لو ناجيتهم سرائرهم وتنزلتم الى افئدتكم وتساءلتم من
المسؤل عن احياء مصر هل الشيوخ ام الشبان . هل الذين
بلغوا غاية العمر وقضوا حياتهم ام الذين لهم الشبيبة والقوة
والحياة ونشؤوا على مبادئ الوطنية الحقّة وتربووا على محبة مصر

مصر التعسة . نعم أرى هذا التذكار واحس بالآلام شديدة
لذكراه . آلام تختلج النؤاد وتزاحم الفرح والسرور فالبسوا
ثياب الحداد ذلك اليوم كما لبستم اليوم ثياب الفرح والهناء وانذبوا
حظ بلادكم التعسة وخففوا من آلامها بالعمل لخدمتها والتفاني
في سبيل خلاصها

فن كان وطنه وادى النيل عار عليه أن يسلمه لسواه
وبعيش حقيراً ذليلاً غربياً في دياره اجنبياً في ربوعه وربوع
آبائه واجداده . واطمانا ردد الفلاسفة ان كلمة الحق تصل الى
أذان الافراد والامم وتبلغ اعماق القلوب لو بعد قرون .
فنادوا اذاً بتحرير الوطن المصري فإن لم يسمع صوتكم اليوم
فهو مسموع بعد اليوم

ولا تظنوا أيها الاخوان انكم تكونون ابرياء من اثم
ضياع مصر اذا سكتتم عن المطالبة بحقوقها ولم تعملوا الاخراج
الاجنبى من ديارها . فقد يظن الكثير في مصر ان الذي لا
يخون وطنه ولا يخدمه ولا يدافع عنه بريء من جريمة
مصائبه غير مسؤول عن الاخطار التي تتساقط عليه . كلا . أن

العلية . وكونوا على ثقة من أن جلالة السلطان مهتم بمسئلة بلادنا اهتماما تاما ولا تحسبوا سكوته الظاهري اهمالا لها بل ان جلالته اول العارفين بمكانة مصر من ملكة الجليل وبأنها روح الاسلام وقلبه وضياعها خراب للدولة و الخلافة فهو مفكر في أمورها واقف على أحوالها يفرح كثيرا بكل نهضة تقوم فيها ويسر حقا بقيام المصريين للدفاع عن حقوقهم والمطالبة بها. واعلموا أيها الاخوان أن ساعة الخلاص آتية لا محالة عاجلا أو آجلا . يوم يلبي جلالة السلطان نداء مصر ويرفع صوته وتنضم اليه دول لها في مصر المصالح الخطيرة . يوم يعلم الانكثير أنهم مضطرون للجلاء وأن لا مناص من الجلاء واذا كنا نحتفل اليوم بعيد جلالة السلطان فانما نحتفل والامل ملء افئدتنا وانظارنا شاخصة نحو مصر العزيزة وبودي لو اقصر حديثي معكم اليوم على هذا التذكار السعيد. ولكن هناك تذكار آخر اراه قريبا منا واشخصه امام عيني مكتوباً بحروف الحداد الا وهو يوم ١٤ سبتمبر التادم التذكار الخامس عشر لدخول الانكيز مدينة القاهرة عاصمة

١٨٥٦ حين نار الهنود ثورة (سباه) الشهيرة

وقد تحققت أثناء زيارتي الاخيرة للاستانة ان الانكليز

لما فشلت سياستهم في الشرق وانتصرت الدولة العلية انتصارها

الباهر ورأوا من أوروبا الازتياب في نياتهم ومن المانيا تعضيد

تركيا ضدهم . اخذوا يعملون ويستعملون رجالهم وصنائعهم في

الاستانة لتحسين العلائق بين دولتهم والدولة العثمانية . شأنهم

مع الظافر المنصور .

فكلكم تعلمون أن الانكليز كانوا أصدقاء لفرنسا أيام

نابليون الثالث قبل حرب السبعين ثم لما انهزمت فرنسا

كانوا أصدقاء لألمانيا وأعداء لفرنسا . وتذكرون كذلك

انهم تظاهروا في مبادئ الحرب الصينية اليابانية بالميل للصين

ثم لما تم الظفر والنصر لليابان كانوا معاضد الصين هذه

سياستهم في كل وقت وفي كل زمان !!

ولكن تيقنوا أيها الاخوان ولتتيقن الامة المصرية كلها

أن جلالة السلطان الاعظم لا يتفق أبداً مع الانكليز ماداموا

محتلين لمصر اذا احتلال مصر مسبة كبيرة من الانكليز للدولة

الاعداء وألد الاعداء . فلا عجب ولا غرابة اذا قام اليوم
مسلمو الهند بثورة ينتقمون بها لوطنهم الاسيف واعتيقتهم
التي طعن الانكليز عليها في شخص جلالة الخليفة الاعظم .
ولقد ظن الانكليز أن جلالة السلطان (عبد الحميد) هو
المحرك لهذه الثورة والملهب لنارها ولكن باطلا ما يعتقدون .
انا ننزه جلالة السلطان عن أن يدس الدسائس ضد
الانكليز ويحاربهم بهذا السلاح الذئ الذي يحاربونه به . وانا
ننزه كذلك ثوار الهند عن أن يكونوا آلات صماء . فإن
احساسهم لشريف وجدير بالاحترام ونفوسهم التي سئمت
ماهم فيه هي التي دفعتهم ضد الانكليز وماهم الا من بنى البشر
يخسون ويشعرون لهم قلوب ولهم ادراك ولهم ارادة - اذا
شاؤا - فعالة .

ومن غريب أمر السياسة الانكليزية انها مع تظاهرها
بكرامه تركيا وبغضها تعمل في الاستئانة لاستمالة جلالة السلطان
وتودلو أصدر جلالته قراراً يأمر فيه ثوار الهند بالسكينة
والخضوع للانكليز كما فعل المرحوم السلطان عبد الحميد عام

وفي كل واد وتردد صدى فرح المسلمين في جميع الاصقاع
والانحاء وهو امر خطير تهتز له اليوم انكاثرا على عظمتها
وجلالها . وامر لم يكن له من قبل مثيل . واني لست ممن
يتمنون اجتماع العالم الاسلامى ضد العالم المسيحي واهراق
الدماء بل انى اتنى واجاهر بهذه الامنية وهي ان يسير العالم
الاسلامى باسره فى طريق النور والعلم وان يجتمع كله حول
الخلافة العظمى لصد اعدائها ورد اعتداء المعتدين . واني اعتقد
ان كل العقلاء لا ينكرون على المسلمين واجباتهم نحو الخلافة
ولذا كانت كتابات الذين يبغضون الاسلام وبنيه ضد اتحاد
المسلمين كتابات حقد وبغض لا يعتقد بهما

واذا اتحد اليوم العالم الاسلامى اتحادا سياسيا فانما اتحاده
ضد الانكايير وهم يعلمون ذلك علم اليقين فطالما طعنوا على
جلالة الخليفة الطعن القبيح وطالما دسوا ضد الخلافة الدسائس
وقاموا ببيت الفتن فى انحاء الدولة العلية . بل عرضوا على دول
أوروبا اسقاط الخليفة عن عرش خلافته وتقسيم الدولة العلية
حماها الله . فبهم اليوم الاعمداء وفى رأين أنهم كانوا دائما

حول جلالة الخليفة

والذي شاهد حركات الامة المصرية ايام الحرب وسهرها
الليالى منتظرة الاخبار بتشوف وشغف لا يدركان — عرف
ما للدولة العلية من الحب فى افئدة ابناء النيل وعرف ما لجلالة
السلطان الاعظم من المكانة فى القلوب وعرف انه باطلا يعمل
الدخلاء ضد جلالته . فطاعنهم سهام ترد اليهم فى صدورهم
وجلالة السلطان ارفع شأننا واسمي مكانة من أن تصل الى
علو مقامه مطاعن هؤلاء الدخلاء

فقرحنا بعيد جلالة السلطان الاعظم كبير شديد وتعاقنا
بالدولة العثمانية متين اكيد وانا نحي اليوم من صميم الفؤاد
جلالته تحية الابناء المخلصين ونحي الخلافة المقدسة تحية الخنان
والولاء ونبتهج ببقائها قوية متينة بالرغم عن مكائد اعدائها
العديدين

واني لا ابالغ اذا قلت ان مسلمي الارض قاطبة انظارهم
موجهة نحو الخلافة المقدسة وقلوبهم مجتمعة حول رايها الشريفة
فلقد قامت الاحتفالات بالانتصارات الشاهانية فى كل بلد

اليوم بعيد جلوس جلالة السلطان عبد الحميد على اريكة الملك
اكبر واعظم احتفال ويبرهنون بذلك للامم جمعاء علي تعلقهم
الاكيد بعرش الخلافة المقدسة . ولذا كان احتفاننا في باريس
على قلة عددنا ذا شأن خاص فهو جزء من ذلك الاحتفال
الكبير بل هو دليل من دلائل اجماع المصريين على محبة
جلالة الخليفة الاعظم والتعلق بالدولة العلية

وهذه هي المرة الرابعة التي صادف وجودي في باريس
يوم عيد الجلوس الشاهاني واحتفلنا به كل مرة احتفال الصادقين
الاولفاء وكم تحدثنا في اجتماعاتنا بشؤون الدولة واحوالها
وبمصائب مصر واحزانها ولكننا ما شعرنا في عيد من الاعياد بمثل
ما شعرنا به هذه المرة من الفرح والسرور فعيد اليوم في الحقيقة
عيدان عيد جلالة الخليفة وعيد الجيش العثماني . نعم هو عيد الفخار
والانتصار عيد احياء القوة العثمانية واعادة جلال مجدها
العسكري . وكلما تعلمون مقدار تأثير انتصارات الجيوش العثمانية
في العالم الاسلامي والعثماني فلقد شرحت صدر كل ذي احساس
صادق وجمعت كلمة العثمانيين حول جلالة السلطان وكلمة المسلمين

وقد تناقلت هذه المقالة كافة الجرائد الالمانية واثنت
فيها على كفاءة المصريين وسألت حكومتها ان لا تترك الفرصة
تمر بلا عمل يذكر في المسئلة المصرية الى غير ذلك مما آلم
الانكايز كثيرا !

ما جاء مساء يوم اول سبتمبر سنة ١٨٩٧ حتى غص
الفندق النازل به المترجم بجماهير المصريين والعثمانيين الذين
دعاهم كعادته للاحتفال بعيد جلوس جلالة السلطان وكان بينهم
عدد كبير من رجال السياسة والصحافة في باريس وبعد ان
تناولوا طعام العشاء وقف المترجم بينهم خطيبا فقال :

خطبة في باريس

٦

اخواني الاعزاء

هذه الليلة التي تفضلتم بتشريفني فيها هي من اكبر ليالى
العالم الاسلامي فقلوب المسلمين كافة والعثمانيين عموما تخفق
الآن بالفرح والسرور وابناء وطننا في مصر خاصة يحتفلون

الانكليزي لمصر

واني اعرف أنه لا يزال في المانيا بعض رجال يعجبون
بحرية الانكليز في انكلترا فيا أيها المعجبون بالانكليز أن
أردتم حقا أن تعجبوا بهم كل الاعجاب فأختبروا اعمالهم
في غير بلادهم تجدوهم يحنون افضع الجرائم ويعتدون على حقوق
الامم وعلى حياة الافراد ثم يتركون احرارا بغير عقاب . . .
ففي استطاعة احقر الانكليز أن يعتدى في مصر على
ارفع المصريين بدون أن يعاقب اقل عقاب. ولكن اذا مس
مصرى احد الانكليز كان اكبر الجناة واعظم المجرمين. وقد
اسس محتلو مصر محكمة مخصوصة واسعة السلطة والارادة
لا قانون لها ولا مرد لاحكامها تحكم على من يعتدى من
المصريين على احد العساكر او البحارة الانكليز وليس للمصريين
من يحميهم من الانكليز! فهي المحكمة المخصوصة التي تكفي
وتمدها لتعريف أوروبا احوال مصر وسير الانكليز فيها. اذ
هي افصح وابلغ من كل الخطباء!

باريس في ١٦ اغسطس سنة ١٨٩٧ مصطفى كامل «

المصريين كافة ونزلاء مصر غير الانكايز. وهو ان عسكريا انكليزيا قتل صبيا مصريا كان يرميه بالحصى . ولما سيق العسكري الى مجلس المحكمة الانكليزي اعترف بجريمته ولكن — . . . برأه المجلس براءة لا ريب فيها واني أقسم للقراء ان هذا الامر الفظيع بل هذه الجريمة البهيمية أتت بها الانكايز ابناء الانكايز لا الصينيون ???

ولقد احدثت براءة هذا القاتل في مصر تأثيرا سيئا جدا في الرأى العام ورفعت ام القتييل قضية مدينة امام المحاكم المختلطة وتقدم لسمو الخديو وفد من اعيان الاسكندرية رفع لجنازه ما عم الناس من الكدر والاتعمال بسبب تبرئة مجرم يستحق الضرب بالرصاص

فهذه صحيفة من صحائف احوال مصر اذا قرأها القارىء وتمتعها عرف كنهه ما يجرى على شواطىء وادى النيل . وهذه الامور التي أتت عليها يعرفها في مصر المصرى والغريب ولكنها مجهولة كل الجهل في أوروبا . وأن الواجب على كل رجل متمدن وقف على هذه الامور ان يحتج ضد الاحتلال

قائده الانكليزي والقي الرصاص عليهم حيث جرح كثيرون
ولم ينل الضابط الانكليزي اقل توييح بل لا يزال موظفا كبيرا
آمنا مطمئنا .

وفي الشتاء الماضي اشتهرت قصة حربى البلينا التى
ذهبت فيها ارواح ثمانية اشخاص حرقا بالنار وما آل هذه الحادثة
أن عصابة لصوص اعتدت على ضابط بوليس وقتلته فأخذت
الحكومة تبحث عنها حتى أشعرها يوما من الايام أحد
الإهالى بانه احتال على رجال العصابة واغلق عليهم قاعة فى
دائرته فأرسلت الحكومة رجالها وبوليسها وسألت هؤلاء
الرجال أن يخرجوا من القاعة فامتنعوا فوجدت الحكومة
أن لا استطاعة لها على اخراجهم وأن خير عمل يعمل فى هذه
المسئلة هو احراقهم جميعا فامرت - او أمر الانكليز - بايقاد
النار فى القاعة على من فيها فاحرقت واحرق الثمانية الذين
كانوا فيها وقام الحريق دليلا ساطعا متلأثنا على ماهية العدل
فى مصر تحت سلطة الانكليز !!

والى القراء امر آخر حدث اخيرا وهاجت له ضمائر

اما من حيث الوجهة الانسانية فلا قيمة لحياة المصرى
في أعين الانكليز فالاعتداء على الحياة البشرية في مصر مبدأً
من مبادئ ابناء التاميز — ممدنى العالم وحماة الانسانية —
وليحكم القارىء على ذلك بهذه الامور —

سأل يوم من الايام عامل من عمال التلغراف مهندساً
انكليزياً كان حاملاً ليه تلغرافاً ان يمضى وصل التلغراف كما
هى العادة في مصر فرفض الانكليزى ذلك. فكرر موظف
التلغراف الطلب اتباعاً لاوامر المصلحة فمدّ الانكليزى ذلك
منه سوء أدب يستحق العقاب عليه فقام بغاية السكون وتناول
بندقية وصوب رصاصتها في صدر المصرى المسكين حيث
سقط يتخبط في دمه كأنه حيوان صغير حقير والانكليزى
ساكن الفؤاد. ولا بد أن القارىء يتساءل عند قراءة هذه
المسئلة « وأى عقاب نال الانكليزى ؟ » فاجيبه — لاشيء!
لاشء أبداً انما نقله اخوانه الانكليز الى الهند !!

وقد رفض طالبة الازهر مرة ان يسلموا مريضاً منهم
الى السلاطة العسكرية فحاصر البوليس مدرستهم الكلية بامر

الذى هو لسان مصر ويحررها رجل مصرى الخ الخ . رأى
الانكيزان هذه الجريدة تحارب الاحتلال بسلاح الحقيقة
الساطعة فاضطهدوها وساقروا مديرها للمحاكمة بحجة انه ساعد
على اذاعة تلغراف رسمي بنشره في جريدته . وقد أحدثت
هذه القضية في مصر تأثيراً كبيراً وكانت المسئلة الوحيدة
حين ذاك الشاغلة لافكار المصريين والاوروبيين عامة .
وقد برأت المحكمة الجزئية صاحب المؤيد براءة جاءت ضد
رغبة الانكيز وجاءت بعد تهديدات طويلة عريضة هددوا
بها القاضى المصرى العادل واستأنفوا القضية مؤملين نيل عقابه
فكان استئنافهم للقضية استئنافاً للبراءة مما شرف القضاء المصرى
وبرهن على أن فى المصريين رجالا لا يخافون الاحتلال بل
يأتون العدل بكل قوة وثبات . فلما يأس الانكيز من استعمال
قضاة مصر المصريين آلات لرغائبهم وحبا للانتقام والبطش
وهدم قواعد العدل عينوا عقب هذه البراءة المزدوجة ثلاثة
قضاة من الانكيز فى محكمة الاستئناف ليزداد عدد الانكيز
بها وليكون الحكم على اعداء الاحتلال أمرا سهلا هينا !!!

تميز ولا محاباة وهذه الحقيقة الثابتة التي أدركها ورفع شأنها
آباؤنا الاولون هي في هذا العصر أول الحقائق والعدل هو
اساس المدينة الغربية لا محالة . والانكليز يتقدرون العدل في
بلادهم قدره ويفتخرون الفخار العظيم بسمو شأنه في ديارهم
ولكنهم قد لا يبصرون الحرف الاول من حروفه ولا يفقهون
له معنى في بلاد مصر . فلا عدل في مصر الا وهو مشوب
بالسياسة ولا قضاء الا وهو مشوب بها كذلك

والقاعدة الاساسية للعدل في عرف الانكليز أن يحكم
على المصري متى كان عدوا للاحتلال وأن يبرأ الانكليزي
حتى ولو جنى افطع جناية وأن أمورا تجري على هذا الاساس
يجب أن تعرف في أوروبا ويجب أن يقضى الرأى العام
الاوروبي عليها قضاءه الشديد وتحتج ضدها ضمائر الشعوب
التمدنية . .

فلقد رأينا لعدل آلة سياسية بيد الانكليز وأنى لا اضرب
على ذلك غير مثال واحد وهو مثال قضية المؤيد الشهيرة فان
هذه الجريدة جريدة مصرية تصدر في القاهرة باللسان العربي

المرحوم في عمله الطاهر الشريف وقد كتب رحمه الله مقالة
الى جريدة البرلينر تاجبلات الالمانية الشهيرة نشرتها في ١٧
أغسطس وهذا تعريبها!

— خطة الانكليز —

﴿ في مصر ﴾

انى أستميح قراء « البرلينر تاجبلات » الاذن لا حادثهم
اليوم في شؤون مصر بلاد القراعنة وبلاد العجائب . فان
هتام المانيا بالمسئلة المصرية في هذه الايام يضمن لى أن
الرأى العام الالماني يقضى قضاءه العادل على هذه الاساليب
الغريبة التي يستعملها الانكليز في مصر . أولئك الذين سموها
ويسمون أنفسهم بممدنى العالم البشرى وحماة الانسانية .

ماقرأ أحد تاريخ المصريين القدماء الا استغرب غاية
الاستغراب من عنايتهم الزائدة بامر القضاء والعدل . فقد
ادركوا أن قوام الهيئة الاجتماعية المنتظمة المتمدينة اعطاء كل
ذى حق حقه ورفع راية العدل والانصاف بين الناس بلا

سببا كبيرا في تجديد الضغائن الدينية والمالية التي كانت زالت
بالمرّة من قلوب المسلمين وقد كان لفرنسا في العالم الاسلامي
أصدقاء كثيرين فعلينا أن لا تهمل أمر ما دخل نفوسهم من
هذا الاعتقاد لما لها من المصلحة في ذلك

وبديهي أن اعتقاد المسلمين والعثمانيين بتعصب أوروبا
وفرنسا ضد الاسلام يضعف كثيرا من المحبة الابدية
السرمدية التي كانت قائمة بين المسلم والفرنساوي . على أننا
إذا كنا فقدنا محبة المسلمين فلا يستطيع أحد أن يثبت أننا
لنا ثقة المسيحيين في الشرق بل أضعنا محبة أوائك وهوؤلاء
لأننا جرحنا عواطف المسلمين وما دفعنا ضرا عن المسيحيين»

*
**

وما نشرت مقالة هذا الكاتب الحر حتى قامت قيامة
أعداء الدولة ومصر بل أعداء الاسلام والمسلمين ناسبة صدور
هذه المقالة وأمثالها لرجاء المترجم والباحث الى غير ذلك من
الاقاويل التي تدل على مبالغ حنقها من أعمال المترجم التي ضمت
اليه أصواتا كثيرة لخدمة المسئلة المصرية والتي كانت تشجع

« اذا لم يستطع الانسان أن يسافر ليستفيد فليطلب الفائدة

ممن سافروا وجابوا البلاد والاقطار

وقد تشرفنا بالمحادثة طويلا مع كثير من المصريين الذين
يجيئون باريس لتبديل الهواء أو لاشغالهم الخصوصية وتحديثنا
على الخصوص مع (مصطفى كامل) الشهير بمقاومته للاحتلال
الانكليزي . واننا نكون مغيرين لوجه الحقيقة اذا قلنا اننا
بعد هذه المحادثات تفتخر بالجنسية الفرنسية فان الانسان
متى تحدث مع بعض رجال السياسة الشرقيين يحس أن فرنسا
لم ترحب في الحوادث الاخيرة شيئا مذكورا بل خسرت من
سلطتها ومقامها ما لم يكن لها في الحساب وأنه لمن المسائل
المؤلمة حقا ان تصبح فرنسا على هذه الحال وقد كان لها النفوذ
الاول بين الامة الاسلامية على العموم والامم العثمانية على
الخصوص . ولقد اتخذت الحكومات الأوروبية في المداورات
الاخيرة خطة من شأنها أن تحمل العالم الاسلامي بأسره من
السلطان العظيم الي الفلاح الحقير على الاعتقاد بأن أوروبا
تحارب الاسلام (حربا صليبية) جديدة . وهذا الاعتقاد كان

العداء للإسلام

وان الانتقاد على هذه الخطة يخالف الحق ولا محالة
فبأى حق يصح لنا ان ندعى عند ما نطالب أمة من الامم
بشيء من الاشياء ان عقيدة هذه الامة فاسدة لانها ليست
عقيدتنا التي نظنها صحيحة كاملة؟ ان هذا الادعاء لباطل كل
البطلان . فأن كل العقائد أساسها الفضيلة ومهما تغيرت الفضيلة
بتغير البلاد والبتماع فهي هي الفضيلة بعينها ومن المستحيل ان
يحكم الانسان على دين بأفضليته على دين آخر فلقد كان
عيسى يهوديا وصار اله المسيحيين . وبنى ابراهيم بيديه الكعبة
ثم صار بيتاً مقدساً للمسلمين وجاهد (لوتر وكلفان) جهادا
شديدا ضد الدين الكاثوليكي ولكن من كانا يعبدان؟ كانا
يعبدان المسيح . . . الخ

فبديهى اذاً ان (مصطفى كامل) مصيب في فكره فعار
علينا أن نلوم الامم المغيرة لنا في الدين بمعبودها وعقائدها. اه
وقد كتبت جريدة (الديش كلونيل الباريسية) في
هذا المعنى ما تعريبه :

الفرنسي الطائر الصيت هذا الحديث بمقالة نشرتها جريدة
لايه (السلام) تحت عنوان :

- سياسة الدول الأوروبية -

(والسلام)

قال فيها ما تعريبه :

« من واجبات الكاتب المحرر أن يتمسك دائماً بمحبة وطنه
والدفاع عن مصلحته وإن كان يجب عليه أن يخدمه بحكمة وتعقل
لا أن يكون متعصبا لرأى دون رأى فى اعماله

ولذلك فأنى ارى من واجباتى ان احكم على حوادث
الشرق بمقتضى الآراء السديدة الحكيمة التى رواها «مصطفى
كامل» فى حديثه الاخير مع احد محررى جريدة (الكلير)
فلقد قال هذا المصرى ان اكبر عائق لنجاح السياسة الاوروبية
فى الاستانة وفى مصر واعظم ضرر لمصالح النوع البشرى على
العموم صادر عن الخطة السيئة التى اتبعها الاوروبيون
نحو الديانة الاسلامية فانهم بدلا عن ان يخاطبوا الدولة العلية
باللسان الذى يخاطبون به الدول الاخرى تراهم يخاطبونها باظهار

الخواطر الهاجئة وتمكين روابط الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين
ولا توجد دولة غير انكلترا تستفيد من سوء ظن المسلمين
باوروبا ومن النزاع بين المسلمين والمسيحيين في الشرق .
وتقضى مصالحها ايضا ان تمحو ذكر مصر من اذهان اوروبا
بحادثة من الحوادث في الاستانة العلية وقد يمكن ان يلحق
المصريين القنوط بسبب ما تقدم لانهم بما انهم مسلمون ربما
اعتقدوا انهم فقدوا ميول اوروبا وعضدها

وجملة القول ان البحث في المسائل الشرقية على مبدأ
الدين من اكبر الوسائل لتوليد الاحقاد والضغائن وتأجيل
توطيد السلام العام في الشرق الي زمن مديد فينبغي ان تكون
اوروبا والحالة هذه عادلة نحو جميع الناس بلا فرق وهي اذا
اخذت على عهدها الزام الغير باحترام الحقوق والعهود من
الواجب عليها ايضا ان تسوى المسئلة المصرية وتبرهن للعالمين
الاسلامي والمسيحي على صدقها واخلاصها وعندئذ لا يتسنى
لاى مسلم ان يرتاب في ذمة اوروبا ونياتها .. اه
هذا وقد عضد المسيو « ادوار فلدتوفل » الكاتب

في جمع شتات المسلمين ووضع زمام الاسلام في قبضته. اما أنا
فارى الدول الاوربية تحض المسلمين على ذلك اكثر من
جلالته وتدعوهم الى الانضمام والاتحاد يدا واحدة فان أوروبا
لم تخاطب المسلمين في امر ما الا وكان كلامها باسم النصرانية
وهي لم تتكلم قط باسم التمدن الاعم على افراد البشر من
مسائل الدين. ولكي امثل لكم الجملة التي وصلت اليها خواطر
المسلمين اذ كرر لكم الجملة التي فاه بها جلالة السلطان الاعظم
لمسكاتب جريدة نيوفرى بريسه النمسوية التي تصدر في فيينا
حيث قال « أوروبا تحاربنا حربا صليبية في شكل سيم سي » وقد
اعرب جلالته بهذه الجملة عما يخالج افئدة افراد المسلمين في
العالم باسره

وقد نسيت أوروبا في الغالب ان الواجب في الشرق
مراعاة الرأي العام الاسلامي ولا يخفى أن المقصد الذي تسعى
وراءه أوروبا انما هو تحصيل السعادة والهناء للاقوام المسيحيين
العائشين في الشرق وتوطيد دعائم السلام في الممالك المحروسة
وعلى ظني أن هذا المقصد لا يمكن نيله الا بتسكين

وقتشئذ لكل مشروع يتعلق بالاصلاحات بعين الغضب
والازدراء ولست أود الكلام على النظام في تركيا او على عدل
الاصلاحات وانما أردت أن اقفكم على ما وصلت اليه حركة
الافكار بين الشعوب الاسلامية

ويوجد في الشرق حزبان يرى احدهما ان أوروبا
عدوة لدودة له ويرى الثاني عكس ذلك . أما الاول فيقوى
عنصره كل يوم وتزداد شوكته والسبب في ذلك سلوك أوروبا
وفي الواقع أن المسلمين، كثيرا ما يتساءلون عن اسباب انقسام
الدول الاوروبية وانشقاقها بشأن اتخاذ الوسائل اللازمة لأكراه
اليونان على الجلاء عن كريت . واسباب اتحادها واتفاقها على
اخراج العثمانيين من تساليا وكيف ان أوروبا كثيرا ما تتفخر
بمحافظةها على مجموع املاك الدولة العلية ووقايتها من التجزء
ثم هي تبشر بتبديد اجزائها وتمزيق اعضائها مستندة على
المبدأ المذكور بعينه !!

﴿ المسئلة الدينية ﴾

« يلومون السلطان لانه يحض المسلمين على الاتحاد ويسعى

الشعوب الاسلامية في اقطار العالم ورفعت في أعينهم شأن
جلالة السلطان الاعظم ونفوذه . فاذا كان اهالى أوروبا يعتبرون
جلالة السلطان مسؤولاً عن كل ما يقع من الحوادث في ممالكه
وبلاده فان المسلمين ايضا ينسبون شرف تلك الانتصارات
ونخرها الى ذات جلالة السلطان الاعظم ولا ريب في أنه
لا يذهب عن خاطر أوروبا أن مركز جلالته تجاه العالم
الاسلامى أصبح وطيداً جداً

ومما زاد في عجبى واندهاشى هو سوء الظن والاعتقاد
الذى بنته أوروبا في قلوب المسلمين نحوها اذ من المستحيل
اليوم اقناعك أحد المسلمين بصدق اخلاص أوروبا نحو العالم
الاسلامى أو انها لا تتحيز ضد الاسلام وهذه مسألة تساليا
جاءت مثبتة لذلك الاعتقاد وموطدة له عقب كثير من
المسائل غيرها وهو يعتبر مجاهرة أوروبا لجلالة السلطان بان
أوروبا المسيحية لا تسمح باعادة أرض مسيحية الى حكومة
اسلامية اعلنا للعالم الاسلامى بانها لا تريد سوى الشر والظير
للحكومة العثمانية والاسلام . هذا فضلا عن نظر المسلمين

أوروبا على العموم وفرنسا على الخصوص ولو كان الجنب العالی مؤيد الجانب من فرنسا لتمکن من تغییر کل وزیر لا یخدم البلاد بصدق وتحسنت الحالة عما هی علیه الف مرة

والامر الذی لا یختلف فیہ اثناں هو أن الجنب العالی لا یزال محبوبا من جمیع المصریین وکلما اشتدت حملات الانکیز علی حقوقه وحاولوا أن ینقصوا من قدره فی أعین الامة کبر فی انظارهم وعلا شأنه دائما . والشعب المصری لا ینسى أبداً أنه مدين للخدیو عباس باشا لکونه أیقظه من سبات الخمول وأن ثباته ونشاطه ووطنیته وجمیع فضائله قد بثت فی روح کل مصری أن الانکیز لیسوا فی القطر المصری بصفة اصدقاء أوداء بل بصفة مغیرین وستبقى الخدیویة الممثلة فی ذات صاحب السمو عباس حلمی باشا مرتبطة فی مصر بنفس تلك العواطف والمیول الخ الخ

— ❦ فی الاستانة العلیة ❦ —

« وقد بارحت الاستانة العلیة وأنا علی اعتقاد وطید بأن انتصارات الجیش العثماني قد اسكرت بخمرة الفرح جمیع

المطاعن الموجهة ضد الاسلام من بعض الكتاب الفرنسيين
كان لها التأثير المؤلم في القطر المصري

وأما ما يتعلق بالنفوذ السياسي القنصلي لفرنسا فاني
أسف مثل بقية ابناء وطني من وقوفه عند الحد الذي كان
عنده وهو مجرد التأمل في الحوادث وتدوينها ولست اقصد
بهاته الكلمات الطعن على المسيو كوكردان والتنديد بموقفه
اذاء تلك الاحوال بل بالعكس فان هذا الوزير حائز لميل
المصريين وهو محترم منهم الى الغاية ولاكنه لا يستطيع سلوك
خطة سياسية شخصية . نعم اني لست من الواقفين على اسرار
السياسة الفرنسية غير انه يظهر لي كما ظهر لكثيرين ان
موقف فرنسا في مصر يجب ان يكون مؤسسا على هذا
المبدأ وهو مؤازرة الجناب العالي الخديو

فان سموه هو الممثل لحقوق الشعب المصري وحقوق
أوروبا ايضاً ولا يذهب عن خاطر أحد أن الخديوية المصرية
مقبولة مكتمولة من أوروبا فينبغي والحالة هذه أن تقوم أوروبا
بالذود عن حياضها ووقايتها من كل مساس يكون مصدره

المقول بأن اليونانيين الكثرى العدد في القطر المصرى ولهم
معظم القضايا التى تقدم الى المحاكم المختلطة ربما يساعدون انكلترا
على الغاء المحاكم المختلطة وتحرير ذلك انهم بالنظر الى كثرة
قضاياهم نرى أن معظم ايرادات هاته المحاكم منهم فاذا تحولوا
نقصت الايرادات نقصانا فاحشا يتخذ هذه المحتلون حجة لنيل
مقصدهم. ومن المحتمل لدينا أن تكون هذه الفكرة وعدا
من الوعود التى علمت بها الوزارة اليونانية الحكومة الانكليزية
فى مقابل ما نالته من مساعدتها أثناء الحرب

وانى لم أطل الكلام فى هذا الموضوع الا لى أطلعكم
على مكنونات الدسائس الانكليزية الموجهة للمحاكم المختلطة
التى هي أكثر التأسيسات فى مصر فائدة وموافقة للصيغة
الدولية العمومية وضمانه لحقوق أوروبا ضد الانكلز فى القطر
المصرى . أما نفوذ فرنسا فيما بيننا فلا يزال موضوع جهاد
متوال من الانكلز ولذا ترون أن المصريين الذين هم أصدقاء
الفرنساويين فى كدر من جراء ذلك وهم ينتظرون كثيرا من
فرنسا ولكن طال الانتظار ولا بد لى هنا من ملاحظة أن

الأستانة العلية واذ أنه تمكن في خلال هذه الرحلة من محادثة
أفاضل الرجال بين عثمانين وغيرهم في الشؤون المصرية . فقد
سألناه أن يعرب لنا عن الحالة الحاضرة بالقطر المصرى وتركيا
فأجابنا بما يأتى :

﴿ قال مصطفى كامل فيما يتعلق بمصر ﴾

— أما ما يختص بمصر فلم يحدث تغيير في حالها الاولى
اذ لا يزال الانكليز يحاربون كل ما كان مصريا أو أوروبا
بمعنى أن أوروبا بأمرها أصبحت محتقرة في نظرهم بالقطر
المصرى ولا شك في أنها اذا اثبتت محافظة على سكوتها هذا
تجاه الاحتلال الانكليزى فإن نفوذها يمحى شيأ فشيأ وتعلوه
غبرة الانحطاط والتلاشى ويتألم أبناءها النزلاء كما تتألم نحن .
وسيحاول الانكليز في السنتين الآتيتين الغاء المحكمة المختلطة
ولست أدرى اذا كانوا يستطيعون تحقيق هذه البغية وانما
اقول انهم اذا توصلوا الى ازالة معالم تلك المحاكم فإن أوروبا
تفقد كل حياة ووجود في القطر المصرى
ويذهب الكثيرون في الدوائر الانكليزية وغيرها الى

الماضية . خيا الله هذه الامة المجيدة واخرجها سالمة من شر اك
الاعداء

وفي اختتام اقبل وجنتيك . ادامك الله لا خيك المخلص

مصطفى كامل »

برح المترجم بود ابست كما قدمت وما وصل الى باريس حتى
أذاعت الصحافة الفرنسية نبأ وصوله هناك وسارعت جريدة
الاكلير . فأجرت معه حديثاً نشرته تحت هذا العنوان

— ❖ الاحوال في مصر وتركيا ❖ —

❖ حديث مع المترجم ❖

« لا يوجد بين المصريين الذين أخذوا على عهدتهم هذا
الواجب المحمود وهو ايقاظ غفلة السياسة الاوروبية من
سباتها العميق تجاه المسئلة المصرية ومنازلة الاحتلال الانكليزي
للقطر المصري بجميع الوسائل الشرعية من أظهر الجد في
العمل والنشاط في الدأب مثل (مصطفى كامل) فان
هذا الوطني المصري قد وصل أخيراً الى باريس عائداً من

والنصب لشاركتي في الاول وودت لو تشاركتي في الثاني
اما السرور فأني اشعر بميل الكثيرين من سواس أوروبا
وعلى الخصوص سياسة التحالف الثلاثي الى حل المسئلة المصرية
واما الثاني فلأني اقضى جل وقتي في التحجير والتحرير وقد شعرت
بضعف في قواي. واراني في حاجة لصديق قوي وطني بجاني
هذا وقد عرضت اخيرا على أخواني أعضاء الحزب أن
نختار عضوا آخر من ذوي الحمية والعمل ليكون بجاني ولكن
لم نجد من يقبل السفر لهذه المأمورية الشاقة واذا وجدنا فغير
كفاء بالمرّة

ولذلك فأني منتظر بصبر نافذ يوم خروجه من الجيش
لتكون عضدي في هذه الخدمة الشريفة

فأني أن أخبرك أنني تعرفت بالكثيرين من فضلاء
الأتراك وقد وجدت بعد الاختلاط بهم ومحادثتهم أن بين
صنفوهم رجالا مملين تمام الامام بحالتنا واقفين على كل
ما يعمله الانكايز معنا. والا عجب من ذلك ان واحدا منهم شرح
لي قصتك في الجيش وما اتتاك من الظلم والغدر في السنة

والمدمرات تستخدم لاغتتيال الحقوق لانصرة أمة مظلومة
على أمة ظالمة !!

ولكننا مع ذلك نقول له ماقاله المستر سيمون وهو ان
خطوة الى الامام ولو كل قرن في سبيل نجاة الوطن لاجل
من لاشيء . فسر ومواطنيك الى حيث تجدون بمشئة الله
مصر رمسيس سيدة مهيبة محترمة! . . . » .. أه

*
**

مكث المترجم في مدينة بودابست لغاية ٣ يوليه ثم سافر
الى فيينا حيث امضى فيها بضعة ايام قابل في خلالها رجال
السياسة والصحافة ليحملهم على خدمة المسئلة ثم برحها الى
باريس

*
**

وقد ارسل الى رحمه الله من بودابست كتابا هذا

نصه :

.....

« لو تعلم ما انا فيه من السرور

بما تعريبه :

« ان غرض مصطفى كامل شريف وقد قدمناه لقراءتنا
بلسان جريدتنا فهو رجل اذا تكلم اسمع العالم صوته ومن
عرف انه ليس بغنى كبير ولا وزير حكومة ذات سلطان لقال
معنا انه نابغة ككل عظماء الرجال الذين يهديهم التاريخ من حين الى
حين الى الامم البائسة المظلومة فيهدونها الى طريق السداد .
وانا نؤكد لقراءنا ان ابن وادى النيل اذا لم يدافع عنه
ضد سالب خيراتة يرتكب اشنع جريمة في الوجود . لانه
ذو زرع ثمين ومحصولات كثيرة فضلا عن مركزه السياسى
ووضعه الجغرافى !!

وانه اذا كان المصريون الى اليوم في نظر بعض
السواس لا يستحقون ما يتغونونه من سعادة لانحطاط قوائم
العلمية فانا نؤكد من جديد ان (مصطفى كامل) الذي حادته
مراسلنا بالاستانة فى العام الفمات لا يقل عن اعظم عظيم من
عظماء امريكا وأوروبا . انما لسوء حظ مصر انه جاء فى الزمن
الذى بلغ فيه حب الحياة المادية مبلغا عظيما فأصبحت المدافع

أمته على انكسارها وتملك مصر فالجواب عندي أن بواخر مصر
نيلها وأسلحتها ارادة أبناءها وذهبها جمال وضعها فليتخذوا بناؤها
فوق هذه المواهب من العلم دروعا ولينازلوا الانكسار بثبات
الساكن الصابر فان قائد المركب في حاجة لعقل سليم وجسم
سليم ليقود مركبه والا فهي بغيرها غارقة :

ان الوطن بيننا نحن الاوروبيين الراقين عظيم جليل
محترم مقدم على الدم والابن والمال فما بالناس محتقره عند غيرنا
ولا نود الا أن نحتكر العواطف الشريفة لأنفسنا !! اذا كنا
وهذه أوطاننا من السمو والرقى نشكو دائما من حكوماتنا
اعتقادا منا لسبب من الاسباب أو نظرية من النظريات انها
تسوقنا الى خطر يحف الوطن !!

ألا فلنتركمهم يذكرون أوطانهم كما ذكرناها فان أحب
شيء الى رجل راق شريف العواطف أن يرى جميع بني
الانسان مهما تعددت نحلهم وأديانهم وخلافتهم عائلة واحدة
عقد الصلة بينهم أشرف كلمة اليها نسبنا ألا وهي « الانسانية »
وقد علق جريدة ذى نيو يورك هيرالد على هذا الكتاب

ذلك الوطن الجليل !

انى أسمع الانكليز يقولون بألسنة خدامهم «ان مصر لم
تحكم نفسها فى التاريخ يوما واحدا وانها دائمة فى اغلال الذل
وأطواق الاستعباد محكومة ذليلة . فلم يخالفون اليوم هذه
السنة ويطلبون أن يكونوا سادة فى بلادهم !!!»

هذا ما يقوله الانكليز وهو قول يضحك كثيرا اذا
لفتنا نظرنا الى قول (مصطفى كامل) الذى يقول :

« لو فرضنا أن التاريخ سلبتنا نعمة السلطة والحكم
فليتكن انكلترا آخر من يتمتع بهما وليست الامة المصرية
الامة من الامم التى جاءها الدور لتحكم مصر »

نعم قال مصطفى كامل هذا القول وهو غاية فى رقى التعبير
وسلامة الذوق ولا عجب فإن الوطنية الحية تملى على اللسان
ما اذا خطه القلم ظهر حقنا ناطقا لان الوجدان الشريف لم
يتعود الكذب

وانا كذلك أقول انهم اذا ضحكوا من قول (مصطفى
كامل) وسألوه أين أسلحة مصر وبواخرها وذهبها لتتغلب

سائلا أوروبا صاحبة الحول والطول والكلمة العليا في كل ما له مساس بالسياسة العمومية أن تساعد في تحقيق أمانى مواطنيه. ونحن بأزاء هذا القول يجب علينا أن نقول له « انك صادق في دعواك ولا نسألك الا انتظارا لان انك لترا بمهارتها تخلق كل يوم ما يبعد عنها المناقشة في المسئلة المصرية لانها مسئلة الهند أولا ومسئلة الشرق ثانيا. فهذا الطريق أو بعبارة أخرى قناة السويس لم تحفر لتكون وقفا على الانكليز بل لتكون طريق رحمة تجارية للعالم كله .

خلقت انك لترا مسئلة الترنسفال لتشغل المانيا وخلقت مسئلة الارمن واليونان لتشغل تركيا كما تسعى لحفر بئر للروسيا في الشرق الاقصى. وكل هذه المسائل تعطل كثيرا عرض مسئلة مصر على بساط البحث واعطائها حقه بين الامم الحرة التي تتقلب في نعيم بينما هي تتجرع آلاما جساما

ان مصطفى كامل قائد حركة وطنية في مصر فبقدر سرعة هذه الحركة من العلم والعرفان وتمثيل حالتي الوطن للناشئين (حالة الشقاء : وحالة الرخاء) تقرب ساعة تحرير

المستر سيمون الشهير بمبادئه الديمقراطية كتابا لجريدة
« ذى نيويورك هرالد » قال فيه :

« ان العالم المتمددين يسمع في هذه السنين الاخيرة صوتا
رنانا وطينيا من الشرق هو صوت ابن الفراعنه «مصطفى كامل»
هذا الصوت الذى أسمع به بكل تلهذ وأقرأه بكل امعان. ومما
يدهش أن الصحافة الاوروبية عامة والانكليزية خاصة
لا تعير هذا النداء الحق ما يستحقه من التشجيع بل بالعكس
ترى اكثرها تتهمه شخصا بما رب غير وطنية !!!
وقد أردت بما أكتبه فى جريدتكم المحترمة أن أكون
أحد المشجعين لهذا الوطنى المحبوب وأقدم للعالم مناقشة بسيطة
فى المسئلة المصرية :

« نعلم جميعا أن قول مصطفى كامل من حيث هو قول
سياسى. يخص مسئلة ذات أهمية سياسية تجارية دينية. فليس
إذاً من الصواب أن نناقش شخصه ولا نناقش قوله !!
يقول مصطفى كامل أنه مصري ونحن لا ننكر عليه
ذلك ويقول أنه يدافع عن بلاده طالبا وفاء الانكايز بوعودهم

« نرحب بعمل مصطفى كامل حبيب المجر تر حبيب الوطني
بالوطني ونقول للانكليز انكم تحسنون كثيراً الى انفسكم بترك
مصر قبل ان توغروا صدور الدول عليكم اذا استرسلتم في
البقاء فيها . وان بلدا مركزه هو مركز مصر لا يصح ان
يكون العوبة في يد دولة واحدة . وان املنا كبير في ان مصلحة
الدول المشتركة في مصر تجبر الحكومة الانكليزية على الوفاء
بوعودها . وانا نعتقد انه مهما طال الزمان على هذا الاحتلال
المضر بالعالم اجمع فلا بد من جلائه يوماً من الايام . ولذلك
فلا يصح ان يياس المصريون من نجاة واستقلال بلادهم
مادام فيهم مثل (مصطفى كامل) الوطني المشتعل وطنية
وحبا لبلاد الفراعنة العظيمة » .. اه

وكذلك ضربت الجرائد النمساوية على هذه النعمة وقامت
جرائد الانكليز او المنتمية للانكليز تدعي انه موعز للمترجم
بهذا من جلالة السلطان وكانت تقيم الدليل على ذلك بما أهدها
جلالته الى المترجم في العام الفائت . ولكن الحقيقة التي تنطق
مهما ناوأها نصراء الباطل ردت عليهم رداً مفحماً اذ كتب

وهم قد اشتهروا بحب الذات اشتهاراً شعب بالطمع والجشع
وهذا مثال مما كتبت !

البيتر لويد

قالت هذه الجريدة المجرية الكبيرة بعد أن نشرت
التلغرافين ماتعريبه :

« انانحن المجرين الذين توارثنا في دمائنا ابناء عن ابا عجب
الوطن وتمجيد الوطنية نعطف بكل جوارحنا على مطالب
المصريين ونهنيهم بوجود رجال بينهم مثل «مصطفى كامل»
الذي نسمية بحق «كوشوت مصر» ونسأل ممالك أوروبا كافة أن
تؤاذر المصريين مؤاذرة فعلية بأجبار الانكليز على الخروج
من مصر وتركها لاهلها لأنه من العار أن تظهر أوروبا
المتمدينة في مظهر الكاذب في سياسته أمام أمم الشرق
ان مركز مصر ليس كمركز أي بلد شرقي آخر فهي
ذات فوائد كثيرة للعالم ولها مزايا فوق كل مزايا أخرى »
ماجيارنوك لاجبا

وقالت هذه الجريدة ماتعريبه :

— لـرئيس الوزارة الانكليزية —

من بودابست في ١١ يوليه الى لوندريه

جناب رئيس الوزارة الانكليزية

« أني في هذا اليوم يوم ١١ يوليوي الذي هو التذكار
الخامس عشر لضرب الاسكندرية أرى من الواجب عليّ
تذكير جنابكم بالوعود التي قدمت باسم التاج الانكليزي
والشرف البريطاني للجلاء عن وطننا

واذا كانت مصر محتلة ظلماً وعدواناً ضد رغبتها وضد
مصالحها الحيوية فهي تعتبر يوم ١١ يوليوي هذا تذكار حداد
لها وتذكار عار على انكلترا. ومادام الاحتلال الانكليزي
باقياً فهذا العار يحملة كل فرد من الانكليز أمام المدينة والتاريخ
والعالم أجمع مصطفى كامل »

وقد نشرت جرائد بودابست هذين التلغرافين وكتبت
فصولاً إضافية عن المسئلة المصرية وألحت على أوروبا أن تعمل
لاجلاء جنود انكلترا عن وادي النيل تحقيقاً لسعادة أهله
لبقاء المصالح الدولية المشتركة آمنة من اعتداء الانكليز عليها

بالحداد الوطنى العام وبعث بتغرافين احدهما لجلالة السلطان
الاعظم والثاني لرئيس الوزارة الانكليزية اللورد سالسبرى
وهذا تعريفهما :

لجلالة السلطان

من بوادبست فى ١١ يوليه الى الاستانة العلية

« جلالة مولانا السلطان المعظم

انى فى هذا اليوم يوم ١١ يوليو الذى هو التذكار الخامس

عشر لضرب الاسكندرية اشرف بأن اتضرع لجلالتكم
الملوكانية ان تخففوا الآلام الشديدة التى تقاسيها مصر بلادنا

العزيزة بأن تطلبوا من أوروبا جلاء الانكليز عنها

وان بقاء مصر محتلة بالانكليز خطر عظيم على الخلافة

نفسها . فيا أيها الخليفة الاعظم انقذ بلاد مصر والا فموتها

موت للاسلام . مصطفى كامل »

الاخلاص وواجبات التهاني بالانتصارات العسكرية الى جلالته
مولانا السلطان الاعظم

نزل رحمه الله في الاستانة بفندق سمر بالاس الكائن
بترابيا وقد كثر زواره من رجال السياسة الاوربيين وفي
مقدمتهم مكاتبو الجرائد الانكليزية الكبرى واخذوا يناقشونه
في عدة مسائل اهمها المسئلة المصرية فكان يجادلهم بالتى هى
أحسن

وبعد أن قضى رحمه الله اسبوعا في دار الخلافة ممتعا
بتعطفات جلالته الخليفة الاعظم استأذن وسافر الى بودابست
عاصمة المجر فوصلها في السابع من شهر يوليه وما عرف
صحافيوها الذين تعارف بهم من قبل حتى رحبوا بقدمه
احسن ترحاب

وقد كانت باكورة اعماله في هذه المرة بهذه المدينة
الزاهية الزاهرة ان انتهز فرصة حلول ذلك اليوم المشؤوم
يوم (١١) يوليه الذى كان وقتئذ التذكار الخامس عشر لضرب
مدينة الاسكندرية الذى هو كما نعلم جميعا احق ايام الحوادث

اقوى منها اذا كنت قد حظيت ببقياك ردك الله سالما
وأدامك لأخيك المخلص مصطفى كامل»

السبت ١٩ يونية سنة ١٨٩٧

*
* *

—✕— السفر مرة أخرى ✕—

✕ الى أوروبا ✕

✕ في هذا العام ✕

سافر المترجم مرة أخرى في هذا العام الى أوروبا ليواصل
جهاده فبرح العاصمة في يوم الخميس ٢٤ يونيه بعد أن ودعه
على رصيف المحطة أعضاء الحزب الوطنى العديدون وقد أبحر
في يوم السبت الى الاستانة العلية مودعا بالكثيرين من أهل
الشعر الذين تمكن حبه من أفئدتهم فوصل دار السعادة في
صباح يوم الثلاثاء ٢٩ يونيه

وتوجه الى المايين الهمايونى ثانى يوم وصوله حيث قابل
عطو فتلو تحسين بك باشكاتب المايين ورفع بواسطته فروض

العلية . وكذلك أقيمت خطابا في مدينة الاسكندرية كان له
أحسن وقع وقد ذكرت فيه كل ما رأيت هاما ومفيدا
أمل أن لا أغيب عن مصر زمنا طويلا فأني قد وطلت
العزم على السفر الى الاستانة فأوروبا بعد أيام قلائل وسأخبرك
بما سيكون .

وغرضي من السفر اليها مرة أخرى مواصلة الجهاد في
مسئلتنا الكبرى لان من حسن السياسة تحين الفرص ولا
فرصة أحسن من هذه الفرصة التي توالى فيها انتصارات
الدولة العلية المحروسة على اليونان رغم أنف مساعديهم محتلي
ديارنا :

أوصيك أيها الاخ العزيز أن لا تندفع في السياسة
اندفاعا فأناك مقيد بقانون شديد صارم والذي نجاك من حبائل
الاعداء ينجيك كذلك من ترك خدمة هذا الجيش البائس
المهان بسلام

أرسل اليك مع هذا صورتي التي رسمت أخيراً في
أوروبا لترى منها صحتي التي تعجبك والتي كانت تكون

بين تصفيق شديد كان يدوى في نهاية كل جملة من جملة
وكان التصفيق يمتد في بعض الاحيان حتى يضطر الخطيب
الى الانقطاع عن الكلام . اما صوته فحسن جهورى ذورنة
قوية ولذلك كان يسمع من كل ارجاء الملهى حتى ان كل من
في هذا الجمع العظيم مع كثرته استطاع ان يعى كل اقوال
الخطيب التى كان يلقيها بعبارات فصيحة خالية من شوائب
التعقيد . »

هذا مثال مما قالته الجرائد الوطنية اما جرائد الاحتلال
فانها سكتت لاول مرة لان موقفها امام البراهين القاطعة
التى حوتها الخطبة اصبح اخرج من مركز الغاصب السائب
الذى ادرك كل كائن حوله مبالغ غصبه وسلبه . ولو انها ام
الكبائر لا تنجبل من نصرة الباطل على الحق ولو كان
واضحا !!

آتب الى رحمه الله خطابا قال فيه :

« ان عودتى من أوروبا الى مصر أفادت كثيرا فقد
رددت على الجرائد التى آتهمنا لبذلنا الجهد فى مساعدة الدولة

فهو يقضى من واجب وطنه ويجيب داعي ضميره نحو أمته
واخوانه »

الفرد لكسندرى

« قد اندفع الناس افرادا وجماعات لسماع الخطبة التي
لقاها الوطنى الكميز « مصطفى كامل » فى مسرح زرينيا
على المسئلة المصرية فكنت ترى هذا الملهي الجميل الكائن فى
شارع باب شرقى تتموج فيه الاهالى من لابسى الطرايش
وحاملي العمام مزدحمين بين الكراسى وفى الالواج ووقوفاً
على الاقدام حائلين بين المنافذ والابواب حتى كان الازدحام
شديداً فلم يخل منه مدخل التياترو

وعند الساعة التاسعة مساء حضر الخطيب ووقف فى
المسرح فقوبل بتصفيق شديد وقدمت له عدة باقات من
الازهار كما تقدم لمشاهير الممثلين فى الليالى الخاصة بهم .
وشاهدنا على الاخص باقة من الزهور بديعة الشكل تدل على
حسن ذوق صانعيها وهذه الباقة قدمت له باسم اهل الاسكندرية
ثم افتتح الخطيب موضوعه واطال فى الكلام مدة ساعة ونصف

المؤيد

« ازدحم المكان حتى لم يبق قيد شبر لوقوف أحد
ولذلك رجع كثيرون عن باب التيارات حيث لم يجدوا سبيلا
لدخولهم او سماع كلام الخطيب . ومع هذا فقد كان الصمت
تاما والاصغاء يكاد يكون استهواء للمسامع بل والجوارح
والتصفيق بين كل فقرتين حداً متكرراً »

الاهرام

« نمتدح الخطيب النادر المثال على ما أظهره من الوطنية
والحمية ونقول عن خطبته بلسان كل من سمعها بأنها كانت
من أفضل الخطب التي التماها واجلاها بياناً وأحسنها التما
وأفصحها عبارة وانها كانت فوق هذا كله غاية في الاعتدال
والنزاهة والتأدب وسداد البراهين بارك الله في همته وزاد
توفيقه في خطبته »

لسان العرب

« ثنى اطيب الثناء على الخطيب وامتدح لهجته ووطنيته
أحسن مدح ونسأله ان يكرر مثل هذه الخطب في القوم

المسئلة المصرية

وقد أقر المجتمعون بارتياح تام على قرار احتجاج ضد الاحتلال الانكليزي . حققوا فيه للنزلاء الاوروبيين أن الأمة المصرية لا تريد الا أن تعيش معهم في سلام وسألوا جلالة السلطان أن يطلب من دول أوروبا الاتفاق مع جلالته على حل مسئلة مصر »

وقد زادت على ذلك شركة هافاس ماقاله المترجم من « أن المصريين يشكرون سياسي أوروبا الذين يعملون لمساعدة مصر والذين وقفوا الاحتلال عند حد الاحتلال »

اما مكاتبو الجرائد الالمانية فقد أرسلوا الى جرائدهم بيرلين تلغرافات بمعنى تلغراف هافاس غير أنهم اضافوا على ذلك ماقاله الخطيب بخصوص المانيا ومساعدتها للدولة العلية وما ينتظره المصريون منها في المسئلة المصرية ضد الانكاز

*
* *

أما الجرائد المحلية فأن الوطنية منها ذكرت الخطبة بما تستحق من عبارات الثناء واليك مثال منها :

جلالة السلطان الاعظم أن يطلب من دول أوروبا الاتفاق
مع جلالتهم على حل المسألة المصرية وتحقيق حرية مصر الى
الابد »

*
* *

حضر هذه الخطبة الوطنية السياسية الكثيرون من
الزلاء الاوروبيين وفي مقدمتهم وكلاء الشركات البرقية
ومكاتبو الصحف الاوروبية . وقد طير وكيل شركة هافاس
التلغراف الأتى لانحاء العالم عقب سماعه الخطبة وهذا تعريبه!
« الاسكندرية في ٨ يونيه سنة ١٨٩٧ »

القي اليوم (مصطفى كامل) خطبة سياسية امام مجتمع
من المصريين يفوق الالفى شخص حضروا وفودا من كل
انحاء مصر

وقد أشار الخطيب بالاتفاق بين المصريين والاوروبيين
اتفاقا سلميا ضد الاحتلال الانكليزي . وأوصى المصريين
باحترام الزلاء الاوروبيين وحقوق أوروبا في مصر . وأظهر
أن انتصار تركيا وزيادة نفوذ السلطان من شأنهما تسهيل حل

والدخلاء . ولتفق كلمة ومبدأ وتتحد قلبا ولسانا ولنجعل
مصلحة الوطن العزيز نصب اعيُننا ليلا ونهارا لنبلغ بذلك السعادة
الاجتماعية والجلاء والحرية » اهـ

ما انتهى الرحوم من خطابه هذا حتى صفق له الحاضرون

تصفيقا حادا

وما اقترح عليهم في الختام الاقرار على الالتماس من
جلالة السلطان الاعظم ان يحل المسئلة المصرية بمعاونة أوروبا
حتى رفع الجمع الايدي بلا استثناء ودوت اصوات الموافقة
والاستحسان وهذا نص القرار .

✧ القرار بالاجماع ✧

« المصريون المجتمعون يوم ٨ يونيه بمدينة الاسكندرية
لاظهار امانيتهم ورجائهم يحتجون ضد الاحتلال الانكليزي
اشد احتجاج ويحققون للنزلاء الاوروبيين انهم لا يريدون
لهم سوا ولا يرغبون الا ان يعيشوا معهم بسلام . ويسألون

ألا يري أولئك المنتقدون أن في انتصار الجنود العثمانية
على اليونان انتصارا للدولة العلية على الدسائس الانكليزية ؟
ألا يرون أن اتفاق المانيا مع تركيا أساسه الاتقام من
الانكليز والعمل ضدهم ؟ ألا يرون أن في هذا الاتفاق فائدة
كبيرة لمصر ؟

— أيها السادة . ان ما قامت به الامة المصرية من
المظاهرة نحو الدولة العلية هو خير عمل وطني عمله المصريون
واني بكل ارتياح و فخار احي من أعلى منبر الخطابة هذا جيوش
جلالة السلطان وجرحى هذه الجيوش الفخيمة الذين دافعوا
عن الدولة والملة خير دفاع ودفعوا عن مصر بهذا الدفاع
اخطارا كبيرة ومكائد عديدة كانت تدبر لها .

— أيها السادة . التعلق بالدولة العلية اقدس واجب تفرضه
على المصريين الوطنية الحقيقية فلنحافظ ما استطعنا على هذه
الصلة القوية ولنتعلق بعرش الامير المحبوب . ففي التعلق به
سلامة الوطن العزيز . ولننشر نور العلم ونور الآداب في
الامة ونور الحقيقة بين الامم جمعاء . ولنناوم الخونة والمنافقين

الدولة ومساعدتها لترد الاعداء من بلادها وتحفظ سلامتها
واستقلالها؟

ينتقد علينا أوئامك المنتقدون قائلين « لقد كانت مصر
في عام ١٨٤٠ ضد الدولة العلية فكيف هي تتظاهر اليوم
بالميل لها؟ » أما الجواب على هذا الانتقاد فبسيط جدا . نعم
كانت مصر ضد الدولة العلية في عام ١٨٤٠ وكانت مخطئة
خطأ كبيرا . نعم أخطأ (محمد علي) الكبير وعرف قبل موته
أنه انخدع وأخطأ . فمعاداة مصر للدولة العلية خطأ عظيم في
السياسة وخطأ آخر بمصالح مصر وبمصالح الدولة معا . ومع
ذلك فهل معاداة مصر للدولة عام ١٨٤٠ من شأنها أن تبقى
الى الابد ؟ أليست الامم كالأفراد تجمعها المصلحة ووحدة
المنفعة ؟ ألم تحارب فرنسا روسيا عام ١٨٥٤ وأصبحنا اليوم
متحدتين ؟ ألم تحارب المانيا النمسا وتحارب النمسا ايطاليا
واتحدت بعد ذلك هذه الدول الثلاث ولا تزال متحدة ؟ ألم
تسكن انكلترا صديقة لتركيا وأصبحت اليوم أكبر عدوة
لها ؟

العلية واعترافها لها بالجميل . مبلغا بعيدا جدا . حتى أنه لما أخذ
النمساويون البوسنة والمهرسك أرسلت نظارة الحربية النمساوية
بفرقة بحرية الى البوسنة لطرد العساكر التركية منها . فلما
وصل الجنود البحرليون ورأوا الجنود العثمانية ألقوا بأسلحتهم
الى الارض وقالوا « انا لا نرمي رصاصنا في صدور أصدقائنا »
وقد ذكر لى الكثير من أهل المجر أمثالا عديدة تدل
على محبتهم الاكيدة وميلهم الشديد للدولة العلية وما ذلك
الا اعتراف لها بالجميل

فاذا كانت هذه الامة الحرة الشريفة عارفة بالجميل فهل
ينسى المصريون وهم أقرب الناس للدولة العلية عنايتها بهم
وعدم قبولها لمطالب اعدائهم ؟ ؟ ؟

ولنسأل أوامك المتتقين . ماذا كانت تكون حالة
مصر السياسية لو كانت انهزمت ولا قدر الله الجنود العثمانية ؟
لا ريب أن كل عاقل يحكم بأن انهزام الدولة العلية لا قدر الله
كان يأتي عنوان انحلالها وتقسيم أملاكها وضياع مصر الى
الابد في يد المحتلين . فكيف اذا لا يعمل المصريون لتقوية

يسر أصدقاء مصر الحقيقيين . فما دامت الدولة قوية سليمة

دام أمل المصريين في الخلاص كبيراً عظيماً

نحن نسأل الذين ينتقدون على اكتتابنا للدولة العلية

لماذا غير الانكليز سياستهم نحو الدولة العلية من عام ١٨٥٣ ؟

لماذا قاموا من ذلك الحين ضدها بعد أن كانوا يعلنون للملأ

أنهم أصدقاؤها وأحباء جلالة السلطان ؟ أليس ذلك لان

جلالة السلطان لم يرض العمل معهم ضد مصر وضد أميرها

أليس لانه قدر آمال المصريين وورعائهم حق قدرها ؟

هبوا أن لا علاقة بين مصر والدولة العلية غير العلاقات

العادية بين الامم . أليس من واجباتنا الوطنية أن نعترف

بالجميل لدولة رفضت القضاء على حياتنا ومساعدة أعدائنا

ضدنا ؟

ها هي الامة المجرية لا تزال الى اليوم أشد الامم ميلا

ومحبة للدولة العلية . لان الدولة أكرمت ثوارها عام ١٨٤٩

حينما التجؤوا اليها بعد أن قاموا بثورتهم ضد النمساويين

وهزمتهم الجيوش الروسية . وقد بلغ حب هذه الامة للدولة

اوروبا نفسها اعلنت وصرحت بأن اساس سياستها في الشرق
مساعدة المسيحيين بكل الوسائل وهي قد تمسكت بهذا المبدأ
وتناهت فيه حتى سمعنا من رئيس وزراء الانكليز ومن
كثيرين من سياسى اوروبا «انه يستحيل على اوروبا المسيحية
ان ترد شبرا من ارض مسيحية الى حكومة اسلامية» ورأينا
المسيحيين في عيد البابا قاموا افواجا بالا ككتاب وقدموا له
الهدايا والنفائس فتظاهر المسلمون بحجة ابناء دينهم وبالميل
لمساعدتهم امر طبيعي ضرورى . وهو لا يدل اقل دلالة على
وجود تعصب دينى في مصر . والا فلو كانت مظاهر تنا
للدولة العلية دليل هذا التعصب فهمة التعصب الدينى ملتصقة
ايضا بدول اوروبا نفسها ولا مناص لها من ذلك

أما من حيث الوجهة السياسية . فمظاهرة الامة المصرية
نحو الدولة العلية هي مظاهرة قوية ضد الاحتلال الانكليزى
واشتراك أفراد الامة على اختلافهم في الاكتاب للجيش
العثمانى هو اقتراح عام ضد الانكليز في مصر . وان التقرب
بين مصر والدولة العثمانية الآن وفي كل وقت من شأنه أن

رون الليلة نخبة الامة المصرية وفضلائها يوافقون على هذه
الاحساسات ويؤيدونها . فهل يطلبون بعد ذلك دليلا جديدا
على حسن نوايا الشعب المصرى ؟

— ليعتقد المسيحيون والاسرائيليون انهم اصدقاء المسلمين
ما داموا ضد المحتلين او انهم لا لنا ولا علينا . وان المصرى
الذى يعتدى على حقوقهم او على شخص احدهم يلام من
كثير من المصريين الذين يعتبرونه اتى فعلا تنكره مصلحة
الوطن العزيز ومبادئ الدين الشريف

وانه ليحلولى حقا ان اشكر فى هذا المقام السادة
الاسرائيليين والمسيحيين الذين اظهروا المصرى فى الايام الاخيرة
الحبة والانعطاف ولم يقبلوا عنا تهمة التعصب المزعوم
واذا كان الذين يتهمون المصريين بالتعصب الدينى يتهمونهم
هذه الهمة لانهم اكتتبوا للجيش العثمانى فقد اخطاوا خطأ
بيناً ولم يدركوا اهمية هذا الاكتتاب وفائدته

اما من الوجهة الدينية فليس لعاقل ان يلوم مصر
الاسلامية على مساءلتها للخلافة الاسلامية فحكومات

الاوروبيين فاننا كذلك نسأل عقلاء الاوروبيين أن يكونوا دائماً وفاقين بين قومهم وبين أممتنا وأن لا يتهموا أمة — اول صفاتها الاعتدال — بالتعصب الديني

ولو فرض انك قلت كل يوم لرجل اشهر بالعلم ومكارم الاخلاق « أنت شرير . أنت شرير » انقلب عليك هذا الرجل بعد قليل بالسوء والشر مهما كان حلمه وكرم خلقه . كذلك حال الامة . فان مصر مع اعتدالها العظيم وتسامحها الكبير تسمع كل يوم من بعض النزلاء الاوروبيين الذين تكلمهم وتحسن اليهم انها متعصبة في الدين وانها متوحشة تريد الفتك بهم . فاذا دامت هذه التهمة قائمة انقلبت مصر يوماً من الايام ولا محالة الى متعصبة فتاكة . على أن الذي يتهم مصر بالتعصب الديني هو المتعصب ولا شك في دينه ضدها :

وكم من مرة أعلن المصريون انهم لا يريدون لاحد من الاوروبيين سواً وأن من مبادئهم الوطنية حسن معاملته الاوروبيين والمحافظة على ودهم أشد المحافظة . فعلى كتاب النزلاء الاوروبيين وعقلائهم أن يوفقوا بينهم وبيننا . وهاهم

ولكن أترك الافاضة فيه لغيري من أبناء الوطن الصادقين
- ايها السادة . ظهرت مصر في الايام الاخيرة بمظهر
من الوطنية الحقة بديع جليل . قامت الامة المصرية باسرها
الا نفرا قليلا بعمل اكتب عام للجيش العثمانية فطعن
الاعداء عليها وانتقد المتقدون وقالوا ان هذا الاكتاب دليل
على ان الشعب المصرى متعصب تعصبا دينيا وادعوا ان
مصالح مصر لا توافق مصالح الدولة العلية في شيء على ان
الاكتاب للدولة العلية هو اكبر مظاهره وطنية قامت بها
الامة المصرية حتى الآن

أما التعصب المزعوم فارانى لست في حاجة للرد على
متهمى الامة المصرية بتهمته . ولكن مالا بد من المجاهرة به
هو ان مصلحة الوطن المصرى مخالفة لكل ثورة ولكل
هيجان وانها قاضية علينا بمعاملة الاوروبيين بالمعروف والحسنى
فليس للمصريين في مصر غير عدو واحد هو الاحتلال وهو
عدو الاوروبيين جميعا . فمصلحتهم متحدة مع مصلحتنا ضده
واذا كنا ننصح ابناء الوطن العزيز بحسن معاملة

ولا يرون الشرف الا في الوظائف فمتى يسمعون أنين الوطن
وشكايته من هذا الداء العضال. داء السعي وراء الوظائف
تركوا الابناء معشر الآباء في الحياة الحرة. تركوهم
يخدموا الوطن ويخدموا أنفسهم في غير دائرة الوظائف.
تركوهم أحراراً غير مقيدين بقيود الرواتب. ابعثوا بهم الي
الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ويؤسسوا في البلاد المعامل
والمصانع تزدادوا بذلك شرفاً وغزوا وتزدادوا أمام الله وأمام
الوطن مثوبة وأجراً

والا فان أهملت تربية الامة وبقي الكبراء منعكفين
في ادارة شؤونهم الخاصة واستمر الآباء يلقون بالابناء الى
مهاوى التوظف في الوظائف وبقيت التجارة والصناعة في
كساد ودامت الامة في حاجة الى استجلاب لوازمها
الضرورية من غير بلادها. دام الانحطاط ودام التأخر ودام
الخطر

وان ما يردده الواقف أمامكم ترده مصر وهي في قيود
العذاب ولو كان المجال واسعاً لأطلت المقال في هذا المقام

لتأسيس مدارس أهلية والبلاد في أشد حاجة إليها؟ يا أيها الكبراء ويا أيها العظماء . ويا أيها الاغنياء ما الفخار بالرتب والالقب ولا بسكنى القصور العالية والتحدث بما كان وما ربما سيكون . بل الفخار كل الفخار في العمل آناء الليل وأطراف النهار لخدمة البلاد واعلاء شأنها. فما الحياة بأيام تمر وسنين تكرر بل بالعمل وبالخدمة الوطنية

وما الحياة بأنفاس نرددها ان الحياة حياة الفكر والعمل
وإذا كان رجل ضعيف الصوت مثلي يسأل السادة
الامراء والسادة الاغنياء العمل في الشيخوخة والقيام في آخر
العمر بتتويج خدمتهم الوطنية فذلك لاني أعتقد أن الكثير
منهم قضى حياة شريفة وخدم البلاد بصدق واخلاص. فهي
هي البلاد بنفسها تسأل خيرة رجالها على لسان أضعف أبناءها
أن يبقوا مثلاً طيباً للشبيبة والناشئين وأن ينشروا في الأمة
نور الترية ونور الحقيقة وأن ينشوا فيها روح الوطنية وروح
الرجاء

نرى الكثيرين من الاغنياء يهتمون بأمر توظيف أبنائهم

الظهور امام قوة الاحتلال بمظهر المجاهدين ضده ولا يستطيعون
أن يقوموا امام الامم مدافعين عن بلادهم منا ضلین عن
حقوق شعبهم فعليهم في مصر نفسها واجبات وطنية يضيق
المقام عن عدھا . ولكنی اقف قليلا واذكر منها بنوع خاص
واجب تربية الامة وتعليمها

نعم ان هذا الواجب اكبر واجب وطني والبلاد مطالبة
بالقيام به فقد أصبحت المدارس على خلاف رغائب الشعب
وآماله وأصبحت الامة في حاجة الى مدارس أهلية ترشدها
الى مصلحة البلاد الحقيقية وتعلمها ما للامة من الحقوق وما عليها
نحو الوطن من الواجبات

لم لا يقوم كبراء مصر ووزراءؤها السالفون بأمر
تأسيس المدارس الاهلية وتربية الامة؟ لم لا يعقدون الشركات
لهذه الغاية ويخصصون أيامهم الاخيرة لهذا العمل الشريف؟
رأينا عظيمًا منهم قام بمسئلة الاعانة العسكرية واجهد نفسه في
هذا الامر وله من الامة والوطن جزيل الشكر والثناء فلم
لانراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسئلة اعانة عمومية

ضد المحتلين بل معهم أمم كثيرة من أمم أوروبا لها في مصر
مصالح توافق مصالحهم ولا توافق مصالح المحتلين . وخير
ما يعمل لمصلحة مصر هو ان تنضم الامم الاوروبية الى الامة
المصرية ضد الاحتلال الانكليزي ففي ذلك الخلاص وفي
ذلك السلام

ولسنا أيها السادة بانصار دولة دون دولة بل نحن انصار
الوطن المصري ووطن الآباء والاجداد وموطن الابناء
والاعتقاب فان ظهرت دولة من الدول بمظهر المحبة لمصر والميل
لمساعدتها كنا اكبر اصدقاءها وأعظم انصارها . فمصلحة وطننا
قبل كل مصلحة . وهي هي المصلحة الوطنية التي تفرض علينا
أن نشكر من صميم قلوبنا الذين رفضوا من سياسيي أوروبا
العمل مع الانكليز ضد مصر والذين وقفوا الانكليز عند
حد الاحتلال في البلاد . وهي هي المصلحة الوطنية التي
تفرض علينا ان نشكر كل رجل من أي أمة كانت يدافع عن
حقوق وطننا ويساعدنا على استرداد حريتنا وحقوقنا الشرعية
واذا كان بعض الرجال المخلصين للوطن العزيز يخافون

فيا ايها المصريون المخلصون لمصر انشروا الحقيقة في
أمتكم وفي الامم الاخرى . قولوا للمصرى انه انسان من بني
الانسان له حقوق الانسان تروه رجلا كرجال الامم الحرة
يحمل لواء الوطن بكل قوة واقدام . قولوا للفلاح المصرى
أنه خلق انسانا ككل انسان وأن الله أعطاه في الحياة حقوق
أكبر الافراد وأن له صوتا لو رفعه سمع في الملائة الاعلى وأنه
ما خلق لان يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه تروه عندئذ
أشد الناس دفاعا عن حقوق الامة والوطن . قولوا للامة
المصرية انها أمة كسائر الامم من اقدس حقوقها ان تحكم نفسها
بنفسها وأن لا تنفذ رغائب غيرها وأن تكون في بلادها عليا
الكلمة قوية السلطة لا يرد لها رأى ولا يخالف لها أمر: هنالك
تجدون الامة حية والشعب قويا ولا ترون أولئك الذين
يهزؤون برغبة الشعب ورغبة نوابه ويسخرون من رغائب الامة
ومن مطالبها

أنشروا الحقيقة عن مسألة مصر في كل بلد وفي كل ناد
فليس المصريون وحدهم هم اصحاب الحقوق في مسألة مصر

أن يقوموا في الأمة بوظيفة تثبيط همم الآملين. والآملون في البلاد كثيرون بل الأمة كلها مؤمنة خيرا في المستقبل. وان لم تظهر الى الآن أعمال الآملين فستظهر بعد قليل وسترى الاممة المصرية وأمم العالم أجمع ان للوطن المصرى أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرها ويعرفون لمصر حقوقها ولا يخافون الاحتلال وقوته بل يجاهدون في سبيل خلاص البلاد منه أشد الجهاد وأحسنه

ولا غرو فان سبيل خدمة الوطن عديدة وأن أهمها اعلان الحقيقة في كل بلد وفي كل زمان. فالحرية بنت الحقيقة وما انتشرت الحقيقة في أمة الا وارتفعت كلمتها وعلا شأنها فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم والظلمة وانتشرت الحرية والعدل فكما ان الافراد لا تسلب حقوقهم ولا يعتدى الاصوص على أمتعتهم الا في ظلام الليل الخالك — فكذلك شأن الامم لا تسلب حقوقها ولا يعتدى العدو على املاكها الا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها وكانت هي عائشة في الجهل والظلام

بسلامتها معتقدين حسن مستقبلها

كيف نياس من المستقبل وقد أرانا التاريخ أمما حكما
الاجانب قرونا طويلة ثم قامت بعد الذل والاسترقاق مطالبة
بحقوقها وأخرجت الاعداء من ديارها واستردت حقوقها
وحريتها .

هي النفوس الصغيرة التي يخلق عندها الامل بكلمة أو
بتلغراف ثم يستولي عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف . اما
النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الامل ما دام الدم في
العروق وما دامت الحياة

وأي حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أجمع
المرء في جسم واحد الموت والحياة . اذ اليأس موت حقيقي
وأي موت .

كيف نياس ونحن جميعا عالمون بأن ما يظهر طويلا في
حياة الافراد هو قصير في حياة الشعوب فعشر من السنوات
في حياة الانسان طويلا حقا ولكنها في حياة الامة قصيرة جدا
على أنه اذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم فعار عليهم

يتظاهرون به في كل وقت وفي كل مكان . فهم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعا وليكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومي نافع للبلاد أجابوك « نحن يأسون من مستقبل الوطن معتقدون بظلمة الايام الآتية » فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل ان يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من الاطباء لا ييأس أبداً من شفاء المريض حتى في آخر لحظة من حياته . فكيف ييأس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ! وهم ان كانوا قد خبروا داء مصر فيعلم الله ويعلم الناس انهم الى اليوم ما قدموا لها الدواء !

كيف ييأس من المستقبل والمستقبل بيد الله وحده وكثيرا ما تأتي الحوادث في السياسة بخلاف المنتظر وبغير حساب ؟ ألم يكن الكثير من المصريين ومن غير المصريين في يأس من مستقبل الدولة العلية ويعتقدون أنها على مقربة من الموت . فهاهي اليوم قد ساعدتها الحوادث التي ساقها الاعداء مؤامير البطش بها فظهرت بمظهر القوة والحياة وأصبحت جميعا فرحين

هو لاء الدخلاء وأن يحققوا امام العالم كله ان الامة المصرية
على قلب واحد وانها متحدة ضد اعدائها . فمصلحة الوطن
قاضية بذلك

— أيها السادة . أعداء الوطن عديدون ومصائب الوطن
عديدة : وبديهي ان ازدياد الاعداء يزيد من واجبات
الوطنيين المخلصين لبلادهم . فلا تظهر الوطنية الحقة الا في
أوقات الخطر . ولا تعرف المهمة العالية الا عند المصائب .
وغنى عن البيان ان الامة المصرية بأسرها كارهة للأحتلال
راغبة في الجلاء والحرية وقد أظهرت هذه الرغبة في ظروف
عديدة وجاهرت حيناً بعد حين . الا أنها كسائر الامم في
حاجة لان يرشدها أبناءها المتعلمون ورجالها الخيرون .
ويسرنى كما يسر كل مصرى صادق ان النابتة المصرية عارفة
بواجباتها نحو الوطن العزيز فيهم أبناء الوطن وهم رجال
المستقبل وبهم تحيا البلاد وبهم تقوم

— ولكن هنالك فئة من المصريين لا أنكر اخلاص
رجالها للوطن العزيز ولكن أنكر عليهم اليأس الذى

لها فاجابه ان الرسول ارسل لينشر الدين والنور في العالمين
لا لان يجمع الجزية من الناس . وهنالك الف دليل تاريخي
على ان القسم الاكبر من مسلمي مصر مصريون من نسل
الفراعنة الاولين . فهل يغير اعتناق الدين الاسلامي الدم
المصري والجنسية المصرية ؟ كلا . ثم كلا . ان الذي يقوم بقضية
كهذه هو في الحقيقة قائم بدعوة المسيحيين ضد المسلمين
وعلى فرض ان مسلمي مصر ليسوا من سلالة المصريين
القدماء فهل استيطانهم مصر وتاسلمهم فيها منذ عشرة قرون
مضت لا يعطيهم حق الجنسية المصرية والوطنية بها ؟ وهل
يعتبر الامريكان الذين ليسوا من سلالة اهل امريكا الاقربين
غير امريكيين ؟

على انه مهما دبر الدخلاء من الدسائس فان المصريين
عامة ارشد من ان ينخدعوا بها وعقلاء الاقباط خاصة اصدق
وطنية واشرف احساسا من ان يكونوا آلات في ايدي
هؤلاء الاعداء الممقوتين :

واني أسأل الاقباط الصادقين قبل المسلمين أن يقاوموا

او المتوحشة ترضى ان يعيش في بلادها غرباء وظيفتهم الطعن
عليها والمجاهرة بالعداوة لها والعمل ضدها سرا وجهرآ ؟
قاتل الله الدخلاء لهم في كل يوم بل وفي كل لحظة دسيسة
جديدة . فهم اليوم يغرون بافراد من الاقباط يريدون بهم
احداث عداوة وشحناء بين المسلمين والاقباط اى بين اخوة
تجمعهم جامعة الوطن العزيز . فهم يوحون اليهم ان المسلمين في
مصر غرباء وان البلاد للاقباط وحدهم وانهم وحدهم سلالة
النسل المصرى القديم واصحاب البلاد الحقيقيون وانهم أحق
من كل انسان بالمناصب والوظائف السامية . وهي دسيسة لا تقوم
لها قائمة ووشاية يرفضها التاريخ قبل بنى الانسان فمسلمو مصر
مصريون لا محالة والقسم الاكبر منهم من سلالة المصريين
القدماء . والا فهل تلاشت الامة المصرية القديمة حتى لم
يبق منها الا نصف مليون ؟ ليسألوا التاريخ هلى مسلمو مصر
غرباء عنها او من ابناء البلاد الحقيقيين ؟ يجيبهم باحسن بيان
ان بعض عمال مصر طلب مرة من الخليفة ان يوقف دخول
المصريين فى الاسلام لان الجزية قلت وبيت المال فى حاجة

لهم . أو ليسوا هم الذين اشاعوا وملؤا الارض اشاعة ان
المصريين قوم متوحشون متعصبون في الدين يريدون الفتك
بكل النزلاء الاوروبيين ؟ أو ليسوا هم الذين اشاعوا هذه
الاشاعة الساقطة البعيدة عن الحقيقة بل المناقضة لها كل
المناقضة ؟

اي تعصب ديني في مصر ؟ لا ريب ان كل الذين جاابوا
انحاء العالم يعترفون معي أن المصريين هم اعظم اعتدالا من
كثيرين من الامم المتمدينة . الم يقيم اليونانيون هنا باعظم
مظاهرة ضد الدولة العلية وهم عائشون بيننا في ارض عثمانية
اسلامية ؟

هل اعتدى عليهم احد من المصريين ؟ هل نادى الامة
ضد هم و اوقفت مظاهرتهم ؟ كلا . ثم كلا . ما اعتدى احدا عليهم
بل تركوا وشأنهم و اعجب الكثير منا بوطنيتهم وان كنا جميعا
ضد اعمالهم و رغائبنا مخالفة لرغائبهم !!

أو لو كان في مصر تعصب ديني كان اولئك الدخلاء
يستطيعون المقام في هذه البلاد ؟ اروني امة من الامم المتمدينة

انواع السباب ؟

ما لهم يتميزون من الغيظ وهم اذاروا الانكليز سجدوا لهم ولبشوا خشعا ركعا ينشدون ثناءهم ويرتلون آيات وطنيتهم واذا قام في الوجود مصرى يحب بلاده محبة الانكليز لبلادهم طعنوا عليه الطعن القبيح ووسموه بصفات العته والجنون ؟

ما لهم يسخطون على البلاد واهلها اذا حقرتهم البلاد ومقتتهم وهم الذين ملوا الصحف تنديدا بالدولة العثمانية ونشروا المالحقات في ايام الاعياد معلنين قرب سقر الخليفة عن عرش الخلافة منذرين بقرب انحلال الدولة وتقسيم املاكها مدعين مع ذلك انهم يخدمون العثمانية والعثمانيين. وراهم اليوم وقد انتصرت الدولة خيرا انتصارا وظهرت بمظهر القوة والحياة يتوحدون ويندوبون ؟

ابعد هذا يستغربون اذا سميناهم بالدخلاء وسألنا الامة انها تهم واحتقارهم ؟

ما ظهرت في العالم المصرى دسياسة الا وكانوا المدبرين لها ما قام مجرم بالطعن على خدمة البلاد الصادقين الا وكان صنيعه

تكلمت في العام الماضي عن الدخلاء فهاجوا وماجوا
وادعوا اني قصدت بالدخلاء كل السوريين وقاموا ببث الفتن
والدسائس بغية احداث خلاف كبير وانشقاق عظيم فيها انا
اليوم اتكلم عنهم باعلى صوتي واقول ان لمصر في السوريين
اصدقاء كثيرين وان الدخلاء هم الفئة المعروفة التي انكرت
وطنها وجاءت مصر في طلب الرزق فاكرمها المصريون
واحسنوا اليها فقابلت الاحسان بالاساءة والبر بالسوء واعلنت
عداءها للوطن واهله وقامت في وجه كل مصرى يطالب
بحقوق بلاد ويدود عن عرض قومه ووطنه

وهل جماعة الدخلاء في حاجة للتعريف؟ اليسوا القامئين
امام الامة بالمطاعن عليها وعلى كل رجل صادق من ابنائها
وعلى اميرها الشرعى وخديويها المحبوب؟ اليسوا هم المقبحين
للوطنية المشرفين للخيانة العاملين على خراب مصر وضياعها
مالهم اذا ذكرنا لفظ الدخلاء نادوا بالويل والشبور وهم
كل يوم ينصحون بتسليم البلاد لاعدائها ويوجهون لمقام
الخديوية المصرية ولمقام السلطنة العثمانية ادنى الشتائم واقبح

العقاب اقسى العقاب ولو من انفسهم متى حاسبوا ضمائرهم
نعم. سيعاقب الخائنون على خيانتهم فكلم رأينا في التاريخ
رجالا خانوا اوطانهم وساعدوا الاعداء على امتلاك بلادهم
فغوبوا على خيانتهم لا من ابناء وطنهم فقط بل ومن نفس
الاعداء الذين خدموهم وساعدوهم. هذه سنة الله في خلقه
يقتل القاتل عقابا على عمله فكيف بمن يعتدى على خيانة امة
باسرها ويعتدى عليها بالاسلح الذي سلمته اياه ليدافع به عنها
نعم سيعاقب الخائنون وسيحمل ابناؤهم من بعدهم علم
الخيانة على رؤسهم وسيبقون في التاريخ مثالا كبيرا للابناء
والاعقاب

وان ذكرتم الاعداء فاذكروا المنافقين. فهم خونة تفننوا
في اساليب الخيانة يظهرون امامكم بمظهر المخلصين وهم يدبرون
مع الاعداء المكائد والذرائع. فهم ذوو وجهين وذو لسانين
خاذروا واعلنوا امرهم ليخيب مسعاهم وتحبط اعمالهم
وان ذكرتم الاعداء فاذكروا الدخلاء وكلهم تعرفون
من هم الدخلاء

وان لمصر غير المحتلين اعداء آخرين هم آلات الاحتلال
آلات الفساد فان ذكرتهم الاعداء فاذا كروا الخونة فيهم
ألد الاعداء وأى الاعداء هم ?? أولئك الذين أنكروا الوطن
والوطنية وائتمنوا على مصالح الامة فعرضوا بها للدمار .
أولئك الذين ابرتهم مصر فقابلوا برها بالسوء وصاروا اليوم
في أيدي المحتلين ضد الوطن العزيز آلات الدمار . آلات
الخراب . أولئك الذين كلما صعدوا درجا من درجات المناصب
نزلت نفوسهم دركا وفقدوا نصيبا من الشرف وسموا الاحساس .
أولئك الذين يبيعون الوطن على مشهد من الامم ويسيرون
بين الناس حاملين لواء الخيانة والعار . أولئك الذين اذا مد
اليهم الوطن يد الاستغاثة مدوا اليه سيوفا ليقطعوا بها يده
الشريفة .

هو لاء هم الخونة وهم اشد الاعداء ضررا . ويعلم الله ان
الدم الذى يجرى فى عروقهم هو دم فاسد ليس بالدم المصرى
الصادق وانهم مهما ذاقوا من لذة الحياة الظاهرية فسينالهم

اعلان ثورة دموية ضد محتل البلاد . كلاتم كلا . ان أقل
الناس ادرا كالمصلحة مصر يعلم علم اليقين أنها منافية لكل
ثورة وكل هيجان وانما أسألهم أن تعملوا بكل الوسائل السلمية
على استرداد الحقوق المسلوبة منهم وأن تعملوا لان تحكيم البلاد
بأبناء البلاد

نعم انى أعلم أن الاحتلال قوى السلطة عظيم الرهبة
شديد العقاب وان العمل ضده موجب للعذاب مسبب الفقر
والفاقة ولكن في الرضى بالاحتلال الخيانة والعار . وفي العمل
ضد الاحتلال الشرف والفخار !

فياذوى النفوس الآيبة وياذوى الضمائر الحية . اطلبوا
الشرف ولو مع الفقر . اخدموا الوطن ولو اسقطت على
رؤسكم الصواعق . كونوا مع مصر ان سعيدة فسعداء وان
تعيسة فتعساء . قولوا العدو ها في وجهه أنت عدو لنا ولصديقها
أنت صديق لنا . لا تحبوا من يرميها بنبال الموت بل امنعوه
عنها ان قدرتم ثم رذوها في صدر راميتها ان استطعتم . وان
لم تستطيعوا فكونوا معها لا مع المعتدين

لاعمل ولا حراك

- القوا أيها السادة بانظاركم قليلا الى الامم الحرة تجدوا
كل فرد فيها يدافع عن وطنه ويذود عن حوض بلاده أكثر
من دفاعه عن أبيه وأمه بل هو يرضاهما ضحية للوطن ويرضى
نفسه قبلهما قربانا يقدمها لاعلاء شأن بلاده ويعمد الموت
لاجل الوطن حياة دونها الحياة البشرية ووجودا دونه كل
وجود! فلم لا يكون المصرى على هذا الطراز ووطنه اجمل
الاطوان واحقها بمثل هذه المحبة الشريفة الطاهرة

اسألوا التاريخ ايها السادة ما واجب أمة دخل الانكايز
ديارها خدعة وعملوا ويعملون لامتلاكها وسلبها كل سلطة
وكل قوة يجبكم التاريخ ان واجب امة هذا شأنها ان تعمل
بكل مافي استطاعتها ضد مغتصبها وان تبذل في سبيل خلاص
وطنها كل ماتملك من مال ورجال

أجل. كل احتلال اجنبي هو عار على الوطن وبنيه
والعار واجب أن يزول

ولست أقصد بهذا الكلام أن أسألكم باسم الوطن

أجل أيها السادة . انكم باجتماعكم اليوم هذا الاجتماع
الوطني ترفعون كثيراً من مقام الوطنية المصرية وتحققون من
آلام مصر العزيرة التي قاست وتقاسى أشد العذاب على مشهد
منكم يا أعز بذيها ويانحة انجابهها . فكل اجتماع وطني تذكر
فيه مصر ويطالب بحقوقها ويعلم ابناؤها اخلاصهم لها هو في
الحقيقة مرهم لجراحها ودواء لدائها . فاذكروها ما استطعتم
فان في ذكرها ذكرى آلامها وذكورى الآلام يجر حتماً الى
ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه
الشفيقة وهي على سرير المرض والغناء . اذكروها بالآلام
وان كان غيركم يذكر بلاده بمجدها ورفع شأها . اذكروها
فانكم مادتم مقدرين لمصائبها عارفين بحقيقة آلامها دام الامل
وطيداً في سلامتها ودام الرجاء . اذكروها فن المستحيل أن
يرى العاقل النار في داره والداء في شخص أمه ويهمل النار
ويهمل الداء . ومن المستحيل كذلك أن يكون الوطن على
خطر ونحن نيام وان يعمل الوطني الاجنبي لامتلاك بلادنا
وسلب حياتنا بل لاستعبادنا واسترقاقنا ونحن سامدون

كان المكان مزدحما إما ازدحام وهذا نص الخطبة :

— ✧ مصر والدولة العلية ✧ —

✧ خطبة بالاسكندرية ✧

في ٣ يونيه سنة ١٨٩٧



« سادتي وابتاء وطني الاعزاء »

أني بفؤاد ملؤه الفرح والسرور أقف الليلة أمامكم
متكلما عن شؤون الوطن المحبوب ومصالحه . وأنى لا قابل
انعظافكم نحو اضعف خدمة البلاد بمزيد الحمد والشكر ان
واستميحكم العفو اذا قصرت اداء هذا الواجب فاني انما أسر بهذا
الانعظاف وبهذه المظاهرات لا لانها موجهة لشخصي الضعيف
بل لانها اكبر دليل عانى على حياة الشعب المصرى وأقوي
حجة تكذب دعوى القائلين بأن مصر وطن لا وجود للوطنية
فيه وأن أبناء وادى النيل يقدمون بأنفسهم الى الداعدهم
وطنهم واقدس ميراث لا بأهم وأجدادهم

المصرى و ضد القواعد الاساسية للدين الاسلامى
هذا وانى أرجو منكم يا جناب المدير ان تتفضلوا بقبول
غائقى اعتباري . مصطفى كامل «

*
**

لما وجد المترجم أن الصحف الافرنكية الخارجية
والداخلية اكثرت من الصخب فى مسألة الاعانة المصرية
وان الانكليز بدسائسهم المشهورة يوعزون الى كل من وصل
اليهم سلطانهم أو بريق ذهبهم بالتشويش على الاعانة وتسمية
المصريين تارة بالمتعصبين وأخرى بالكارهين للاوروبيين .
رأى رحمه الله ان يلقي خطبة بمدينة الاسكندرية موضوعها
« مصر والدولة العلية » فسافر الى الثغر الاسكندرى فى يوم
الخميس ٣ يونيه سنة ١٨٩٧ لهذا الغرض .

وما نشر نبأ القاء هذه الخطبة فى يوم الثلاثاء ٨ يونيه
حتى قصد الثغر وجهاء وكبراء الاقاليم وقد ضاقت بهم
الفنادق على كثرتها

وما جاء منتصف الساعة التاسعة مساء يوم الثلاثاء حتى

لتبرهن بهذا العمل على انها غير متحيزة لدين دون آخر ؟
اماسؤالكم الاخير فيكفيني ان اجيب عليه بهذا الجواب :
ان المصريين ينتصرون للتقدم والمدنية ولسكنهم لا يرون
في كل الاضطرابات التي جرت في الشرق شيئا آخر غير الدسائس
الانكليزية. فان تركيا لو كانت تريد ذبح المسيحيين في بلادها
لكانت اتت هذا العمل من زمان طويل يوم كانت تخافها دول
اوروبا بأسرها

ولقد صرحت جريدة التيمس نفسها لما رأت فشل
الدسائس الانكليزية في المسئلة الارمنية - في عددها الصادر
بتاريخ ٩ أبريل الماضي أن « المسؤلية العظمي في مصائب ارمنيا
واقعة على رؤس الثوريين من الارمن »

واللورد سالسبولري يستعمل الطريقة بعينها في المسئلة
التركية اليونانية « حيث القى مسؤلية مصائب اليونان على
المائة نائب الانكليزي الذين عضدوا الملك جورج »
وفي الختام أقول أن المصري الذي ينصح أبناء وطنه
بعمادة النزلاء الاوروبيين يعمل ضد اسمى مصلحة لوطن

افراد المصريين ضد النزلاء الاوروبيين فاصرح لكم بكل
صدق واخلاص ان هذه الكراهة لا وجود لها البتة. فان
اقل المصريين ادرا كما يعلم ان الانكاييز في مصر اعداء لمصلحة
كل الاجانب وان مصلحة المصريين ومصلحة الاوروبيين
مشتركة ضد مصلحة الانكاييز وما على الاوروبيين الا أن يميزوا
مصالحهم من مصالح الانكاييز ويظهروا ان ليس لهم مصلحة
مشتركة مع المحتلين ليعيشوا دائماً في سلام مع المصريين

ومع ذلك فأنني اضيف على ما تقدم انه لو طال امد
الاحتلال لتولدت عند امتنا كراهة الاوروبيين فان الناس
اجمعين يعلمون ان اوروبا تستطيع لو ارادت اخراج الانكاييز
من مصر فاطالة امد الاحتلال مع قدرة اوروبا على الجلاء
تحمل الناس على الاعتقاد بأن اوروبا كلها راضية عن الاحتلال
مؤازرة للدولة البريطانية على شواطئ نهر النيل. وبالجملة
يحمل الناس على الاعتقاد عندئذ بأن اوروبا كلها عدوة للاسلام
وان مسلمي مصر يرون كل يوم تداخل اوروبا لصالح
المسيحيين فمتى يرون تداخل اوروبا نفسها لمصالح بلادها!

اجيبكم الان بكل امننان على اسئلتكم

واسمحوا لى قبل كل شىء ان اظهر لىكم مقدار سرورى
باعترافىكم بما عند الطبقات المفكرة من الامة المصرية من
مبادئ الاعتدال والحرية

انكم تسألونى عما اذا كان افراد الامة المصرية قد
اكتتبوا لسلطان مصر أم لا مير المؤمنين . فاجيبكم انهم
اكتتبوا فى آن واحد لسلطان مصر ولا مير المؤمنين . اذ لا
يستطيع اى انسان كان ان يلوم مصر الاسلامية على ميلها
لا بناء دينها وانعاطفها نحوهم . او لم تتظاهر اوروبا المتمدنة نفسها
فى ظروف عديدة بالميل للمسيحيين ؟ اما جعلت من مبادئ
سياستها الاساسية مساعدة كل المسيحيين فى انشراق بكل
الوسائل ؟

على ان انعطف مسلمى مصر نحو ابناء دينهم لا يدل
على كراهتهم للمسيحيين اذ لو كان الامر كذلك لا لتصقت
باوروبا نفسها تهمة التعصب المسيحى وبغض المحمديين
اما من جهة الكراهة التى تظنون وجودها فى نفوس

ما نشرت هذه المقالة حتى علقتم عليها جرائد العالم وفي
جملتها جرائد مصر . وقد سألت جريدة الريفورم الفرنسية
التي تطبع في الاسكندرية بعد ان نشرت نص هذه المقالة
الاسئلة الآتية :

« الم يقصد افراد الامة المصرية باكتسابهم للجيش العثماني
التظاهر بكرامة النزلاء الاوروبيين عموما . وهل كان اكتسابهم
لسلطان مصر ام لا مير المؤمنين ؟

هل الوطنيون المصريون يوافقون على مذابح ارمينيا ؟
فارسل المترجم جوابا على اسئلة هذه الجريدة وقد نشرته
فكان نشره احسن واشد وقعا عند نخبة الاوروبيين نزلاء
مصر ..

وهذا نص الجواب المذكور :

مصر في ٢٧ مايو سنة ٩٧

« يا حضرة المدير

لقد قرأت بمزيد العناية الملاحظات التي ابدتتموها على
الرسالة التي كتبتمها جريدة (برلينر نويست نخرشتن) . واني

أن بعض سواس أوروبا يكونون ضد الدولة العلية في بعض مسائل سياسية أو غير سياسية ولكنهم جميعا معها ويجب أن يكونوا كذلك في مسألة مصر . خصوصا وأن مصر لم تتألم قط من سيادة الدولة العلية عليها اذ لها عائلة مالكة خاصة بها واستقلالها الداخلي تام وخاص بها . ومع ذلك فسواس أوروبا لا يجهلون مطلقا انه يصير من الصعب جدا حل المسئلة المصرية اذا اتفقت تركيا مع الانكليز على احتلالهم لوادي النيل .

*
* *

يتضح للقاريء من هذه الكلمات ان مقاصد المصريين كافة سلمية معتدلة وان نيات الانكليز بعكس ذلك . فهم الذين يوافقهم ان يعملوا لاحداث اضطراب وقلقل ولكن صار من اللازم اعلان هذه النيات للملأ كله باستمرار وبلا توان . اذ الموقف عسير والساعة حرجة . ومن العار على اوروبا ان تترك الانكليز ينهزون فرصة اشتغالها بامر خطير ويهزمونها في مصر هزيمة تكون ولا شك فريدة في بابها

(عباس حلمي) سياسة المرحوم والده وعمل بكل همّة وإقدام على توثيق العلاقات بينه وبين جلالة السلطان الاعظم واذا بان التاريخ أن الدولة العلية خدعت عام ١٨٨٢ بالانكايز وعملت من حيث لا تشاء على احتلال الانكايز لمصر فمن الضروريات ان تكون الدولة العلية نفسها الآن أول دولة عاملة لجلاء الانكايز عن مصر. وليس من شيء يقف تقدم الانكايز في مصر ويعطل عليهم سياستهم مثل تقوية السلطة الشرعية للمعاهدات الدولية المختصة بمصر. ويعلم الناس أجمع أن كل هذه المعاهدات جرت بين الدولة العلية وبين دول أوروبا. فما دامت مصر معتبرة قطعة من الدولة العلية فليس للاحتلال الانكايزي أدنى قوة شرعية بل وليس له أدنى صفة شرعية في وجوده.

يظهر اذاً جلياً من ذلك أن المصريين هم أول المهتمين وأول من يجب عليهم أن يهتموا بالحفاظة على سلامة الدولة العلية. فالذين ينتقدون اكتابنا للجيش العثماني يجهلون تماماً حقيقة مركزنا وحقيقة واجباتنا وحقيقة احساساتنا ومن الجائز

الاحتلال المغتال لوطننا . فليس لنا غرماء سواء من اليونانيين
أو النزلاء الأوربيين .

وأى مصالحة تدفعنا ضد المسيحيين ??

ليس لنا مصالحة فى معادتهم اما من يدعى ان الاكتاب
للاعانة العسكرية هو نتيجة كراهتنا للمسيحيين فخطأ
كبير اخصوصا وان أغلب النزلاء الأوربيين فى مصر ميائون
لتحرير وطننا مجاهرون بهذا الميل الشريف .

*
* *

وأهم معنى سياسى فى الاكتاب لاعانة الجيش العثمانى هو
القيام بمظاهرة من الامة بأسرها ضد الاحتلال الانكازى .
فأن المصريين يعلمون علم اليقين أن كل دسائس انكلاز فى
الشرق ترمى الى امتلاك وادى النيل وان الانكاز لم يستطيعوا
استمالة جلالة السلطان الاعظم اليهم ضد الخديو المعظم وضد
مصر وبلاد العرب واعلان سيظرتهم على الاسلام كله
فقد أعلنت السياسة الانكازية عداءها للدولة العلية
من عام ١٨٩٤ أي من ذلك اليوم الذى خالف فيه الخديو

رجال السياسة في أوروبا ورجال الفكر والاحساس ان
يعلنوها صراحة ويتصوا عليها أشد قضاء . ومن الواجب علينا
معشر المصريين أن نندر أوروبا بما ينويه ضدنا الانكيز فهما
كانت اشتغالات الدول اليوم فحتم عليها أن تلتفت لحوال
وادي النيل .

ولقد أراد كتاب الانكيز وصنائعهم أن يسهلوا على
أصحاب الدسائس عملهم الدنيء فأخذوا يتسلحون بالسلاح القديم
البالي وأغنى به سلاح التعصب الديني ! فأشاعوا ولا يزالون
يشيعون أن المصريين على وشك القيام بثورة دينية ضد
المسيحيين عموما واليونانيين خصوصا . وان القائمين بنشر هذه
الاشاعة يفتشون ولا محالة أوروبا بأقبح وجود الغش وأدناها
فإن المصريين عرفوا عند سائر الامم بأنهم أمة هادئة حرة
معتدلة . واننا لنفتخر بهذه الصفات ونحافظ عليها بكل ما في
استطاعتنا . ومن البديهي أنه ليس لنا اليوم أقل مصاحبة في العمل
ضد ماضيها ولا في القيام بما يفتقدنا ميل أصدقائنا في أوروبا
وعملهم لحل مشكلتنا . على أنه ليس لنا في مصر غير عدو واحد هو

وأنه لمن الواجب على أوروبا ألا تجعل أنظارها محولة فقط للمسئلة التركية اليونانية بل يجب عليها أن تنظر أيضاً نحو انكلترا. هنالك يعرف السياسيون في أوروبا اهمية المسئلة المصرية في الظروف الحالية. اذ ليست مسئلة الترنسفال هي الشاغلة وحدها للسياسة البريطانية بل ان هذه السياسة الماكره تؤمل اليوم أكثر من كل يوم وضع يدها بصفة نهائية على جميع بلاد وادى النيل.

وفي الواقع فان الانكايز - قد عرفوا في كل بلاد العالم بأنهم أمهر من يخلق الاضطرابات - يريدون انتهاز فرصة اشتغال أوروبا بالحرب بين تركيا واليونان لتهييج المسلمين في مصر ضد اليونانيين واليونانيين ضد المسلمين ليحدثوا اضطرابا على شواطئ نهر النيل تكون لهم به الحجة التي ينتظرونها من زمن طويل للاستيلاء على بلادنا. وهم يظنون أن أوروبا لا اشتغالها بمنع حدوث حرب عمومية لا تقدر الآن على مقاومة مشروعاتهم ورد اطماعهم

واذا دلت أعمال الانكايز على هذه الرغبة فمن واجب

الى احتلال انكلترا لمصر . وأبانت ضرورة عقد اتفاق بين فرنسا والمانيا وروسيا لمعارضة الاحتلال الانكليزي في مصر تحقيقا للجملاء السريع وانه لرأي حق وصواب فأن الظروف الحالية أحسن الظروف لوقوف المطامع الانكليزية عند حد محدود . فلقد تساهلت أوروبا كثيرا مع الانكليز وصار من المحتم عليها الآن أن تجبرهم على احترام المعاهدات الدولية واحترام الحقوق الشرعية للأمة المصرية

وان البرنس بسمارك نفسه الذي خبر الانكليز أكثر من كل سياسي في العالم — هو أول من يوافق بل ينصح بجملاء الانكليز من مصر . وقد صرح بهذا الرأي جملة مرات وعلى الخصوص وقت المداولة في معاهدة درومندوولف الشهيرة :

ولم تبق مسألة الترنسفال ريبا عند أحد في المانيا بشأن ما تدعيه الحكومة الانكليزية من احساسات العدل والحق والانسانية التي تقود سياستها . على أن سلوك الانكليز في مصر أشد ظلما منه في الترنسفال

✧ مصر والدولة العلية ✧

لما قامت، مسألة الاعانة العسكرية في مصر أخذ اعداء المصريين خاصة والمسلمين عامة يشيعون في كل انحاء أوروبا أن المصريين متحرشون ضد المسيحيين مستعدون للوثوب ضدهم وثبة المتوحشين .

وقد تجسمت هذه الاشاعات وكبرت حتى قلق الكثيرون من محبي مصر في أوروبا وخافوا من حدوث حركة دينية في مصر تكون عواقبها وخيمة على حال البلاد ومستقبلها ولما رأى المترجم انبثاث هذه الاشاعة ورواجها كتب مقالة طويلة على مسألة مصر وعلاقتها بالدولة العلية ودسائس المحتلين فيها أبان بها حقيقة احساس المصريين وارسلها الى جريدة (برلينر نويست نخرشتن) وهى من اشهر وأهم جرائد العالم وتصدر في برلين مرتين في اليوم وتعتبر لسان حال بسمارك في عاصمة المانيا . وهذا تعريبها :

«لقد لفتت اخيرا جريدة (برلينر نويست نخرشتن) أنظار أوروبا

وبقطع النظر عن كل هذه الاعتبارات السياسية وعن
احساسات امتنا فاننا نعجب حقاً بوطنية اليونان اذ ان كل
مصري يحب لوطنه لا يمكنه مهما كانت آراؤه السياسية
واحساساته الا ان يحترم كل المدافعين عن وطنهم من أية
جنسية كانوا ويعجب بهم

ومما لا شك فيه ان مصلحة المصريين في الظروف
الحالية هي ومصلحة اليونان على طرفي نقيض . ولكن هذه
الاعتبارات كلها لا يجب ان تخلق أشكالاً لازوماً لها
واني أول من يشير على أبناء وطني بمعاملة اليونان الآن -
وهم منهزمون - باللطف والارقة ... اذ خير ما يتمنى لمصر من
حيث روابطها بالاوروبيين هو أن يعيش أبناءها في اتفاق
مع النزلاء الاوروبيين المخلصين لها

واني أرجو منك يا حضرة المدير ان تتفضل بقبول
فاتق احترامي . مصطفى كامل»

أحد — أن تجبر انكلترا على الجلاء من مصر
فلماذا تتداخل أوروبا في المشكلة التركية اليونانية ولا
تتداخل في المسئلة المصرية ؟

لماذا تريد أوروبا أن تحمل جلالة السلطان على احترام
رغبتها ولا تعمل هي على اجبار انكلترا على احترام حقوق
جلالة السلطان في مصر ؟

هذا هو رأيي وهذا هو فكري ولعله لا يرضيك
ولعلك يا جناب المدير لا توافق على آرائنا وافكارنا . ولكنه
يجب عليك أن تحترمها كما اننا نحترم احساساتك وآراءك
فانت ترى الاشياء من حيث المصلحة اليونانية وانا اراها من
حيث المصلحة المصرية . ومن العدل ان يكون كل منا لوطنه .
لا لغير وطنه

وأن اليونان بالرغم عن المحبة التي يتظاهر بها عدد منهم
لمصر لا يمكنهم ان يطلبوا منا أن نرى كما يرون ونفكر كما
كما يفكرون وعلى الخصوص أن نحن لبلاد اليونان اكثر من
حناننا لمصر !!

٥ - نحن واليونان -

الاسكندرية في ١٦ مايو سنة ١٨٩٧

« حضرة مدير الفار دل كسندرى

لقد قرأت بكل استغراب في عدد أمس من جريدة
الفار العبارة المختصة بالتلغراف الذى أرسلته الى باشكاتب
جلالة مولانا السلطان ولاشك أن الذى ترجم اليكم من العربية
هذا التلغراف أخطأ في فهم مرادى

فانى ما فكرت قط في أن الانتقام من محتلى بلادى أي
الانكليزي يكون بأن تسحق الجنود العثمانية اليونانيين في
اراضى تساليا ..

ولكن ما لا اريب فيه هو ان حل المسئلة التركية اليونانية
لا يتعلق فقط بالدولتين المتحاربتين بل أيضا بدول أوروبا
وانى أظن ان في الظروف الحالية لجلالة مولانا السلطان
اعظم فرصة لاقامة المسئلة المصرية فان الدول الأوروبية التي
تريد أن تجبر جلالته على احترام رغبتها وسحب عساكره
الشاهانية من تساليا يجب عليها أيضا - وذلك ما لا ينكره

وان جميع المتعلقين بعرش الخلافة العظمى يؤملون ان جلالة
السلطان يمنح لآئين مصر المساوية الحقوق بسطة الاحتلال
الانكليزي فيشترط على دول أوروبا جلاء الانكليز عن مصر
مقابل جلاء العساكر الشاهانية من بلاد اليونان ليم بذلك
فوز تركيا و خلاص مصر
مصطفى كامل»

ما نشر هذا التلغراف حتى هاج اليونان القاطنون بمصر
فكثرت جريدة الفارد لكسندري التي صاحبها أحد كبار
اليونانيين الوطنيين تعليقا على هذا التلغراف اتهمت فيه
المترجم بكرهه الشديد لليونان بدليل أنه يطالب من جلالة
السلطان بقاء الجنود التركية في أراضي تساليا مادام الانكليز
في مصر

أما المترجم فقد رد على ما كتبه جريدة الفارد لكسندري
بكتاب بعث به لجريدة الريفورم الفرنسية التي تطبع بمدينة
الاسكندرية هذا تعريبه :

كلينا كان يعدد الدقائق لرؤية أخيه و« ما كل ما يتمتى المرء
يدركه »

عاد المرحوم في ١٢ مايو سنة ١٨٩٧ ليراني وأراه فوجدني
قد سافرت الى السودان قبل عودته بأربعة أيام وقد كنت
عينت أركان الحرب بمدينة كروسكو فأرسل الى تلغرافا
يسألني فيه الحصول على أجازة ولو مدة أسبوع. ولا يمكن
الأعمال الحربية حالت دون الترخيص لي بما أريد

وقد أرسل اليّ رحمه الله في تلك الايام الهدايا التي
استحضرها معه لاخواني الضباط والجنود الذين ساعدوني
على قضاء مشاق حادث الجيش

وافقت عودة المرحوم من أوروبا يوم عيد الاضحى
فأرسل في الحال تلغرافا الي عطفة باشكاتب المابين الهمايوني
هذا نصه :

« أرجو منكم ان ترفعوا الى جلاله مولانا أمير المؤمنين
أجل وأصدق تهانبا بعيد الاضحى المبارك وانتصار الجنود
الشاهانية المظفرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عرف القراء أن المترجم كان في شوق الى مرآى بعد حادث
الجيش وقد تكاثرتنا في تحديد يوم عودتى الى مصر اذ علمته
أنه أرجى الى شهر يونيه سنة ١٨٩٧ . وعلى ذلك سافر الى
أوروبا بأمل العودة الى الوطن قبل هذا التاريخ ليمتع نفسه
برؤية ومحادثة أخ ظلم بسبب الوطنية وذاق من العذاب ألوانا
وأصنافا انتقاما من أخيه المطالب بجلاء الاحتلال الغاصب .
ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن وذلك أنه صدر الى
الامر بفترة بالسفر الى مصر للالتحاق بالاورطة الثامنة عشرة
فوصلتها في الثانى من شهر ابريل سنة ١٨٩٧ وأنا أكاد أظير
لرؤية وطن خرجت منه مكبلا مظلوما وعدت اليه وأنا أشد
ما كنت له اخلاصا واشتياقا

وصلت الى العاصمة فعلمت أن المترجم سافر الى أوروبا
فنابنى من الكدر ما ناباه عند ما علم بقدمى ولم تقابل . لان

مصطفى كمال باشا

في ٣٤ ربيعاً

سيرة وأعماله من خطب

وأحاديث ومراسيل

شياً شياً

وعمرانية

« أحرار في بهارنا »

كرماء لضيوفنا »

مبدأ الفقيد

الجزء السادس

﴿ الطبعة الأولى ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

« للمؤلف على فهمي كامل »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشوارع الدواوين تمرة ٢٩ بعصر)



— ✦ مصطفي كامل باشا ✦ —

(في الثالثة والعشرين من عمره)





- ٢٢١ وصول المترجم الى بودابست واحتفال الصحافة
المجرية به
- ٢٢٤ وصول المترجم الى برلين واحتفال الصحافة الالمانية
- ٢٢٥ حديث بين المترجم والبرلينر تاجبلات
- ٢٢٩ السفر الى باريس والرد على جريدة الليبرتيه
- ٢٣٣ المصريون في باريس يعينون الدولة وكتاب من المرحوم
- ٢٣٤ تلغراف لجلالة السلطان وآخر لجلالة امبراطور الالمان



موضوع	صحيفه
اهداء جلاله السلطان علبه مرصعة للمرحوم	١٥٦
حديث جريدة فنكفور تركوريه	١٥٩
» » نيويورك هيرالد	١٦٤
كتاب للمرحوم من المسيو زينفر النائب النمسي	١٧٢
» » » » فورشلا » الايطالي	١٧٣
المسئلة المصرية وجريدة الاندبندنس بلج	١٧٤
عودة المرحوم لمصر واستقبال الجرائد	١٨٠
كتاب من المرحوم بمناسبة شتائم الاحتلالين	١٨٣
حيله المحتلين في اقتراع المرحوم للجندية	١٨٦
(سنة ١٨٩٧)	١٩٥
دعوة للامة الالمانية	١٩٧
تعليق الجرائد الاوروية	٢٠٤
السفر لاوروبا وحديث مع امريكاني	٢٠٨
الوصول الى فيينا وحديث مع نائب نمسي	٢١١
وليمة سياسية عقدها المترجم في فيينا	٢١٨

موضوع	صحيفة
حديث الاكثير مع المترجم	٩٨
المستر غلادستون مرة اخرى	١٠٥
رد المستر غلادستون	١٠٧
خطاب المستر غلادستون بخط يده بالانكليزية	١٠٩
الجراند الاوروية والمستر غلادستون	١١٠
سفر المرحوم الى برلين	١١٨
حديث مع جريدة برلينر تاجبلاط	١١٩
حديث مع جريدة ذى بوست	١٢٧
السفر الى فيينا	١٣٨
مراسلة سياسية من المرحوم	١٣٨
الرد على المراسلة من المسيو جوزيف بويووسكى	١٣٩
المسئلة المصرية - حديث سياسى	١٤٢
احتفاء جريدة نمسوية كبيرة بالمرحوم	١٤٩
السفر الى الاستانة والوصول اليها	١٥١
مقابلة المرحوم لجلالة السلطان وحديثه معه	١٥٢

فهرس الجزء الخامس

صحيفة	موضوع	(تابع سنة ١٨٩٦)
١	صورة المرحوم وهو في الثانية والعشرين من عمره	
٥	خطبته بالفرنسية بالاسكندرية	
٤٢	تعليقات الجرائد المحلية على الخطبة	
٥٢	» » الاوربية » »	
٥٩	اطراء المترجم بقلم اجنبى	
٦٦	مجموعة اعمال المترجم فى عام	
٦٥	مقدمة للمجموعة بقلم محمد افندى مسعود	
٧٣	تذكار يوم ٤ يوليو	
٨٠	مقابلة المرحوم رسميا لسمو الخديوى	
٨٢	سفر المرحوم لاوروبا	
٨٦	الاحتفال بعيد السلطان فى باريس	
	وخطاب المرحوم فيه	
٩٤	حديث الليبر بارول مع المرحوم	

وانى اتشرف بأن ارفع الى جلالة الامبراطور على يد جنابكم
هذا الشكران الواجب واعرب عن هذه الاماني الكبيرة «

٢٢ ابريل سنة ١٨٩٧ (مصطفى كامل)

انتهى الجزء الخامس في يوم الاحد

٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٦ هجرية

الموافق ٢٧ ديسمبر سنة

١٩٠٨ ميلادية

وقدر رأينا مع ذلك ان نرسل تحياتنا وتشجيعاتنا بصفتنا
مصريين عثمانيين الى الجيش العثماني فأرسلنا تلغرافا لدولة ناظر
التشريفات الشاهانية ذكرنا فيه امر اجتماعنا مؤكدين تعلقنا
كبقيّة المصريين بالعرش الشاهاني المجيد . داعين للجيش العثماني
بالظفر والنصر .

وقد ارسلنا ايضا تلغرافا لجناب رئيس تشريفات جلالة
الامبراطور غليوم نشرته وتناقلته جرائد المانيا كلها وهذا نصه :
« رئيس تشريفات جلالة الامبراطور غليوم الثاني بيرلين
ان ابناء وطني المصريين يرجون من جنابكم ان تكونوا
لدى جلالة الامبراطور الترجمان المعرب عن عظيم اعترافهم
بالجميل وشكر انهم العظيم لجلالته على الخطة التي تفضل باتباعها
نحو الدولة العثمانية

وان هذه الخطة هي دليل الميل والمودة التي تحملنا على الامل
بأن مصر (وطننا العزيز) ستنال من جلالة الامبراطور عناية
عالية والتفتاتا خصوصا وان سلام العالم كله يتحقق بأن يرد
الى مصر حريتها واستقلالها

الحق الذي نحن من اكبر نصراؤه .. اه

*
**

لما رأى المترجم اقبال المصريين على اعانة الدولة في الحرب
اليونانية جمع المصريين المقيمين في باريس وألف لجنة لجمع
الاعانة وأرسل لجريدة المؤيد أول دفعة ومعها كتاب نشرته
في عددها الصادر يوم الجمعة ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٧ تحت
عنوان: (المصريون في باريس — والاعانة العسكرية الشاهانية)
وهذا نصه :

« دعوت اخواننا المصريين هنا الى حفلة يوم الاثنين
الماضى (١٩ ابريل سنة ١٨٩٧) وجرى الكلام بيننا على
مشروع الاعانة العسكرية الشاهانية في مصر ثم اتفق
الحاضرون على ان نقدم شيئا للاعانة العسكرية يكون عنوانا
على مشاركتنا لاءاء وطننا في اشرف شعار لنا. وقد اجتمع
مبلغ ٣٥٠ فرنكاها انا أبعث به اليكم. نعم ان هذا المبلغ قليل
ولكنه دليل اشتراك الشبية المصرية في اوروبامع الامة
المصرية في هذه المظاهرة الوطنية السلمية

المسئلة مسئلة شعور نحو الدوله فاذا تظاهرننا اليوم
بمساعدهتها في حرب بنيت على غير اساس الشرف بل على
المطامع فأنما تمثل ما مثلته الامم الاخرى من قديم الزمان وهو
عطف الاخ على اخيه في زمن الشدة

ان الذين يحرضون هم الانكليز انفسهم لانهم كيف
ينسبون الى المصريين التهيج والاضطراب عند ما يتضافرون
لمد الدوله بالمال في الحرب التركيه اليونانية ولا ينسون انهم
هم اصل هذه الحرب وانهم هم الذين حرضوا اليونان ولا
يزالون يمدونها بكل شىء ان لم يكن في الجهر ففي السر !
هذا وتقبلوا اخ

١٧ ايريل سنة ١٨٩٧ مصطفى كامل»

« وقد علقت جريدة الليبرتيه على هذا الكتاب بما تعريبه:
« انا نشرنا هذا الكتاب ليقف قراؤنا على الحقيقه التي
شوهدنا الانكليز والتي تنطق بها كلمات هذا الوطنى المصرى
الذى نرحب به ونفتح صحف جريدتنا له ولكل غيور على

الواجب الوطني

نعم أقول ان واجباتهم الوطنية هي التي بعثتهم على ذلك
اذ همنا أكثر من غيرنا سلامة المملكة العثمانية لان سلامة
ممالكها هي الاساس التي تبنى عليه حقوقنا الشرعية ضد عمل
الانكليز ولا يجب أن ننسى أن كل ما نبديه من مساعدة
تركيًا ننظر ونراعي فيه المسئلة المصرية ضد الانكليز

وانه اذا كان يسوء الحكومة الانكليزية ان نكون
وطنيين مخلصين للدولة العلية التي مسئلتنا مسئلتها فنحن
لا يهمنا ارضائهم لانهم خصومنا الغاصبون وسنسير في طريقنا
الذي رسمناه لانفسنا وجعلنا اساسه المطالبة بالجلاء رضوا او
لم يرضوا!

انا نعلم قبل كل شيء اننا في حاجة الى مساعدة اوروبا
فكيف اذا نعرض على الثورة ضد الاوربيين الذين يعيشون
في مصر . وهل لجريدة الابجيسيان غازت او غيرها ان تدلنا
على شخص قال او جريدة كتبت بما يؤخذ منه التحريض
على الاضطراب !!

الانكليزية التي تصدر بغير الاسكندرية وأهتمتا فيه نحن
الوطنيين المصريين، بالسعى في اثارة الخواطر والتحريض على
احداث القلاقل والاضطرابات ولو علمتم جنابكم أنها جريدة
الاحتلال وان اختلاقتها علينا أصبح أشهر من نار على علم
مانتقم عنها شيئاً. لاننا اذا كنا ندافع عن حقوقنا المسلوقة فذلك
بالاعتدال والسكينة والطرق المشروعة واننا ما فكرنا أبداً
في الاعتداء على النظام لان هذا يضر كثيراً بمسئلتنا الحيوية
ولان نفوسنا الوطنية تدرك مصالح أوروبا في مصر .

وانى أرجو جنابكم أن تسمح لى بأن أصرح جهاراً بأننا
لم نفكر قط في الطرق الثورية للوصول الى تحرير وطننا
العزير لكن الانكليز هم الذين يلقون بذور الشقاق في مصر
ويسعون بما لديهم من الوسائل الى احداث الاضطرابات فيها
فلم يفلح سعيهم لاننا قاومنا حرركاتهم بكل قوتنا .

أن مصر الآن شرعت في جمع اعانة وطنية للجيش
العثمانى وليس سبب ذلك البغضاء للمسيحيين مهما كانوا بل
ان الذى بعثهم على ذلك واجباتهم خليفة المسلمين لا سيما

وبعد أن لقي رحمه الله صدراً رحيباً من رجال السياسة
الالمانية واستعدادهم لمساعدة المسئلة المصرية بعد أن تقف
المشكلة التركية اليونانية التي قامت في ذلك الاوان والتي
خشى منها على السلم في البلقان قصد باريس فوجد في صحافتها
حركة غير عادية على أثر مقالة نشرتها جريدة الاليجسيان
غازيت ونقلتها عنها جريدة « اللييرتية » وكلها طعن على المرحوم
بصفة خاصة وحزب مصر بصفة عامة وقد عزت اليه والى
سائر أعضاء الحزب المصري السعى في اثاره الخوטר في مصر
والتحريض على احداث ثورة . فبادر رحمه الله في الحال الى
تكذيب هذه التهمة في نفس جريدة اللييرتية التي أحلت
ما كتبه انبها محل الاعتبار والقبول . وهذا تعريب ما كتبه !

— اعانتة المصريين للدولة —

﴿ تكذيب صريح ﴾

جناب مديد جريدة اللييرتية

قرأت ما نقلتموه عن جريدة الاليجسيان غازيت

بلادنا المرجو. على أنه من المهيجات للخواطر ان أوروبا بأسرها

ترك انكلترا تخدعها مثل هذا الخداع

ثم تكلم عن الاكتاب الجارى فى مصر لمساعدة

الحكومة العثمانية فقال : انه وان كان المصرى لا يعرف الا

وطنا واحداً وهو مصر فمن الامور الطبيعية المحضة أن يساعد

المصريون جيش الدولة والخلافة ويظهروا بذلك امتنانهم

للدولة لانها لم ترد أن تكون آلة في يد الانكليز» .. اهـ

وقد أردفت هذه الجريدة الخطيرة الحديث المذكور

بكلام جدير بالنظر والامعان فقالت : « أن مصطفى كامل

مصيب فى كلامه على سوء مقاصد السياسة الانكليزية وشدة

خبثها وليكننا نؤمل مع ذلك أن المصريين لا يفقدون صبرهم

فانهم سينالون ما يطلبون عاجلاً أو آجلاً بواسطة دول أوروبا

وبدون قتال وعراك

والمصريون اذا تمسكوا بالصبر لم يتعبوا بسرعة من

حالتهم وانتظارهم فتحقق لهم كلمة الشاعر الشهير « التاج لمن

صبر وانتظر » .

ان غاية انكثرتا الوحيدة من حوادث الشرق واضطراباته
هي تحويل نظر أوروبا عن مصر
ثم أفاض في بيان الشأن الذي كان للانكليز في ثورة
عربي وعملهم سرا على تأيينه وسعيهم في اشهار عصيانه ومنع
جلالة السلطان من ارسال جيش عثماني الى مصر وما بذلوه
بعد ذلك من المساعي لوقوع النفرة بين جلالة السلطان وبين
الخدوي السابق.

فلما تبوأ سمو الخديوي الحالي الاريكة الخديوية تغير
مجرى الامور اذ أدرك سمو الامير أن الجناء بين مصر
وتركيا عقبه في سبيل انقاذ مصر من مخاب الانكليز - جري
على غير تلك الخطة فسعي الانكليز في الاستانة نفسها ضد
الجناب الخديوي فلم يفلحوا وما رأوا ذلك هاجوا ضد السلطنة
والسلطان ليشفوا أوروبا عن مصر. وفوق ذلك فأنهم يريدون
بأنهم في الشرق أن يدخلوا في أذهان المسلمين أن أوروبا
عدوة لهم متعصبة ضدهم مما يثبط بلا شك هممة كل ذي
وطنية في مصر ولكننا أدركنا قصدهم فلم نياس من مستقبل

ويحبها ويرغب في خيرها وسعادتها فلذلك تري مصر كلها
مجمعة على محبته منتظرة أن تنال على يده مستقبلا سعيدا

ومصر الآن بلاد قائم البراز المعنوي بها دائما بين الشعب
والحكومة وحكومتها تعتبر نفسها مجرد آلة في يد الانكليز
وسمو الخدو يرى بعينه مصائب وطنه ولا يستطيع الى دفعها
سبيلا حتى انه يرى في بعض الاحيان جماعة من ماجورى
الانكليز يتجاسرون على الطعن في مقامه الرفيع

اما النزلاء الاوروبيون فقلقهم مثل قلقنا فهم يرون
انفسهم مهددين من الانكليز الذين بدؤا في هدم ما بنته يد
أوروبا في مصر واعلنوا بعبارات ملؤها الكبرياء انهم
سيقتضون على المحكمة المختلطة بعد عامين . وليس بعد هذا
تهديد لمصالح أوروبا في مصر .

فتعال المكاتب . وهل ترى علاقة بين مسائل تركيا

ومسئلة مصر ؟

قال . لا ريب في ذلك . فان الواقع على ما جرى بين
تركيا وانكلترا منذ بدء الحوادث العرابية الى اليوم يعلم يقينا

حديث نشرته في ٧ أبريل سنة ١٨٩٧ هذا تعريبه :

✕— مصطفى كامل في برلين ✕—

« المكاتب — ماهى الحالة الحقيقية السياسية في مصر

الآن؟

المرحوم — انها لحالة فوضى عمومية في ادارة البلاد
وقلق شديد في افكار الشعب المصرى . فلقد اصبح بين
المصريين وحكومتهم — كما يوجد بينهم وبين الانكليز —
هاوية عميقة جدا . فان حكومة بلادنا - ورجالها من صنائع
الانكليز — تعمل في مصر كل ما ينافى رغبة الامة فكم من
مرة طلب مجلس الشورى وهو الهيئة النيابية عن التظاير اجراء
اصلاحات في الادارة والتعليم فالحكومة بدلا من ان تخضع
لرغبة الشعب كانت تقابل المجلس باللوم بكل خشونة وتجري
ضد رغائبه ومطالبه . والفضل في ذلك اتعزيد الانكليز
فأصبحت الامة المصرية اليوم لا احترام لها لحكومتها اما
سمو الخديو فهي تعلم أنه رئيسها الوحيد الذى يحترم ادارتها

مواطنيه رغمًا عن احتفاف طريقه بالمكاره . وقد جعل غاية سياسته تحرير وطنه . ثم انه لم يعرف الملل ولا الكلال في جهاده لاكتساب اعوان لا فكاره من الاوروبيين حتى غدا لا ينزل بلداً أوروبية الا ويمجد نفسه بين من يشاركونه في عواطفه ويعضدونه في مراميه مع اعترافهم بسامى غرضه وهاهو اليوم في مدينتنا هذه الجميلة يبحث عن منافع سياستنا وسيعود الينا في يوليه القادم وفي نيته أن يدعو الناس الى اجتماع حيث يلقي عليهم خطاباً طويلاً في المسألة المصرية وقد رأينا من واجبنا أن نعرف قراءنا بهذا الضيف الكريم الذي يجاهد في سبيل حرية بلاده وأنا نعتقد أن الصحافة المصرية ستذكر كثيراً من أخبار هذا الرجل العظيم القدر الكريم الطباع «

*
* *

سافر المترجم من بودابست الى برلين في ٥ أبريل سنة ١٨٩٧ وقد قابل توارجال الصحافة والسياسة الذين عرفهم من قبل وقد دار بينه وبين جريدة البرلينر تاجبلاط الشهيرة

مصطفى كامل رجل معروف في فرنسا والمانيا — ولقد
نشر مقالات عدة في جرائد مختلفة بكى فيها حظوظه مصر
وقد تلمت كلماته قلوبا حساسة وعواطف شاعرة

احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ عن رضى كل الدول
الاوروبية وكانت مهمتهم ان ينشروا الامن وان يوطدوا
عرش الخديوية وان يحسنوا الحالة المالية التي كان اختلالها
عظيما فاضحا

ولكنهم اثقلوا ظهر الامة المصرية البائسة بالضرائب
الفادحة وسلبوا منها كثيرا من حقوقها في الاستقلال الداخلى
ولقد استعاضوا الموظفين الوطنيين بالانجليز او بوطنيين
يوافقونهم على هوى سياستهم وانهم يجنون على السلطة الخديوية
كل يوم جناية خليقة حقا بالسياسة الانجليزية — ويقتلون
الصناعة الوطنية خدمة للصناعة الانجليزية وبالجملة فانهم يقاومون
كل الوسائل التي يمكن ان تؤدى بمصر الى استقلالها .

وعلى ذلك فانه ليس من غرائب الدهر ان يصبح المصريون
فرحا لخروج ذلك الوطنى المصرى الذى عبر عن ضمائر

رئيس الوزارة المصرية المشهور بحبه الاكيد للعثمانيين وقد
وعده يبذل كل ما لديه لخدمة المسئلة المصرية

اما ما نشرته الجرائد المصرية عن المرحوم واعماله والمسئلة
المصرية واهميتها فهو ما يملأ كتابا ضخما وانا نكتفي هنا بنشر
مثال مما نشرت فقد كتبت جريدة « ما جياذ نوك لاجبا »
الشهيرة مقالة في ٤ ابريل صدرتها بصورة المترجم هذا تعريبها:

— ❧ مصطفى كامل ❧ —

من هو هذا الرجل الذي لا يعرفه احد منا ؟

مصطفى كامل هو بطل المصريين وعليه يعلقون آملمهم

في ازاحة نير الانكايذ عن عواتقهم

مصطفى كامل هو ذلك الوطني الكبير الذي اوجد

الحركة القومية وهو الذي يريد ان يخرج بلاده من احتلال

الانكايذ الذي لامبرر له الآن .

والمصريون شيخهم وفتاهم رجالهم ونساءؤهم واطفالهم

يشرفون اسم هذا الوطني الكبير .

ماداموا متمسكين بهذه الصفات الحسنة وما دام للانكليز تاريخ يحتم عليهم احترام وعودهم ..
وقد اختتم كلامه بالتأمين على كلمات المترجم وامل لمصر
مستقبلا باهرا وشكر المرحوم شكرا وافرا .

*
* *

سافر المرحوم من فيينا الى بوادبست عاصمة المجر في
يوم الجمعة ٢٦ مارس بعد ان ودعه على المحطة جميع اصدقائه
النمساويين نصراء المسئلة المصرية .

وما وصل رحمه الله الى بوادبست حتى وجد في انتظاره
افراد عائلة كبيرة من كبار عائلات المجر كانت وطدت بينه
وبينها العلائق المتينة مدام جوليت آدم الكاتبة الفرنسية
الطائرة الصيت .

وبعد ان قصد الاوتيل واستراح استضافته هذه العائلة
عندها في ضواحي بوادبست وعرفته بمئات من كبار عائلات
المجر فاختلف رحمه الله برجال السياسة والصحافة في هذه
العاصمة الشهيرة اختلاطا كبيرا ومن بين الذين تعرف بهم

عدل في المسئلة المصرية فأننا نعترف على الدوام بالجميل لمن
يؤيدنا كما تجدون منا الى ابد الآبدين اصدقاء اوفياء يذكرونكم
بكل خير ويمجدون فيكم تلك الروح الشريفة التي اودعتموها
في نفس اميرنا المحبوب الا وهى روح الحرية واحترام ارادة
الشعب.

وفي الختام اكرر لسكم بلسان مصر والمصريين عظيم
الشكر على الود الذى اظهرتموه نحونا لتكون مصر
للمصريين . . . !» اه

وقد رد عليه المسيو ريزنر بكلمات كلها انعطاف وود
بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن جميع اخوانه ومما قاله :
« انه مما يسلىنا نحن الاحرار انه لا يزال للحق انصار
يعملون لنصرتة على الباطل وليس بين مسائل العالم السياسية
الكبرى الخاضرة مسئلة حقيقة بالعناية والحل السريع
كمسئلة مصر فان المصريين برهنوا على اهم اهل مدينة عالية
وان الذين يقولون ان سكوتهم ناشىء عن جبن ليسوا الا
مهيجين لعواطفهم . والمستقبل كنفيل بأن يرد اليهم بضاعتهم

عصر ظلم وافتيات على الحقوق لا عصر عدل وانصاف ورد
الحقوق الى اهلها

ان المصريين مشهورون من قديم الزمان بالدعة والاعتدال
ولهم ما أثر على العالم اجمع ان انكرها الانكليز فلا ينكرها
التاريخ الذى هو اعدل شاهد يحكم بيننا وبين امة ظلمت رايها
التي اقسمت بشرفها والتاج الذى يجب احترامه فقدمتهما
ضمانا على صدقها عند ما دخلت بلادنا ووعدت بالانجلاء عنها
عند ما يتوطد عرش الخديوية ويستتب الامن

فها هو الامن مستتب والامة بأسرها ملتفتة حول
الامير الذى لا ابالغ اذا قلت انه اول امير شرقى بل من
احسن امراء اوروبا ميلا للعدالة والحرية ونشر العلم وكفى
ان يكون المنهل الذى وردده فاستقى منه هذه المبادئ العالية
نمويًا فإنه من غرس معلمكم فلسكم الفخر في التاريخ والشكر
من المصريين

اني لا اطيل شرح عيوب الاحتلال فقد شرحت ذلك
كثيرا ولكنى اسأل ضمائركم الحرة ان تكونوا اصوات

وبعد ان انتهى من حديثه هذا دعاه المترجم الى وليمة كبيرة اعدت له ولاخوانه من افاضل النواب والصحافيين في مساء يوم الاربعاء ٢٤ مارس « بنزل متروبول » وما جاء وقت تناول الطعام حتى وفد المدعوون وكان عددهم ٨٧ ذانا والمترجم واقفا لاستقبالهم بكل تكريم وترحاب وبعد ان تناولوا العشاء وقف المترجم وقال :

« ان مصر ايها السادة تشكر لكم من صميم افئدة ابنائها اجابتم دعوة مصري منهم جاء الى بلادكم العزيزة اكثر من مرة وخالط رجالكم المعدودين الذين انتم من ثمرتهم سائلا بكل الحاح وحق نصرة مسئلتنا التي تنحصر في كلمتين « احتلال مؤقت لا يمكث الا ستة اشهر . له اليوم ١٥ عاما — اي ٣٠ ستة اشهر »

اذا كان ايها السادة حبل الكذب طويلا فلا بد ان يكون لهذا الطول حد !! واذا كان الكذب شعار المتمدنين فاذنا يكون شعار المتوحشين المتعصبين مثلنا كما يهتمون !! ان لي الحق ايها السادة اذا قلت ان العصر الحاضر

انى من الذين يحترمون القسم ولو كان في البربه خسران
كبير لانه اذا كان الخنث في القسم يتناول اسم الراية والتاج
واحترامهما عندنا من احترام الله فلاشرف بعدئذ في الوجود
انك طبعاً تقصد بهذا الدولة البريطانية التي اقسام سواسها انهم
لا يمكنون بمصر الا ريثما يستتب الامن ويعود النظام. ولكنى
او كد لك انه مهما طال الزمان على الاحتلال الانكليزى في
بلادكم فلا بد ان ينجلي يوماً من الايام . فلا تياسوا ولا يكون
لمخالفة الاقسام والعهود تأثير سىء في نفوسكم فانه قبل ان
تكون المسئلة مسئلة قسم فهي مسئلة المصريين . فاعتمدوا
على انفسكم ولا تنتظروا من أوروبا الا شرارة من شرر الحوادث
تستخدمونها في اشعال ما يرهب خصوصكم .

انى ما رأيت مصر وربما كانت هذه اول مرة تشرفت
فيها بمخاطبة مصرى اعده اليوم من اصدق الوطنين اصدقائى
في العالم ولكنى احبها مما قرأته عليها قديما وحديثا ولمركزها
الجغرافى السياسى . واؤمل ان اراها قريبا في ابهى حلة من
حلل السعادة والاستقلال الابديين « .. اه

اني لا اظن وقوع الحرب ابدا لانها تكون خسارة
كبرى على العالم وجميع السواس مجموعون على بذل الجهد في
تجنبها مهما كانت خسارة بعض الدول مع السلم . ولكنى
لا اشك ابدا في ان النمسا تنضم الى المانيا بكل قواها متى رأت
ان الخطر محقق بالتحالف الثلاثى وهو ما يحتمه علينا هذا
التحالف المتين .

وهل يكون مصر حظ يذكر عند قيام النزاع بين المانيا
وانكلترا في يوم من الايام ؟ انى لا أعرف درجة الامة
المصرية من الاستعداد حتى احكم لها او عليها ولكنى او كذلك
انها اذا استمرت على ما نسمعه عنها من السير في طريق
الاستنارة بضوء العلم واتحادها كان لها على كل حال نجاح
مأمول سواء حدثت بين الدول حوادث او لم تحدث
فقال له المرحوم : وما قولك في دولة وقف سواسها تحت
رايتهم التى هي عنوان شرف المملكة واقسموا بها وبتاج بيت
الملك على ان لا يبقوا في مصر طويلا ثم ما لبثوا ان سخروا
من ايمانهم ناسين شرف الراية والتاج ؟

انكلترا يوما من الايام . وذلك عند ما تتقابل المصاحتان في الشرق الاقصى او على الاقرب في الدولة العلية . فان المانيا دولة ناشئة نشيطة تعمل لتعيش مثل بقية الدول ولما كانت لا تملك اسواقا تروج فيها بضائعها عمدت الى الدولة العلية ووجدت من جلالة السلطان ارتياحا فألقت مرساها هناك وها هي آخذة في ترويج اعمالها في بلاد الدولة بحالة سريعة للغاية ما كانت تخطر قبل وقوعها على بال أى سياسى في العالم هناك متى دخلت في قلب الدولة وتمشت الى المياه الاسيوية تلعب انكلترا دورها مهما كلفها ذلك من الدم والمال لتقفها في طريقها .

أتظن ان هذا اليوم قريب الوقوع؟

ان قربه وبعده متوقفان على درجة السرعة التي تسير

بها المانيا في داخل الممالك العثمانية .

وهل تظن يا جناب النائب ان الحرب تقع بين المانيا

وانكلترا بسبب هذا التزاحم؟ وماذا يكون مركز النمسا

وقتئذ؟

وهل تظن أن بريطانيا تساعد إيطاليا أو ان ألمانيا تعمل
يوما من الايام عملا يذكر خدمة للدولة في مصر ؟
اني لا اظن ان انكلترا تساعد ايطاليا على بغيتها مادامت
من دول التحالف لان كل ميناء يضم الى دولة من دول
التحالف الثلاثي هو في الحقيقة قوة بحرية جديدة للتحالف
نفسه . وانكلترا لا تبني مستقبلها كما بنت ماضيها الا على
قوة البحر فهي من هذه الوجهة لا تساعد على ظني ايطاليا
واذا ساعدتها حتى تجذبها قليلا اليها فتأمن نوعا شرها في
التحالف فانها تعطياها شيئا لا يذكر كما أعطتها مدينة مصوع
التي يسمونها مصوع الطليان ولكنها في الحقيقة مصوع
الانكليز !

اذ أنت واثق من ان التحالف الثلاثي لا بد ان يتكاتف
في يوم من الايام أكثر من تكاتفه الحاضر وعلى الاخص
متى تحقق بعض الدول الذي لا يزال يحسن الظن بالحكومة
الانكليزية انها حكومة أنانية ومصصلحة ذاتية .

نعم اني واثق من ذلك ولا بد أن تكشف المانيا سياسة

ترعب وقتئذ العالم أجمع وتصبح سيدة الكونين تفعل ما تشاء
وخصوصا الدولة الانكليزية فانه فضلا عن كونها أقوى دولة
بحرية فانها كذلك من أكبر دول العالم التجارية . نعم ان
بضائعها غالية لا تروج بكثرة كبضائعنا ولكنها على كل حال
مقبولة محبوبة

ثم لا تنسى أن مصلحة النمسا دائما في جانب مصلحة
الدولة العلية التي لها السيادة على مصر لانه فضلا عن العلائق
الودية التي أساسها الجوار والمنافع المتبادلة فانه ليس للنمسا
ميدان تجارى فسيح أكبر من بلاد الدولة .
— وهل لا تبنون شيئا من المصلحة في حل المسئلة

المصرية على التحالف الثلاثى ؟

نعم ان التحالف الثلاثى قوى وما تريده احدى دوله الثلاث
تريده الأخرى . ولكن ما ذا نعمل وايطاليا تظن بالانكليز
خيرا ولها أمل في امتلاك شىء آخر على الشواطىء الافريقية
بمساعدة بريطانيا . وكذلك المانيا فان مصلحتها في رأس الدولة
العلية فهي لذلك واثقة من امتداد نفوذها الى الجسم شيئا فشيئا !

أنحاء المعمور وهذا تعريبه:

« سأله المرحوم : ماذا تكون خطتكم اذا عرضت مسألة مصر على بساط البحث ؟ فقال : اني أعلم أن الكثيرين من اخواني أعضاء البرلمان يميلون الى طرح مسألتكم على بساط البحث رغما عن العلائق الودية التي بين حكومتنا وحكومة جلالة الملكة فكتوريا . ومتى طرحت نكون في جانب العدل الذي يقضى بحرية مصر ووضعها تحت ضمانة الدول أجمع لانك تعلم أن أهميتها تنحصر في قناة السويس التي تربط مصلحتين كبيرتين احدهما بالآخرى . مصلحة أوروبا الصناعية وأسيا المحتاجة لصناعتنا وانه قبل أن يبحث الصانع عن سوق ايروج فيها صناعته يجب عليه أن يبحث عن أسهل وأسرع طريق يعبره ليوفر النفقات الكثيرة على نفسه ومعامله وليجد الطالب حاجته من هذه الصناعة في كل وقت . وليس لأوروبا عامة وللمسا خاصة طريق للشرق الذي نروج فيه بضاعتنا أكثر من بضاعة جميع الدول الا قناة السويس .
وغير ذلك فانه لا يصح أبدا أن تملكه دولة بحرية لانها

تجرى في سبيل الخلاص من ظلم بريطانيا وان يكون الانكليز
ابقى على كرامتهم من ان تلوثها بعد تلك الايمان الغليظة ايدي
بعض سواسهم الذين يريدون أن يسطر لهم التاريخ ما ليسوا
أهلاً لعشر معشاره !!

فقال له الامريكانى بعد هذه الكلمات : « بارك الله في
شعب أنت منه ولترق أمة هذه مبادئها وهذا صراطها فاعمل
ودع غيرك يعمل فان ما أخذ لا يرد التماسا ولكن بالصوت
العالى والنخوة التى تقلق الظالم فى غدوه ورواحه. واعتقد ان
الانكليز أسهل الامم فى رد الحقوق متى وجدوا من ذويها
الأبء والكرامة والشمم المحترم ! »

جرت الباخرة الى الشمال حتى ميناء تريستا ومنها ركب
القطار الى فيينا

وصل الى فيينا فى ١٩ مارس ومكث فيها سبعة ايام قابل
فى خلالها الكثيرين من رجال السياسة والصحافة وقد دار
بينه وبين المسيو الدكتور ريزير النائب النمسوى والحكيم
الشهير حديث نشرته جرائد فيينا وتناقضته شركات البرق الى

قلمى ولسانى دقاعان بلد جليل — أوام شفيقة حنون لا حياة
لنا الا بوجودها عالية الشان سامية المقام وأنى سأتقي ابنها
البار الوفى حتى اخر نفس أنفسه في هذا العالم .

ثانيا — اننا بنى نجاحنا فى عملنا على أمرين . الاول
خارجى وهو فرصة انماز الحوادث الدولية . والثانى داخلى
وهو نشر العلوم والمعارف بين اخواننا المصريين والتشهير
بهنوات الأحتلال الانكليزى لترقى العقول ونبغض القلوب
فى الغاصبين وبذلك تقرب الامة شيئا فشيئا من الوطن حتى
تلتف حوله وتصير وايه جسا واحداً لا قدرة لاية طائفة
من الناس او اية حكومة مهما كانت قوتها أن تعبت بكيانه
او تفصل اجزاءه .

ثالثا — أشكر لك كثيرا الخدمة التى عرضتها على بامريكا
وأملى ان تحلوا تلك العقدة العتيقة التى حرمت العالم صوتكم
فى المسائل الاوروبية حتى نسمعكم صوتنا فى دياركم على نفس
النعمة التى اسمعتم بها العالم صوتكم يوم ان كنتم مثلنا
وكذلك أومل ان لا تشهد السماء مرة أخرى دماء البشر

ثالثا — هل لك حاجة في أمر كالاقوم بها خدمة لهذا

البلد الكبير المظلوم؟

فاجابه المرحوم على الفور:

اولا — انى من صغرى مغرم بقراءة التاريخ فكانت

سير عظماء الرجال الذين خدموا بلادهم تستوقف حواسى

وكنت أجد من نفسى ارتياحا للاستمرار على القراءة كما

كنت احفظ الاناشيد الحماسية لأول مرة حتى انى اذكر

أنى نطقت بالشعر قبل الوقوف على علم العروض وقبل أن

أحسن ضبط الكلام على القواعد النحوية

وانى عند ما كنت صغيرا كان المرحوم ابى يحدثنى مع

اخوتى الكثير من قصص الحماسة وأحاديث الصبا والفتوة

فكنت أشعر عند ما يصل بنا الى انتصار رجل على رجل او

آخر فى حيلة شريفة ان قوتى اكبر من جسمى وأنى على

أهبة الوثوب والهجوم من شدة سرورى وانتصار حواسى

للمنتصر الظافر

ولما كنت مصريا صميا رأيت بميل وحق إن أقف

نسفاولكن هكذا تطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع ! ولن
يعود عنك بسلام الا اذا علمته كيف يكون عقاب الطعام
اللثام !

*
* *

برح المرحوم العاصمة في يوم الجمعة ١٢ مارس واجر
منهاني يوم السبت ١٣ منه فودعه الكثيرون من اخوانه الذين
قرؤوا الوطنية وعرفوا لذة الوطنية وداعا يشف عن الحب
الجنسى ورابطة العهد الاخوى .

ومما يذكرون انه كان بين المودعين في هذه الاونة رجل
غريب أمريكي اسمه « جولد بنك » قد قدمه للمرحوم
احد كبار رجال الحكومة في الاسكندرية . فانهز هذا
الامريكاني هذه الفرصة وسأل المرحوم ثلاثة اسئلة وهي :
اولا - لك ان تتكرم على بأجمال السبب الذي دفعك
الى المناداة بحرية مصر ؟

ثانيا - اذا لم تستطع فرنسا خاصة وأوروبا عامة ان تجبر
بريطانيا على الجلاء فما تكون خطتك وخطة مواطنيك العاملين ؟

افريقية الجنوبية . أي جمهورية الترنسفال
ولكننا من الظروف الحالية يجب علينا معشر الفرنسيين
ان ننظر للاشياء كما هي ونعمل لحل مسألة مصر معتمدين
على انفسنا » اه

جرى على هذا القول اغلب الجرائد الفرنسية . اما الجرائد
الالمانية فأنها بلا استثناء ايدت هذه الدعوة بكل صراحة
مما هاج الانكليز خملت جرائدهم حملة منكرة على المانيا
ونسبت الدسائس لرجال ساستها بمناسبة قيام صحفها بنصرة
المسألة المصرية وتأييد هذا الصوت العالى الذى خرج من
وادي النيل فملأ الأفق دفاعاً عن قضية مصر العزيزة
وابنائها الكرام .

اما اذئاب الانكليز في مصر فعادوا وقتئذ الى رقصهم
الاول وكانو يحملون تارة على سمو الخديو وتارة أخرى على
الوطنيين المصريين ويلقبونهم بالمأجورين والطائشين
المهوسين وكنا نقراً هذه الاساليب التى لو كانت ضد أمة
أخرى لقامت من فورها وقت بهم في اليم اونسفتمهم فى الهواء

كشفرجات لا يعنيتها الامر

ولقد كان من المهم جداً معرفة آراء جرائد المانيا الخطيرة
بشأن مسألة مصر. وقد اطلعنا في جريدة « برلينر تاجبلاط »
التي تعد من أهم واعظم جرائد المانيا على دعوة للامة الالمانية
بعث بها من عاصمة الديار المصرية الوطني المصري المشهور
(مصطفى كامل) وهذه الدعوة تشرح حالة المصريين الحقيقية
التي وصلوا اليها في عهد الاحتلال انه نكيزي وتسترحم المانيا
أن تنفق مع الدول التي ترغب انصاف المصريين برفع وطنهم
الى منسبة الشعوب الحرة

وقد علقنا عليها جريدة (برلينر تاجبلاط) على هذه
الدعوة (واتت عليه كما نشرناه) ثم قالت :

وهذه الاقوال الصادرة من الجريدة البرلينية ذات أهمية
عظمي . وفي الحقيقة أنه ليكون من الامور الطبيعية التي
لاغرابة فيها أن المانيا تنضم الي الدول الراغبة انصاف مصر
لتحمل الانكيز على احترام المعاهدات الدولية المختصة بمصر
وننضم نحن كذلك اليها لتحقيق سلامة واستقلال جمهورية

ومساعدة المصريين كما يعلم الانكايز أن في استطاعة ألمانيا
الاتقام ممن يتعمد اهانة احساساتها او مس مصالحها السياسية
او غير السياسية بسوء ما

ولذا فاننا نعتقد ونرى ان دعوة (مصطفى كامل) للامة
الالمانية أتت في اوانها وصادفت احسن فرصة سياسية لها « اه
ما انتشرت هذه الدعوى كما قلنا حتى علق عليها الجرائد
الاوربية تعليقا يوافق سياستها ومصحتها وكانت اغليتها في
صفنا. ومن هذه الجرائد المتحابة جريدة الاكاير فقد كتبت
ماتعريبه :

« لقد لقت خطبة السير ميخائيل هيكس بيتش وزير
مالية انكايتر انظار أوروبا الى المسئلة المصرية فانه بالرغم عن
اهتمام الناس جميعا بحوادث كريد وبسوء العلائق بين تركيا
واليونان لم يترك الرأي الاوروبى مسئلة مصر بل بقى مشتغلا
بها واهتم بتصريحات وزير المالية الانكايزية عنها
ولكن بقية دول أوروبا غير فرنسا والروسيا كانت الى
الآن امام حوادث وادى النيل ومسئلة جلاء الانكايز عنه

مع الدول الراغبة انصافنا وتعاملون معنا على رفعتنا الى مكانة
الشعوب الحرة

ونؤمل جميعاً ان تذكّر ميلاد جلالة الامبرطور غليوم
يعود على العالمين بالسلام وعلينا معشر المصريين بالحرية والسعادة
الحقيقية « مصطفى كامل »

مصر في ٢٧ يناير سنة ٩٧

ولقد علقت جريدة « برلينر تاجبلاط » على هذه الدعوة
بقولها ما ترجمته:

« ان هذه الدعوة الصادرة من الوطني المصري الطائر
الصيت ستزيد ولا ريب في ميل المانيا للامة المصرية وانه
وان كان هناك فرق بين ميل شعب لا آخر وبين عمله على
معاونته بالفعل. الا ان الناظر للسياسة التي سار عليها في هذه
الازمان رجال السياسة الانكليزية من اجتهادهم ورغبتهم
الاكيدة في اهتضام حقوق امة الترنسفال التي هي اقرب
الامم الينا يرى انه من الامور الطبيعية اضطرار رجال السياسة
الالمانية للعمل على طرح المسألة المصرية على بساط الحل

منبر خطابة مجلس الريشتاغ البارون فون مارشال وزير
الخارجية الالمانية بأن « من مصلحة المانيا السير مع فرنسا
وروسيا بالاتفاق في جملة مسائل سياسية خارجية كما جرى
ذلك في مسألة الصين واليابان » وبديهي أنه ليس هناك من
مسألة تتحد فيها مصلحة المانيا مع مصلحة فرنسا وروسيا مثل
المسألة المصرية

فساعدنا اذاً أيتها الامة الالمانية على استرداد حريتنا
واستقلالنا

الا أيتها الامة الالمانية! الا أيتها الامة المتمدينة العظيمة
ان الانكاز محتمل بلادنا يمثلونك لنا بألة في ايديهم وبمعية
يقبضون عليها للقضاء على حياتنا ونفيس عمرنا مع ان الحقيقة
والتاريخ يبرهان لنا على ضد ذلك

كلا . اتم لستم اذاً اقوياء لتتركونا نموت !
كلا . اتم لستم اذاً احراراً التحكموا علينا بالعبودية
للانكاز !

مصر كلها تؤمل في هذا اليوم السعيد انكم تتحدون

الاجنبى الحق فى رفع لواء الثورة والعصيان وازهاق النفوس
وأسالة الدماء وللامة المصرية كذلك هذا الحق الشرعى الذى
لا ريب فيه. ولكن أليست امتنا اجدر حقيقة بالرعاية
والمساعدة اذا كانت هي حتى الان مبتعدة عن سبيل الثورة
لوثوقها بعدالة اوروبا

انامند سنين عديدة حافظنا امام شعوب الارض على
السلم وبرهنا على اننا امة تريد من صميم فؤادها نيل الحرية
وتعمل للوصول اليها بدون اسالة الدماء
فأمة هذا شأنها من المدنية وهذا شأنها من الوثوق
بالمدنية هي بلا محالة جديرة بانعطاف الامة الالمانية نحوها
ومساعدتها لها .

ولقد تحققنا من ظروف عديدة ان فرنسا وروسيا تريدان
مساعدتنا على تحرير وطننا اما المانيا فقد بقيت على الحياد .
فلم لا تتحد مع جارتها فى تحرير مصر ذلك التحرير الضامن
للسلام والعدال والانسانية !!

لقد صرح فى يوم ١٦ نوفمبر الماضى باعلى صوته من

فقط لانها تستحق هذه الحرية بل ايضا لان فيها المصاحبة
السامية لكل العالم فلقد رأى الناس طرا ان انكلترا تهدد
مصالح مصر ومصالح اوروبا الاساسية واصبحت بريطانيا
العظمى بلا ريب تعمل اليوم على خرابنا وامتلاك بلادنا فماذا
تنتظر اوروبا اذا??

ان هذا السؤال يلقي صراحة على الامم الاوروبية وهو
هل ترضى بأن تقتل امة حية علنا في آخر القرن التاسع عشر??
كلا انا لا نظن ذلك . ولذا اخذنا على عهدتنا مناداة الامم
الاوروبية وقد جئت اليوم انادى الامة الالمانية العظيمة
السطوة

لقد تعهدت انكلترا الاوروبابأسرها ان تنجلي عن مصر
متى استتب الامن فيها . وتعهدت الدول نحو بعضها بالمحافظة
والدفاع عن سلامة مصر واستقلالها . فلماذا تترك انكلترا
تحكم بلادنا? ان تركها تحكم وادي النيل لمسبة عليية لاوروبا
ولمسبة كبيرة للمدينة الغربية

وبديهي ان لكل امة تريد الاستقلال والتخلص من النير

ذات المفعول الاسمي وبات العدالة اسما بلا معنى وبلغ الظلم
العسف تحت حكم انكتر الي حد أن الانكايز صاروا الآن
يحرقون الناس جهارا وهم احياء

ولم أرأت الامة المصرية مقدار احتقار الانكايز لكل
الحقوق الشرعية وشعرت تمام الشعور بالآمهاومصائبها نطقت
بحكمها النهائي على الاحتلال الانكايزي بأن قضت عليه شر
قضاء فلقد اعلنت مصر باعلى صوتها باقلام كتابها الفضلاء
وعلى السنة خطبائها ونوابها الذين تنتخبهم انها لا تستطيع
مطلقاً تحمل الاحتلال الانكايزي وانه يجب ان تعيش امة
حرة وان تحقق اوروبالها هذه الحرية الى الابد

وان القضاء على الاحتلال الانكايزي من الامة المصرية
بهذه الصورة الجهرية لقضاء ذو قيمة عظيمة في نظر العالم
بأسره فإن امة تستطيع بما لها من الكفاءة والمدنية أن تحكم
نفسها بنفسها دون ان يضر ذلك بمصالح الدول المتمدينة يجب
ان تحرر ويجب ان تعيش حرة

نعم ان مصر يجب ان تحرر ويجب ان تعيش حرة ليس

حيث أنها بثقتها هذه قبلت توسط انكلترا في اعادة الامن

الى البلاد بعد ثورة عرابي

ولقد تأيد الامن في مصر في العام الاول من الاحتلال

ولم يعد هناك حاجة ما لوجوده الا تخريب وادى النيل حسا

ومعنى

فعوضا عن تأييد سلطة الخديو وهو السبب الاول

الاحتلال صار الانكليز اليوم لا يعملون الا على تقويضها الى

حد انهم اصبحوا يعضدون الرجال الذين اشترتهم انكلترا

والذين هم قليلون جدا كما هم محقرون للمعنى على سمو الخديو

والتظاهر ضده

فأولئك الانكليز بأعينهم الذين كانوا يعتبرون سابقا

سخط العرابيين على الخديو توفيق جريمة لا تغتفر اصبحوا

اليوم يعتبرون محبة سمو الخديو (عباس حلمي) جريمة الجرائم

وهم دون ان يأتوا باى نافع لمصر نفسها ما عملوا الا على

تخريبها وتدمير معالمها فلقد بلغ فقر الفلاحين لازدياد الضرائب

مبلغا لا يحده الفكر ووضحت اليوم غايات الانكليز الشخصية

الالمانية نشرتها جريدة « برلينر تاجبلاط » الالمانية الخطيرة
في ٨ فبراير وتناقلتها عنها كافة الجرائد الالمانية وغيرها من
جرائد العالم المتمدين وهذا تعريبها :

« اني أتقدم للامة الالمانية في هذا اليوم التاريخي الذي
تحتفل فيه بالعيد السعيد لتذكار جلالة الامبراطور غليوم
سائلا اياها معونة بلادى ومساعدة وطنى السيء الحظ
واني أعلم علم اليقين أنه لكي تجرى أمة من الامم في
سبيل سياسى يازم زمن طويل وعمل عظيم ولكنى أعلم أيضا
أن الحقيقة لو كانت معلنة على لسان رجل واحد تكفى
وحدها للتأثير على الضمائر والافكار. ولاشئ يشجع النفوس
الميالة للحرية مثل ميل الامم الحرة الى نشر الحرية بين سائر
بنى الانسان وانا أعلم جيدا أن الامة الالمانية لا تستطيع مطلقا الا
المناداة بحرية مصر والمساعدة على الوصول اليها وان بلادنا
لجديرة حقيقة بالرعاية والعناية من الامم الحرة لانها برهنت
على شدة احترامها للمدنية والانسانية. وما وجود الاحتلال
الانكيزى فى ربوعها الا برهان ساطع على ثقها بدول أوروبا

أخي

بعد التحية الاخوية أنبئك أنى شفيت من مرض
لازمنى خمسة أسابيع وكان سببا فى عدم مكاتبتك ولكن
والحمد لله قد عادت الى قواى وأشعر اليوم بصحة جيدة
وقدر على العمل أكثر من قبل

وأملى أن خطابى هذا يصلك حيث تكون قد نلت
الاجازة بالحضور الى مصر ورجائى أن تخبرنى تلغرافيا عند
قيامك حتى أسافر لأستقبلك بأسوان. حفظك الله لاخيك
الاثنين أول فبراير سنة ١٨٩٧ مصطفى كامل «

وصلنى هذا الخطاب فى وقت كنت فيه بين الشك
واليقين من السفر الى مصر فقصدت قومندان الاورطة
الثانية التى كنت بها وقتئذ وسألته عن سفرى فقال « انه لا
يمكن الآن » فأرسلت فى الحال تلغرافا الى المرحوم أعربت
له فيه عن حسن صحى وسرورى التام من شفائه وانه ليس فى
الامكان سنبرى الآن الى مصر فجاءنى منه خطاب هذا نصه!

الحنان . ومرضية الرحمن فلا خاب من اتصف بها في كل
زمان ومكان .

ابتدأت سنة ١٨٩٦ بحادثي وانتهت بهذا الحادث فكان
مبدأها حنظل وختامها مسك والحمد لله على كل حال .

السنّة الرابعة

١٨٩٧

استقبل المترجم رحمه الله هذا العام وهو في فراش المرض
من كثرة الاشغال والتنقل من جهة الى جهة في خدمة مصر
ولم يبل منه الا في ١٤ يناير من تلك السنة وقد وصف له الاطباء
مدينة حلوان تبديلا للبراء ففضى فيها أسبوعين أي لثرايه
شهر يناير ولما عادت اليه قواه وشعر أنه في صحة آسنه على
استئناف الجهاد في أعماله الوطنية عاد الي العمل وكتب الي
بدا أن طال الزمن خطابا هذا نصه !

هو اصغر منه » فان الذى انجاني من هذا الحادث هو شيخ
الحارة وان معافاتي من الجندية ليست من فضل شهادة
عالية او نقود تدفع بدلا بل من فضل صدق هذا الشيخ
الذى ينظر اليه الناس بعين صغيرة ولكنه فى نظرى اكبر من
محافظ العاصمة ورئيس مجلس قرعتها

ولا تنسى ايضا ان الله ينصر عبيده المخلصين وان
الاحابيل التى ينصبها العدو لا بد ان يقع فيها. وانى اسر كثيراً
كلما رأيت الاحتمال حانقاً على متألماً من عملي لان فى ذلك
دليلاً قوياً على نجاحي فى هذه القضية الكبرى قضية مصر
والمصريين مصطفى كامل »

الاربعاء ٩ ديسمبر سنة ١٩١٦

وقد اتعشت كثيراً من هذا الكتاب ورددت على المرحوم
من بحره ذا كراهه عمل شرف الدين اوباشى السجن الكريم
معى وعمل الجندي « احمد التافلة » فى حادث الجيش
فلولا همالت جوعاً وتعياً. الابارك الله فى هذه النفوس العالية
التي عشقت المروءة فلازمتها والمروءة زينة الانسان وام

النشر في الوقائع وتعليق الاسم بالقسم فأجابه ان هذه القوانين
مهملة من زمن بعيد !

وكذلك اجابه الثاني وهو شيخ الحارة انه لم يعلن المرحوم
لانه كان غائبا !

ماسمع المحافظ هذين القولين حتى تأكد ان اقتراع
المرحوم لم يكن صحيحا فأمر بتجديد اعلان اقتراعه على الطريقة
القانونية وقد عفت عنه شهادات الدراسة

هذه هي الحادثة باسرها التي ذاعت في كل العالم اتمدن
وما علمت الجرائد المحلية وفي مقدمتها جريدة المؤيد حتى زفت
هذه البشرية للوطنيين الذين فرحوا فرحا كبيرا

اما الانكيز واذنابهم فانهم قضوا ليلتهم في حزن لانهم
رجعوا من الحيلة بخفي حنين ولم يبق لهم الا سخط العالم باسره عليهم
وقد جاءني من المرحوم بعد هذه التفاصيل خطاب قال
لي فيه بعد كلام طويل :

« لا تحقر الناس ولا تنسى انشأ العربي القائل » نواة
تسند زيرا « والمثل الفرنسي القائل » يحتاج المرء غالبا لمن

مصدرة بمقالة في هذا الموضوع بلغ فيها كاتبها المسيو كافيو منتهي الشدة وحذر الحكومة والمحتلين من هذا العمل .

قصد المرحوم قبيل ظهر اليوم التالى المحافظة وقابل المحافظ الذى ابتدره بعد أن جلس بقوله « ان القانون يحتم علينا تجنيديك لان مدة المعارضة التى خولها للمقترعين بعد اعلانهم قد انقضت » . فأجابه المرحوم ولسكنى الأسف لم أعلن ! فبهت المحافظ عند سماع هذه الجملة وقال له اذا كنت لم تعلن فليس فى هذا أسف من قبلك بل بالعكس فيه لك كل فلاح وسرور » فقال له المرحوم « انى آسف لانب . المحتلين ورجالهم المنافقين لم يستطيعوا أن يصلوا الى بغيتهم ! »

فقال له المحافظ « واين برهانك على أنك لم تعلن ؟ » فأجابه المرحوم « نصوص القانون التى حتمت اعلاانى أو اعلان أحد من بيتى وتعليق اسمى بالقسم ونشر اقتراع القسم فى الوقائع المعمرية وحيث أنه لم يحصل شيء من ذلك فلاحق لى فى استدعائى أولا الى مجلس القرعة وثانيا الى المحافظة ! » فدعا المحافظ عقب هذا مأمور القسم وشيخ الحارة وسأل الاول عن مسئلتى

مدير جريدة « الجورنال انجيسيان » الفرنسية وأبلغهما فحوى
المسئلة فأرسل مكاتب هافاس تلغرافا مفصلا لمركز الشركة
بباريس هذا تعريبه :

« ان المحتلين يريدون تجنيد مصطفى كامل السياسى الشهير
مع أن قوانين البلاد تستثنى من القرعة حاملى شهادة الحقوق
والقادرين على دفع البدلية وهو ممتع بالصفتين
وان ما ينتحلونه من اعذار كاعلانه فى غيابه واتمام
الاجراآت القانونية لس بصحيح . وانى اؤكد للرأى العام
الاوروبى أن هذه المسئلة لو تمت على رغبة الانكليز لآثارت
فى مصر حركة تكون نتيجتها وبالاعلى مصالح كل دول أوروبا
لان هذا الرجل من أكبر زعماء الحزب الوطنى الذى وقف نفسه
لتحرير مصر واخوانه فى هذا العهد أشداء . وغداً سيقصد
محافظ العاصمة الذى شدد فى طلبه ليرافع امامه فى قضيته
بل قضية مصر بأسرها »

وفى صباح اليوم التالى ظهرت جريدة « الجورنال
انجيسان » خلافا لعادتها لانها كانت تظهر عادة بعد الظهر

الضمانة اللازمة للمجلس حتى نأمن من وجودك يوم التجنيد
النهائي فناقته المرحوم بشدة وقدم له الشهادات التي تعافية
ومعها نقود البدلية ولكن صاحبنا هز كتفيه وقال هذا
لا ينفعنا فقد له المرحوم افعل ماشئت وتركه وانصرف فكتب
في الحال رئيس المجلس للحريية وهذه كتبت للمحافظة .

كتب المحافظ خطابا لقسم الخليفة يشدد فيه بوجوب
القبض على المرحوم وارساله حالا للمحافظة ولكن مأمور
القسم لم يعمل بنص هذا الكتاب الغير القانوني وقصد
المرحوم في الحال فوجده مع الكثيرين في قاعة الضيافة فقام
المرحوم واختلى به في مكان آخر وعرف ما يتتبعه وشكره
شكراً جزيلاً ووعدته بالذهاب الى المحافظة في اليوم التالي

في مساء هذا اليوم جاء تاجر من تجار الاسكندرية
بصفة خاصة ليقول للمرحوم وهو لا يعرفه أنه سمع من
حكمدار بوليس الاسكندرية أن المحتلين مصممون على تجنيده
مهما كلفهم ذلك وأوصاه أن يأخذ الحيطة في ذلك . فقصد
المرحوم تواء مكاتب شركة هافاس في القاهرة والمسير كافيو

جديدة فكلف في الحال احد اخوانه اعضاء الحزب ليستحضر له
قانون القرعة وذيله ولما احضرهما قرأهما المرحوم فوجدانه
يجب عند عملية الاقتراع بأى قسم اعلان ذلك بالوقائع المصرية
وتعليق اسماء المقترعين بلوحة في القسم التابعين له وارسال
اعلانات ليد المقترعين او من لهم بهم اى علاقة من اهليهم او
من خدمهم .

ما وقف المرحوم على هذه الفقرات من قانون القرعة
حتى دعا شيخ الحارة وسأله امام اثنين من أصدقائه عما اذا
كان سلم اعلان اقتراعه لأحد في غيابه وعما اذا كانت أسماء
المقترعين علقت في القسم فقال شيخ الحارة على الفور « ما
حصل شئ من هذا » فاستكتبه المرحوم نص ما قال وأشهد
عليه الصديقين كتابة وحفظ الورقة في جيبه

قصد رحمه الله في اليوم الثانى مجلس القرعة وقابل رئيس
المجلس فابتدره هذا قائلا بازدرأ « اءنت مصطفى كامل » جلس
المرحوم على كرسي وجسده خاليا وقال له نعم وماذا تريد ؟
فاندهش الرئيس وقال انك الآن جندى فيجب أن تقدم

اعلانات لمشايخ الحارات وقد كان شيخ الحارة التي كنا نسكنها
رجل اسمه الشيخ محمد زايد

جاء شيخ الحارة الى المنزل وسأل الخادم عن المرحوم
فأخبره انه في اوروبا وانه سيحضر قريباً فاعتمد على قرب
حضوره ليسلمه الاعلان لانه كان قد فهم من الاوامر التي
صدرت اليه ما فعل

سأل رئيس مجلس القرعة عن هذا الاعلان خاصة بعد
بضعة ايام من المأمور وهذا سأل شيخ الحارة الذي ابلغه انه
جرى مجراه وعلى ذلك اطمان بال واسطة المكيدة وابلغ
رؤساءه الانكيز بما كان فمشوا له وبشوا وما دروا ان تدبير
الله اعظم والله لا ينصر الظالمين

عاد المرحوم من سياحته وما جاء السابع من شهر ديسمبر
حتى جاءه اعلان من القسم بأن يذهب الى مجلس القرعة لانه
حل ميعاد تجنيده حيث لم يبدأ قبل معارضة بعد الاعلان الذي
ارسل اليه .

ماقرأ المرحوم هذه النميقة حتى فقه انهم نصبوا له اجبولة

في السابع من شهر سبتمبر سنة ١٨٩٦ بدأ مجلس قرعة
القاهرة في اجراء عملية القرعة فأوعز الانكليز اليه ان يقترح
المرحوم غيايياً ويجنده جندياً لان رئيس المجلس المذكور كان
من ضلع الانكليز يعمل كل ما يرضيهم وكان لانكليز
يعتقدون ان الصلة بين سمو الخديوى والمرحوم كبيرة
وانهم رؤوا ان ما عملوه به لم يؤثر على المرحوم في شيء
بل زاده نشاطاً في خدمة الاوطان وعمل اضعاف عمله في
العام الفائت فلم يجدوا غير هذه الحيلة التي يقضون بها عليه
القضاء الاخير بواسطة من لا يهمهم منا الاغرضاء يقضونه او
مأرباً ذاتياً يصلون اليه !

جاء دور قسم الخليفة في الاقتراع وهو القسم الذي ولدنا
فيه وقيدت اسماؤنا في سجلاته فأوعز المجلس اورئيسه (طبعاً)
الى مأمور القسم بعمل كل ما في وسعه لتبليغ اعلان اقتراع
المرحوم لاحد افراد عائلته حتى اذا مضى ثلاثة اشهر على هذا
الاعلان كان اقتراعه واجباً كما تقتضيه القوانين
سلم مأمور القسم اعلان اقتراع المرحوم ضمن جملة

يكونوا قد سمعوه من قبل ! انه لصوت مؤثر محبوب !
وابلغهم عنى تحية الاخ لاخوانه:

وارجوك ان لا تحرمنى من كتبك السارة فأنى في حاجة
كبرى لرؤياك بعد الذى اصابك ولا أقص عليك مارايت فى
غيابك والله يبيقك ويؤيدك لاخيك المخلص

مصطفى كامل

السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٦

حيلته المحتلين

﴿ فى اقتراع المرحوم ﴾

(للجنديّة)

عمد المحتلون من شدة حنقهم على المرحوم وتغيظهم من
عمله كأنه لم يكفهم ظلمهم اياى ذلك الظلم الذى استغاث منه
الظالمون الى طريقة جديدة من اختراع او اخر القرن التاسع
عشر وهى اقتراعه للجنديّة مدة غيابه فى اوروبا وقد استعملوا
فى هذه الحيلة طرقا شتى واليك البيان ...

لا يفتقران لان الاول من الثانى وابن نعمته وغرس فضله
واحسانه ولا ينكر الاحسان الا كل لئيم جبان

قل لهم ان الرجل الذى يأخذ باليمين حلاوة ايرد بالشمال
نار اليس من البشر بل من حشرات نشأت بين الاوساخ فكانت
العاطفة البشرية فيه سما زعافا

قل لهم ان الانكليز يعرفون عن خبرة ان العلم بيننا
لا يزال فى تسنين لم يبلغ الحلم بعد فهم يشوز فينا وسطاء السوء
ونذراء الشر واهل الضلالة ليضلوا من صغر عقله وجبن قلبه
ضلالا كبيرا

قل لهم ان الضابط الذى يقرأ اقوالهم بعد ما قرأ الا يصح
ان يكون مدافعا عن الوطن لان الوطن يطلب نقوسا تضع
الكرامة موضعها وتفرق بين العدو والحبيب . نعم ان الوطن
يقول بلسانه المؤثر « ان ابنائى هم الذين يقفون بينى وبين كل
ساع فى اضرارى » وليس هناك ضرر اعظم من دخيل ينكر
على الابناء حب ابيهم كما ينكر هؤلاء الدخلاء حبنا لوطننا
قل لهم كل ذلك وسيسمعون يوما صوت الوطن ان لم

مصر جياعا فيذكرونها كل لحظة بالخير وانها وطن العالم ولها
اسخى الايادي على كل عاجز مقعد حتى اذا ماشعوا وصعد
بخار غذائها المحي الى رؤوسهم ضلت عقولهم وعميت عيونهم
فيرون جميل الامس قبيحا اليوم ويذكرون نهارنا ليلا ويدعون
أنهم وعاظنا وقادتنا

قل لهم بالله عليك - ان الوطن المصري موجود ولكن
الوطنيين الصادقين قليلون حتى يكادوا يكونون عدما
قل لهم ان الذي البسكم سلاحكم وتوجكم به - هذا الشرف
شرف الدفاع عن حوزة الوطن هو الوطن نفسه . وان الذ
ساعة تمر على الوطني في ساعات حياته هي ان يرى بعينه دمه
يسيل ثمنا وفداء لآخوانه ابناء الوطن

قل لهم ان في البلاد احتلالين انكليزيا ودخيلا وبقدر
محاربة الاول يجب محاربة الثاني اضعافه لانه الدخيل الذي
دخل ليدعي انه منا واما الانكليزي فلا يغير جنسيته ودينه
وعوائده لانه يجد المجد فيها والشرف في ذكرها والتغنى بها
قل لهم ان اخاك رأي الامم والاطوان جسمين

ما انتشر ما كتبه المؤيد عن وصول المرحوم من دار
السعادة وعن وصف هدية جلالة السلطان حتى قصده الكثيرون
من محرري ومندوبي الجرائد الاروية والمحلية ونظروا الى
الهدية نظرة اعجاب وحادثوه في شؤون سياسية مختلفة ونشروا
عنه ما ارتاحت اليه نفوس جميع الوطنيين

اما جرائد الاحتلال المأجورة فقد أشبعته سباً وشتماً
كأنها تريد ان لا يكون لمخلوق وطن حيث لا وطن لها .
وقد اتهمته بهم كثيرة اقلها انه مجنون معتوه الى غير ذلك
من الكلمات التي يخجل فاقد شعوره من التفوه بها
وقد كتب الى رحمه الله كتابا جاء فيه :

« وما سمعت في حياتي من انواع الشتائم وصنوف
الاسباب مثل ما سمعت بعد عودتي من السياحة في هذه المرة
فقد صادفت اصواتا اجنبية عنا ودخيلة فينا تنادي في كل
مكان بأني خيال لا حقيقة وانه لا وجود للوطن المصري .
فاقرأ هذه السطور بين اخوانك الضباط وقل لهم اننا في زمن
لا يستحي فيه مأجور ولا ينزوي فيه دخيل . فهم يأتون الى

« مصر في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٦ »

الملازم الاول على فهمي بالاورطة الثانية بمرؤى

وصلت العاصمة فدننى متى تحضر كامل

وقد بعثت بالرد فى الحال بأني سأكون بمصر فى أوائل

فبراير عام ١٨٩٧

ثم ورد لى منه رحمه الله كتابا هذا نصه :

« أخى الاعز »

ألف تحية وألف سلام . وصلت البارحة الى العاصمة

فاستقبانى الاخوان أحسن استقبال وقد وجدت جميع افراد

العائلة فى أجود صحة وبعثت لك توا بتلغراف أنباتك فيه

بوصولي وسألتك متى تحضر لمصر وقد استلمت التلغراف

الذى ورد منك اليوم وسأعد الأيام بالدقائق والساعات حتى

يجيئنى منك ما يبشرنى بقيامك الينا . بلغك الله السلامة

مصطفى كامل

وحفظك لاخيك

الاثنين ١٦ نوفمبر سنة ١٨٩٦

*

**

وعليها الطرة الشريفة ترصيعا بأجواهر والاحجار الكريمة
أيضاً وقد وضعت في صندوق صغير في أحسن حلية من
الذهب والفضة . ولا شك أن للتعطف بمثل هذه المنح
الخصوصية اعتباراً سياسياً وشأناً عظيماً يفوق الانعام بالرتب
والنشانات أضعافاً مضاعفة

ومما يذكر هنا أن حضرة الفاضل المومى اليه كان
ممتعاً في الاستانة العلية بالحرية التي كان عليها في عواصم أوروبا
وكان مكاتبو الجرائد الأوروبية الشهيرة يتوافدون عليه
للتحدث معه في الشؤون السياسية كما كانوا يتوافدون عليه
في باريس وبرلين وفيينا بحرية تامة ورخصة شاملة من جلالة
مولانا السلطان ونحن الآن نهيء حضرته بسلامة العودة
وبما لقي من آيات النجاح في كل خطوات سياحته خادماً أميناً
لوطنه أكثر الله في البلاد المصرية من أمثاله ونجح مقاصد
كل خادم أمين لقومه وأمته وبلاده» ... اه

وما وصل المرحوم المنزل واستراح حتى كتب لي

تلغرافاً هذا نصه :

والناس كافة يحسون في أوروبا بهذا الخطأ ولا بد من اجبار
انكلترا يوماً ما على الجلاء من مصر . فان في تحقيق الجلاء
فائدة عظيمة جداً لكل أوروبا » ... اه

*
**

بعد أن مكث المرحوم في الاستانة الى يوم الاربعاء
الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٦ استأذن من جلالة
السلطان بالعودة الى مصر فأذن له جلالاته وبرح الاستانة
حيث وصل القاهرة في يوم الاحد الخامس عشر وقد كتب
المؤيد بمناسبة وصوله مانصه بالحرف الواحد:

« حضر الى العاصمة مساء أمس حضرة الفاضل الغيور
مصطفى أفندى كامل على أثر عودته من الاستانة وقد استقبله اجمع
الغفير من أصدقائه وخلانته على المحطة مهنيته بسلامة الوصول
ويسرنا أنه لقي من تعطفات الحضرة الشاهانية مدة
وجوده في دار السعادة ما هو جدير به من الرعاية والالتفات
وقد تفضل جلالة مولانا السلطان الاعظم فأنعم عليه بهدية
ملوكانية فاخرة وهى علبة سجائر من الذهب مرصعة بماس

المسألة الدولية الشاغلة لكل الافكار . وهي مسألة المستقبل
القريب

ويكفي لمن اطلع على ما جرى أخيراً في مجلس النواب
الفرنسوي عند ما سئل ناظر الخارجية الفرنسية عن ماهية
الاتحاد الفرنسي الروسي وعن نواياه في مسألة مصر أن
يتحقق الاتفاق التام الكائن بين فرنسا والروسيا في مسألة
مصر ولم يكن من الممكن أن المسيو هانوتو يصرح بزيادة عما
صرح فان الحكومات لا تستطيع مطلقا المجاهرة بنواياها
واسرارها امام مجالس النواب . ولكن ما قاله المسيو هانوتو
يكفي كما أوضحنا لاثبات اتفاق الدولتين الفرنسية والروسية
على مسألة مصر وعزمهما الاكيد للعمل على اجبار انكسار
أن تخرج من مصر

ومن كل ما ذكرناه يدرك طالب الحقائق مقدار الخطأ
الذي وقعت فيه كل دول أوروبا لتركبها المراقبة الثنائية تنحل
طبقا لرغائب الانكسار

هذه المراقبة التي كانت أعظم ضمانا لحيادة قناة السويس

الواسعة في الشرق الاقصى ولما لها من المستعمرات في افريقية
الشرقية

ووظف الى ذلك العداوة الشديدة التي ابتداءً لحيها بين
المانيا وانكلترا من نحو سنتين والتي لا يستبعد معها ان نرى
الاتفاق الثلاثي بين فرنسا ومانيا والروسيا يتحقق في مسألة
مصر كما تحقق في مسألة الشرق الاقصى

ولقد تكلمت الجرائد الاوروبية عن امكان حصول
هذا الوفاق الثلاثي . والرأى العام الفرنسي يظهر ارتياحه
لحصول هذا الوفاق في مسألة مصر اذ لا يمكن حصول الموازنة
بين فرنسا وانكلترا في البحر الابيض المتوسط مادامت انكلترا
محتلة لمصر ويرون في المانيا ان ليس بالبعيد حصول هذا
الوفاق في مسألة مصر خصوصاً وان « غليوم الثاني » يجتهد
في اسقاط شأن خصمه التجاري الوحيد . اي الانكليز

ولقد فهمه الوطنيون المصريون كل هذه الامور وعملوا
للاتفاف بهذه الظروف السياسية حتى يبلغوا غايتهم المقصودة
اي يتخلصون من النير الانكليزي . وبالجملة فان مصر هي

ومما لامرأه فيه ان الروسية تم بعد ثلاث او اربع سنوات سككها الحديدية في سيبيريا لكي تستطيع اذ ذاك ارسال الجنود باسرع وقت في كوريا وسبريا الشرقية ولكن هل الجنود وحدها كافية ???

اوليست انك لترا قادرة على منع السفن الروسية من اجتياز قناة السويس ؟ وحيث كانت اليابان دولة بحرية مؤلفة من جملة جزائر فقير ممكن اخضاعها بغير الاساطيل القوية والسفن الحربية المستعدة بعد طرد جنودها من سيبيريا وكوريا اذن فكيف يتنى للروسيا ان تغلب اليابان اذا لم تكن قادرة على اجتياز قناة السويس التي هو اقرب الطرق للوصول الي المحيط الباسيفيكي ??

فيستنتج من كل ذلك ان للروسيا بالرغم عن انشاء السكك الحديدية في سيبيريا مصلحة عظيمة في حل المسألة المصرية التي من ضمنها مسألة قناة السويس ولذلك تتفق في مسألة مصر مصالحتها مع مصلحة فرنسا صاحبة الهند الصينية وتتفق كذلك مع مصلحة المانيا بالنظر لما لها من التجارة

بأن يطلب منها الاعتراف امام اوروبا بحقوقه على مصر
وان عملا كهذا من جلالة السلطان يقابل ولا شك
بالاستحسان ما دام جلالته واثما من عضد المانيا زيادة على ما
عنده الآن من الثقة بعضد فرنسا وروسيا. ومعلوم لدى العامة
وخاصة ان جلالة الامبراطور نخليوم الثانى يحترم جلالة
السلطان عبد الحميد احتراما زائدا بحيث لا ينكر احد مودته
خليفة المسلمين واختصاصه اياه بالمحبة الا كيدة

ومما يفيد ذكره الآن هو ان الجرائد الالمانية الشبيهة
بالرسمية وبعض الخطباء الرسميين اثبتوا فائدة الاتفاق الثلاثى
الذى جرى بين فرنسا ومانيا والروسيا فى مسألة الشرق
الاقصى . وان معضلة سياسية من اهم المعضلات قامت اليوم
ولها بالمسئلة المصرية ارتباط شديد الا وهى مسألة النفوذ
الاوروبى فى مياه بحر الصين والاقيانوس الباسيفيكي فان
اليابان تعمل اليوم عدة تجهيزات ضد الروسية وقد خصصت
قسما عظيما من الغرامة الحربية التى دفعتها لها لصين لانشاء
دوارع حربية واساطيل خطيرة

« لقد اهتمت الجرائد الاوروبية في الايام الاخيرة
بزيارة « مصطفى كامل » للاستانة العلية . ذلك الوطني المصرى
المشهور بخطبه المؤثرة فى مسألة الاحتلال والجلء

وقد اشيع انه فى مدة وجوده فى الاستانة العلية ابغ
مسامح جلالة السلطان آزاءه فى مسألة جلء انكلترا عن
وادي النيل . وأن هذه الاشاعة تكون ذات اهمية لو تحققت
خصوصا وانها جاءت فى وقت ثبت فيه اتحاد فرنسا وروسيا
وعزمهما الاكيد على العمل لتحقيق تنفيذ العهد الصريحى التى
تعهدت بها انكلترا عن مصر . اى تحقيق الجلء

ويؤكد الثقات من رجال السياسة ان مصطفى كامل
شرح رأيه لجلالة السلطان بأنه ينبغى ان جلالته يرسل مذكرة
سياسية الى الدول يذكرها فيها بضرورة حل المسألة قبل كل
مسألة سواها . فان انكلترا هي اول الدول الساعية اليوم فى
تنفيذ التغييرات الجديدة فى الدولة العلية . وبعبارة اخري هي
اكثر الدول عملا فى تأييد حقوق المسيحيين . وهذه الصفة
التي لانكلترا اليوم تسمح لجلالة السلطان ان يجيب على مطاعنها

فلا تحرم ايطاليا من زيارتك فأن الاحرار يحبون على
الدوام رؤىة الاحرار من اى جنس كانوا . واعتقداها الوطنى
الغيور ان ابناء ايطاليا الذين درسوا الوطنية عن جريبالدى
لنى أتم استعدادنا وتكلم على حل مسألة مصر ان لم يكن اليوم
فعدا وليس الغد ببعيد وتقبل عظيم اخلاصى
« ك . فورشلا »

هذه الكتب وامثالها مما كانت تشجع المرحوم فوق
شجاعته فكان قلبه كله املا فى حل مسألة مصر كما ان قلوبنا
كذلك لان الحق مهما طال عليه الخفاء فلا بد ان يعلم يوما
ويعود الى حقيقته الاولى

المسائل المصرية

كتبت جريدة « الاندبندنس بليج » الشهيرة فصلا
مطولا فى عددها الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر بمناسبة زيارة المترجم
للاستانة العلية . هذا تعريبه :

من طريقه الشرعى فكل من سار على الدرب وصل وتقبل
ياسيدى خالص احترام
الصادق المخلص
« هـ . زينفر »

وكتب اليه كذلك المسيو كانى فورشللا النائب الايطالى
المتطرف الشهير كتابا هذا تعريبيه :

« ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٦ »

ايها المصرى المحترم

انك باعمالك تلمت من جديد العالم الى تاريخ مصر القديم
والجديد وتعيد ذكرى الفراعنة الذين لبسوا قبل بنى البشر
تاج العلم ودخلوا جنة الصناعة ! انك لا تقل فى نظرى عن
اوروبى ذى رأس كبيرة محنك وربما فضلت عليه بنشاطك
الفائق الذى لا يقل عن نشاط البخار فن بارس نسمعك
وكذاك من برلين وفيينا والاستانة تذكر بلادك حتى خيل
لنا ان العالم كله معك . نعم العالم كله معك . لان مسألة مصر
هي مسألة العالم كله وخصوصا مسألة ايطاليا التى اعتمد ملوكهم
الحديثين على ابناءها فى الرسم والبناء وتنظيم الجند والبوليس

الكبرى وجاء للمرحوم على اثرهما كتب عديدة من رجال
السياسة يهتونه على هذا الفوز ويؤكدون له ان مسألة مصر
مهما طال عليها الزمان فلا بد ان تأخذ حقها العادل من العالم
المتمددين ومن هؤلاء الذين خاطبوه الدكتور هفمان زنيفر
رئيس حزب الشمال بالبرلمان الالماني فقد قال له :

١٨ نوفمبر سنة ١٨٩٦

سيدي

انى قرأت اعمالك الاخيرة وتبعت كل خطواتك السياسية
دفاعا عن بلدك العزيز فوجدتها لم تصدر الا ن وطني مخلص
زكى نشيط فأهنتك بهذه الدرجة التى تدهش كل من وقف
عليها وعرف ان سنك هي سنك (كانت سن المرحوم وقتئذ
٢٢ عاما)

وانى اوافقك على وجوب جلاء الانكليز عن مصر لا
لان الالمان يكرهونهم كما يشاع عنا بلا حق ولكن لمسئلة
التوازن العام ولمصاحبة قناة السويس بل لمصاحبة انكثرا نفسها
انا مستعدون لمساعدتك متى كنتم عقلاء فادأبوا على الدفاع

هاتين الدولتين اعضاءان النجاشى بالضباط والاسلحة فيسير
بجيشه الجرار الى السودان - وهم يدركون عواقب ذلك - اوقعوا
بين ايطاليا والنجاشى ولم يكن ثم غرض لهم الا ان يمنعوا ملك
الخبشة من التقدم في السودان وقد نجحت سياستهم نجاحاً
عظيماً والقت ايطاليا بنفسها بين يدي الاحباش وما عملت
شيئاً غير كونها خدعت سياسة الانكايز ومشروعاتهم الخفية
بالمهاودماء ابناءها

ولمهاراة الانكايز في سياستهم انتهزوا فرصة انهزام
الايطاليين وقرروا حملة دنقلة بحجة مساعدة ايطاليا المنهزمة
ليناو ابهذه الحجة رضى التحالف الثلاثى عن الحملة وموافقته عليها.
ونرى الانكايز يريدون الان تمثيل آخر فصل من هذه
الرواية بطلبهم ابتياع كسلا من ايطاليا !!!

وبمثل هذه الاعمال تسخر انكلترا من اوروبا باسرها
حيث لم تعمل هذه عملا ما لاخراج تلك من وطننا العزيز!

*
* *

احدث هذان الحديثان تأثيرا كبيرا فى الدوائر السياسية

✧ ايضاح جديد عن حملة دنقله ✧

سألت مصطفى كامل السؤال الآتي :

هل يمكنك ان توضح لي السبب الحقيقي للحملة على

دنقله ??

فاجابني برأى سياسى جديد فى هذه المسألة . وهذا

جوابه :

ان مرمى السياسة الانكليزية من يوم احتل الانكليز
مصر هو الاستيلاء على السودان . فهم يرغبون امتلاك هذا
الوادي المملوء بالخيرات والنعيم وهم ادركوا ان من ملك
السودان يملك مصر واهم اذا اضطر وااجابة لقرار اوروبا
للانجلاء عن مصر يبقى السودان تحت سلطتهم

ولا يخفى ان السودان بلاد لاديون عليها اوروبا كمصر
فامتلاك الانكليز لها يجعلها مستعمرة انكليزية مطلقة وكل
اعمال الانكليز من يوم الاحتلال موجهة لهذه الغاية

فلما احس ابناء التاميز فى سنة ١٨٩١ أن فرنسا وروسيا
تشتغلان بوضع اساس اتفاق لحل المسألة المصرية وخافوا أن

توفيق باشا من جهة اخرى ان السلطان يعمل ضده ويسعى
لعزله عن كرسي الخديوية ليعمد مصر ولاية عثمانية كما كانت
عليه قبل العائلة الخديوية

فلما قامت مسألة عرابي راى الانكليز من تمام المهارة
ومن وسائل توسيع خرق الشقاق ان يرهنوا للخديو على
كراهة السلطان له فسعوا عند الخليفة سعي الصديق حتى
حلوه على تقليد عرابي بالنيشان العثماني الاول !!! ومن هو
عرابي ??? هو الذى كان يدعي يومئذ بانه المدافع عن حقوق
السلطان فى مصر . وهذا الامر اوغر صدر المرحوم توفيق
باشا والقاه فى حضن الانكليز . وهام الانكليز الآن يعملون
جهد استطاعتهم للشقاق والتفريق بين الجناب الخديو وجلالة
السلطان ولكن مانعهده فى اميرنا الحالى من التبصر والحكمة
والوطنية يحقق لنا انه يعمل دائما لتأييد سياسة المحاسنة والتقرب
من الدولة . وهى السياسة التى فى اتباعها سلامة الكرسي
الخديوى والوطن المصرى

احزاباً حساً ومعنى

هل لك ان تقول لى ماهي خطة مصر بازاء الدولة العلية
(الجواب على هذا السؤال وعلى الذى بعده هما ولا شك
بيت القصيد من هذا الحديث)

أن سياسة مصر نحو الدولة العلية — وهى السياسة
التى يجرى عليها الوطنيون المصريون — هى سياسة حسن
التقرب منها وتوطيد العلاقة الحسنة على قدر الامكان بين
التابع والمتبوع

فالتاريخ يندرنا بالألا تتبع سياسة أخرى غير سياسة
الحاسنة لانه ذا كان الانكليز فى مصر الآن فالسبب فى ذلك
ولا شك هو النفور والخصام اللذان كانا مستحكماين قبل
الاحتلال بين جلالة السلطان والخديو السابق توفيق باشا.
ولقد نجح الانكليز فى التفريق بينهما بالسير على سياسة ذات
وجهين . فأفهموا جلالة السلطان وقتئذ ان خديو مصر عدو
له يعمل لاسقاط جلالته عن عرش الخلافة ليجلس هو عليه
كما سعى لذلك من قبله جده الاكبر (محمد على) وافهموا المرحوم

استطاعتهم لاحداث اضطرابات في البلاد فهم يجتهدون في
اهاجة خواطر المسلمين ضد المسيحيين والمسيحيين ضد المسلمين
وينشرون رسائل تطعن على الدين الاسلامي وتدعو المسلمين
لاعتناق النصرانية ويطعنون في جرائدكم على خليفة الاسلام
الذي له في مصر سلطة معنوية لا يحدها العقل . كل هذا مع
احتقارهم لسائر النظمات والقواعد الشرعية

ولذا كان عمل كل وطني صادق في مصر موجها الى
تسكين خواطر الامة التي من الجائز ان تثور يوما بسبب
تحريصات شيعة الانكاز

ولكن قل لي لماذا يرغب المصريون في الجلاء والانكاز
يشيعون انهم في ارغد عيش تحت سلطتهم ??

— اننا نعمل للجلاء او تحرير وطننا اولاً لاننا نشعر
بواجباتنا وحقوقنا ونعتقد ان من واجباتنا القيام بمثل هذا
العمل الشريف وأن فينا من الحياة ما يكفي لتمتعنا بكل حقوقنا
اما ما يشبهه الانكاز من اننا سعداء تحت سلطتهم فهذا
كذب قام بدحضه البرهان اذ الحقيقة ان المحتملين فرقوا مصر

ما هي احساسات المصريين نحو الانكليز??

ان عموم المصريين كارهون للاحتلال الانكليزي وهم يعتقدون اليوم أن غاية السياسة البريطانية امتلاك كل وادي النيل . ولذلك فقدوا الآن ما كان عندهم من الثقة في وجود الانكليز . وبالاختصار فقد تعلمنا من الاحتلال الانكليزي أن نعتقد بأنه لا شرف ولا ذمة في السياسة

ما هي رغائب الوطنيين المصريين أو الحزب الوطني

في مصر??

أن الحزب الوطني في مصر هو عبارة عن الامة بأسرها تجاه الاحتلال فرغائبه هي رغائبها . وأهم هذه الرغائب تحقيق الجلاء عن مصر من غير احداث أي اضطراب أو اى أمر من شأنه تكدير الامن العام

ولهذا الغرض قمنا نستلفت انظار أوروبا والينا بالقلم واللسان ولسنا بغير القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفرضها للنظر في مصلحة بلادنا . أما الانكليز الذين يدعون أنهم احتلوا مصر لتأييد الامن فيها فانهم يعملون جهد

« الاستانة في ١١ نوفمبر

از لزيارة « مصطفى كامل » الخطيب الوطني المصري
الشهير للاستانة أهمية يدر بها كل انسان خصوصا وانها جاءت
في الزمن الذي يشتغل فيه كل رجال السياسة بمسئلة مصر .
هذه المسألة التي لا يبعد أن تقوم قيامتها قريبا ويشتغل العالم
كاه بها

ومن المقاصد التي جاء مصطفى كامل هنا لاجلها هو أن
ينفي كل الاراجيف التي يشيعها بعض الناس بأن المصريين
غير صادقين تماما في ولائهم لجلالة السلطان كما يزعمون مثل
ذلك عن الخديوي المعظم لغايات لا تخفى

فهو ينادى ويحقق كما يعتقد أنه بالرغم عن أقوال الوشاة
لا يوجد أدنى فتور في علائق الخديوية المصرية للعرش العثماني
واذا كان مصطفى كامل عنوان الشبيبة في مصر وممثل الوطنية
الكامنة في صدور النشأة المصرية الذين هم رجال المستقبل
في مصر فقد قابلته وتحادثت معه في أحوال وطنه وشؤونه
وهاهو الحديث!

أوروبا التي تسأل السلطان نفسه احترام المعاهدات؟؟?
أما الجواب على سؤالك لى عن نفوذ خليفة الاسلام
المعنوى بين الامم الاسلامية فقطعى لاريب فيه. وان للخليفة
الاسلامى نفوذا هائلا لا يدركه الفكر بين كل الامم
الاسلامية. واذا كان يوجد فى أوروبا أناس يقولون عكس
ذلك فانهم يغشون أوروبا ليلقوها فى هاوية خطر عظيم
ويكفينى أن أقول لك أن كلمة واحدة من جلاله الخليفة
تكفى لتسيير الامم الاسلامية كلها فى أى سبيل يشاء .
فليتقظ لذلك الامر محبو السلام فى أوروبا !!!

— الحديث الثانى —

﴿ كشف الغطاء عن دسائس الانكليز ﴾

(السياسة ذات الوجين)

وهذا هو حديث مكاتب جريدة نيويورك هرالد فى

الاستانة :

الاخيرة برهاناً واضحاً على عدم تعصب المسلمين ضد المسيحيين
فهل نال أحداً من الاوروبيين شئ من الاذى؟؟؟ كلامهم كلام
انما بغض الارمن وان كان شديداً فانه طبيعي لان هؤلاء
القوم الذين كانوا في رعد تام من العيش وفي نعمة زائدة لم
يجدوا وسيلة يظهر بها امتنانهم للدولة العلية غير الثورة
والجرائم والمذابح !!! فاولئك المجرمون هم المسؤولون وخدم
عن مصائب اخوانهم الارمن الذين ماتوا ابرياء وذهبوا اضحية
عمل فريق منهم

واذا كانت أوروبا تريد حقيقة العمل للتوفيق بين
المسلمين والمسيحيين فعليها أن تجبر انكلترا على احترام
المعاهدات وحقوق السلطان في مصر التي هي من الخلافة
الاسلامية روحها وقلبها . واعتقد يا حضرة الكاتب أنه متى
انحلت مسألة مصر لا يكون لانكلترا فائدة من الآن في
دس الدسائس للدولة العلية

أوليس من الغرائب أن أوروبا المتمدينة تهمل حمل
انكلترا على احترام حقوق السلطان في مصر ثم هي بنفسها

في العالم الاسلامي فأجابني جوابا صريحا أنقله لقراء جريدتنا
كما هو :

« لا تظن يا حضرة المكاتب ان المسلمين يكرهون المسيحيين
أو في نفوسهم شيء من البغضاء لهم . وان الذين يصرخون في
أوروبا بتعصب المسلمين الديني إنما يضررون أعظم الضرر
بمسيحيي الشرق فاذا تساهلت أوره با زمنا طويلا وأغضت
عن الكتابات والخطابات العدائية ضد الاسلام اضطر
المسلمون عندئذ أن يجزموا بأن أوروبا قاطبة متعصبة ضد
مجازرة لهم حربا دينية

وأن نتيجة انتشار اعتقاد كهذا الاعتقاد في العالم

الاسلامي لعظيمة الخطر على العالم كله

وماذا تقولون معشر الاوروبيين اذا قام اليوم علماء

الاسلام وقلدوا قسوس الانكايه والقواني الجوامع والمساجد

الخطب الدينية ضد النصرانية والنصارى وحرصوا هذه الامم

التي يبلغ عددها ثلاثمائة مليون من النفوس ضد المسيحيين ؟

واقعد رأيت بنفسك يا حضرة المكاتب في الحوادث

وحضوره بعد ذلك اعاصمة ملك جلالة السلطان لمن الامور
التي يدرك اهميتها كل انسان .

ولقد قابلت هذا الضيف الجليل وتحدثت معه طويلا
على احوال مصر والشرق . فوجدته على جانب عظيم من
اللطف والدعة واسع الفكر خبيرا بكل مشكلات السياسة وهو
يتكلم اللغة النمرنساوية كاحد نجباء القرنساويين النابغين تحت
سماء باريس . كل ذلك فضلا عن معرفته التامة بالعوائد
الاوروبية الحميدة وعدم اهماله العوائد الشرقية الكريمة فهو
يقابل زائريه ببشاشة تسلب القلوب وتستميل نحوه ونحو
بلاده كل انسان !

وانى اقول بكل صراحة واندهاش ان المحادثة هذا الرجل
الشهير والخطيب المؤثر لذة مخصوصة تبقى حلاوتها زمانا طويلا
ولا يزول تذكارها . اما حرارته في حديثه فهي حرارة غربية
صادقة يمتاز بها سكان الجنوب من بلاد اوروبا وهي حرارة
كلها وطنية صادقة واحساسات عالية

واتمد سألت « مصطفى كامل » رآيه عن حركة الخواطر

على عهدتهم النداء بحقوقهم واظهارها دائماً على المرشح السياسى
وذلك ما زاد اهميتها

ولقد حضر الى الاستانة منذ ايام ذلك الخطب المصرى
الشهير الناطق بلسانهم والمترجم عن رغائب ابناء بلاده الا وهو
« مصطفى كامل »

ذلك الشاب الذى خلق لان يكون خطيب قومه لما
وهب من القوة والغيرة العجيبين ولما هو عليه من الفصاحة
المتدفقة وملاكمة التأثير على النفوس ولما فى نفسه الشرفقة من
المحبة الشديدة لوطنه . وما جاء الاستانة (مصطفى كامل)
وزار فيها رجال السياسة حتى قوبل من كل الدوائر السياسية
بغاية الاجلال والاكرام . وعلى الاخص فى المايين السلطاني
فأنه قوبل باجمل ما يقابل به سياسى من الحفاوة . والتكريم
ومن الصعب ان يقرأ الانسان من هذا الحين النتائج
التي تنتج عاجلاً عن عمل « مصطفى كامل » ولكن مقابله
لرجال السياسة ذوى الحكمة والشأن فى العواصم الثلاث
« باريس وبرلين وفيينا » ومحادثاته مع سائر الجرائد الشهيرة

اثنين احدهما دارينيه وبين مكاتب جريدة فرانكفورتر كوريه (الامانية الشهيرة. والثاني مع مكاتب جريدة «نيويورك هيرالد» الامريكيه وهى ام جريدة فى العالم لاستقلالها ونجدها عن غايات السياسة الاوروية .

حديث جريدة

﴿ فرانكفورتر كوريه ﴾

(الامانية)

قال مكاتب هذه الجريدة تحت عنوان « حديث عن المسئلة المصرية - مصطفى كامل فى الاستانة » ما تعريبه :

« الاستانة فى ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦ »

تشتغل دوائر الاستانة السياسية الان بمسئلة تحرير مصر وهى المسئلة الخطيرة التى لا يبعدان تظهر بعد قليل فى مقدمة المسائل الدولية العظيمة الشأن . وفضلا عما لهذه المسئلة من الاهمية فى اوربا فان الوطنيين الصادقين من المصريين اخذوا

وكان جلالته كما بلغني الباشكاتب يود الانعام على برتبة
او نيشان ولكني اظهرت عدم رغبتى فى شىء من ذلك حتى
لا تروج بضاعة الاعداء ضدى ويتهمنى ابناء وطنى العزيز
بالعمل حبا فى الظهور ونيل هذه الالقاب الكاذبة

زارنى الكثيرون من كتاب الجرائد وحادثونى فى
شؤون بلادنا التعسة السيئة الحظ والتي تؤمل لها فى مستقبل

الايام كل سوء وخير عميم
ادامك الله لاخيك المخلص

« مصطفى كامل »

الاستانة فى يوم الاحد اول نوفمبر سنة ١٨٩٦

*
* *

ما وصل المرحوم الاستانة حتى طيرت شركتا روتر
وهافاس للعالم اجمع نبأ وصوله وكذلك عند ما قابل السلطان
وعندما اهداه الهدية النفيسة وقد انتهز كذلك مكاتبو
الصحف الكبيرة وجوده حتى وفدوا اليه وحادثوه فى شؤون
مصر . وقد رأينا ان ثبت فى هذه السيرة من هذه الاحاديث

« انى اشعر الان بارتياح كبير حيث رفعتى جلالة السلطان
الاعظم والخليفة الاكرم الى منزلة فوق ما استحق لان عملى
مهما كان فى نظر جلالته كبيرا فهو ليس الا قياما بواجب
يحتمه على الدين والوطنية

وانى اؤكد لدولتكم ان هذا الصندوق الصغير الكبير
لاشرف عندي من اكبر رتبة فى العالم لانه رمز على صلة
الاخلاص بينى وبين عرش الخلافة الذى افكر دائماً فى دوام
قوة ورفعة سلطانه . فليدم الخليفة وليدم الاخلاص »

قال هذا رحمه الله وصافح الباشكاتب وما وصل الى الفندق
حتى اخذ قرطاسا وكتب لى ما نصه :

اخى الاعز حرسه الله

اقبل وجنتيك واهدريك اشواقى الاخوية الخالصة .
وابشرك بأن جلالة السلطان اهدانى علبة سجائر من الذهب
مرصعة بالاحجار الكريمة وموضوعة داخل صندوق صغير
من الذهب والفضة . وقد سلمها الى دولة الباشكاتب اليوم
بعد ان ابغنى سرور جلالة السلطان وارتياحه من عملى

مقابلة من تشاء كأنك في بلدك أو في أي بلد أوروبي « ثم سأله دولته بعد ذلك عما عنده من الرتب والنياشين فقال له المرحوم اني لا احمل لقباً ولا وساماً ولا احب ان احمل شيئاً منها لأنى حر والاحرار لا يميلون لهذه الالقب . وانك تؤذني كثيراً اذا لقبت او وسمت لان وطنيتي خالصة لا تبغى اجرا ولا تسأل نفراً .

فضحك الباشكاتب وقال له :

ليت في الشرق الكثيرين من مثلك

وقصد في الحال جلالة السلطان ليلغفه ما قاله المترجم

ثم عاد حاملاً صندوقاً صغيراً من الذهب والفضة وقال للمرحوم :

« ان جلالة مولانا وسيدنا امير المؤمنين يهديك السلام

ويخصك بالتحية والاكرام ويعجب كثيراً بمبادئك وشمائلك

على غضاضة شبابك وأمرني جلالتك ان احمل اليك هذه

الهدية من خليفة المسلمين « قال له هذا وقدم اليه الهدية

بها المرحوم وقال :

ايام على الاكثر

ومما يسرك اني ضيف جلالة السلطان وقد تشرفت
بلقياه ولاطفني في الحديث كما حضرت حفلة السلامك
وأديت فريضة الجمعة (اليوم) في حضرة جلالته بالجامع
الحميدي

هذا وسأفيدك عن كل شيء وخصوصا ما دار بيني وبين
جلالته بالتفصيل وارجو منك ان تبذل ما في وسعك لنيل
اجازة حتى انعش الروح بلقياك . واذكرني دائما كما تذكر
مصر في صلواتك فان الله يجيب نداء الصالحين .
ادامك الله لاخيك المخلص مصطفى كامل»

الاستانة . الجمعة ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٩٦

وفي صبيحة يوم الاحد اول نوفمبر سنة ١٨٩٦ جاء اليه
رسول من قبل دولة الباشكاتب يرجوه مقابلة دولته في المابين
فقصده في الحال وقابل دولته فاستقبله بكل بشاشة وابلغه
تحية جلالة السلطان وقال له :

« ان جلالة الخليفة الاعظم يمنحك الحرية التامة في

الكريمة قال له :

« انك ستكون كبيراً جداً في زمن قريب مادمت على

هذا الاخلاص »

فلهبج لسان المرحوم بالدعاء لجلالته وخرج مسروراً

فرحاً مستبشراً

عاد المرحوم الى الفندق بعد ان ودع الباشكاتب وكتب

الى خطابا جاء فيه مانصه :

« استلمت تلغرافك المنبىء بل المنعش بالعفو عنك في

فيينا التي برحتها في ٢٣ الجارى لانه جاءنى في باريس حيث

كنت في برلين وكان عامل الفندق الذى كنت فيه قد تغير

فلم يعلم عنوانى المتروك لدى العامل القديم

وعند ما وصلت الى فيينا دعانى شوقى لقراءة انبائك الى

اعلام الفندق فبعث الى بما لديه برسمى

ان احسن ساعة قضيتها في حياتي ساعة استلام هذا النبأ

الذي لا بد ان يكون وقعته الحسن افاد السيدة الوالدة كثيرا

انى الآن بالاستانة وسأبرحها بمشيئة الله بعد عشرة

فقال له جلالة السلطان :

« انك اذا محام »

فاجاب المترجم :

« نعم يا مولاي . اني محام عن قنيتين مهمتين قضية مصر خصوصاً وقضية المسلمين عموماً اما قضية مصر فالعالم الاوروبي مستعد يساعدنا في حلها وانصراف الاحتلال عنها ولكنها مسألة يعرف كل المصريين ان جلالتهم صاحبها وسيدها واملنا عظيم في ان خليفتنا المعظم المحبوب يبدأ بما يحقق املنا »
فتبسم جلالته وقال :

« اني احب لك ان تزور الاستانة كثيراً وان تتعلم اللغة التركية » (لان الواسطة بين جلالته والمرحوم في المخاطبة كان دولة الباشكاتب)

خفي المرحوم رأسه وقال :

« ان حب الخليفة لا يخلص حب وسيكون ما اراد

بمشيئة الله »

فأذن له جلالته بالانصراف . وعند ما تقدم لتقريب يده

الجامع الحميدي الذي يصلي فيه جلالة امير المؤمنين
وبعد صلاة الجمعة اعلمه دولة الباشكاتب بأن جلالة
السلطان يود رؤيته وقد كان ذلك في الساعة السابعة عربية
(اي بعد الزوال بساعتين تقريباً)

ولما تمثل في حضرة جلالة السلطان قال له جلالتة :
« انى كنت اظنك رجلاً كبيراً ولكنك لاتزال فى
حدائة العمر فبارك الله فىك »

فأجابه المرحوم على الفور :
« ان شعور المسلمين جميعاً نحو الخليفة واخلافة كبير جداً
ويستوى فيه الصغير والكبير »

فقال له جلالتة :

« اين تعلمت ؟ »

فأجابه المرحوم :

تعلمت فى مصر وقضيت امتحانات الحقوق فى فرنسا

ونلت شهادة فيها من مدينة طولوز التى هى احدى مدائنها
الكبيرة »

من جناب البارون (شلومكي) — رئيس مجلس النواب
النمساوي والمستشار الخصوصي لجلالة الامبراطور فرانسوا
جوزيف — الذي اعتبره احسن اعتبار « .. اه

*
* *

برح المرحوم مدينة فيينا في يوم الجمعة ٢٣ اكتوبر
قاصداً بودابست وقد سافر من هذه الاخيرة بعد ان لبث
فيها يومين الى دار السعادة فوصلها لاول مرة في صبيحة
الثلاثاء ٢٧ اكتوبر

قصد رحمه الله بمجرد وصوله المابين الهمايوني ولم ينتظر
الا بعض دقائق حتى استقبله دولة الباشكاتب ورحب به كثيراً
وابلغ في الحال جلالة الخليفة الاعظم نبأ وصوله فتعطف جلالته
بان أرسل اليه تحياته وممنونيته من عمله.

تم نزل في فندق «بيرابالاس» ضيفاً على جلالة السلطان
وفي اليوم التالي ورد اليه كتاب من دولة الباشكاتب مع احد
الجاويشيه يسأله فيه الحضور في حفلة السلامك يوم الجمعة
١٣٠ اكتوبر فلي النداء وحضر الحفلة وأدى صلاة الجمعة في

الوزراء والعلماء والكتاب ومحرمي الصحف وكل الذين عرفوه أحبوه وأظهروا له دلائل الميل والوداد

ولقد برهن هذا الشاب الخطيب المصري النبيل على شجاعته برجوعه الى وطنه في اول هذا العام بعد كل ما عمل في اوروبا فاستقبله بنو وطنه اكبر واجل استقبال

وألقى على ملاء من بنى وطنه خطبة وطنية رسم فيها خطته فقبولت من الجميع بالتصفيق والتهليل وعلامات الاستحسان ولكن الانكايز اتقموا من هذه المظاهرة بصفة دينئة وهي انهم جردوا اخاه الضابط من رتبه والقباه لولا ان الخديوى المعظم المحبوب من رعيتة المشهور بعدله رد لذلك الضابط ما سلب منه واعاد اليه شرفه كما كان

ولم يكن لا انتقام الانكايز هذا من نتيجة سوى ازدياد محبة المصريين لمصطفى كامل من جهة وازدياد غيرة هذا الوطني من جهة أخرى

ولقد اقام هذا الضيف الكريم في فيينا خمسة ايام قوبل فيها من رجال السياسة بكل احتفاء واكرام وعلى الخصوص

احتفاء جريدة النمساوية

بالمرحوم

نشرت جريدة (الاكستر اجبلاط) النمساوية في عددها الصادر بتاريخ يوم السبت ١٢٤ أكتوبر مقالة افتتاحية صدرتها بصورة المرحوم هذا تعريفاً:

لقد وفد على فيينا في الايام الاخيرة ضيف كريم ذائع الشهرة والصيت هو الخطيب المصرى الشهير (مصطفى كامل) وهو شاب غيور أخذ على عاتقه منذ سنتين واجب السعى وراء تحرير بلاده من النير الانكليزى. وهذا الشاب لا يتجاوز من العمر اثنتين وعشرين سنة ولكنه مصائب وطنه صيرته رجلاً محملاً خبيراً. فترك مصر وجاء أوروبا يطوف كل البلاد التى يمكنه أن يوقف الناس فيها على حقيقة مايجرى في وادى النيل

وله علاقات كبيرة مع أشهر وأكبر رجال السياسة فى أوروبا وتعرف فى حله وترحاله بين بلاد أوروبا بكثير من

أم هل الانكليز محتلون مصر اليوم لمصلحة أوروبا؟؟
كلا. ثم كلا. فإن أول غرض للانكليز من احتلال مصر هو
تقويض أركان النفوذ الاوروي لا ليعود ذلك على مصر
بالاستقلال في المستقبل ولكن ليحصرها القوة في أيديهم .
ولقد أفزعت تصرفاتهم المالية حملة القراطيس المصرية وزعم
اليوم « أي الانكليز » يجتهدون في الغاء المحاكم المختلطة التي
هي أعظم ضمانات لأوروبا في مصر

ومن جهة أخرى يجب أن لا تنسى المسئلة التجارية فإن
للانكليز في الجمرک وزنين وعيارين ولست في حاجة لان أقول
لك أن التجارة الانكليزية هي المميّزة بجملة مزايا خصوصية
وبالاختصار فإن انكتر احتمال القطر المصري لمصلحتها
الخصوصية ليس الا . وان كانت أوروبا تزيد تحقيق السلام
وضمانه حقوقها وانصاف أمة متمدينة معتدلة كريمة فعليها
وجوب حمل الانكليز على الخروج من وطننا في أقرب وقت
والسلام . . . اه

الطلب لانه لا بد أن يأخذ وصل الاستلام بمقتضى وظيفته
فما كان من الانكليزي الا أن تناول بندقيته وأطلقها على
المصري المسكين فسقط مضرجا بدمايته . ولم يعاقب السادة
الانكليز هذا المهندس الا بنقله الى الهند !!!

ولا تنس المحكمة المخصوصة التي تحم في المنازعات
التي تقع بين المصريين والعساكر أو البحارة الانكليز وهي
تحم لغاية الاعدام بلا قانون وتأمّر بتنفيذ حكمها في الحال
فينفذ

وأما من حيث الوجهة المالية فلما كان الانكليز
مضطرين لدفع مرتبات باهظة لموظفيهم قد أعلاوا الضرائب
حتى أصبحت مصاريف الادارة المصرية سبعة ملايين من
الجنيات خلافا لاتفاقية لندره التي تحددها بخمسة ملايين
فقط .

وديون الفلاحين لم تكن قبل الاحتلال الانكليزي
الاسبعة ملايين جنيتها بلغت اليوم أكثر من اثنين وعشرين
مليوناً .

مائتي طالب ولكنهم الان لا يزيدون عن التسعة! وهم يفسدون
اخلاق التلامذة حيث يطعونهم علي الجرائد الانكليزية
المملوءة طعنا على الامير والوطن المصري ويعطونهم كتب
تاريخ تسب الرسول وتسخر بالعميدة الاسلامية وبالجملة فهم
يربونهم على ان ينكروا وطنهم ويحقدوا قوميتهم كل الجحود
ويكونوا خدما وعبداً للانكليز. وفي الادارات والنظارات
استولى الانكليز على اهم الوظائف حيث ابعدوا الوطنيين
منهم وقربوا الاجانب والدخلاء الذين يسهل عليهم قيادتهم
وربما قربوا بعض السذج والخونة من الوطنيين ليشبثوا بذلك
كله ان مصر غير قادرة على ان تحكم نفسها بنفسها

أو هل الانكليز محتلون مصر لسعادة الفلاحين وخيرهم؟
كلا. فالانكليز يحتقرون قبل كل شيء المصريين احتقارهم
للمعاهدات! واني أقدم لكم مثلاً على ذلك. ذهب يوماً من
الايام أحد عمال مصلحة التلغراف يحمل نسخة تلغراف الى
مهندس انكليزي فلما قدمه اليه سأله آداء لوظيفته أن يمضي على
وصول الاستلام فرفض الانكليزي وكرر ساعي التلغراف

مصر ضد سلطته فلا يستطيع أن يستعمل أول حق من حقوق
الولاية والملك الا وهو حق اختيار الوزراء الذين يديرون
شؤون البلاد باسمه فان انكتر اهي التي تسميهم له وقد
اعترضوه اعتراضا وقحا لما لاحظ على جيشه بعض الشيء
الذي رآه وبالجملة فهو لا يمكنه اليوم أن يعمل ضد رغبة
الانكليز حتى ولا يمكنه أن يزور باريس بصفة غير رسمية
الا وتسببه وتتطاول على مقامه السامي الجرائد الانكليزية البذيئة
وفصلا عن ذلك فان للانكليز في مصر جرائد ينقدونها جرة
الطعن على الامير والعمل للفض من واجب احترام مقامه
في عين الامة ولا يمكن أن يحسب راضيا بهذه المعاملة ولكنه
متبصر وصبور على أنه لا يوجد عند الامة شيء أقدم من
كلمة الامير لو أراد شيئاً

أرهل الانكليز محتلو مصر لتربية المصريين وتعليمهم
شؤون بلادهم ??? كلا . فان اعمالهم جميعا تثبت عكس ذلك .
انهم يقفلون المدارس في اوجه الطلاب . وهاهي مدرسة الطب
اوضح مثال فقد كان عدد تلامذتها قبل الاحتلال اكثر من

مسامح اوروبا المتمدنه بمطالبنا الحقيقية . وان الساعة قد اذنت
ولا محالة وتحتم على اوروبا ان تكره الانكليز على الجلاء
عن مصر

ولقد كان الأجدد بانكلترا ان تثبت عدالتها ومحبتها
للإنسانية بوفاء عهودها ووعودها والجلاء عن مصر
لا باظهار محبتها للأرمن وشفقتها..... عليهم !!!

ومن الوجهة الادارية نرى الانكليز قد أضروا بمصر
ضرراً بليغاً حسا ومعنى فهل الانكليز لا يزالون محتلين
القطر المصري لاعادة الامن الى ربوعه ??? كلا . فإن الامن
قد تأيد في مصر بعد مضي أيام قليلة من سجن عرابي وأنه
يكون من العار العظيم على الانكليز ان يدعوا بأن الامن لم
يتأيد مع احتلالهم لمصر ١٤ عاما

أو هل الانكليز محتلون الديار المصرية الآن لتقوية
سلطة الخديو على اريكته ??? كلا . فإنه لم ينل امير من أمراء
مصر احترام شعبه ومحبه مثل مانال منها خديونا الحالى
عباس الثانى وان الانكليزهم وخدم الذين يعملون في

حقوق الخديوية فمن الواجب احترام هذه الحقوق . واوروبا
التي تسأل اليوم جلالة السلطان احترام المعاهدات يجب عليها
ان تسأل انكلترا قبل كل شيء هذا السؤال

ولما كانت الامة المصرية متاملة ولها حقوق الخلاص
من النير الانكليزي فترى للوصول الى غرضها سبيلين .
سبيل الثورة . والسبيل السلمي

فاما سبيل الثورة فنحن لانريده لاننا قبل كل شيء قوم
مشهورون بالدعة وحب السكينة ونبغض المذابح والجرائم
ومن جهة اخرى فان لاوروبا عندنا مصالح قد تضربها الثورة
وحيث كنا نحترم حقوق اوروبا ومصالحها في مصر
وربما ان الامة اذا ثارت ضلت عن سبيل الرشاد فلا تميز
بين الانكليز وغيرهم من الاوروبيين اذ تقول وقتئذ « لقد
تظاهرت اوروبا ضدنا بموافقتها على الاحتلال فمن الواجب
اذاً العمل ضدها » لذلك اعرضنا عن سبيل الثورة الذي
نكرهه بنظرنا

وعلى ذلك قد اخترنا السبيل السلمي ورفعنا صوتنا الى

المسئلة المصرية

﴿ حديث سياسي ﴾

قالت جريدة الاكسترا جبالط النساوية :

« قال احد محررى جريدتنا بالامس المصرى الغيور
الشهير « مصطفى كامل » وسأله عن المصريين والاحتلال
فأجابه بما يأتى :

« نعم اننا متألمون من الاحتلال الانكليزى لانه مسقط
لكرامتنا باعتبارنا مة فضلا عن كونه مخدشا لبلادنا حسا ومعنى
فاننا مة نقدر محبة الوطن حق قدرها ونعلم ان بلادنا
ما دامت تحت نير الاحتلال الاجنبى وما دمنا لاندير شؤوننا
بايدينا فلا حق لنا في ان نحسب انفسنا مة من الامم التى لها حقوق
محترمة ولهذا نرغب من صميم افئدتنا التخلص من الاحتلال
الانكليزى . ولقد وعدت انكلترا اوروبا بالغاء عن مصر
ونطق وزراء الانكليز بذلك في تصريحاتهم العلنية المتكررة
وضمنت اوروبا بالمعاهدات التى عقدها مع الدولة العلية

اغلب المصريين راضون عن الاحتلال الانكليزي
وانا اعتقد أن الحرب السودانية لا بد وان ترفع من
شأن الجنود المصريه فتكسبهم ملكة عسكريه اهليه تساعد
— وذلك ما لا شك فيه — على تتمه الصفات الضرورية
لمصر حتى تنال استقلالها يوما ما

وانك تسألني ايضا في كتابك عن رأيي في السياسة التي
يجب ان يتبعها التحالف الثلاثي تجاه المسئلة المصرية . وجوابا
على هذا السؤال اقول لك اني افكر ان المسئلة المصرية
لا تهم دول التحالف مباشرة بل ان سياستها تتوقف على ما
تخطه انكلتر في المستقبل

هذا وانى ارجوك ان تتفضل بقبول عظيم احترامي
ومزيد اعتباري (جوزيف بويوسكى)

وقد علقت الجرائد الاوروبية على هذا الخطاب الذى
نشرته جريدة الاكلير الباريسية تعليقا فائضا وفي مقدمتها
الجرائد النمساوية

اقول لكم . انى افهم جيدا انك بصفتك مصريا ووطنيا لا بد ان تتألم لضياح استقلال بلادك وان كان يعزيبك ويخفف آلامك الاعتقاد بأن الاحتلال الانكليزى فى مصر ليس الا مؤقتا وأن انكثرا لا تتعدى على الجنسية المصرية وان لكم استقلالاً داخليا تاما وان لكم اميرا حازما وادارة منتظمة ولكن لكي تنال امة من الامم حريتها يلزم ان يكون عندها بعض صفات معنوية خصوصية . واول هذه الصفات ان تكون مستعدة لان تضحي نفسها فى سبيل الوطن

وقد ارشدني التاريخ الى ان روسيا قضت اربعين عاما حتى استطاعت ان تملك القوقاز وان فرنسا حاربت فى الجزائر حربا طويلة حتى استطاعت ان توقف مقاومة «عبد القادر» لها . ولا يزال من الصعب على هاتين الدولتين تجنيد الجنود من القوقاز والجزائر . ومن جهة أخرى فليس لانكثرا فى مصر غير ثلاثة الآف جندى مع أن للخديوى جيشا منظم عدته ثلاثة عشر الف جندى ولديه خمسة الاف رجل فى بوليس . منظم تنظيميا عسكريا . فهذه الارقام تدل على أن

لى رأيه هل هو نصير الاحتلال ام الجلاء ؟
وما هى السياسة التى يجب أن يتبعها التحالف الثلاثى ؟
ورجائى ان لا تعتبر واسؤ الى هذا مملا او مبهما فان الوطنية
قاهرة تدفع المرء الى مخاطبة من لا يعرفه او الخروج احيانا
عن الحد . وانكم انتم الذين علمتم الأمم ما هى حدود الوطنية
لا بد ان تعطفوا الى الوطنيين المصريين وتمدوا لهم كل معاونة
فى سبيل تخليص وطن حكم عليه بالاسر والذل . كاد يذهب
ضحية طمع بريطانيا وتهاون اوروبا

ثم تقبل ايها العضو المبجل اجل تحيات وعظيم احترامات
المصرى المخلص

مصطفى كامل «

وقد أجاب جناب النائب على هذا الكتاب بما تعريبه !

فيينا فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٦

سيدى

تسأنى فى كتابك المؤرخ فى ٢٤ ستمبر الماضى عما اذا

كنت نصيرا للاحتلال او الجلاء فجوابا على هذا السؤال

كانت لا قوالهم ضجة في الدوائر السياسية الانكليزية عول
رحمه الله ان يبرحها الى فيينا في يوم الاحد ١٨ اكتوبر .
وقبل ان نشرح وصوله الى عاصمة النمسا نذكر هنا مكاتبة
سياسية دارت بين المترجم وبين المسيو « جوزيف بويوسكي »
احد كبار اعضاء مجلس النواب النمساوي لفائدتها السياسية
ذلك ان المرحوم علم ان المسيو « جوزيف بويوسكي »
من كبار اعضاء مجلس نواب النمسا الاحرار المطلعين على
السياسة الخارجية اطلعا دقيقا فرأى ان يكتب اليه خطاباً
عن مسألة مصر هذا تعريبه :

﴿ رسالة سياسية ﴾

باريس في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦

جناب المحترم المسيو جوزيف بويوسكي

انى لم اتشرف بمعرفتك من قبل ولكنى وطنى مصرى
اعمل لجلاء الاحتلال الانكليزى ولذلك اجد من الشرف
ان اسأل بلا معرفة رجلاً حراً مثلك اشهر بسعة علمه وعظيم
استقلاله وتمكنه من معرفة السياسة الخارجية بخدا فيرها ليشرح

مصالحنا ومصالحهم متحدة ضد مصالح الانكليز وأملنا أن
أوروبا تخلصنا من يد هذا الاحتلال الثقيل فتزداد بذلك
محبتنا للاروبيين وتعظم الفتنة مع زءء بلادنا منهم
إذا فان أوروبا إذا أجابت نداءنا وحققت أمانينا
ومطالبنا وحملت الانكليز — وهي قادرة — على احترام
المعاهدات بقي الاتفاق والوئام بين المصريين والنزلاء
الاروبيين تامين كما هما الآن بل وأتم . أما إذا أهملت
أوروبا زمنا طويلا حل المسئلة المصرية فأمتنا تضطر عندئذ
للاعتقاد بأن كل أوروبا موافقة على الاحتلال راضية به وانما
تبغض كافة المسلمين بغضادينا ومتحاملة عليهم . وهذا يحمل
الامة بالطبع على كرهه الاروبيين عموما كرهها للمحتلين .
وهذه نتيجة خطيرة من البديهي أن أوروبا لا تعمل للوصول
اليها . اه

*
**

بعد ان لقي المرحوم في برلين كل اكرام وتعارف بكبار رجالها
وفطاحل ساستها الذين صرحوا بجميلهم للمسئلة المصرية والتي

وان عباس باشا لجدير بأن ينال هذا الفخار .

وبالجملة فأنى معتقد بأن الخديو عباس باشا لا يعتبر للحياة قيمة في جانب المحافظة على حقوقه التي هي أقدم شيء عنده خصوصا اذا كانت المحافظة على هذه الحقوق مرتبطة بحبة أمته اياه وبشرف عائلته المحيطة

(٤) هل من الجائز أن بغض المصريين للانكليز

يتحول الى بغض كل الاوروبيين النازلين في مصر ؟

حقا أن هذا السؤال لمن أهم الاسئلة . فان الامة

المصرية عاشت من عهد المغفور له محمد على الى هذا اليوم مع الاوروبيين على أكمل وفاق وأصفى وداد والاوروبيون

والمصريون يخلصون لبعضهم في المحبة ولا خلاف يفرقهم ولقد

كان دائما تساهلنا الديني أحسن موفق بيننا وبينهم ومودتنا

للاوروبيين مستمرة لا تتغير والمبدأ الذي جرى عليه أبناء

وطنى دائما مع النزلاء هو « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

ومنذ احتلال الانكليز لمصر اتفقنا معاشر المصريين

ونزلاء بلادنا في المطالب والاماني . وانا نعلم علم اليقين أن

احساسات أمته نحوهم؟

حقاً أن الخديو لا يريد إلا أن يكون حاكماً حقيقياً في بلده فضلاً عن كونه مصرياً يحب وطنه حباً صادقة . وهو يريد أن يكون جالساً على أريكة ملكه وأميراً على بلده ولا يقبل بحال من الاحوال أن يكون تحت حماية أى دولة أجنبية ومنذ ما استلم زمام الخديوية أظهر علناً وبكل صراحة احساساته الوطنية الشريفة وبذلك أوجد في مصر تياراً وطنياً يقوى ويزداد من يوم الى آخر وهذا التيار هو اليوم أقوى منه في سائر الازمان . وكل الذين يعرفون أخلاقه وصفاته يعلمون جيداً أن خطته الحالية لا تشير الى تجديد ضعف عنده ولا تدل على تنازله عن حقوقه ولكن تدل على أنه صابر يرقب الفرص والحوادث

وانا معشر المصريين نعلم جميعاً أن خديونا المعظم يفكر دائماً في تاريخ عائلته الكريمة المحمد ولا يغيب عن ذاكرته قط مجد جده « محمد على » الذى طرد في أول هذا القرن (الانكليز) المحتلين بذاتهم . عند ما حاولوا أن يسلبوا مصر

أعوام » أى انه كان يجب ولا يزال يجب على الانكاييز أن
ينجلوا عن مصر . وبناء على هذا التصريح العظيم الالهية
الفريد فى بابہ كتبت أخيراً الى المستر غلادستون أسأله أن
يلقى خطبة على مصر يذكر فيها حكومة المملكة بأن هنالك
معاهدات يجب عليها احترامها على شواطئ النيل لان المستر
غلادستون يجب عليه أن ينصح حكومته باحترام المعاهدات
التي يجب عليها احترامها قبل أن ينصحها باجبار تركيا على
احترام المعاهدات المختصة بها وبرعاياها

وقد كنت أنتظر أن المستر غلادستون يقبل رجائي
الا أنه أجباني بأنه شخص ككل الاشخاص المجردين من كل
حيثية وسلطة فلا يسوغ له التداخل فى مسألة مصر مع أن
المستر غلادستون هو بعينه وبصفته أحد الافراد المجردين
عن كل سلطة وحيثية يتداخل — ويتداخل فوق ما يلزم —
فى مسألة الارمن . وهذا مما يثبت سوء نيات الانكاييز حتى
القائمين منهم بضرورة الجلاء عن مصر

(٣) هل احساس الخديو نحو الانكاييز على مثل

وأن ثقة المصريين بالانكليز كانت في بدء الاحتلال كبيرة
لأننا لم نكن نحسب مطلقاً أن اناساً متمدنين ينسبون لامة
يلعت من العظم والمرتبة مبلغ الامة الانكليزية ينقضون
وعودهم ويتظاهرون باحتقار شرفهم وشرف الامم الاخرى
بأشد ما يمكن من ضروب الاحتقار علناً . نعم اننا ما كنا
نحسب قط أن الانكليز يتاجرون بشرف البرلمان الانكليزي
وبشرف جلالة الملكة وهام الآن أولئك الذين دخلوا مصر
ليعيدوا الامن فيها ولينجلوا عنها بعد زمن قليل أصبحوا
يدعون أنهم حماة النيل !!!

وأن سوء مقاصد الانكليز نحونا أصبح واضحاً تمام
الوضوح حتى الاحرار الذين يجاهرون بأنهم نصراء الجلاء
هم خبيثو النية وليسوا في الحقيقة الا (انكليزا) أقل صراحة
من غيرهم وأن الحوادث الاخيرة اتحفتنا بأعظم البراهين على
ذلك

فلقد كتب لي المستر غلادستون في الشتاء الماضي كتاباً
سياسياً صرح فيه « بأن زمن الجلاء عن مصر قد حان منذ

التعهدات العلنية صراحة

ولقد وجدت انما كنت تعضيد محبي « الحق والعدالة »
وهم والحمد لله ليسوا بالقليل العدد في أوروبا . واني اخاطب
الامم والحكومات وسواء سمع صوتي الآن او بعد الآن
حتى لو كان سماعه بعدموتي فاني عامل ماعشت لاداء واجباتي
نحو وطني وانا دى كل ذوى الضمائر الحرة من جميع الامم
للعمل لانقاذ مصر .

ومع كونى لا أعرف من اللغة الالمانية الا بعض كلمات
فانى جئت برلين لاسمع صوت مصر المضغوط عليها لانه لا
يهم الناس اللسان الناطق به الانسان مادام موضوع كلامه
حقا وصدقا . واني اظن انى لا تبخلون بايمالكم لامة جديرة
بالرعاية والعناية مثل الامة المصرية

(٢) هل فقد الانكليز حقيقة ثقة المصريين واصبحتم

فى يأس من أن يقوموا بوفاء وعودهم ؟

— أجل لقد فقد الانكليز ثقة المصريين وأصبحنا جميعا

لا نظن أنهم يقومون يوما ما من تلقاء أنفسهم بوفاء وعودهم

عظيم يحقق فيه القول بالعمل

وهو يقود الاحاديث مع محادثيه بحررة ما عهدت في غيره من رجال الشرق ويجب مخاطبه بصراحة تامة على كل سؤال وهو معتقد تمام الاعتقاد انه يعمل عملاً شريفاً طاهراً ويعتقد ذلك انى حد أنه واثق تمام الثقة ان آماله لا بد أن تتحقق . وثقته في نفسه واطمئنان خاطره يظهر ان جلياً من جوابه عن السؤال الاول

(١) اى مامورية سياسية انت مكلف بها فى حضورك

الى برلين ؟؟

« انى مكلف من تلقاء نفسى وبواجب الوطنى بمامورية وطنية محضة يدفعنى اليها الاحساس النفسانى فاني لما فكرت فى الحالة التعسة التى فيها وطنى وشعرت من نفسى بأننى انسان عليه واجبات لارض آبائه واجداده رأيت بعد التروى مع اصدقائى الوطنيين ان آتى لاوروبا . وقد مضى على عامان وانا مشتغل بعملى هذا مدافعاً عن قضية يلادى ضد الانكليز المحتلين لها بالرغم عن المعاهدات الصريحة القطعية واعظم

هذه المسئلة التي سيخرج منها وادي النيل لابساً حلة جديدة
من الحياة والتي تستلفت العالم اجمع نحوها
ولقد ذكرنا بالامس ان احد محرري جريدتنا ذهب
الى مصطفى كامل واستطلع افكاره عن مصر ونحن اليوم
ناشرو حديثه كما كتبه لنا المحرر:

« لقد تعودنا ان نفكر دائماً ان نصرآء الآراء الخطيرة
وزعماء المذاهب والساعين لتنفيذ اغراض كبيرة كغرض
المصريين العظيم يكونون من الشيوخ الكبار السن ولذلك
دهشنا في اول الامر لما شاهدنا مصطفى كامل المصري
السائح في اوروبا طلباً لتحرير بلاده من نير الاحتلال الاجنبى
شاباً لم يزل في غضاضة العمر . ولكن لا يلبث الانسان برهة
حتى ينسى انه امام شاب بل يحسب نفسه مع شيخ كبير
حنكته التجارب والسنون الطوال حيث يجد محدثه فضلا عن
ذاك في كل كلمة من كلامه شغفاً صادقاً بوطنه وغيره عجيبة
في العمل الذي هو قائم به وحركات رأسه المملوءة مهارة
ونشاطا وبريق عينيه يثبتان من قوة تأييد أنه مستعد لعمل

ومن الامور المعقولة والطبيعية قيام كل الذين لا يرضيهم
حالة بلادهم الحاضرة لغرض استماله دول اوروبانحوهم والعمل
لتخليص بلادهم. ولهذه الغاية نفسها حرك المصريين الوطنيين
الساكن من مسئلة الجلاء عن مصر بالخطب والرسائل
السياسية واعتنوا بنشر افكارهم في كل اصقاع اوروبا

ولقد تكلمنا في جريدتنا (البوست) منذ بضعة اشهر
عن رسالتين مهمتين، تتعلقان بالجلاء عن مصر وقلنا انهما من
قلم الوطنى المصرى الشهير (مصطفى كامل) الذى وهب
حياته ونفيس عمره فى سبيل تخليص وطنه وتحرير بلاده
وحيث كان يطوف فى اوروبا دائباً فى عمله فقد جاء
برلين لغرض التعرف فيها بارباب الاقلام ورجال السياسة
حتى يوقفهم على حالة بلاده الحالية ليقتنعوا بضرورة العمل
ضد بقاء انكلترا فى مصر وقد فعل ذلك فى البلاد والعواصم
الاخرى

وانا نظن ان قراء جريدتنا يستفيدون كثيراً من الوقوف
على رأى هذا الوطنى المصرى فيما يختص بمسئلة تحرير مصر

السياسية عن مستقبل بلاد النيل وهى الآراء التى تملها عليه
محبه الصادقة لوطنه ولذلك عزمنا على ان ننشر فى احداعداد
جريدتنا الآتية هذا الحديث الذى جرى بينه وبين محرر
صحيفتنا

وقد نشرت الجريدة المذكورة هذا الحديث فى عددها
الصادر بتاريخ ١٦ اكتوبر تحت عنوان (مصر وانكلترا)
وهذه ترجمة ماجاء فيها !

« لا يخفى ان حل المسألة المصرية ذوفائدة عظيمة لالمانيا
اذ لا بد لنا ان نهتم بأمر قناة السويس بعد ما تقدمت
مستعمراتنا فى افريقية وانتشرت تجارتنا فى الشرق ويهمننا ان
تكون هذه الطريق المائية حرة . ولا يشك احد اليوم
ان انكلترا تعمل لامتلاك وادى النيل او بعبارة اخرى
لامتلاك قناة السويس

وبسبب هذه الاعتبارات اخذت الامة المصرية تشتغل
بمسئلة الاحتلال . هل ترضى به وتحتمله الى امد طويل بذلة
وهوان . ام تتخلص من ربة أسره ؟

القوة والنفوذ وما دامت انكتر الم توف بوعودها نحو مصر
فبحال ان يقبلها التحالف الثنائي . وان الجرائد الفرنسية موجهة
انظارها الآن للمسئلة المصرية وتقول ان قيامة الجرائد
الانجليزية ضد المانيا واظهارها التشفي منها بعد زيارة القيصر
لباريس امر لا يعول عليه . والناس هنا مسرورون من
محادثة مصطفى كامل في برلين فيما يختص بالمسئلة المصرية
وسيتوجه هذا الوطني الكبير الى فينا بعد مبارحته برلين
ومنها الى بودابست فالاسنانة الخ . . اه

— حديث مع جريدة —

﴿ ذى بوست ﴾

كتبت الجريدة المذكورة في عددها الصادر بتاريخ

١٤ أكتوبر ماتعريبه :

لقد حضر مصطفى كامل المصرى الى برلين وهذا الاسم
مشهور عند قراء (البوست) من ذكرنا رسائله السياسية
التي نشرناها عن وطنه (مصر) كثيراً وقد ذهب اليوم احد
محررى جريدتنا وتحادث معه طويلاً فاستبان منه آراءه

ورد تلغراف من برلين الى جريدة المورنن بوست
الانكليزية هذا فواه

يوجد مصطفى كامل الآن في برلين حيث يسأله محررو
الجرائد المختلفة عن احوال مصر بأزاء الاحتلال .
وهو يصرح انه جاء برلين ليستميل الامة والحكومة
الالمانيتين لغرض تحرير بلاده وتخليصها من نير انكلترا .

ونشرت جريدة « النوفل بريس ليدر » النمساوية الشبيبة
الشبيبة بالرسمية ولسان حال خارجية النمسا التلغراف الآتي
واردا لها من باريس في ١٦ أكتوبر وهو :

« يتبع الانسان هنا بكل اهتمام قيامة الجرائد الانكليزية
ضد الجرائد الالمانية وقد استخلصت (الماتان) من خطاب
السير جورج ومن كتاب اللورد هنرى هافلوك ان دخول
انكلترا في سلك التحالف الثنائي « الفرنسي الروسي » مما
يوافق احساسات الرأي العام الانكليزي وتقول الماتان ان
الامة الفرنسية ضد رغبة اتحاد الانكليز مع الدولتين وان
سلوك انكلترا الجديد علامة على ما احرزته فرنسا الآن من

يعمل منذ سنين بكل ما في قوته واستطاعته لاجابة مطالب
المسيحيين المحكومين بسلطة جلالة السلطان والذي يطعن اشد
الطعن واقبحه على جلالته ليضطره الى قبول مطالب الارمن
هو بذاته غلادستون الذي هذه صفاته — نراه اليوم
يختفي وراء ستار أعذار باردة عند ما طلب المصريون منه ان
يذكر الحكومة الانجليزية باحترام المعاهدات وتنفيذ الوعود
العينية المختصة بمصر. تلك المعاهدات والوعود التي اخذتها
انكلترا على نفسها امام اوروبا

وبديهي ان خطة غلادستون هذه وسلوكه الغريب
مما امتاز به سواس الانكليز دون العالم . ويظهر منها انهم
ليسوا بمخلصين نحو الارمن ولا نحو المصريين وانه لمن الأسف
ان سيرى مصطفى كامل براهين كثيرة على سوء مقاصد
الانكليز نحو بلاده قبل ان تتحقق آماله الشريفة الوطنية « اه
ونشرت جريدة « الفيجارو » الفرنسية في ١٧ أكتوبر
تلغرافا وردها من لندره بتاريخ ١٦ منه هذا نصه بالحرف
الواحد : .

انما يعملون للجلاء ليأخذوا محل بريطانيا في مصر ولكنها
أكذوبة ساقطة وخبت النية ظاهر فيها جليا . فالانكليز
بهذه الاكذوبة يريدون أن يغشوا المصريين وأن يبعدوكم
أنتم معشر الالمانيين عن الدولة الراغبة للجلاء

واننا نؤمل أعظم الامل أنكم لا تغشون بالباطيل حتى

تساعدونا على استرداد حقوقنا الشرعية المسلوبة . اهـ

وكتبت أيضاً هذه الجريدة فصلا آخر هذا تعريبه :

« من المفيد ان يعلم القراء اليوم خطة المستر غلادستون

نحو المصريين خصوصا وان تذكار خطبته الاخيرة التي القاها

في ليفريول ودافع فيها أشد الدفاع عن الارمن لا يزال

حاضرا في الازهان فقلنا أرانا حضرة المصرى الغيور

مصطفى كامل الذى نشرنا حديثه بالامس كل المكاتبات

السياسية التي دارت بينه وبين المستر غلادستون « قد جاءت

الجريدة المذكورة على نصها » ثم قالت وان خطة المستر

غلادستون المملوءة شكاً وريباً التي هي خطة اكثر السياسيين

الانكليز تظهر جليا من هذه المكاتبات فغلادستون الذى

على احترامها

واننا نظن ان التحالف الثلاثى لوبقى على الحياد لا لنا
ولا علينا لنبلغ مع ذلك اماننا لان انكنا ترا بقبى يومئذ منفردة
امام الدولة العلية وفرنسا والروسيا - هذه الدول الثلاث
التي تضالها عندئذ ان تحترم عاجلا المعاهدات والعهود العانية
(٣) الا تخافون ان فرنسا تغتال مصر اذا خرج الانكنايز
منها؟

- كلا . فاني عرفت بكل تدقيق حقيقة احساس الامة
والحكومة الفرنسيتين نحونا . واقول جازما ان فرنسا مخلصه
النية في رغبتها لجلاء الانجليز عن مصر . اذن فهي لا تريد
بأى صفة كانت احتلال مصر بعد خروج الانكنايز منها وهي
تقدر كفاءة المصريين حق قدرها وتعلم من جهة أخرى ان
مصر بموضعها الجغرافي وبأهميتها السياسية لا يمكن امتلاك
أى دولة اياها بل يجب ان تكون حرة وتبقى مفتوحة
الابواب لتجارة العالم كله واصناعته

وان الانكنايز يشيعون في كل مكان ان فرنسا وبيين

يعتبرون هذا التصريح من اهم التصريحات السياسية التي صرح بها من يوم ان احتل الانكليز مصر

وانى لا اظن ان استعداد الحكومة الالمانية للعمل في سبيل تحقيق الجلاء الذي كان موجوداً في سنة ٨٧ قد فقدته الآن ولو ان حملة السودان لم تقرر الا بعد رضى الحكومة الالمانية التي كانت تؤمل بتجريدها مساعدته حليفها ايطاليا. بل يظهر لى انه من الامور المستحيلة قيام حكومة جلالة الامبراطور غليوم يوماً ضد حقوق مصر المقدسة

وها نحن نرى ان الحكومة الالمانية تعمل بالاتفاق مع الدول في مسئلتى الارمن وكرىدوليس لها صالح مادي خاص في هاتين المسألتين بل هى تعمل فيهما بقصد توطيد اركان السلام العام واحترام تنفيذ المعاهدات الدولية واذا كان هذا مقصدها الحقيقى فواجب ان ننظر لمصر. اذ لو اقام الانكليز فيها طويلاً لتكدر ولا شك صفو السلام فضلاً عن ان هناك معاهدات يجب احترامها أيضاً كما يجب حمل انكثرا

والسلم وهم عالمون ان أوروبا المتمدنة لا تزال موجودة في العالم ولا تزال نحن معتقدين بها ومؤملين فيها. ولكن مع هذا وذاك لا انكر عليك انه اذا أهملتنا اوروبا زمنا طويلا ولم تجبر انكلترا على الجلاء فيضطر المصريون الى التظاهر بطرق أخرى غير ما لبثوا عليه السنين الطوال وحينئذ فليست المصالح الانكليزية هي التي تقع وحدها في الخطر بل يلحق الضرر بالمصالح الاوروبية جميعاً

(٢) ماذا يظن المصريون في خطة المانيا نحوهم وماذا

ينتظرون منا؟

لقد أمل المصريون دائماً ان الحكومة الالمانية تنضم الى الدول التي لها صالح اكثر من غيرها في جلاء الانكليز عن مصر تصديقاً لتصريح البرنس بسمارك لسفير فرنسا في برلين سنة ١٨٨٧ لما كان السير درومندوولف يشتغل في الاستانة ليتحصل على توقيع جلالة السلطان على الاتفاقية المشهورة بشأن مصر وهو قوله « ان الحكومة الالمانية مستعدة للعمل في سبيل تحقيق الجلاء عن مصر » والمصريون

— نعم . نعم . حقا ان الامة المصرية لتألمة كثيراً من
اعمال الاحتلال المقوتة وتؤمل من صميم فؤادها ان تخلص
من ربقة هذا الاحتلال . وان الاحساس الوطنى المنتشر في
كل بلاد مصر وهو وان لم يكن فى انتشاره وقوته كما هو
عند الامم الاوروية ولكنه قوى ومنتشر لدرجة يثبت معها
حب الامة لحريتها ورغبتها العظيمة فى استرداد حقوقها المقدسة
وان سكوت الامة المصرية لا يدل على شىء آخر غير اتصافها
بالحكمة وتمسكها بالصبر

وقد يستدل بعض رجال السياسة فى دول التحالف
الثلاثى بالسكينة السائدة فى مصر الآن على ان المصريين
راضون بالاحتلال ويفتكر اولئك السياسيون انه لو كانت
مصر تريد اجلاء الجنود الانكليزية عن ديارها لثارت من
زمان ضدهم ولكن هؤلاء السياسيين مخطئون فى هذا الاعتقاد
اذ ان المصريين وطنيون صادقون المحبة لبلادهم واذا كانوا
يغضون الاحتلال بغضا شديدا فانهم كذلك يكرهون
الجرائم والمذابح . اذا فهم يريدون استرداد حقوقهم بالسكينة

✽ حديث مع جريدة ✽

✽ برلينر تاجبلاط ✽

اما جريدة « ذي برلينر تاجبلاط » فقد قالت بمناسبة وجود المرحوم في عاصمة الالمان ما تعرييه :

« لقد وفد على برلين في هذه الايام اهم المشتغلين بامر تحرير مصر من الاحتلال الاجنبي وهو الوطنى المصرى الشهير « مصطفى كامل » الذى يكتب ويخطب في اوروبامند عامين دائب السير والعمل والجهاد في سبيل مشروعه الشريف والآن قد جاء برلين لاستمالة شعبها نحو وطنه الاسيف

ومصطفى كامل هذا هو شاب فصيح جذاب اجتمع به أحد محررى جريدتنا وتحدث معه في مسألة مصر وكانت المحادثة باللغة الفرنساوية حيث هو لا يعرف اللغة الالمانية واليك الحديث الذى دار بين محرر جريدتنا وبينه :

(١) أترى اغلب المصريين كارهين للاحتلال

الانكليزى

وفي الختام اسأل الله ان يمنحني السعادتين سعادة انقاذ
مصر التي نقديها بالارواح وسعادة اتيك مع الاهل في اتم صفاء
والله يدريك لا خيك المخلص

الثلاثاء ٢٩ ستمبر سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل «



سافر المرحوم من باريس الى برلين في يوم الخميس ١٥
اكتوبر وقابل في الحمال رجال السياسة والصحافة الذين
عرفهم في العام السابق لعامه ذاك وعرفوه بأخرين لا يقلون
عنهم في عالم السياسة أهمية.

وقد نشرت شركات البرق وفي مقدمتها شركة هافاس
نبأ سفره الى برلين ومادار بينه وبين سياسيها بشأن مسألة مصر
اما الجرائد الالمانية فقد استقبلته استقبالاً عظيماً وخصوصاً
جريدتا « ذى برلينر تاجبلاط » التي هي اكبر جرائد الاحرار
المعدودة في منزلة جريدة الديلي نيوز الانكليزية و « ذى
بوست » التي هي اكبر جرائد المحافظين وهي لاتقل عن
جريدة « التيمس » في انكلترا

« اخي الاعز »

بعد التحية والتسليم والاعراب عن شوق عظيم .
استلمت كتابك الكريم وقد أدهشني وجودك الآن مجردا
من رتبك مع ان جرائد مصر كتبت حوالى النصف من
شهر اغسطس ان سمو الخديوى قد عفا عنك قبل سفره
للاستانة !

املى انك ترسل لى تلغرافاً عند وصول هذا اليك لاقف
على الحقيقة التى اطلب تحقيقها كما ابتغى
سياحتى فى هذا الصيف كانت تكون جميلة لولا انى
كثير البلبال بأمرك وهبك الله من لدنه فوزا عظيما
وقد كتبت امس كتابا ثالثا للمستر غلادستون كررت
له فيه الرجاء ان يخدم مصر بالقاء خطبة كما خدم الارمن
واعتقادي انه سيرد على هذا الخطاب
وقد عزمتم ان اسافر الى براين وفيينا ثم الى دار السعادة
التى دعانى لزيارتها جلالة السلطان الاعظم على لسان دولة سفير
باريس بعد الاحتفال بعيد جلوس جلالته

لمملكة العثمانية - يخدمان مطامع الانكايز الآن اجل خدمة
في حين ان الدفاع عن مصر لا يظهر غير سوء نية الانكايز
وعلى ذلك فمحنة غلادستون للانسانية - تلك المحبة
الشهيرة - ليست كما يقول مصطفى كامل مسيحية محضة بل
هي اقل من ذلك رتبة وانما هي « انكليزية »

وانه يلزم الانسان ان يقول الحقيقة دائماً وعلى الخصوص
لعظماء الرجال. ولقد كان الناس يشكون في حقيقة غلادستون
الى زمن قريب الا انها اصبحت ولا ريب فيها « اه
اما الجرائد الانكليزية فأنها كعادتها هزأت بهذا
الكتاب أيضا واعتبرته محاولة من المستر غلادستون يريد بها
ان لا يعطي للمترجم جوا ابا شافيا... بخلاف الجرائد الفرنسية
فكلها ناقشته مناقشة حادة لأن جزءاً منه يخص سياسة
حكومتها

*
* *

كتب الى المرحوم بعد ذلك خطابا واصلني بعد ان نلت
العفو هذا نصه !

تبيح له التداخل في هذه المسئلة »

وان هذا الاول ليس بصريح ولا بمقبول ألبتة فان المستر
غلاستون يدهش العالم اجمع اذا كان يعتبر نفسه فرداً من
مطلق افراد الامة الانكليزية واذا كان يظن ان ليس له في
وطنه مكانة غير ما لكل فرد من عامة قومه

وعلى كل حال فهذا الاعتبار لم يمنعه من ان يلتقي في
الايام الاخيرة بكل بهرجة نصائح على الحكومتين الانكليزية
والفرنسية

وليت شعري لماذا نراه عاملاً نشيطاً عند ما يكون
الامر الذي يدع اليه متعلقاً بتسيير أمتين عظيمتين (الفرنسية
والانكليزية) على سياسة قهرية الى مهاوي أخطار الحرب .
وكل ذلك لاجل نصاري الشرق . ثم نراه هو ذاته خجلاً
لا يستطيع ان يرفع صوته لاجل مسلمي مصر مع انه اعترف
مراراً بأحقية مطالبهم ???

اوليس ذلك لان الدفاع عن الارمن والسبيح - وهو
الامر الذي ينمضي الى اخطر الحوادث وربما نتج عنه تقسيم

الواحد !

« لقد لعب احد رجال النابتة المصرية - مصطفى كامل - المشهور بنشاطه العظيم لعبة متقنة للغاية على الشيخ الموقر غلادستون . اذ كتب اليه يسأله ان يجود على امم وادى النيل الاسلامية المقهورة تحت النير الانكليزي ضد التعهدات العلنية بشيء من تلك الفصاحة الشديدة التي يتكرم بها عن سخاء تام على الارمن المسيحيين

وقال له في كتابه مامعناه هل تقف اذاً انسانيتك عند المسيحيين ؟ الا تشمل الاخوة المسلمين ؟ هل اختلاف الاجناس والاديان يحملك على استعمال القوة البهيمية وتبرير مخالفة التعهدات والوعود العلنية ؟

ولقد رمى مصطفى كامل بكتابه رمية ذي النظر السديد وكان يجب ان يكون الجواب على كتابه قطعياً كما طلب . -
اي انه كان يجب على المستر غلادستون ان يقبل رجاءه -
ولكن ذلك لم يكن . فان المستر غلادستون كتب اليه يقول
« انه بصفته احد افراد الامة الانكليزية مجرد عن كل سلطة

واننا نعلم كيف كان عرض هذه المناقشة يومئذ ولكن
الخطبة التي ألقاها المستر غلادستون نفسه في البرلمان اذ ذاك
بصفته الوزير الاول لانكلترا تجعلنا نحكم الآن بان حكومتنا
كانت تضع زمنها سدي لو تخابرت مع المستر غلادستون في
هذه المسألة

ومع هذا فاذا كان المستر غلادستون لا يزال يعتبر لزوم
المداولات ويرغب في أن تحافظ انكلترا على عهودها وتقوم
بوفائها فلماذا نراه لا يقبل رجاء مصطفى كامل بل يعتذر لنفسه
بأنه فرد من أمته مجرد عن كل سلطة ككل أفراد الانكليز!
نعم ان هذا القول يعد تواضعاً ممدوحاً ولكن هل الصوت
الذي ارتفع للدفاع عن الارمن فهاج خواطر الانكليز غير
قادر على ان يقول الحقيقة بشأن مصر ?? »

كاتب سياسى في الاكلير

وكتب مسيو (التونس هو مير) الكاتب السياسى
الطائر الصيت والنائب عن مدينة باريس في مجلس نواب
فرنسا الى جريدة الاكلير الفرنسية الشهيرة ما ترجمته بالحرف

جريدة الديبا

قالت ما نعريه :

« أن المستر غلادستون الذي كتب أخيراً كتاباً يدعو فيه الأمة الفرنسية الى التظاهر بغيره اشد مما هي عليه انتصاراً لمسيحي الارمن دعاه — اذ جاء له الدور — رجل مصري للدفاع عن أمة أخرى مقهورة !! »

ويبان ذلك ان مصطفى كامل المصري الوطني كتب اليه كتاباً يقول فيه انه يجدر بشيخوخته النشيطة أن تعمل لتحرير بلاد مصر وردّها الى اهلها من ايدي الانكليز محتليها بلا حق. وأن تكن المشابهة بين مسألة مصر ومسألة الارمن مليحة أكثر مما هي صحيحة

ولقد أجاب المستر غلادستون مصطفى كامل فاعلمه انه لما كان رئيس حكومة الاحرار سنة ١٨٩٢ داول فرنسا في الشأن . وهو يقول أنه عرض على مسيو وادنجتون المناقشة في المسئلة المصرية ويقول ان الحكومة الفرنسية هي التي اغفلت هذا الامر ولم تجبه على طلبه بشيء ما

رواء البلاغة ومسحة التمثيل. فلماذا اذن يظهر الجسارة والاقدام
حينما يكون في المسألة جرامتين الى سياسة ضغط وعنف وربما
جرهما الى حومة الوغى وساحة الحرب لنصرة الارمن ونجدتهم
ولكنه يظهر الجبن والخوف العظيمين حتى أنه لا يتجرأ على
ان يرفع صوته لنصرة المصريين على حين انه قد اعترف
مرارا عديدة بعدل مطالبهم وصحة شكاويهم . أفلا يكون
ذلك لان الهياج بشأن الارمن واثارة الافكار والخواطر لهم
يخدم اطماع انكلترا خدمة فعالة ويساعدها على نيل ماآربها
ورغائبها من الدولة العثمانية على حين ان الهياج بشأن مصر
لا يؤدي الا الى اظهار سوء نيات الانكيز بلاجدوى وعليه
لا تكون انسانية المستر غلادستون المشهورة كما قال مصطفى
كامل الا انسانية « مسيحية محضة » بل هي أقل من ذلك
أى أنها انكليزية بريطانية. الا انه يجب ان تقال الحقيقة
نفسها في هذا المقام ولا سيما للرجال العظام ذلك أن الناس
يرتابون منذ زمان في تلك الغيرة الانسانية والحمية البشرية «

الجرائد الأوروبية

﴿ والمستر غلادستون ﴾

ما علمت شركة هافاس بهذا الرد حتى نشرته في الآفاق
وقد علقته عليه الجرائد الأوروبية تعليقا طويلا نقدم منه
مثالا للقراء

جريدة الأكاير

قالت هذه الجريدة الفرنسية الطائفة الصيت ما تعريبه:
« ان ما اختتم به المستر غلادستون جوابه بقوله
« لاساطة له تمكنه من التداخل في مسألة الجلاء عن مصر »
ليس بالقول الحر والكلام الصريح الخالي من الغش . وان
الناس يتعجبون ويذهلون من ذلك التصريح الصادر عن المستر
غلادستون والفكر البارز من قريحته والمخطوط على القرطاس
يراعه وبنانه وكيفما كانت الحال فإن ذلك الامر الذي اختتم
به رسالته لم يمنعه من أن يبدي حديثا مشورات ونصائح
للحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسية أيضا باقوال علمها

Dear Sir I am not aware of
possessing or of having received
any uncensored letter from you
but I am not without respecting the
evacuation of Egypt and I de-
clared to H. P. M. Waddington
the reactions of the Government
of 1892 to discuss that subject
but no reply from the French Govern-
ment arrived while I was in office,
and I am now as a private
person wholly void of any power
to interfere in the matter.

I have the honour to be

Your most faithful Servant

Alfred Dumas
P. 30.96

تتيح لي التداخل في هذه المسئلة

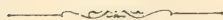
وفي الختام أشرف بأن اكون منكم العظيم الاخلاص

الخاضع
و. غلادستون»

هذا ومن المفيد ان ثبت هنا صورة هذا الرد بخط

المستر غلادسور نفسه ليكون اثر اتاريخيا... كما اثبتنا في

الجزء الفأنت صورة الكتاب الاول لذلك السياسي الكبير



المقام أن تفضلوا بقبول صادق اعتباري وعظيم احترامي
مصطفى كامل»

رد المستر غلادستون

فأجابه المستر غلادستون بما تعريه :

٣٠ ستمبر

« سيدي العزيز

اني لا اظن انه وصاني منكم كتاب من غير ان اجيب
عليه اما احسائي ورأيي في مسألة الجلاء عن مصر فقد
صرحت بهما لجناب مسيو وادجتون — سفير فرنسا في لندره
اذ ذاك — اذ قلت له ان حكومة سنة ١٨٩٢ (أي الحكومة
الانكليزية التي كان يرأسها هو) مستعدة للمناقشة في هذه
المسألة . ولكن الحكومة الفرنسية لم تجب بأى جواب مدة
وجودي في الحكومة

والان بصفتي أحد الافراد اراني مجردا من كل سلطة

كتبت اليكم ارجو منكم باسم الانسانية والشرف البريطاني
ان تلقوا خطبة على مصر تذكرون فيها حكومة الملكة بأن
هناك معاهدات يجب احترامها على شواطئ النيل . فلم
يصانى جواب ما وحسبت ان رجائي لم يؤثر أقل تأثير على
روحكم الشريفة الكريمة

واليوم أرى مع الاسف انكم لا تميلون الا الى المسيحين
من بنى الانسان . او ليس لنا ق كذلك معشر المصريين
المسلمين فى دعواكم المؤثرة ونداءكم القوى ؟ اما انا فاظن
ذلك . وخصوصا لانكم بدعوتكم للجلاء عن مصر لا تدافعون
عن حقوق أمة متمدينه معتدلة فقط بل أنكم تدافعون كذلك
عن مقام بريطانيا وشرفها

وان اليوم الذى تدافعون فيه عن مصر تستميلون اليكم
ولا محالة كل المسلمين الذين يعتقدون الان أن دفاعكم عن
الارمن انا هو تميز للنصرانية ودفاع عنها لا عن الانسانية
وعلى هذا أوئل أن تعيروا رجائي التفاتكم وورعايتكم
ومع انتظاري لجوابكم أرجو منكم ايها السيد العظيم

*
* *

— ✂ المستر غلادستون ✂ —

(مرة اخرى)

يذكر القراء ما كان قد دار بين المرحوم وبين المستر غلادستون احد رؤسا الوزارة الانكليزية مما ذكرناه في الجزء الرابع من هذه السيرة الوطنية ويعلمون ايضا ان المترجم لم يقتنع بما جاءه من ذلك الرجل السياسى الكبير فكتب اليه مرة اخرى الكتاب الذي ذكرناه في محله بالجزء الرابع ايضا ولما رأى المرحوم انه لم يستلم منه ردا على كتابه الثانى ارسل اليه كتابا ثالثا وهو فى باريس هذا تعريبه :

« باريس فى ٢٨ ستمبر سنة ١٨٩٦ »

ايها السيد العظيم الاحترام

ان الذى يخاطبكم اليوم هو ، مصرى تشرف من قبل بمراسلتكم . ولما شرفتمونى فى شهر يناير الماضى بجوابكم الذى صرحتم فيه « بأن الجلاء عن مصر قد حان منذ اعوام »

انه لقد اصبح من الامور البديهية بل من الحقائق التي لا تنكر ان اوروبا اذا تساهلت وتركت الانكايز في مصر بعض زمن ايضا كانت الحافرة بيدها لا عمق حفرة بين المسلمين والمسيحيين وكانت المعرضة بنفسها صواخها وانباءها الى الخطر

« ٤ » المصريون والخديوي

مما ذكرت لك تفهم مقدار حقد المصريين على المحتلين ذلك لان الاحتمال مبعوض من العموم سواء في المدائن او في الارياف

اما ما يختص بالخديوي فمهما اراد خصومه بما يقولوه عنه كن واثقا من انه لا يزال محبوبا عند الامة فكنا جميعاً معشر المصريين نعلم مقدار وطنيته وما خطته الحالية على ما أظن الا انتظار ظروف اوفق من الظروف الحالية ليستعد احسن استعداد للوثوب والنزال لاسترداد الحقوق المهضومة وانه اذا اعلن في يوم ساعة انقاذ الوطن تسير وراءه الامة المصرية كلها بلا اقل تردد . اه

غير ننانزى الامن توطد من سنين والانكاز لا يزالون
محتلين ! ومن ذلك الحين فقد الانكاز ثقة المصريين . وفقهنا
جميعا كنهه اغراضهم ولكن اوروبا لم تفقد ثقتنا بها بل لبثنا
معتمدين عليها مؤملين الخلاص على يديها . ولهذا اليوم ما
عملت شئاً مذكوراً وقد كادت ثقتنا بها تزول شيئاً فشيئاً

ولقد اصبح اليوم كثير من المسلمين (الذين كانوا فيما
قبل اعظم اصدقاء اوروبا) يعتقدون ان اوروبا تحارب المسلمين
كافة وبدون استثناء حرباً صليبية في شكل سياسى وفي الواقع
ان اوروبا حررت في القرن التاسع عشر امماً مسيحية عديدة
ولم تحرر امة واحدة اسلامية . وان مصر التي هي مجمع المسلمين
ومحط رحلهم والتي تضرب للامم الاسلامية كافة مثال الاعتدال
الدينى والاتفاق الحسن مع الاوروبيين يجب ان ترد اليها
حريتها

واننانزى ان اوروبا لا تعمل ولا تتأثر الا بالجرائم
والمذابح فهل تريد ايضا من المصريين ان يستعملوا هذه
الاسلحة الدموية لينالوا الحرية والخلاص ???

على سلطان مصر الذي هو خليفة الاسلام . فلماذا عوقب
الطاعن في ملكة الانكيز ولا يعاقب الطاعنون على جلالة
السلطان ؟ على انه يجب ان يحترم جلالة السلطان في مصر
اكثر من اي ملك كان لانه سلطانها الشرعي الذي لا يعارض
احد في سلطته الشرعية

وقد يطول بي الكلام اذا اردت ان اعدد لك اعمال
الانكيز ضد المسلمين وان آخر مثل حاضر في الاذهان هو مسألة
الجامع الازهر

« ٣ » اوروبا ومصر

ومن يوم ان سلمت مقاليد امور مصر لمحمد علي الكبير
دخلتها المدنية الاوروبية وسارت في طريق التقدم معتمدة
على اخلاص اوروبا والاوروبيين نحوها ولما دخل الانكيز
بلادنا لم يكن فيها يومئذ مصري واحد يمكنه ان يظن ان
دولة متمدينة مثل انكلترا تعمل ضد تعهداتها وعهودها بل
كان المصريون كافة معتقدين اعتقاداً ثابتاً ان انكلترا تسحب
عساكرها على اثر اخماد نيران الثورة واستتباب الامن في البلاد

والاستيلاء على الادارة المصرية مع العمل ضد اوروبا عامة
وفرنسا خاصة ولقد كان من سكوت اوروبا ان صارت
انكلترا تبالغ في التعدى على الحقوق فهي تعلن اليوم على السنة
جرائدها انها تريد شراء الدين المصرى كله والغاء المحاكم
المختلطة وكل المنظمات الدولية بسقط بالمرّة كل حق لاوروبا
في مصر

ولم يكتب الانكليز بالتعدى على حقوق اوروبا ومصر
بل تعدوا ايضا على المسلمين فهم ينشرون بلغتنا رسائل الطعن
على الدين الاسلامي ويوزعون في المدارس كتباً تحقر الرسول
محمد (عليه الصلاة والسلام) ويستأجرون جرائد تطعن ليلا
ونهارا على المسلمين وخليفة الاسلام

ولقد علم كافة الناس اخيرا ان اثنين من الاهالى حكم
عليهما بالسجن ثمانية عشر شهرا لانهما سبا ملكة الانكليز
فهل عملا شيئا خلاف الجارى في مصر ؟ كلا لان محررى
جرائد اخرى « يختلفون عنهما بانهم ليسوا بمصريين وانهم
يحتمون بالانكليز » طعنوا قبلهما ولا يزالون يطعنون اشد الطعن

« ١ » يوم ١٤ سبتمبر !

أى تذكار محزن ! وأى ذكرى تعسة مؤلمة ! ؟

لقد مضى على الامة ١٤ عاما وهي مقهورة مضغوط
عليها من قوم يلقبون أنفسهم بمدينى العالم. وان الانسان عند
ما يفكر ان الانكايز مضى عليهم أربعة عشر عاما وهم يهدمون
كل بنيان فى مصر ويحاربون أوروبا والمدنية الأوروبية على
شواطئ نهر النيل ويقوضون أركان نفوذ فرنسا واحترامها
ويقهرون المصريين . كل ذلك ودول أوروبا ما عملت ولم
تعمل شيئا ما ضد الاحتلال. يظن ان أوروبا تلاشت من على
وجه الارض وان لا وجود لها اليوم

وليس تذكار ١٤ سبتمبر تذكار حداد للامة المصرية
فقط بل هو أيضا - واسمح لى أن أقول لك ذلك - عار
وخجل على سياسة أوروبا ومدنيتها

« ٢ » سياسة الانكايز فى مصر

سار الانكايز فى مصر من عام ١٨٨٢ الى اليوم على
سياسة واحدة ما تغيرت قط . وهي هدم السلطة الخديوية

قد تكوّن في بلاد مصر — التي هي الصلة بين آسيا
وافريقيا والتي أصبحت بوضعها الجغرافي وبمدينتها الزائدة عن
عن مدينة غيرها من البلاد الاسلامية قلب الاسلام — حزب
وطنى على رأسه رجال تربوا في أوروبا وعلى الخصوص في
فرنسا

ولقد ادرك الوطنيون المصريون بمهارتهم الشرقية اسرار
السياسة الاوروبية وعرفوا الاسباب الحقيقية التي تجعلها عاجزة
عن العمل على تخليص بلادهم . واخذ يتلاشى من نفوسهم
أملهم في الخلاص على يد الدول الاوروبية . ولكن كانوا حزب
صبر وانتظار . ولا يبعد أن يصيروا يوماً من الايام حزب
اعمال ذات تأثير فعال .

وانا تقابلنا مع (مصطفى كامل) الذي هو من أشد
الوطنيين المصريين غيرة والذي هو ترجمانهم في أوروبا والناطق
عن لسانهم وقال لنا ما يأتي معبراً عن احساساته واحساسات
ابناء وطنه بشأن تذكارة ١١ سبتمبر (أي تذكارة دخول الانكليز
مدينة القاهرة)

المختصة بمصر ???

هذا وقد تكلم معنا مصطفى كامل بعد ذلك على تجريدة
السيدان والوسائل التي يستخدمها الانكايير للحصول على
المال اللازم وسنعود للكلام في هذا الموضوع مرة أخرى
والذي يستنتج بكل وضوح من كلام هذا الشاب الفاضل
والوطني المصري هو خيبة سياستنا في مصر. مما يحملنا على
القول بأن وزراءنا في كل امرهم اقل مما يجب أن
يكونوا ! .. اه

الحديث الثاني

وكذلك نشرت جريدة (الانكايير) الفرنسية الشهيرة
في عددها الصادر بتاريخ ١٥ الجاري تحت عنوان (حديث
مع مصطفى كامل) ما تعريبه:

« دخل الانكايير مصر القاهرة في يوم ١٤ سبتمبر
سنة ١٨٨٢ ومضى عليهم ١٤ عاما لم تسألهم أوروبا فيها الجلاء
عنها احتراماً لوعودهم المؤيدة لذلك بعد توطيد الامر الا بكل
فتور وبلا جدوى

وقد انتظرنا ذلك ولا نزال نتظر !!!

واني أعلم ان فرنسا لا يمكنها ان تعلن الحرب لاجل
مصر ولكن مع ذلك اظن انها مع محافظتها على السلم وبمساعدة
الروسيا يمكنها ان تعمل كثيراً . وفضلاً عن ذلك فمن عادة
الانكليز — وذلك امر مشهور — ان ينصاعوا ويطأطئوا
رؤوسهم متى كلمهم خصمهم بصوت عال

وماذا يرى مسلمو مصر في أوروبا ؟

« يرون ان أوروبا متعصبة ضدهم . اذ انها في كل المسائل
المتعلقة بالمسيحيين تنفعل وتجتمع وتنق للعمل في مصالحهم
وتعرف عندئذ الانسانية والمدنية والحق واعتراف المعاهدات .
ولكن عندما يكون الامر متعلقاً بنا معشر المسلمين فالانسانية
والمدنية والحق واحترام المعاهدات وكل شيء من هذا التمييز
تجهله أوروبا !!!

لماذا تجبر أوروبا الدولة العلية على احترام المادة « ٦١ » من
معاهدة برلين « المتعلقة بالارمن » ومعاهدة هاليبا « المتعلقة
بالكرديين » ولا تجبر انكلترا على احترام المعاهدات

مسئلة مصر اليوم بمسألة الاحتلال المؤقت بل اصبحت مسئلة
ترك مصر للانكليز

فهل تترك أوروبا وطننا لانكترا ام ترده الينا ؟ اما
كره المصريين للاحتلال فيزيد من يوم لا آخر . وقد علمنا
الآن حق العالم أن انكترا تستعمل كل الوسائط بما فيها
« الشرف البريطاني » للوصول الى غايتها في مصر وليس لها
من غاية هناك سوى الاستيلاء على بلادنا

وان الامة المصرية اما كنة اليوم سكو تا جيداً و صابرة
صبراً جميلاً ولكن لا اعرف ماذا يمكن أن ينشأ عن حقدھا
الشديد على الاحتلال والمحتلين «

وماذا يظنونه في فرنسا بمصر ؟؟

« يسوءني أن أقول لك جواباً على سؤالك ان احترام
فرنسا في مصر أصبح الى حد معلوم وهو ان لم يكن يتناقص
فانه لا يزيد واننا ما شاهدنا من فرنسا في مصر منذ أربعة
عشر عاماً الا فشل سياستها المتكرر فمثلاً حينما تقرر ت حملة
دققة كئنا معتقدين ان فرنسا تعمل « عمالماً » ضد هذا القرار .

وقد كتبت في عددها الصادر يوم الاثنين ٧ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ما تعريبه :

ان حوادث الاستانة بفتحها باب المسئلة الشرقية
لفتت الانظار الى حالة مصر : فماذا يظن المصريون الآن ؟
وماذا يؤملون ؟ وما مصير مقام فرنسا على شواطئ النيل ؟
ولقد رأينا ان رأى مصرى على هذه المسائل كلها يكون
مفيدا للغاية ولذا انتهزنا فرصة وجود « مصطفى كامل » فى
باريس الآن لنسأله رأيه فى هذا الشأن . وهو كما لا يخفى
على القراء ذلك الشاب المشهور بقوة دفاعه وشدة غيرته على
استقلال مصر . وهاهي التصريحات التى صرح بها هذا الوطنى
المصرى وانها تعتبر بحق ترجمة احساس الامة المصرية
بأسرها

ماذا يرى المصريون الآن فى مسألة بلادهم ؟ ؟
« ان المصريين لم يياسوا من الخلاص ولكنهم ينظرون
الى المستقبل بقلق شديد فأن أعمال انكلترا ومطامحها على
شواطئ النيل اصبحت مشهورة عند كل انسان وليست

تعريبه !

» باريس في ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٦

عقد المصريون الموجودون هنا اجتماعا للاحتفال بتذكار عيد الجلوس السلطاني وقد القي «مصطفى كامل» خطابا نفيسا اثبت فيه ان سلامة مصر متوقفة على حسن علائقها بالدولة العلية . وقد عقبه المسيو « ايتن سردم » احد نواب فرنسا وتكلم على علائق فرنسا بمصر وتركيا وشرح ما يعتقده من انه متى هدأت العناصر عن مشاغلها في تركيا يرفرف علم الدستور والحرية على ربوعها «

✽ مصر وفرنسا ✽

✽ حديثان مع المرحوم ✽

الحديث الاول

انتهزت جريدة الليبر بارول الفرنسية الشهيرة فرصة وجرد المرحوم في باريس واوفدت اليه أحد محرريها لخدمته

القلوب كانت تتكلم من شدة الأُخْلاص وقوة الحب
وقد قام بعد أن فرغ المترجم من هذا الخطاب الرنان
المسيو ايتن سردم احد نواب فرنسا والتي خطاباً تقيساً قل
فيه بعد ان شرح علاقة فرنسا بمصر والدولة العلية ما نصه:
« ان اليوم الذي فيه تذهب المناوآت العثمانية الداخلية
يحل محلها الدستور والحرية . وأمل أن يكون ذلك قريب
الوقوع . . »

قال ذلك النائب هذا القول وكأنه كان يتنبأ بما حدث
في هذا العام

وقد انصرف الجمع مسروراً مما لقي بعد ان ارسل جلالة
السلطان تلغراف تهنئة بلسان عموم المصريين والعثمانيين القاطنين
في باريس . وقد جاء الرد في اليوم التالي على المرحوم من
باشكاتب المايين بأن هنتهم نالت قبول وممنونية جلالة
السلطان .

وقد نشرت الجرائد والتلغرافات العمومية تفصيل
الاحتفال كما أرسل هافاس الى أركان المعمور تلغرافا به هذا

جنودها في مصر مخل بشرفها وعودها وما اخذت على نفسها
من عهود ومواثيق

الابارك الله في الدولة ونصر سلطانها وايد ملكها حتى
استفيد من قوتها ونعمل معها باخلاص .

ايها السادة

اني اذا خاطبت في ختام كلامي فأنما أخطب اخواني
المصريين وارجو منهم بالخاص ان لا يلتفتوا لنفاق المنافقين ولا
لاقوال الأعداء وليستمر واعي التمسك بحب الدولة والاخلص
لها فان مصر بدونها ضائعة لا محالة ولا سبيل لنصرتنا الا اذا
تمسكنا بها بصفتنا مصريين وطنيين واحترمنا سلطانها الذي
هو سيدنا وخليفتنا نحن المسلمين فقولوا معي بصوت الوفاء
ليعيش السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين وسلطان
العثمانيين . ولتعش دولة آل عثمان . ولتعش الحرية في
سلام ... اه

ما نطق المرحوم بهذه الكلمات حتى دوت اركان القاعة
باصوات الهتاف والاعجاب مرددة نداءه وكان زفرات

وهو الدفاع الداخلى عن مصر التي هي وطننا والتي نعرف
من احوالها ما يعرف اخواننا الاتراك من احوالهم !
وكذلك ايها السادة يكون من الطفولة والخرق في
السياسة ان نطعن على دولة هي السيدة علينا وفي يدها اضرارنا
بأزاء الاحتلال البريطاني الرايض في بلادنا ليفترسنا. هذه
النظرية لا تحتاج الى برهان فقد علمتنا الايام كيف ننظم
صفوفنا ونعلق الأمال بمن احسن الينا

ان الدولة العلية لم تظلمنا يوما والذين يذكرون حكم
المماليك لا يعرفون شيئا من التاريخ لانهم ما كانوا من رجال
الدولة بل هم لصوص وجدوا من ضعف ولاة مصر مسوغا
لجرائمهم التي ارتكبوها وشوهوا بها وجه الانسانية. انظروا الى
القرن التاسع عشر الذي نعيش في آخره هل الدولة العلية
اعتدت فيه على معاهدة اوأخت باتفاق وضع بينها وبين مصر!
الا ان الحق واضح ايها السادة لا يحتاج الى دليل ولسان
الحقيقة ينادي بأن المصريين في حاجة لدولة شريفة كالدولة
العلية التي امتنعت عن كبح جماح الثورة العرابية بدعوة ان دخول

ونحن مدافعون عن حقوقنا في الداخل وكلانا يعمل لسلامة
المملكة وبلوغها الامنية العالية التي تصبو اليها نفوسنا
جميعا . . . »

هذه ايها السادة فقرة من كتاب ذلك الاخ الشهم
اعتذر فيها عن الحضور واطهر آلامه الوطنية بعبارة وجيزة
مؤثرة وسألنا الدفاع من طريقنا لانه نافع كما يعتقد مثلنا .
واني اراني في حاجة لان اشرح لكم قوله « تدافعون
في الخارج » فانه على ما ارى بمثابة رد على اولئك الذين
استأجرهم الا نكليز ليتهمونا بتعصيد من يسمونهم ظالمين !
نعم ايها السادة ان كل امة في حاجة لمدافعين في داخلها
عن حقوقها امام السلطنة التي تحكمها ومدافعين خارجا عنها
ضد الطامعين فيها الساعين في هدم كيائها

فنحن ايها السادة اذا لم نتكلم عن داخلية تركيا فذلك
ناشئ عن سببين . الاول اننا نجعل كثيرا حالتها لاننا لا نعيش
فيها وليس امامنا الا شيء واحد وهو الحكم المطلق . الثاني
اننا اخترنا احد المدافعين عنها وهو الدفاع في الخارج لنقوم بالثاني

الحرب الدائمة وبقاء البلاد تحت الاحكام العرفية !
اني ايها السادة اقرأ عليكم هنا فقرة من كتاب وصاني
من احد اماجد الاتراك الذين يعيشون هنا في باريس دفاعا
عن الحرية المبتغاة وقد اعتذر فيه عن الحضور بهذه الحفلة
(لعله احمد رضا بك رئيس جمعية تركيا الفتاة) وهذانصها :
« اني ايها الاخ كنت احب ان اكون في حفلتكم لان
تجديد الاعياد الوطنية امر متقدس عندنا واني أرجو منك ألا
تفتكر في التقصير او ان كرهه جلالة السلطان هو الذي حال
دون حضورى ولكنه المرض المسبب عن الآلام الوطنية
الناشئة من جهل مواطنينا الارمن وغيرهم هو الذي حجبنى
من ايام عن الخروج من غرفتي

وانه لمناسبة ذكر المنشقين منا على انفسهم اخرجين علينا
اذ كرك بأنه اذا دامت اليد الاوروبية تلعب في صفوفنا فان
مصيرنا سيء وسترى اوروبا بأسرها يوما تقشعر منه الابدان
يوم ان يجبر التركي على ترك اوروبا .

فدافع ايها الاخ عنا ما استطعت فأنتك مدافع في الخارج

الظلم اذا كان هناك ظلم ??

انهم يقولون ان المصريين وفي مقدمتهم « مصطفى كامل »
عمي لا يفقهون حال الدولة ومبلغ ما هي عليه من الظلم وان
قوماً هذا شأنهم يجدون الظالمين لا يستحقون رحمة ولا عطفاً
ولا هم جديرون بتحرير بلادهم وسيادتهم فيها !!

عجبا ايها السادة لا وائتلك الافاكين الذين يريدون بهذه
الافتراءات والا كاذب ان ينسفوا بلاد الاسلام من
الوجود بأثارهم الفتن التي تودي بجسم الدولة وتسبب دم
الابرياء بلا حكم عادل ولا رحمة بشرية !
عجبا لا وائتلك الذين يرون الظلم في الشرق ظالماً فاحشاً
والكنهم يرونه في الغرب جنة ونعيماً !

عجبا لهم يتهمون المصريين بالانتصار للظالمين ونحن نرى
انهم هم الظالمون ! ليقولوا لنا كيف تدخل الدولة في دور
الاصلاح اذا كانت محاطة بسلسلة من الحوادث كلما اجتازت
حلقة من حلقاتها دخلت مضطرة في الحلقة الاخرى !
ان الدولة العلية لم تجد فرصة تعمل فيها الخير الرعية غير

تحت ظلها الوارف مئات الملايين من المسلمين وعشرات
الملايين من المسيحيين والأرثوذكسيين

وانه اذا كانت بلاد الدولة لم تدخل الى الآن في الدور
الذي يجره لها كل محب لرقبتها فانها لا بد ان تدخل فيه
قريبا منى استتب الامن وعرف الارمن وغيرهم من سكان البلقان
التابعين لحكم الدولة ان الجزء مهما ناوا الكحل لا بد ان
يغلب مهما كانت قوته وانه من الخرق في السياسة ان يطلب
الانسان لوطنه السعادة ثم يعمل بنفسه على شقاء هذا الوطن !
الم يكن في مناوأة الارمن وغيرهم للدولة ما يدعو الى
اضعافها فيخسرون من وراء هذا الضعف ما هم فيه اليوم من
هدوء ونعيم ؟ الم يكن في قيام عنصر من الامة ضد بقية
عناصرها حرب داخلية ؟ وقد عامنا التاريخ كيف ضاعت
الممالك وبادت الامم !

انهم ينشرون في الملاء الاوروبي مفتريات كثيرة ضد
الدولة العلية وعلى الاخص ضد شخص جلاله السلطان ! وهل
بهذه التخرصات الفارغة ترقى الدولة وتحجب عنها غياهب

ولا تتخلّ عن القيام بأداء الصلاة فإن صلاحك
واخلاصك للخالق سيشفعان لك عنده وانت المظلوم وسيقتص
بعده من الظالمين

لو كان في بلادنا أيها الاخ المحبوب مجلس نيابي ما كنت
وقعت في هذا الشرك الغادر ولكن التحقيق أعيد مرة أخرى.

هذا ما يقوله اليوم كل فرنساوى من اصدقائنا هنا
وفي الختام اسألك أن تكتب لى طويلا وسأخبرك بكل
شئ دمت ل اخيك المخلص مصطفى كامل «

باريس الجمعة ٧ اغسطس سنة ١٨٩٦

*
* *

ما جاء يوم ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٦ حتى احتشد المصريون
والعثمانيون وكبار الفرنسيين الذين كان المرحوم قد دعاهم
للاحتفال بعيد جلوس جلالة السلطان الأعظم فى « جران
اوتيل » وقد التى خطاباً قال فيه !

« اننا اذا كنا نحتفل اليوم بعيد جلوس جلالة السلطان
فأما نحتفل بالراية العثمانية الاسلامية . هذه الراية التى تضم

وأؤمل أن يصل اليك خطابي هذا فيجداك قد شملت
بعفو الخديوى وعدت الى مرتبتك الأولى . لأن سموه قد
وعدنى وعداً صادقاً انه سينظر فى مسئلتك قريباً . وانى لمتنظر
من مصر هذا النبأ السار بصبر نافذ

لا تتأخر عن مراسلتى (وقد ذكر هنا عنوانه) ولا
تقطع خطاباتك عن العائلة لنتطمئن السيدة الوالدة التى قاست
بسبب مسئلتك أشد الآلام والتي لا تزال مريضة بسببها
وهي تنتظر رؤيتك فى أقرب آن وانى أوصيك ان لا تقدم
استغناءك مرة أخرى اذ انلت العفو الا اذا وضعت الحرب
اوزارها لأنه ليس يبعد على المحتلين وهم من الظلم على ما عرفت
ان يجددوا آلامنا مرة أخرى .

ولسكن هذا لا يمنعك من اخبارى اذا وجدت الفرصة
ساحة والقانون العسكرى يسمح لك بذلك
وارجو منك أن ترسل الى اسماء الضباط والجنود الذين
ساعدوك فى غمك مهما كان عددهم حتى استحضر لهم معى
من أوروبا ما يليق بمقامهم ومروءتهم من الهدايا

واغلب الالمان يجهلون اللغة الفرنسية

وقد كتب الى رحمه الله خطابا من باريس فوصلني في
فرينج احدى قرى مركز المحس بمديرية دنقلة هذا نصه :

« اخي الاعز حرسه الله

اقبل وجنتيك النفا واهديك اشواقا لا قدرة لقلمي على
تكييفها . وبعد فقد وصلت الى باريس أمس فاستقباني المسيو
برشيه الذي كان في انتظارى بالمحطة استقبالا جميلا وقد قصدت في
الحال الفندق ورتبت أعمالى وفي عزمى أن ألقى خطبة بيرلين .
تركت مصر وأنا متأم من الكثيرين الذين كانوا
يتظاهرون بالوطنية الكاذبة حتى اذا أصابك حادث الجيش
جنبوا وقرعوني تقريما سيؤاخذهم عليه الوطن في يوم من
الأيام . ولكنى من جهة أخرى مرتاح جدا للأقبال العظيم
الذى صادفته في نشر كتابى « مصر والأحتلال » فإن القوم
اقبلوا عليه اقبالا كبيرا لم يحلم به ا كبر المؤلفين بمصر . وفي
هذا أقوى دليل على ان الوطنية الحقيقية كامنة في القرى
اكثر منها في العواصم

جورا وظلما قد وضع الامر في جيبه ولم ينفذه الا في يوم ٤
اكتوبر (اى بعد شهرين تقريبا) .. !

الحج المترجم الى مرسلينا على الباخرة النمساوية في يوم
السبت اول اغسطس سنة ١٨٩٦ فودعه على رصيف الميناء
خلق كثير من الكبراء والفضلاء وقدم له الوطنيون
الاسكندريون باقات الازهار سائلين الله ان يكمل سفره
بالنجاح فتقبل منهم هذه العواطف الاخوية بكل اشراح
وما وصل الي مرسلينا حتى بعث برسالة برقية الى صديقه
الحكيم وصديق مصر والمصريين المأسوف عليه المسيو برشيه
لينظره على محطة باريس ولما وصل اليها رتب اعماله مع ذلك
الرجل العظيم المخلص في عمله نحو مصر والذي كان يعجب
به الكثيرون من ابناءها أيما اعجاب

واول عمل عمله المترجم في هذه السياحة ان استعد
لخطاب عظيم جمع فيه كل مساوىء الانكليز وقصد القاءه في
برلين عاصمة المانيا ولكنه بعد ذلك عدل عن رأيه لانه شعر
بأن بلاغة الخطيب لا تؤثر في سامعيه الا اذا كانت بلغتهم

ولم يجد امامه ما ينتقم به الا عباد الاحتلال وسطاء السوء
الدخلاء فينا فأخذوا يشنون الغارة على سمو الامير والوطنيين
المصريين !

وقد كتب لى رحمه الله خطابا عقب هذه المقابلة قال فيه
« قابلت رسميا سمو الخديوى المعظم وعرضت عليه
مستثتك وقد وعدنى خيرا. اما الاحتلال فإنه متغيظ من هذه
المقابلة وقد احتج عليها اللورد كرومر وسأخبرك بمشيئة الله
عن كل ما دار . واملى ان العفو يكون قريبا ... »

الاحد ١٢ يوليه سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل «

*
* *

سافر المرحوم الى اوروبا وقد خاطبني عند سفره مكررا
الامل مرة اخرى فى قرب العفو
أما العفو فإنه صدر من سمو الخديوى المعظم لرئيس
الجيش كتشنر باشا وقد ذكرته نفس جريدة الاجيديسيان غازت
فى ١٠ اغسطس سنة ١٨٩٦ ولكن يظهر ان كتشنر باشا
وهو كما عرف القراء كان رئيس المجلس الذى حكم بعزلى

بالمثول بين يدي سمو الخديوى المعظم في قصر رأس التين
العاصر في مقابلة خاصة لقي في خلالها من اعطاف سمو العزيز
ما اطلق لسانه بالامتنان والدعاء فنحن نهنيء حضرته على ما ناله
من رضى الامير المعظم وثقة ابناء الوطن راجين مثل ذلك
لكل وطنى عامل في خدمة القطر بالاجتهاد والاخلاص ،
وما نشر هذا النبأ حتى تناقلته كافة جرائد القطر ما عدا

الاحتلالية منها فانها انتظرت اوامر الوكالة البريطانية !
اما المعتمد البريطانى فانه قصد سمو الخديوى بعد هذه
المقابلة واظهر له تألم السياسة الانكليزية من مقابلته لمصطفى
كامل فقال له سمو الامير ما معناه :

« ان مصطفى كامل مصرى ككل المصريين له الحق
ان يشكو الى ظلامته وانه اذا كان جنابكم قد قل بملء فيه
ان ابواب الوكالة البريطانية مفتوحة لكل مصرى يشكو
او يتظلم فكيف لا تكون السراى الخديوية مفتوحة كذلك
وفيها تاج الامة باسرها »

وقد اختمت هذه الكلمات اللورد فعاد من حيث أتى

الشاعر العربي :

(لا تسقني ماء الحياة بذلة)

بل فاسقني بالعز كأس الخنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم

وجهنم بالعز أطيب منزل)

مصر في ٤ يوليو سنة ١٩٠٦

(مصطفى كامل)

*
* *

قلق المرحوم لعدم صدور العفو عنى فكتب خطابا الى
رئيس الديوان الخديوي يطلب فيه بصفته مصريا ان يقابل
سمو الخديوى لأمر يهمه وقد جاء اليه الرد بالقبول وتحدد
يوم الخميس ٩ يوليه سنة ١٨٩٦ لمقابلة سموه . فقصد رحمه
الله سراى رأس التين بالاسكندرية فى الساعة الثالثة بعد الظهر
وقابل سمو العزيز وقد كتبت الاهرام بهذه المناسبة فى
محلياتها ما نصه :

« شرف بعد ظهر أمس حضرة الوطنى مصطفى افندى كامل

هو منتهى ما يأتيه الانكيز في مصر من الظلم والاذلال ان
دام الاحتلال . لا تحسبوا يا قوم ان الله ينصركم وانتم على
هذا الفشل !! . كيف ينصركم ربكم وقد خذتم انفسكم ؟ كيف
ينصركم ربكم وقد وهبكم شريعة تأمركم بالاتحاد والائتلاف
فبذتم أمرها ظهر يا ووهبكم وطناسعيداغنيا كريما فاحتقرتموه
وما قدرتموه قدره ووهبكم ذكاء عاليا فاستعملتموه في دنايا
الامور وصغار الاشياء . أتظنون أن من وهبكم هذه النعم
الكبيرة يهبكم الحرية والاستقلال على غير حق . كلا . انه
لأعدل العادلين

فهبوا اذاً من رقدتكم وقوموا مطالبين بحقوق دياركم
واسمعوا الامم انكم أمة تستحق العناية والرعاية . والا فان
كنتم قد استسلمتم للذل والهوان واذعنتم للمذلة والاستعباد
فودعوا الحياة الوداع الاخير وودعوا الحرية والمستقبل المنتظر
وودعوا الامم كافة . وقولوا اننا قد ظلمنا انفسنا بانفسنا وماربك
بظلام للعبيد

هذه كلمات يملها على فؤاد يترنم الليل والنهار بقول

الاطوان !!!

أما في مصر رجال يشعرون بأن من العار الكبير أن
يعيش المصري في سعة من العيش مرتاح البال وأمه الشفوقة
الحنونة تهان أعظم اهانة وتلوث كراهتها كل يوم فيقومون
ويطالبون بحقوقها ويسمعون أوروبا صوت شكائتها !

أما نفوس ابيات لها همم
أما على الحق أنصار وأعوان

أسطر هذه السطور واسمع صدى ما يردده الخائفون
اسمع هذه العبارة !!! انا نحب من صميم افئدتنا ووطننا
العزيز ونريد حقاً اسعاده ولوكن اذا قمنا مطالبين بحقوقه
اختصمنا الانكليز وخربوا ديارنا واملاكنا فلا ينالنا الا
الضرر والوبال

انه لخير لكم أن ينالكم الضرر والوبال أيها المصريون
ان كان في نيلهما اياكم خدمة للاوطان

نعم ليعش الاحرار منكم فقراء ولكن ليعيشوا احراراً !
اتحسبون يا قوم ان ماترونه اليوم من المصائب والبلايا

فليدم الاتحاد . قولوا فليدم الاتحاد »

ماسقت لكم ايها القراء النبلاء هذا الحديث الالاناديكم
باسم الوطن الشريف ان تخلعوا عنكم اثواب الشقاق والنفور
وحب الذات وتجمعوا كلمتكم على خدمة مصر ومحبتها فان
الوطن على خطر وما يدبره اعداؤه لاعظم ممارأتهم

نعم اناديكم في هذا اليوم العظيم الذي تحتفل فيه امة عظيمة
بسعادتها واستقلالها ان تعملوا كما عملت هذه الامة لا ان
تثوروا بل تتحدوا قلباً ولساناً وتسمعوا الملاء الاوروبي
اصوات الشكوى . ولا يكن مبلغكم من الضعف مبلغ مريض
يتألم ولا يشكو أو مبلغ صاحب دار سلبها منه خصمه فتركه فيها
أماناً مطمئناً يعمل ما يشاء دون ان يسأل القضاء عدلاً وانصافاً
انزلوا ياقوم الى اعماق نفوسكم وناجوا سرائركم واسألوا
ضمائركم هل انتم في ضير ام في خير . وهل انتم على شقاء
ام على هناء . ولئن احسنتم الاصغاء سمعتم سرائركم تجيبكم
انكم اذل الامم اليوم وان الزوج الذين كنتم تستخدمونهم
عييداً أرقاء اصبحوا أشد محافظة منكم على حقوق

من الامم الحرة ويكون سلاح المصريين ان أرادوا عزاً
ورفاهية وحرية واستقلالاً . واحسن مثل اقدمه لبني مصر
على قوة الاتحاد هو انه لما أعلنت الولايات المتحدة استقلالها
انتخب الشعب لجنة لسن الدستور . فكان وراء رئيس هذه
اللجنة صورة تمثل الافق ونصف الشمس ظاهر منه والنصف
الآخر محتجب تحته — وكان لا يعلم اتمثل هذه الصورة
شروق الشمس ام غروبها لان علماء التصوير أقروا على ان
لا تميز هناك في التصوير بين صورة شروق الشمس وصورة
غروبها — فلما أتمت اللجنة اعمالها وسنت الدستور القويم
الذي سارت عليه الولايات المتحدة من يوم تحريرها الى هذا
اليوم قام فرنكاين الشير وقال لاجزاء اللجنة ما معناه :

« ابناء وطني — لقد كنت انظر من أول يوم اجتمعنا
فيه الى هذه الصورة الموضوعه خلف الرئيس وكنت مرتابا
في امرها هل هي صورة شروق الشمس ام صورة غروبها
فلما اتمنا اليوم اعمالنا بالنجاح والاتحاد ولم نختلف على شئ مما
علمت انها صورة شمس مشرقة وهى شمس الولايات المتحدة

وايكن ذكرى هذا اليوم تمسه تبعث في فؤادى حزناً
وكآبة لانها قريبة الذكرى من يوم مشؤم وتذكر تعس اذا
ذكره المصري ذكر المصائب الجسام . الا وهو يوم ١١ يوليو
تذكر ضرب الاسكندرية .

حقا ان المقارنة بين يومي ٤ يوليو و ١١ يوليو لمن أشد
المقارنات تأثيراً على النفوس . فذلك اليوم تذكارة عظيمة
اراهنا الانكليز من الظلم اعظم الظلم ومن الاستبداد اكبر
الاستبداد فقامت متحدة مؤتلفة وطردت الانكليز من
ديارها واعلنت للعالم كاهة تحريرها واستقلالها . وهذا اليوم
تذكر ضرب أول الثغور المصرية بل قل تذكر الذل والهوان
تذكر العار والشنار . تذكر الشقاق والانقسام ! فما اسعد
رجلا تذكر بلاده يوم ٤ يوليو وما اشقى رجلا تذكر بلاده
يوم ١١ يوليو

ان اقوى سلاح يتساح به المطالبون بحرية بلادهم المخاطرون
بأنفسهم حباً في انقاذ اوطانهم واعلاء شأن معاهدتهم هو الاتحاد
فهذا السلاح المتين كان سلاح الامريكانين وغيرهم

الذي يذكركم بما اتاه آباؤكم العظام من جلائل الاعمال . بل
يحق لكم ان تقوموا اليوم في وجه الامم منافرين وتتلوا على
الشعوب آيات مجدكم ونخاركم . يحق لكم ان تباهوا العالم
بتاريخكم وبخالكم واستقبالكم وعلى الخصوص باتحادكم
وقوي ائتلافكم

ان ذكرى هذا اليوم تبث في فؤادى آمالا كبارا لانها
تذكرني ان الامريكانيين ما وصلوا الى ما هم عليه من الرفاهية
والسعادة والحرية والاستقلال الا باتحاد الكلمة واجتماع
القلوب على محبة الاوطان . واذكر ان بنى وطني يحسون
احساساً صادقاً بالمصائب الشديدة التي تتساقط على بلادهم .
ومقرر ان المصائب تجمع بين المتنافرين وتؤلف بين المتباغضين
فلا ينقص ابناء مصر للوصول الى المأمول من الحرية والسعادة
الاجتماعية الا الائتلاف والاتحاد . ولذا كان هذا اليوم يوم
٤ يوليو يبعث في نفسى آمالا كباراً ويحمانى على الاعتقاد بقرب
تحقق الائتلاف والاتحاد بين بنى مصر المخلصين لها المتألمين
لآلامها .



بعد ان استراح المرحوم بعزبة خالنا وشعر بأن قواد
قد عادت اليه امسك القلم وكتب في المؤيد ما نصه :

— يوم ٤ يوليو —

يا لك من يوم مشهود يا هذا اليوم ويا لك من تذكار
مجيد يا هذا التذكار . ان في مثلك منذ مائة وعشرين سنة مضت
اشرقت في الآفاق انوار امة جديدة ونودي في العالم الحديث
بعبادىء العدل والانصاف وشيد للحرية والاستقلال بنيان
متين واسترد الانسان حقوقه من نفس الانسان .

اجل انه في يوم ٤ يوليو من عام ١٧٧٦ اعلنت الولايات
المتحدة بامرىكا استقلالها ونادت بتحريرها من ربة النير
الانكليزى فلذلك كان هذا اليوم فى تاريخ الحرية اعظم يوم
وكان هذا التذكار فى تاريخ الانسان اشرف تذكار

ايه معشر الامريكانيين يحق لكم ان ترفعوا اليوم
اعلامكم وتقيموا الاعياد وتحيوا ذكرى هذا اليوم السعيد

وخطيبهم منزلة في تاريخ مصر كمنزلة أولئك العظماء في تواريخ بلادهم . فكلهم ابتدؤا كما ابتدأ وربما كان عملهم في المبدأ لم يصادف من النجاح والنور ما صادفه « مصطفى كامل » في فاتحة أعماله الجليلة التي تقدمها اليوم للقراء متضمنة كل آثاره الوطنية في عامه السياسي الاول

وقد احترزنا عن ايراد ما كتبه جرائد العالم من الشروح على كتاباته وأحاديثه وخطبه خوف التطويل واكتفاء بها وحدها دليلا صادقا وبرهانا ساطعا على صادق وطنيته وعظيم اقدمه

وقد أردت بجمع هذه المجموعة ان تكون للامة المصرية مثال الصدق والاخلاص والاقدام والثبات وباعثا لكل ذي احساس شريف وجنان قوى على اتباع ذلك السبيل الذي أعجب به كل العقلاء

(محمد مسعود)

مصر في ٤ مايو سنة ١٨٩٦

مدير جريدة منفيس

بنفس اللهجة التي كان يتكلم بها في أوروبا ثم جرد أخوه الضابط من رتبة وأنزل الى درجة العسكري البسيط مع تحليه بالعلوم والمعارف عملاً بالتقاليد الانكليزية المنسوجة على منوال خرافة « الذئب والخروف » قالوا صيحة واحدة هذا هو القضاء المبرم والبلاء الذي لا يرد . فلما ألقى هذا الوطني الصادق الوطنية خطبة الاسكندرية باللغة الفرنسية عقب ذلك وهي باتفاق الآراء اجل خطبه واجملها واشدها وقعا مع رشاقة الفاظها وقوة معانيها لم ينبسوا بكلمة واحدة لما كسام من الخزي والحجل ولا بد ان يلبثوا على هذا الحال ان كان يجري في شرايينهم مثقال ذرة من دم الشرف علم مما سلف ان الاقدام والوطنية الصادقة شرطان لازمان للمصريين اذ بهما يقاومون جميع الصعوبات السياسية كما قاوم بهما من قبل خول الرجال الذين انقذوا أوطانهم من ربقة الاستعباد فخذوا في تاريخ أممهم وتاريخ الحربة الذكرى الحسنة وتركوا للاعقاب أثراً جميلاً ومثلاً يقتدون به ولا بدع اذا كان المصريون الصادقون يؤملون لوطنهم

الذى ينبغي ان يكافئه كل وطنى بالاعتداء به وسلوك منهجه القويم. وما هذا المهج القويم؟ هو صراط مستقيم يهتدى اليه كل من اجتمعت فيه مزية الاقدام واشتعال العواطف بالوطنية الصادقة فان هاتين الصفتين الجليلتين متى منح الانسان التوفيق بتوفرهما فيه أو صلتاه الى سدرته منتهى الغايات المحمودة والمقاصد السنية وسخرتاله كل الوسائط لتذليل الصعاب وتمهيد العقبات ورفع الموانع

وقد أتيح لوطينا الشهم ان يكون له الحظ الاوفر والقسط الرجيح منهما ولذلك نراه قد ذلل الصعوبات وكبح منها الجراح بعنار الرشده وحسن التدبير. أنظر كيف انه لما ألقى خطبه النفيسة فى أوروبا وأعلن للملأ كانه ان لا منية للمصرى غير الجلاء والحرية كان الدخلاء حساده ومبغضود يذيعون هنا عنه اخبارا تشف عن سوء ضميرهم وسواد قلوبهم ويذهبون الى استحالة عودته الى مصر أو انه اذا عاد لا يعمل شيئاً واكثر واكثر من الخلط والخبط فى هذا الموضوع. ولما عاد الى الوطن العزيز وتكلم ضد الاحتلال

من الاخطار على السلام العام والمدنية الاوروبية . وقد كان هذا الحث والتجريض والايقاظ والتنبيه موضوع كتابات جلية وخطب مهمة ألقاها على مسمع من أكبر رجال السياسة في أوروبا متضمنة شرح الاحوال الحاضرة في مصر بعبارات صريحة وحجج بالغة . ولم يلق خطبة الا وقد فازت بالاستحسان العام من الحاضرين ولذا كانت تتناول الجرائد المهمة والتلغرافات العمومية أهم شذراتها وتشفعها بالشرح وتعلق عليها الآراء التي دلت على وجود رأي عام في فرنسا وروسيا وغيرها يذهب الى الحكم بضرورة الجلاء عن هذا القطر ولو أعار القارئ المنصف هذه التقلبات قسطاً من الالتفات واعترف ضميره باهميتها للوصول الى نيل المأمول من حل المسئلة المصرية لجزم معنابان هذا الحل يتوقف على أمر واحد وهو التوسل الى الدول الاوروبية واستنجاها في هذه الملمة

القارئ المنصف يعترف اعترافاً لا تشوبه مداراة او مواربة بان الموجد لهذه الحركة الفكرية القوية انما هو ذلك

فيها من المعلومات الجليلة بمتابعة الدراسة في فرنسا حتى نال الشهادة الناطقة بفضله وقوة ادراكه وشدة ذكائه ووحدة فهمه . وقد كان كافة اساتذته واقربانه يعترفون له بهذه النعوت الكاملة وبما وهب من طلاقة اللسان وقوة البيان وانه الذي اذا ارتقى منبر الخطابة ذلل له القول وسخر له الخطاب وتابعه الكلام متفق القرائن مطرد السياق حتى يستميل اليه القلوب النافرة ويرد الالهواء الشاردة .

ولقد كان في استطاعته بما في يده من الشهادات الناطقة بفضله ان يلبح أبواب الحكومة أو يزاول مهنة تؤهله لها المزاي الجليلة التي خص بها وفاق بواسطتها اقربانه من جيلنا الحديث ولكنه طاق المنفعة الخاصة بتاتا وآلى على نفسه الا ان يضحىها على مذبح الخدمة الوطنية ولو كانه ذلك مهما كلف . ولذا غادر بلاده وأهله واخوانه وسافر الى الارحاء الأوروبية للذود عن حقوق هذا الوطن واستنهاض الهمم الفاترة الى المسئلة المصرية وايقاظ رجال السياسة الأوروبية من سنة تغافلهم عنها وولمت انظارهم الى ما يجلبه الاحتلال الانكليزي

عهد الاخلاص والولاء باداء ما ينبغى لها من الواجب
المفروض حتى تمهد للدخلاء سبيل الطعن في كفاءتكم وملاً
الآفاق نعيماً مزجاً للخواطر بدعواهم ان لا وطنية في مصر
تنزل منها ومنكم منزلة الصلة المتينة بين الامم الحنون والولد البار
وطوحهم الاستخفاف بكم الى حداً نكروا معه صبغتكم المصرية
وما حزنتموه من قصبات السبق في ميادين العرفان وعزوا
كل ذلك لا تقسهم قحة منهم وعدوانا

وقد كاد يؤم اليأس الشديد بالامة المصرية من دوام
هذه الحال الى التدرج بدون شعور لتصديق تلك الاقاويل حتى
قيض الله لها ذلك المصري الصادق والشهم الغيور « مصطفى
كامل » الذي طار صيته في الآفاق وأخفت ظهوره بمقدمة
الشبيبة المصرية حاملاً (لواء) النهضة الحديثة تلك الاصوات
المزعجة التي أجفلت منها الآذان وأسدل دونها ستر المسامع.
وكان في حين واحد برهاناً ناطقاً بصدق اخلاص المصريين
لمصر وضربة قاضية على من يؤيد العكس جراً للمنفعة الخاصة
نبغ هذا المهام من مدارس مصر وتوج ما اكتسبه

ان بوادر الاقبال ستضطرني لطبع عدد آخر مثل هذا «
وفي الحقيقة فأن المجموعة قد طبعت مرتين وكان كل
ما طبع منها عشرة الآف نسخة ربح منها المرحوم نحو ١٢٥٠
جنيها

وقد كان هذا الاقبال سببا من اسباب تشجيع المترجم
وبرهانا على ان في الامة حياة كامنة يظهرها القول الحق
والجرأة الصادقة

ولما كانت المقدمة التي توج بها هذه المجموعة -حاضرة
الكاتب البليغ محمد افندي مسعود هي من الاعمال الوطنية
المشكورة رأينا ان نثبتها هنا اعترافا بفضله ومثالا ناطقا على
التضامن الجنسى ومحبة الوطنى للوطنى وهذا نصها :

الى أبناء مصر

هذه مصر يا أبناءها الاعزاء قد أمضت فى اغلال
الاحتلال سنوات عديدة ذاقت فيها مرارة الاستعباد ولم
يعن لخاطر واحد منكم ان يقوم أمام المثلأ الاوروبى ليوفىها

عولت على السفر الى عزبة خالى لأرتاح هناك شهراً على الاقل
سأصدر في هذين اليومين مجموعة أشتمل على عملي مدة عام
وقد انشأ مقدمتها حضرة الصديق الحميم محمد افندى مسعود
صاحب جريدة منفيس وسأرسل لك نسخة متى تم طبعها
انى أومل ان سينالك عنو قريب وتترك خدمة الجيش
المصرى الذى اصبح فرقة انكليزية لا عثمانية . واؤكد لك
ان اعتقادى فى عمله خيانة للوطن المصرى

الجمعة ١٧ ابريل سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل

*
**

ظهرت بعد ذلك مجموعة اعمال المترجم فى عام فى عالم
المطبوعات فى ١٠ مايو سنة ١٨٩٦ وقد عنونها « مصر
والاحتلال الانكليزي » وقد جاءنى خطاب من المرحوم بعد
ظهورها قال فيه :

« اليك عملي فى عام . ماظهر هذا السفر الصغير وجعلت
ثمنه ١٥ قرشا حتى اقبل عليه مواطنونا الكرام اقبالا يفوق
الوصف وقد طبعت منه ستة الآف نسخة وانى اؤكد لك

وقد اعتاد (مصطفى كامل) ان يختم خطبه بهذا المبدأ
الشريف المطمئن للخواطر الذي هو مبدأ الوطنين المصريين
« أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

وان مصر تذكر يوم تحريرها ماهي مدينة به للخطيب
الشاب الذي كان اول عامل لاستمالة أوروبا نحوها والذي
اظهر بشجاعته المملوءة شرفا وحكمة وتبصرا أن المصريين
كسائر الامم الأوروبية حقيقون بأن يعيشوا احرارا جديرون
بأن يحكموا انفسهم بانفسهم اه

*
* *

بعد ان التقي المرحوم هذا الخطاب عاد الى مصر وكتب
الى خطابا جاء فيه مانصه :

« القيت في مساء ١٣ الجاري خطابا باللغة الفرنسية
بمدرسة زينيا بالاسكندرية ذكرتك فيه واشهدت الله على
وطنيتي التي لا تزعزها قوة الجبارة او سلطة الكياسرة بأنها
سائرة في طريقها دفاعا عن وطن لاعزلنا الا برفعة شأنه
انى اشعر ايها الاخ العزيز باخطاط في قواى ولذلك قد

النفوس خصوصا وانه بدفءه عن مسئلة مصر يدافع عن مسئلتنا فيها ايضا. فلقد بلغت مهارته ان جعل من الامور البديهية ان مسئلة مصر ومسئلة فرنسا في مصر ليستا الامسئلة واحدة وان مصالحنامر تبطة ارتباطا لا انفصام له بمصالح الخديوية المصرية وان انكلترا باحتلالها مصر تقضى قضاء تاماً على نفوذنا ومقامنا في وادى النيل

و (مصطفى كامل) موجود الان في مصر حيث يعمل — ويعمل بنجاح وفوز عظيمين — ليس لاستمالة ابناء وطنه الذين يحتفلون به في كل فرصة بل لاستمالة النزلاء الاوروبيين لمسئلة بلاده. اولئك النزلاء الذين يريد الانكليز ارهابهم بتعصب المصريين المزعوم . فهو يقول للنزلاء جميعا ما معناه « انتم تعلمون ان اعداءكم ليسوا ابدأ المسلمين الذين قابلوكم في كل وقت بالسخاء والوجود وسمحوا لكم ان تعملوا اعمالكم الشخصية بالسكينة والاطمئنان واصبحتم بينهم اغنياء مثرين ولكن اعداءكم هم الانكليز الذين يهددونكم ويهددوننا جميعا »

المصائب صاغرين فابتدأ عمله وسافر لاوروبا يقصد نشر الحقائق عن مصر. هذه الحقائق التي قلبها وتغير شكلها الجرائد والشركات الانكليزية . وكانت بلاد فرنسا أول بلاد ارتفع فيها صوته فانه جاءها والتي في طولوز — المدينة التي ترك فيها اصدقاء اوفياء — خطبة سامية جليلة نالت استحسانا تاما ودافع كذلك في باريس بنفس الفصاحة والبلاغة التي دافع بهما عن مسألة مصر في طولوز

ويتذكر الناس هنا كافة خطبته الجليلة البديعة التي خطبها في قاعة الجمعية الجغرافية وكتاباته الفائقة العلية التي كتبها ونشرها في الجرائد خصوصا في مجلة (النوفل رفو) التي افسحت فيها (مدام آدم) مجالا لقامه المنادى بالحقيقة والعدالة

ويعلم الناس كذلك انه هو الذي حمل المستر غلادستون على الاعتراف في جواب شهير بأن (ساعة جلاء الانكليز عن وادي النيل آذنت منذ سنين)

ولقد سمع نداء (مصطفى كامل) واثبت اعتقاده في

يستطيع أحد الدفاع عنهم الا اذا كان من انفسهم
ولقد قبل (مصطفى كامل) في كلية الحقوق بمدينة طولوز
بعد أن قضى السنين الاولى الدراسية في المدارس المصرية
ونجح فيها نجاحا باهرا. ونال من كلية طولوز شهادة الليسانس
بفوز عظيم وعاد لمصر وقبل محاميا فيها واستعد للمرافعة امام
المحاكم. ولم يكن الاحتلال الانكليزي في سنة من السنين
اشد وأعظم وطأة منه حين ذاك اى في عام ١٨٩٤ التمس
فانتمت لتمس (مصطفى كامل) انفعالا عظيماً من منظر بلاد
الجزيرة. انتمت من حالة أميره الذي يعامله الانكليز بالوقاحة
والدناءة. انتمت من حالة ابناء وطنه وجنسه الذين يبعدون
عن الوظائف العمومية ويسبون كل يوم ويطن عليهم من
جرائد يستخدمها المحتلون

انتمت تمس هذا الخطيب الشاب ونهجت روحه لكل
ذلك وقام وكان أول قائم يعان هذا الاعتقاد الصحيح الذي
كان راسخا عند كثير من المصريين وهو انه لا يليق بابناء
مصر ان يقيموا على هذه المذلة صابرين وينظروا الى هذه

نشأت في بلاد الدولة العثمانية عموماً وفي مصر خصوصاً والتي
اكتسبها التعليم الاوروبى معرفة حقوق الانسان فاصبحت
اليوم قادرة على الجمع بين الوفاء الذى لا ريب فيه وبين العزم
الثابت في المحافظة على هذه الحقوق

وان الاجحاف المزعج المؤذى الذى يأتى به الاحتمال
البريطانى في مصر وحده امانى المصريين كلها فصارت اليوم
أمنية التخلص من النير الاجنبى. وكل الذين احسوا من انفسهم
بشيء من القوة والشهامة والذكاء اجتمعوا وكونوا حزباً
عظيماً غرضه الوحيد داخل مصر ايقاف الانكاييز على ما يشعر
به المصريون من انهم مغيرون على البلاد لا ارتباط بينهم وبين
الامة التى تبغضهم. وخارج مصر كشف الستار عن المقاصد
الانكاييزيه وتقنييد الاخبار الكاذبة التى ينشرها بعض الجرائد
عما تسميه انكاييزاً بعملها التمدينى في مصر وبسعيها في تقوية
الخدوية

ولتد اجتهد بعض المشتغلين بالسياسة ان يدافعوا عن
مسئلة مصر امام اوروبا ولكن المصريين فقهاوا جيداً انه لا

اطراء المترجم

بقلم اجنبي

كتبت جريدة السياسة الاستعمارية فصلا ضافيا في القسم المخصص من انهرها لنشر تواريخ عظماء الرجال ورجال السياسة المشهورين تحت عنوان « مصطفى كامل وعمله — في نظر رجال السياسة الاوروبيه » وقد صدرته بوضع صورته (التي لا تنسى) كما تفعل في تراجم أولئك المشاهير وها هو تعريب ما كتبه :

« ان صورة هذا الخطيب الشاب الذي اقتفت الجرائد الاوروبية طول هذا الشتاء آثار خطبه الوطنية بعناية وارتياح جديرة بأن ترسم هنا وتلفت الانظار لما تدعو اليه من الدهشة والاعجاب فضلا عن اننا اصبحنا في حاجة الى معرفة ذلك العنصر السياسي الجديد الذي أخذ أهمية حقيقية بالرغم عن التهم التي يلقىها عليه اعداؤه وأصبح عظيم الشأن في حوادث الشرق وهذا العنصر انما هو النشأة الجديدة التي

وان مصر لارض سدت الآن ابوابها في وجه النجاح
واستنزفت حياتها تبذيرات مديريها واصبحت بعيدة عن
حنان الامومة لنفس بنيتها مفترسة بالجشع البريطاني . فالذى
تريده ان تعود فتملك نفسها بنفسها اتعود الى ما كان عندها
من تقاليد الضيافة الواسعة . « فلا تعصب ولا تخصيص » وقد
عرف المصريون انهم لن يستطيعوا ان يعيشوا الامع الاوربيين
وبواسطتهم . وأول من سيستفيدون من انقاذهم انما هم الاوروبيون
فبس هناك نزال بين انكلترا ومصر لا يهم الشعوب
ان تتداخل فيه بل نزاع بين انكلترا وأوروبا كلها من أجل
قطر ذى ثروة تكفى الجميع ومركز انما حريته هي حرية البحار
تلك هي الخطة ومن شأنها ان تستميل أوروبا بأسرها
الى الحزب الوطنى المصرى الذى قررها

وقد اثبت بها ذلك الحزب انه اصبح كفاً لادارة
نفسه بنفسه ومن مهارته انه طمن العالم على ما يكون منه عقيب
نجاته وان ما اثبت به صدقه الى الآن من البراهين خليق بأن
يتأكد الجميع انه سيفعل ما يقوله . . . اه

الناضجين للعمل القادرين على التناقص في شؤونهم مع
السياسيين البريطانيين . ويعرف مقدار الخيرة التي اوقعوا
فيها انكلترا والخوف الذي احدثوه عندها من شدة
اضطهادها لهم

وكان مع ذلك ينقصهم ليصبحوا حزبا حقيقيا ان يقوم
بينهم رجل خطيب ذو كفاءة لان ينشئ بالنيابة عنهم
وبالرضى التام منهم خطة سير يجرون عليها ويستعينون بمن
يجدونهم من الانصار لتأييدهم فيها . ولقد وجدوا الرجل
والخطة . اما الرجل فهو المحامي مصطفى كامل واما الخطة فهي
التي شرحها في خطبته التي تقوم كلها على العبارة الآتية النافية
لكل ما يشيعه الانكليز عن المصريين جريا مع اغراضهم وهي :
« احرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

فليقرأ من شاء هذه الخطة التي هي خلاصة امانى
المصريين يظهر له من مجملها فكر واحد وهو ان مصر تريد
ان تتخلص من ربة الانكليز لتعود الى التعاون المفيد مع
جميع شعوب اوربا

احتجاجات المندوبين شيئاً من حريتهم وتتغلب الوكالات السياسية على شيء من مقاصدهم وذلك نادر في الواقع غير أنهم مع الصبر والاحتياط سيتغلبون على كل شيء ويسكنون كل شيء عدا معارضة الشعب المصري لهم فإنها لا تتحول ولا تتغير. ولذلك هم لا يستطيعون ان يكونوا في مصر الا بصفة غاصبين وعندهم شعور بذلك واستشعار بأن احتلالهم للبلاد لا يكون بعد الآن الا نزاعاً دائماً معهم

وطالما اشكت فرنسا ان ليس لها حلفاء في المسئلة المصرية والحقيقة ان لها حلفاء بمكان عظيم من الاهمية اذا عرفت ان تستفيد منهم وأولئك هم الوطنيون الذين تنبهوا حديثاً وقاموا الا بصفة معارضين يقولون مالا يفعلون بل بصفة خصوم الداء لخصومنا متحدين يتألف منهم جمهور كبير ذو دهاء واسترشاد باحكم الافادات وابعدها عن جرّ المشكلات

وتمشى في مقدمة هذا الجمهور نخبة من الشبان المؤدبين تأديبا اوروبيا القابلين لجميع الافكار بانواعها المتعلمين

المصريين عنها وعدم ارتفاع صوت بالاحتجاج من أولئك
المتهمين المظلومين

واستمر الناس زمنا طويلا لا يعرفون الاحتلال الا
من تقارير اللورد كرومر عن الادارة التي يديرها بنفسه
والشهادات المرضية التي كانت تمنحها الجرائد الانكليزية
والبلاغات الشبيهة بالرسمية التي كان يهيء فيها الموظفون
البريطانيون انفسهم بما وصلوا اليه من تحبيب المصريين فيهم
وقد تحمل المصريون المغارم الثقيلة ومضت عليهم
السنون الطويلة حتى تنهبوا من غنلتهم وما ندرى ا كان ذلك
التنهب من شدة الفاقة ام من اندفاع الشبيبة الذي لا يقاوم الى
بلوغ الحرية غير ان الذي لا ريب فيه هو ان مصر من
شمالها الى جنوبها ناهضة الآن محتجة على الظلم الشديد الذي
لم تستحقه وهذه النهضة الاجتماعية في الساعة الحاضرة هي
ولا شك ما يعتبره الموظفون البريطانيون الخطر الاكبر
والداعي الى الخوف

وقد تثبط السياسة الاوروبية بعض مساعمي وتقييد

الذى انتدب له وخطبه التي يلقيها في مصر بعد كل الخطب التي القاها في باريس والحفاوة والتكريم اللذين يقابل بهما في كل المدائن والتأثير الحقيقي الذي له لدى ابناء وطنه لهي خليقة بأن تذكر في الرسائل البرقية العمومية اذ ليست اقل اهمية من الحوادث الاخرى التي تجود علينا بها الشركات التلغرافية جود اسراف

على ان الذين يعتقدون ان مسألة مصر ينبغي ان تكون في مقدمة كل المسائل الخارجية التي يشغلنا الاهتمام بها يجدون في الامور التي اوردناها دلائل من اعلى طبقة في الاهمية . كما ان الذين يقدمون النظر في المستقبل يجدون معاني ذات شأن من الدرجة الاولى

ولقد استطاعت انكثرا ان توطد قوتها في مصر لانها منذ اليوم الثاني الذي احتلت فيه جنودها القطر توصلت الى خديعة أوروبا كلها في الناية المقصودة من عملها والنتيجة المبتغاة من احتلالها وكانت اشاعاتها المختلفة وبلاغاتها المملوءة بالاغراض ورسائلها البرقية الملفقة مأمونة التكذيب تمام اغضاء

المصرية كمعادتها ما عدا جريدة التيمس فإنها قالت :
« انه قبل ان تحتل بريطانيا مصر كانت الجهل مخيفا في
نواحيها ولم يكن بين اهلها من يميز الخيط الابيض من الخيط
الاسود من انفجر ولكن بفضل المجهودات التي بذلها
في ترقية وتعليم المصريين اصبحت كلمة الوطنية الجميلة تذكر
بينهم وقام من بينهم شاب يخطب فيهم متحمسا طالبا الجلاء.
ونحن نقول لهذا الشاب وغيره ممن سيخطبون ان الانكياز
يتركون مصر عند ما يكثر فيها امثال مصطفى كامل الذي لا
يوجد غيره الآن »

والظاهر أن الحرائد الاوروبية نقلت الخطبة أو بعض
فقراتها عن جريدة « لا بوليتيك كولونيال » وقد قالت
هذه الجريدة بقلم الكاتب الفرنسي الشهير المسيوهنري دى
جنست ما تعريبه :

« سيطلع قراؤنا في هذا العدد من جريدتنا على ماخص
خطبة القاها مصطفى كامل في الاسكندرية
وان الخطبة التي يجري عليها هذا الوطنى فى الامر

للاينكليز ولذا نترك قرآءنا الذين يريدون معرفة آرائه كي
يطلعوا عليها في هاتيك الجرائد.....»

وحسبنا من جريدة الاجبشيان غازت مثل هذه الشهادة
وان لم تكن تامة لانه لم يكن ينتظر منها اكثر من ذلك !
اما الجرائد الاحتلالية الاخرى فأنها وجهت اليه اقباح
السباب كمعادتها حبا في ارضاء من استأجروها لمعاداة امة
لا ذنب لها الا انها اكرمت وفادتها ولو كانت عاملتها بما
تستحق من الازدراء والاحتقار مدحتة واطرته فوق اطرائها
للاحتلال ! !

(الجرائد الاوروبية)

والخطبة .

طير مكاتب الشركات والجرائد الى اوروبا مبلغ تأثير
هذه الخطبة عقب القاءها فقابلت الجرائد الفرنسية والالمانية
والمساوية وبالجملة كافة الجرائد الاوروبية والاميريكية بناها
بمزيد الارتياح ماعدا الجرائد الانكليزية فأنها هزأت بالوطنية

(وبعد ان اوردت هذه الجريدة نص الخطبة قالت في الختام):

« ان مصطفى كامل صفق له كثيراً واعتداله التام سمح

لخصومه ان يسمعوا خطابه من اوله لاخره ». اهـ

وقالت جريدة الاجبشيان غازت التي تعد لسان حال

الاحتلال ما تعريبه بالحرف الواحد :

« لقد حضر بالامس الخطبة التي القاها في تياتروزنيا

(مصطفى كامل) عدد عديد والقسم الاعظم جاء ولا شك

برغبة رؤية وسماع هذا الرجل الخطير ولو كان شابا والذي

يقال عنه انه وطني وقد ناب واحد عن (الاجبشيان غازت)

وهي المرة الاولى التي سمع فيها خطابة مصطفى كامل . ومن

العدل ان نقول ان هذا الخطيب يتكلم بسهولة عظيمة جدا

ويقف في كلامه من وقت لا خريلشرب شربة ماء او ليطلب

الصمت ممن في الالواج بسكون شيخ خطيب . اما من جهة

الافكار التي اتى عليها مصطفى كامل فتأسف لعدم استطاعتنا

ان نثني عليه بشأنها كثنائنا عليه من قبيل كونه خطيبا فلقد

برهنت خطابه على انه قارىء مواظب للجرائد المعادية

وقد سمعوا بكل ذوق وبدون معارضة شرح آراء
الخطيب الذي كان يتكلم من جهة بكل مهارة وصراحة وكان
يبحث عن اقتناع خصومه لا عن جرح احساساتهم
وان هذا الجهاد الذي يعمله مصطفى كامل لجدير حقيقة
بالفخر . فلقد امكنه ان يتكلم فوق ساعة ونصف بلسان اجني
عنه بدون أن يمل سامعيه وبدون استعمال الفاظ لا يليق
استعمالها وبرعاية وتحفظ تامين .

ومن البديهي ان الذي بلغ درجة كهذه لا بد ان يكون
له شأن . ولقد سمعت بنفسى خصوما مجاهرين بخصومتهم
لآراء مصطفى كامل يعترفون بفضله وكفاءته

وان النظرية التي يوضحها مصطفى كامل هي ضرورة
الجلاء عن مصر . وانا لا نقول انه أوجد هذه النظرية ثانية
بآراء جديدة بل نقول انه بقوة اعتقاداته — ذلك لا بد من
الاعتراف به — اثر كثيرا في دفاعه عن بلاده وحمل انصاره
على الارتياح والانشراح وانصاره كانوا ليلة خطابه اكثر
الحاضرين »

الذين يخطيء البعض الظن فيهم بقوله ان فكرة الوطنية لا وجود لها بينهم وان معناها لا يزال مجهولا » اه
وهذا ما قالته جريدة (الريفورم):

« سبق لى ان أتيت على تفصيل الاحتفال بالخطبة التي القاها « مصطفى كامل » منذ بضعة اسابيع . وبما ان الخطيب كان يتكلم بالعربية لم اكن مندهشاً الا من قوة مهارته وطلاقة لسانه وشاهدت بكل تشوف تأثير الكلام على المصريين الذين كانوا مزدهمين تلك الليلة في قاعة ضيقة بالنسبة لعددهم أما هذه المرة فقد تكلم الخطيب الشاب بالفرنساوية واختار خطبته تياتر وزينيا الذي كان فسيحا بالحاضرين

وعدد الحاضرين كان عظيماً وبينه بعض السيدات واغلب الحاضرين من الانصار المجاهدين بانصارهم للاراء التي يمثلها بكل بهاء وظهور مصطفى كامل ولكن بعض الحاضرين كان لا يشترك مع الخطيب في اعتقاد واحد وقد رأينا بين الحاضرين عدداً من رجال الانكليز ومن اصدقاء انكلترا

ما لحق باخيه من الاجحاف حافظ دائما في دفاعه عن بلاده
ومطالبته باستقلالها في خطبته البليغة على الصراحة التامة وقد
اظهر نهاية الادب والاحترام عندما تكلم عن الامة الانكليزية
وعن الرجال السياسيين في بريطانيا العظمى

والاحساسات التي اظهرها مصطفى كامل في احسن
العبارات برهنت على انه ابعد الناس عن التعصب وانه بعكس
ذلك يؤمل ان يري بلاده سائرة في طريق التقدم بمعونة
الدول ومساعدة الاوروبيين لانباء مصر

وهذه الاحساسات تدل على الشرف والوطنية والعقل
والحكمة ولا يمكننا الا ان ننصح كل الذين ارسلوا لنا بطاقات
زيارات يشكروننا فيها ان يجعلوا احساسات الصراحة التي
ظهرت في عبارات الخطيب احساساتهم فهي وحدها تجعل
للمسئلة المصرية اهمية وتعجل بتحقيق الامل الحقيقية للوطنين
المصريين التي يعرب عنها (مصطفى كامل) بكل فصاحة والتي
اوضحها يوم الاثنين في خطبته الجليلة تلك الخطبة التي صنفق
لها بكل قوة وبكل حق والتي على ما نؤمل تشر بين المصريين

حرة وقابضة على احوالها ومستقبلها بيدها ويطلبون الجلاء
الموعد بالمعاهدات الدولية»

ولقد قوبلت هذه العبارة المختصرة بالتصفيق وعلامات
الاستحسان وخرج الحاضرون من قاعة الخطابة يشرحون
الخطبة على ضروب من الاستحسان .

وجاء في هذه الجريدة نفسها تحت عنوان « الوطنية في
مصر » ما تعريبه بالحرف الواحد :

لا يزال يوجد اشخاص يدعون ان لفظ الوطنية الجميل
لا معنى له عند الاهالى في مصر ونحن سعداء لان نعرف
هؤلاء الناس اننا بالامس استلمنا بطاقات (تذاكر) عديدة
من مصريين يعدون من ارفع الطبقات في بلادهم

والجميع يشكروننا على مقالة المدح والثناء التي خصصناها
لخطاب مصطفى كامل الوطنى المصرى الشاب الغيور . فمقابل
شكرهم نوضح لهؤلاء الافراد العديدين السبب الذي حملنا
على مدح الخطيب الشاب

اننا نجد من الامور الموجبة للثناء ان هذا الخطيب مع

ملؤها النباهة والفتنة على الفرصة التي اتاحتها له هذه الخطبة ليخاطب فيها الاوروبيين النازلين في مصر والذين هم اصدق احياء وطنه والذين هم طليعة المدينة الغربية وبعد أن أشار بتلميح الى ما لحق به من الاجحاف في شخص أخيه جاهر « مصطفى كامل » بأنه لا ينقطع عن عمله وأنه يستمر في دفاعه عن بلاده (وهنا أخذت الجريدة تبين مواضع الخطبة موضعاً موضعاً باحسن عبارة واجل ثناء على الخطيب) ثم قالت في ختام مقالها الطويلة: وهذه العبارة الاخيرة من خطابه قوبلت بتصفيق شديد متواتر

والخطيب الذي كان قد خطا بعض خطوات نحو الباب ليخرج من مسرح الخطابة عاد ثانية وشكر الحاضرين الذين جلمهم من الاوروبيين المستوطنين بمصر على المظاهرات الودية التي تظاهروا بها نحو مسألة مصر وعلى موافقتهم للاراء التي شرحها في خطابه

ثم قال : نعم ستعلم اوروبا ان الاوروبيين النازلين في مصر واثقون من الامة المصرية مطمئنون من جنتها عند ما تصير

نجحف بحق له في خطبه الماضية — يعقدان حضرته قد كان
في موقف الخطابة مساء الاثنين الماضي احسن وايقن واقوى
محام عن الحق في مسألة مصر الاسيفة فلا غرو اذا اتى من
سامعيه اعظم استحسان واجمل علامات الارتياح والرضوان «
وقالت الفاردا لكسندرى ما تعريبه :

« لقد ألقى بالامس الوطنى المصرى الشاب مصطفى كامل
خطبة على المسألة المصرية والجلاء وكان ذاك في تياترو زرينيا
وقد سمع الحضور العديدون الذين كان انقسم الاعظم منهم
من الاروبيين بكل اعتناء الكلام البليغ الذى نطق به الخطيب
ولم يخلوا عليه بعلامات الرضى والاستحسان

وعند ما ظهر الخطيب على مسرح الخطابة قدم له جماعة
من ابناء وطنه باقات كثيرة من الزهور دليلا على حبهم له
وموافقتهم على خطته

فكان مصطفى كامل يتكلم فى وسط من الزهور
والرياحين حيث كان يخطب بلسان بديع فى الفرساوية وباسلوب
خطابى وصوته الجهرى يؤثر تأثيراً قويا وهناً نفسه فى فقرة

على ان المؤيد لم ينشر ترجمة خطبة الخطيب البليغة
الشائقة حتى ودكل قاريء لها ممن اعجبوا باسمو مباحثها وعلو
افكارها واعتدال لهجتها لو كان سامعاً مصفيا اليها ونقول ولا
نخشى في الحق لومة لائم ان هذا الاستحسان كان ايضا من
كبار رجال الحكومة واعالى الطبقات بل والذين تقيدهم
الرسميات حتى في الوهم والخطر فدلنا كل ذلك على ان الخطيب
قد أثر احسن تأثير في طبقات الامة بخطبته هذه اكثر من
كل خطبة سواها بقدر ما أثر في نفوس سامعيه من اصدقاء
مصر وانصارها والمدافعين عن حقوقها

وقد دلنا هذا التأثير المشترك على ان مسألة مصر لا
يعوزها الا اناس يدافعون عنها بقوة البرهان وحسن البيان
ليكون كل الناس من انصارها. وهذا شأن الحق الصراح
فانه اذا لقي محاميا صريح القول جميل البيان قوى البرهان
والجنان لم يترك للباطل بعده نصيراً مهما بالغ دعواته في زخرف
المقال ومهما وصلت درجة تفنهم في خديعة الافكار بالتمويه
والتأويل وكل من قرأ خطبة خطيبنا الوطنى الاخيرة — ولا

ولسنا نريد في هذه العجالة ان نلخص شيئاً من اقواله
لان كل تلخيص لها مجحف بحقوقها ولذلك كانت للمؤيد
حظوة نشرها بخدافيرها ولو اردنا العودة الى البحث في
مواضيعها لا حتاج ذلك الى اعداد كثيرة لان مواضع الخطبة
كلها جلية وبراهينها قوية وفائقة واستشاداتها شائقة وصادقة
ومباحثها شريفة وعالية

وبالجملة فحسب الخطيب الوطني فخراً ان يلقى خطبته
هذه بلغة اجنبية على جمع حافل بوجوه واعيار الاوروبيين
وارباب المظاهر والحشيات من الاجناس المختلفة حتى الانكار
انفسهم حيث ظل حضرته نحو ساعة ونصف يتكلم لا يمل
خطابه ولا يستراب بيانه حائز الاستحسان ورضى جميع سامعيه
الذين كانوا يصنفون له بين كل فقرة واخرى بابتهاج وارتياح
زائدين بل حسب الوطني المصرى ان يوجد من شبانه من
يقوم رافعا صوته بالشكوى من الاحتلال الجائر عليه بسلب
حقوقه وسط جمع من نزلاء كل الامم التي تعرف حقوق
الايوطان وتناضل عنهما يلاقى منهم عظيم الاستحسان والرضوان

مقبلة. فكانت كلماته رحمه الله كسهام صوبت الى افئدتهم .
قابله اسكنه الله رضوانه محررو الجرائد الاوروية
والمحلية فى الثغر على اثر القاء هذه الخطبة وحادثوه فى شؤون
شتى كان محور دائرتها مسألة مصر فكان يجيب كل سائل
بأفصح لسان واوضح بيان حتى عجب الجميع بمقدرته وسرعة
خاطره وصدق حبه لبلاده

وما نشر المؤيد هذه الخطبة بالعربية حتى عانت عليها
الجرائد المحلية تعليقا كبيرا نقدم منه للقراء مثالا !
قال المؤيد تحت العنوان الآتى مانصه :

﴿ خطبة مصطفى كامل ﴾ -

« نشرنا اول امس بغاية السرور والاعجاب ترجمة
الخطبة الجليلة الشائقة التى القاها حضرة الفاضل الاديب
والوطني الخطيب المشهور مصطفى افندى كامل - ذلك
الشاب المصرى الذى وقف نفسه على خدمة وطنه العزيز غير
مبال بما يجد فى طريقه من الصعوبات والعراقيل

فلتتمن جميعا أيها السادة تحريراً عاجلاً لوادى النيل
وسعادة أبدية لهذه الارض العزيزة. أرض الفراغنة « تصفيق
شديد جداً وتهليل عظيم .. اه

*
* *

عجب المصريون قاطبة بهذه الخطبة النفيسة لما ضمته
من دفاع حق وآيات بينات وخصوصاً لأنه لم يكن قد مضى
على الخطبة العربية التي القاها بمرسح عباس بالشعر اربعون
يوماً ..

كانت للمرحوم في القاء هذا الخطاب الذي يقصر كل
كلام بليغ عن وصف بلاغته غايتان. الاولى ان يقف الاوروبيين
القاطنين بمصر على رغائب الوطنيين ومبلغ حقهم على الاحتلال
بلغة هي اقدم لغة اوروبيه شائعة في العالم الا وهي اللغة الفرنسية
والغاية الثانية انه قدم بهذا الخطاب برهاناً للمحتلين واذنابهم
على ان ما حدث لى في الجيش وما لحقنى من ظلم لا يفت من
عزمه ولا يسكت له لساناً او يقف له قلماً عن الدفاع عن قضية
بلادنا التي لم تكن قضية أمة واحدة بل قضية امم عديدة

محببتكم كواجب مقدس « تصفيق متواتر »
واننا معتقدون كل الاعتقاد ان اليوم قريب حيث نترك
وراءنا ماضياً مملوءاً بالحوادث لنسير سواء ويدنا في يدكم على
طريق التقدم نحو أسطع مستقبل « تصفيق عظيم »
ومتى تخلفنا من هذا النظام الادارى الذى وجهته فائدة
بريطانيا العظمى وخرجنا من هذا الشتاء الطويل الذى استمر
أربعة عشر عاماً والذى كاد يميت اعضاءنا نعيد السير ثانياً واثقين
من حقنا ومن حنان الشعوب كافة وعدالتها « تصفيق شديد »
وذلك اليوم يكون تقدم مصر باهراً
ومتى تخلفت التجارة من الملل الذى يسببه لها الاحتلال
الانكليزى تفتح لنا ولحم آفاقاً ذهبية ! « تصفيق »
ومتى تخلفت الصناعة من العوائق التى يخلقها لها انكليز
الجمارك لغاياتهم تترقى الصناعة الاهلية وتعود فائدة ترقيا على
أبناء مصر وعلى ضيوف مصر « تصفيق شديد »
عندئذ يعقب الازمات الكثيرة المتوالية السلام وتعقب
الريب والشكوك الثقة ويعقب الموت الحياة « تصفيق متواتر »

الغربية « تصفيق شديد »

وكتاب « محمد على » يتبدى هكذا :

« أيها الملك

انى أحس بالحاجة لاظهار شكري لجلالتكم. ذلك الشكر
الذى يجيش فى صدرى . فلقد القت نحوى حكومة الملك من
عهد طويل انظار رعايتها واليوم يتوج جلالتكم ما أثره نحوى
بإعلانه للدول ان وجودى السياسى ضرورى للموازنة
الاوروية ... « تصفيق شديد جداً »

ويتقول بعد ذلك امير مصر العالى الشأن :

« وأخيراً مهما وقع ومهما كان الامر فانى ارجو الملك
ان يسمح لى بان أقول له ان اعترافى بالجهل نحوه ونحو فرنسا
سيبقى فى قايى الى الابد وانى اودعه لابنائى وابناء ابنائى من
بعدى كواجب مقدس ... » . « تصفيق شديد جداً جداً »
فاذاً اودع محرر الوطن المصرى العظيم محبة فرنسا لدينا
واذاً اودع اننا محبة اوروبا كلها . فتحققوا ايها السادة ان هذه
الوديعة باقية كما هى وتبقى الى الابد . تحققوا اننا نعتبر دائماً

والميل لنيل الحرية ما للامة المصرية وتعرف جيدا كيف تثبت
لاوروبا التي تكون خالصتها حين ذاك اعترافها لها بالجميل .
وذلك الاعتراف بالجميل يظهر جيدا بأظهار ود ومحبة اعظم من
الود والمحبة الحاليين لكم انتم يا ابناء اوروبا وكلاءها

واقدم صارت محبتنا للاوروبيين و جبا مقدسا علينا من
اليوم المبارك الذي سلمت فيه مقاليد مصر ليدي محي ووطننا
العالي الشأن محمد علي الكبير (تصفيق شديد) . فانه ادرك
من اول ما ابتدأ عمله التمدني ان مساعدة الاوروبيين لازمة
لتقدم وادي النيل ورفعته وترك لنسله ولكل المصريين محبة
الاوروبيين كاجل ميراث « تصفيق شديد متواتر جداً »

وان هذه الاحساسات الشريفة تظهر جليا من كتاب
أرسله محمد علي في تاريخ ١١ نوفمبر عام ١٨٤٠ الى لويس فيليب
ملك فرنسا

ولا يتكلم في هذا الكتاب الا عن فرنسا ولكن فرنسا
كانت وقتئذ في مصر اوروبا كلها « تصفيق » . فهي التي كانت
وحدها تمثل اوروبا كلها والفضل عائد عليها اذا كنا حيننا المدنية

نزلاء تجاريون تجد انكثرا من صالحها البديهي أن تستعيضكم
بإبنائها انفسهم الذين هم عمال نفوذها وتجارها . وان مثل
الهند يكفي لتأييد هذه الحقيقة « تصفيق شديد »

وان المصريين جميعاً يعتبرونكم ضماناً من اقوي الضمانات
على تحقيق آمالنا فانكم اذا كنتم ساعدتم في الماضي على اسعاد
مصر العزيزة بما لكم من المعارف وحسن الاختراع فاننا
واثقون من انه متى زالت العواقب الحالية لتقدم تجارتنا
وصناعتنا تخدمون العلوم والفنون والتجارة والصناعة اكثر
من خدمتكم لها قبل . ومساعدتكم لتقدم مصر ورفعتها تكون
عندئذ أعظم وأتمن « تصفيق عظيم جدا »

وانا في عملنا لسعادة بلادنا نعتمد دائماً على هممة ونشاط
كل الذين اعتبروا ارض مصر وطننا مختاراً لهم ومبدؤنا يبق
دائماً « احرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » « تصفيق شديد متواتر »
وليست محبتنا للاوروبيين بجديثة اليوم بل قد صارت
حبة وراثية والذين يقولون لكم ان يوم تحرير بلادنا تعدي
عليكم لا يريدون الا غشكم فانه ليس لامة من الذوق السليم

لها — كما قال ذلك واحسن القول الخديوى اسماعيل — ومصر
اعتبرت كذلك وجود الاوروبيين بيننا كضمانة للتقدم والرفاهية
(تصفيق طويل)

وانا نعلم جيدا أيها السادة انكم احسن نصراء الجلاء
لانه من جهة موافق للعدالة والشرف الدولى ومن جهة
اخرى لان مصالحكم قاضية به . أجل ان من مصالح
الاوروبيين النازلين فى مصر ان يتحقق الجلاء لانه اذا صارت
انكلترا مالكة لمصر تصير حياة الاوروبيين على شواطئ
وادي النيل من الامور المستحيلة . فانكم هنا وكلاء المدينة
الاروية فى العلوم والفنون كما انكم وكلاؤها فى التجارة
والصناعة « استحسان عام » . واليوم الذى تصير فيه انكلترا
صاحبة مصر تضع يدها على كل شىء غير تاركة شيئاً ما لاحد
وتدعى عندئذ انها الوكيله الوحيدة للمدينة أمام امم وادي
النيل !

ولا تنسوا ايها السادة انكم لستم بنزلاء زراعيين يكون
من فائدة انكلترا المحافظة عليكم والدفاع عنكم بل انتم بالعكس

أليس امام اعينكم اليوم اسطع البراهين على هذا التسامح الديني الجميل . أتظنون انه اذا كانت امتنا متعصبة اما كانت تنهز الآن فرصة غياب كل قوة عسكرية ذات شأن لكي تقوم وتحدث أي اضطراب؟ أتظنون انه اذا كانت الامة المصرية متعصبة هل كانت تسمح أبداً لابنائها ان يذهبوا لمحاربة امة أشد تمسكا بالاسلام منها؟ أليس الذين يدعون اننا متعصبون في الدين يظهرون انفسهم بمظهر عند ما يقولون كذلك ان الامة المصرية يزداد تعلقها بالاحتلال؟ كيف اذن تكون الامة في ان واحد متعصبة في الدين ومحبة للانكليز! (تصفيق عظيم جدا) ان لاعدائنا مقصدين من القول باننا متعصبون في الدين اهاجة الامة والقاء بذور الشقاق بين الاوربيين والمصريين ولكن من حسن حظ مصر ان الامة محافظة على السكينة عارفة بقيمة الاعتدال الديني وحسن معاملة الاوربيين « تصفيق »

فلقد تعارفت أوروبا ومصر منذ قرن ببعضهما واحببنا بعضهما فاعتبرت أوروبا مصر قطعة من ملحقاتها الضرورية

هل احتجتم مرة من المرار الى عضد عسكري انكليزي
ضد مصري ما؟ هل يستطيع خصومنا ان يثبتوا ان جيش
الاحتلال يحميكم ضدنا؟ وان وجود العساكر الانكليزية
ضروري لسلامة حياتكم بيننا؟ كلا ايها السادة كلا. «تصفيق
شديد جداً»

ليفتش أولئك الذين يهتموننا بالتعصب في كل تاريخنا
وليبحثوا اذا كان الاوروبي في زمن من الازمان اسيتت معاملته.
من الجائز ان يذكرنا الخصوم بالذكرى التعمسة لالثورة العسكرية
المشؤومة التي كانت سببا في مصائب عديدة ولكن كل رجل
عقل عادل يقول معنا ان تجاوز الحدود يقع كثيرا في المظاهرات
الاهلية الكبيرة والدليل على ذلك الثورة الفرنسية. ولقد
حصلت في كل بلاد اضطرابات وهي حاصلة الآن وتحصل
في المستقبل. وفضلا عن ذلك فان التاريخ سيوضح لنا اذا لم
تكن هذه الاضطرابات أحدثت باعمال رجال كان لهم قصد
مخصوص (تصفيق)

ولماذا نذهب للبحث في التاريخ برهانا على تسامحنا الديني؟

الانكليزية عنا. ولقد تطرف في هذا الادعاء اولئك الاعداء.
فلقد أرادوا أن يغشوكم أنتم انفسكم ويسخروا من سلامة نيتكم
حيث يكررون امامكم في الجرائد وفي كل مكان هذه الاكاذيب
وهذه الوشايات. كيف ذلك. أيتجاسرون على أن يقولوا
امامكم هذه الاقوال أنتم يا أرفى اصدقاء مصر وأعز ضيوفها!
كيف يستطيعون ان يغشوكم بدناءة كهذه في صفات أمة
مودتها لكم علانية؟ أمة قابلتكم - ونقول ذلك بأعظم نخار -
بأوسع كرم وسخاء. وان القول بتعصبنا انما هو أدنى الكذوبة.
الامة المصرية متعصبة! وامصيتهاه!. أما ترون بانفسكم أيها
السادة أنه اذا كانت في العالم أمة صفتها الخصوصية اللطف
والوداعة انما هي ولا شك الامة المصرية. فان الكثير من
الاوروبيين يعيشون بأعظم سكينه في القرى مختلطين اختلاطا
دائما مع الفلاحين إى مع أكثر الناس تمسكا بالدين والبعض
منهم يتاجرون في تجارتي الربا والخمور المحرمتين في الدين
الاسلامى. كل ذلك مع ما لهم مع الفلاح من حسن العلائق.
فهل هذا من التعصب؟

وأهلية حقيقية واذا لم تكن مصر محتلة بجيش اجنبي لم يكن
يخطر على بال حكومتها ان تأخذ من صندوق الدين مائتي ألف
جنيه بل ولا مليا واحداً قبل ان تقضى العدالة قضاءها .
أما الآن فقد كفى وجود المصلحة الانكليزية في هذه المسئلة
لان يتعدى المحتلون على المنظمات الدولية أعظم تعد رآته الى
الآن « تصفيق عظيم جداً »

وفضلاً عن ذلك كيف ان المالمين الذين يجدون بثقتهم
على الاحتلال يخافون الجلاء مع انه اذا كانت المالمية المصرية
مدارة ومراقبة اليوم بانكتر فقط فستكون بعد الجلاء
بدول أوروبا جميعاً؟ ان الذي يثق بالمحتلين لا تكون ثقته بدول
أوروبا كلها الا أعظم « تصفيق شديد »

(٣) والعائق الثالث الذي يقدمه انصار الاحتلال
الابدى هو التعصب المزعوم للمصريين . أجل لتتكلم قليلاً
عن هذا التعصب الخيالي الذي يقول أعداؤنا انه في نفوسنا .
ان اعداء مصر يريدون ان يمثلونا امام أوروبا بهيئة قوم متوحشين
مستعدين لافناء كل أوروبي ساكن بلادنا متى رحلت العساكر

مراقبتها المفيدة . هذه المراقبة التي تفيدنا نحن قبل سوانا
« استحسان »

ولا يشك أحد مطلقاً الآن في أن المالية المصرية تتأثر
كثيراً من المصاريف الطائلة التي تدعو اليها الاعمال السياسية
للانكليز مديري حركة البلاد . ولا شك في أن المستقبل المالي
يكون سيئاً اذا استمر الاحتلال . فلكي تعلم حالة المالية لا
يلزم فقط ان ينظر الى ميزانية المالية المصرية بل يجب أن
ينظر الى حالة الضعف والوهن التي سقطت فيهما التجارة
والزراعة « استحسان »

وانا نرى اليوم بسرور عظيم المالمين حاملي القراطيس
المصرية قائمين ضد المحتلين « الذين يخاطرون في كل أمر »
يشأن النتائج التي أتت بها اعلان السير الى دنقلة ومنتظر جميعاً
بكل ثقة حكم العدالة « تصفيق »

ولكن اسمحوا لنا مع ذلك ان نقول بهذه المناسبة
لأولئك المالمين الذين كانوا يعتبرون الاحتلال الانكليزي
كأقوى ضماناً لهم انه لو كانت حكومة مصر حكومة أبوية

وان غرض الذين يتكلمون عن عجزنا الادارى واضح
بحيث لا أراى معه فى حاجة لايضاح . فان انكار كون مصر
بلغت درجة الادراك اللازمة لها الى تحكيم نفسها بنفسها
وانكار كفاءة المصريين لادارة شؤون بلادهم انما هما انكار
للمساعى الباقية التى لا تزول وهى التى بذلتها فرنسا وأوروبا
فى مصر. انما هما انكار لنور النهار « تصفيق عظيم جداً »

وانزد على ذلك أن الوضع الجغرافى لوادى النيل —
ذلك الوادى الذى تقطنه كل الامم وكل الاجناس — لا
يسمح بان تحكيم بلادنا بغيرنا فاننا وجدنا دون غيرنا نستطيع
ارضاء كل العناصر التى تعيش على هذه الارض الكريمة
« تأثير عظيم وتصفيق طويل »

(٢) والمانع الثانى الذى يقول عنه انصار الاحتلال
الابدى هو الفوضى التى ربما حصلت فى المالية المصرية عقب
الجلاء . وهذه الحجة ساقطة أيضا فان المصريين ما أظهروا
قط رغبتهم فى ادارة شؤون المالية بغير أوروبا بل يطلبون
على عكس ذلك بقصد تطمين خواطر الدول أن تستمر

كما قررت كل المسائل الجزئية التي هي فروع من المسئلة
الشرقية الكبيرة وكما أشار الى ذلك أخيراً بقوة ومهارة حضرة
رئيس الوزارة الفرنسية « تصفيق شديد »

وحيث أن امتلاك انكارتا مصر أمر مستحيل ولا بد
من تحقق الجلاء عاجلاً أو آجلاً فلنبعث الآن في ختام الخطبة
عما اذا كانت هنالك عوائق تمنع حل المسئلة المصرية
ان أعداء مصري دعون أن ثلاثة موانع تؤخر اتمام الجلاء
الى الابد : (١) ما يسمونه بعدم كفاءة المصريين (٢) الفوضى
التي يمكن أن تصير فيها المالية المصرية عقب الجلاء (٣) التعصب
المزعوم للامة المصرية

فلتكلم أولاً عما يسمونه بعدم كفاءة المصريين : لا نجد
الانسان من نفسه حاجة للرد على دعوى خبيثة لهذا الحد
فلقد استطاعت مصر أن تحكم نفسها بنفسها من عهد محمد على
الى أول الاحتلال واذا كانت قد استفادت من معاونة بعض
الاوروبيين فانما هؤلاء كانوا مستشارين لها لا اوصياء عليها
« تصفيق عظيم »

الاوروبي (استحسان عام)

ولقد اعتبر كل السياسيين مسألة مصر كمسألة اسلامية
بنوع خصوصي فانما هي أساس ما يسمونه بالمسألة الشرقية
واسمحوا لي ان أستشهد على ذلك : ارسل في شهر
يوليه عام ١٨٨٧ وزير خارجية فرنسا منشورا الى كل سفراء
هذه الدولة متعلقا بمعاهدة درمندوولف التي تكلمت عنها فيما
سبق يقول فيه ما يأتي :

« ان مشروع المعاهدة له في الواقع عيبان . الاول هو
انه يقسم بين أمير المؤمنين ودولة مسيحية السيادة على مصر
وهذه هي النقطة التي لفتت بنوع خاص ليس فقط جلالته
السلطان بل العالم العثماني أجمع وباعتبار نادولة اسلامية في البحر
الايض المتوسط لا يمكننا أبداً — واني اكرر ذلك — ان
نغض الطرف عن ضرر يالحق بمجموع حقوق السلطان . ضرر
يكون له كما بينت ذلك من قبل رد فعل هائل .

وأما العيب الثاني الخ الخ » (علامات استحسان)
فمسألة بلادنا يجب اذن ان تقرر بلا تأخير في مؤتمر اوروبي

وأول الثائرين كما كان ذلك في عهد الحروب الصليبية . ولا يشك أحد ان هذا اليوم يكون علامة حروب لا نهاية لها في العالم ولا مانع يمنع هذا اليوم من المجيء . لا يؤخر هذه المصيبة الهائلة من الحدوث شيء اذا وقعت مصر في قبضة انكلترا « تأثر شديد وضجيج ودمدمة »

(٥) وفضلا عن ذلك فان مسألة مصر هي مسألة اسلامية محضة لان مصر بوضعها الجغرافي وبتقدم شعبها أصبحت مركز الاسلام وروحه وبامتلاكها تصير انكلترا الدولة السائدة على العالم الاسلامي كله . وحيث يصير البحر الاحمر عندئذ بحيرة انكليزية فلا مانع هنالك يمنع الانكنايز من امتلاك بلاد العرب فضلا عن هذه المنية هي منية بعض رجال عظام في انكلترا وقد أوضحها بعض الصحف الانكليزية في الصيف الماضي عند ما كانوا يتكلمون على تقسيم تركيا . واني لا أبالغ اذا قلت ان امتلاك انكلترا لمصر يهيج العالم الاسلامي ويصير من جهة أخرى ضربة قاضية على الدولة العثمانية . هذه الدولة التي وجودها ضروري لازم للتوازن

ألا يصير عندئذ في استطاعة الانكايز أن يقفلوا أو يفتحوا قناة السويس في وقت الحرب؟ ألم يكف أن تكون عدن وجبل طارق ملكا للانكايز « استحسان تام »

وفضلا عن هذه المسائل الثلاث مشكلة البحر الابيض المتوسط ومشكلة أفريقية ومشكلة آسيا توجد المسألتان الخطيرتان : المشكلة المسيحية والمشكلة الاسلامية :

(٤) ان امتلاك مصر بأية دولة أوروبية يعرض بيت المقدس الى الخطر فلقد أثبت التاريخ - وليس لي أن أطيل الكلام على موضوع شرحته قبل في رسالة خاصة - ان الدولة التي تملك مصر تجد من نفسها حاجة الى امتلاك الشام وان تجريدتي بونابرت ومحمد علي هما أظهر البراهين الجلية على هذه الحقيقة « تصفيق عام »

ويلزم اذن عند ما يصير بيت القدس ملكا لانكايز أن نعلم في أية حالة تصير الدنيا وأى شقاق يقسم له البروتستنت من جهة والكاثوليك والارثوذكس من جهة أخرى ؟
أما المسلمون فلا شك انهم يكونون جميعا أول المهيجين

أخرى غير قيمة سواه من بلاد افريقية . فبامتلاكه تحتكر
انكترا لنفسها وحدها كل التجارة الافريقية ويصير ذلك من
السهل عليها خصوصاً وانها تكون سائدة الحكم من
الاسكندرية الى أوجنده ويكون لا يصل تجارتها داخل
أفريقية طريق النيل البديع على حين أن بقية الدول لا تكون
لها الا مستعمرات تفصلها عن داخل أفريقية صحار لا يستطيع
المرور منها وجبال صخرية وعرة تهشم عابريها

(٣) متى امتلكت انكترا مصر صارت السياحة في

الشرق الاقصى متعلقة باهوائها ورغباتها . وحقاً أنه من
الممكن تسوية مسألة السياحة في قناة السويس على الورق
ولكن هل أعطيت السياسة الانكليزية هبة احترام المعاهدات
والعقود الدولية خصوصاً في الظروف الحرجة ؟ « تصفيق
شديد »

ألا تهدد عندئذ مستعمرات فرنسا والمانيا وهو لا ندا
وأسبانيا الشرقية وتستطيع انكترا أن تقفلها في وجوه أصحابها
كلما شاءت ؟

معاهدة بين الدول . فان لمصر مكاناً آخر في العالم
ان وراء مسألة مصر الحقيقيه مسائل سياسية خطيرة
ومهمة جدا . فوراؤها مسألة البحر الابيض المتوسط ومسئلة
أفريقية ومسئلة آسيوية ومسئلة مسيحية ومسئلة اسلامية :

(١) ان اليوم الذى تمتلك فيه انكلترا مصر « ونفرض
ذلك فرضاً محضاً » تصير بذلك سيده البحر الابيض المتوسط
ويستحيل عندئذ وجود أية موازنة بين الدول وبعضها . وان
بعد جبل طارق وما لظه وقبرص تمتل انكلترا بامتلاكها
لمصر - التى هي بلاد مثرية جداً وتعد مخزنا حريبا فى غاية
الاهمية - تفوز كل الدول وتبقى فى البحر الابيض المتوسط
التادرة الوحيدة والسيدة الفريدة . وليس بالمقبول أن أوروبا
تترك نفسها اسيرة بريطانيا العظمى بل ايطاليا نفسها تصبح
ذلك اليوم أول دولة معارضة لامتلاك وادى النيل ولو
لصديقتها المحبة لنفسها أكثر من كل أنانى فى الوجود !

(٢) ثم زول كذلك من أفريقية الموازنة بين الدول
متى وضعت انكلترا يدها على بلادنا فان لوادى النيل قيمة

في رؤية سقوطها الاخير وزوال ملكها التام أتمنى ان تبقي في
مصر أيضاً عشرين عاماً . « تصفيق شديد »

وانى أوافق على فكر ذلك الايرلندي لاننا اذا درسنا
الحالة السياسية في اوروبا من أول الاحتلال الى اليوم نرى
ان أعداء انكلترا قد ازادوا وان العالم كله أصبح يشك في
نياتها وان موقفها صار حرجاً جديداً في العمورة كلها
« تصفيق شديد »

وكل عامل للجلاء عن مصر مساعد بأية صفة كانت
لتميمة يؤدي في الحقيقة أعظم خدمة لانكلترا نفسها
وعلى هذا الاعتبار يكون كل نصير للجلاء صديقاً وانيا
لبريطانيا العظمى « تصفيق »

وفضلاً عن ذلك فماذا تنتظر انكلترا من اطالة أمد
الاحتلال ؟ انتتظر امتلاك مصر ؟ وهل من الجائز ان تمتلك
مصر ؟ وهل من الجائز أنها تصير مستعمرة انكليزية ! كلا .
وألف مرة كلا . « علامات استحسان »

لاتشبه مصر بلاد أفريقية التي يكفي لامتلاكها امضاء

كهذا عظيم الخطر ! « ضجة طويلة »

وايست مصر بالنسبة لهذه الامم كبقية بلاد أفريقية
فإن بلاد أفريقية الشمالية منفصلة عن وسط أفريقية خلافا لمصر
واذ كان النيل هو طريق المواصلات الوحيد بين الحجاز وأواسط
أفريقية كان طريق مصر بلا خلاف طريق الحج لكل الامم
الآتية من داخل أفريقية « علامات استحسان »

واذا كان الخطر هكذا عظيما فلماذا ترسلنا انكثرا الى
السودان ؟ هل من الممكن أن تكسب من هذه التجريدة
شيئا ؟ نعم يمكن أن تكسب اطالة الاحتلال ؟ وهل هذا امر
عظيم ؟ أنى لا أظن ذلك .

وان كثيرا من الناس « وأنا منهم » يعتقدون ان انكثرا
بسعيها لا طالة أمد الاحتلال لا تعمل شيئا آخر الا تحضير
زوال مملكتها الزوال الذي لا مرد له (تصفيق)

ولقد قال لي في باريز ايرلندي عاقل وبصير . « انت
بصفة كونك مصريا يجب عليك ان تتمنى الجلاء العاجل عن
وطنك ولكن انا بصفة كوني ايرلنديا عدوا لانكثرا راغب

وليس من قصدى ان اوضح هنا النتائج المختلفة التي
ستنتج عن هذه الحملة بل اترك هذه المهمة للجرائد
وليس من قصدى كذلك ان أتنبأ بمصائب فان المستقبل
يظهر لنا - اذا سارت التجربة ولم تقف - كيف انها تكون
طائشة وتعسة . ولكن الذى يخيفنى هو ما يجيش فى صدور
الامم الاسلامية السودانية وامم افريقية الوسطى . فلقد مضى
على هذه الامم ١٥ عاما دون ان تجب الى مكة كبقية الامم
الاسلامية حيث مصر وموانى البحر الاحمر مقفلة امامها
« استحسان عظيم جداً »

ولست فى حاجة لان ابين لكم اهمية مسألة الحج بالنسبة
للمسلم المتدين فانها مسألة أساسية ومن أقدم الفروض .
وانى أخاف ان تكون هذه الحملة فى الظروف الحالية داعية
لتهيج لا حاجة لنا به عند هذه الامم العديدة حيث تفضى الى
الدعوة للحرب المقدسة « رجة وضجيج »

فكل هاتيك الامم اصبحت تجد من زمن طويل ان
من واجبه الدينى ان تهجم على مصر وكم يكون هجوم

انكازي أن نسترجع السودان !

وفضلا عن ذلك فاننا نخاطر مادمننا تحت قيادة الانكاز
بفقد صفة نحن محتاجون اليها أعظم احتياج كاحتياج أوروبا
أيضا لها فانه اذا كان في العالم أمة اسلامية تأهلت بما لها من
التسامح الديني المحض والاعتدال المطلق لأن تكون واسطة
بين أوروبا المتمدنة وأفريقية المتعصبة هي ولا محالة الامة
المصرية « تصفيق متضاعف » !

وانه من المستحيل على الأوروبيين أن يختلطوا مباشرة
مع مسلمين على جانب عظيم من التعصب كالسودانيين فلكي
تدخل عندهم محاسن المدنية يلزم أن نكون نحن لها عمالا
ووكلاء . ولكن مادام السودانيون يروننا مهاجمهم تحت أمره
الانكاز فسينتهي الامر بهم لان يعتبرونا خونة وقوما بلا
دين ويكون عندئذ مما نخافه ان نفقد هذه الصفة التي تسمح
لنا بان نكون واسطة بينهم وبين اوروبا !

فماذا يكون اذا ربحنا من هذه التجربة ؟ لاشي مطلقا .

هل يكون من ورائها خسارة لنا ؟ يؤسفنا أن نقول نعم !

وان هذه الحقيقة مقبولة من كل الرجال ذوى الذوق
السليم . فان الغازى مختار باشا ذلك الرجل الذى لا ينكر أحد
كفاءته العالية وسلاطته المطلقة في مثل هذه المسائل قال
بخصوص استرجاع السودان فى تقريره المؤرخ ١٤ مارس
سنة ١٨٨٦ ما يأتى بالحرف الواحد :

« يظهر جليمان الاحوال المختلفة للاضطراب فى السودان
ان السودانين لا يقبلون أى مداولة كانت ولا يرضون بأى
مصالحة سلمية ما دامت الجنود الانكليزية أمامهم أو الجنود
الانكليزية والجنود المصرية معا ويبقون ثابتين فى خطتهم
لان أغابهم استعمل لذلك بمهارة الاسباب الدينية التى تربطهم
بعضهم البعض والتى تسمح لهم أن يقاوموا الجنود الانكليزية
والمصرية معاً وان يستميلوا اليهم بعدد هم الهائل تلك القبائل
التي لم تكن مخلصه لهم تماماً . فينتج من ذلك أن حالة
الاضطراب تستمر طويلاً اذا بقي الانكليز امام السودانين
أو فى اختلاط معهم . . . »

ترور اذاً أيها السادة أنه يصعب علينا ما دمنافى صحة

ما تنتجه يد الصناعة « تصفيق مستمر »

وإذا كانت تريد انكثرا بصدق نية وكرم اخلاق أن
ترد السودان الى مصر فكان يكفيها بلوغ هذه الغاية أن
تنجلى عن القطر فان الجلاء وحده يعيد لنا السودان
ولماذا بقي السودانيون ثابتين على عصيانهم ضد مصر ؟
لماذا لا يقبلون أى اتفاق معنا ؟ لا ينكر احد في العالم أن
وجود الانكليز في مصر هو الذى جعلهم بهذه الحالة
« علامات استحسان »

وفي الواقع ان مسلمى السودان هم على جانب عظيم من
الصلابة والتعصب لم يقبلوا معهما ولن يقبلوا أبدا أن يحكمهم
غير مسلمين . ولكي نستميلهم لا ينبغي استعمال القوة بل يكفي
أن ندعوهم باسم الإسلام وأن نرسل لهم باسم الخديوى والسلطان
سفارة دينية مركبة من بعض العلماء . ويكفى لقمع نار الثورة
بينهم وارشادهم الى سواء السبيل ان ندخل هنالك عندهم حاملين
القرآن الشريف بيد وراية الرسول باليد الاخرى « تصفيق
طويل »

فصاعدا يصبح تأخير الجلاء بحملات في السودان أمراً
مستحيلاً حيث يعود كل الناس عالمين بما يتصد من هذه
الحملات :

ذلك لان انكترا قد كشفت بيدها الغطاء عن مقصدها
وليس هذا من الوقت الحاضر فقط بل من سنة ١٨٨٧ عند
ما أراد السير درومند وولف أن يعقد مع جلالة السلطان
اتفاقية المشهورة فان جملة من المادة الخامسة كانت تشير الى
ذلك بالعبارة الآتية :

« اذا كان في ذلك الوقت » يشير الى الوقت الذي
عين للجلاء أي الى عام ١٨٩٠ « يظهر خطر داخل مصر أو
خارجها وكان ذلك الخطر يستوجب تأجيل الجلاء تنسحب
الجنود الانكليزية من مصر بعد زوال ذلك الخطر »
فيهم اذن من اتفاقية وولف أنه كان يخشى ظهور خطر
ما في وقت الجلاء وبعبارة أخرى كان في الحسبان أمر مسألة
السودان وما يجري بيننا اليوم اذ أن خلق الاضطرابات
او ايجاد الاخطار ليسا بالنسبة للسياسة الانكليزية الا أقل

تحرير بلادنا « تصفيق شديد »

أجل أيها السادة . أنها تؤخر تحرير بلادنا وهو التحرير
الذي نتمناه من كل قلوبنا والذي طالما وعدنا به

ولذا فانا نعتبر أنه صار من الواجب علينا ومن أقدم

واجباتنا أن نرفع صوتنا في هذه الساعة العلنية ونجهر بامتناننا

واعترافنا بالجميل لتينك الدولتين الصديقتين اللتين أحمدا

لانتقادنا : فرنسا والروسيا « تصفيق شديد وتهليل وضجة

عظيمة »

وان ظهور فرنسا والروسيا في مظهر صديقتين قويتين

مخلصتين، لما يعزينا عن نكبتنا الشديدة وحرزنا العظيم

وأنا لانشك اليوم في أن العدالة التي تريدان مؤازرتها

وتحرير مصر الامر الذي تسعيان من أجله سيتوجان بالنجاح

والفوز الاخير « تصفيق شديد »

علاوة على ذلك فان بقية دول أوروبا والمانيا بنوع خاص

لا بد أن تنضم الى فرنسا والروسيا كما نؤمل ذلك متى رأت

ان ايطاليا لا تربح شيئاً من هذه التجريدة . ومن الآن

انقاذ الدول العظيمة التي في خطر. ولكن لكي يكون مقامنا
هذا المقام أليس من اللازم قبل كل شيء ان نعاذل اصغر
الدول العظيمة؟ « تصفيق متواتر »

ولقد كنا نود بكل صراحة ان لو كان في استطاعتنا
ان نوّدي خدمة ما للشعب الايطالى هذا الشعب الشاب
الشجاع الذي لا تلقى عليه مسئولية خطأ ما ولا أية جريمة
ولكننا لم نمل حتى الآن استقلالنا المحدود. انا لانزال تحت
حكم وصى! (علامات استخسان)

وفضلا عن ذلك فان الذى يجعل المصريين مضطربين
متكدرين من حملة دنقلة انما هو سوء المقصد الذى يبدو عند
كثير من رجال انكلترا السياسيين عند ما تتكلم الدول
بشأن الجلاء عن مصر. فانا لا ننكر هذه الحملة فتطالكوها
داعية لتعريض كل جنودنا لخطر عظيم وان من احدى نتائجها
التي لسوء الحظ تبدو لنا موء كدة انشاء جيش جديد وجعل
العساكر الانكليزية تحتل مصر كلها في الحدود كما في المدائن
ولكننا ننكر هذه الحملة بنوع خاص لانها توء خرن من طويل

الإنكيز « تصفيق شديد »

فإن وجود الإنكيز على رأس جيشنا يكفي وحده لعدم نجاح الحملة . يكفي لتحقيق مصيبة عظيمة . وبوجودهم على رأس الجيش يفتحون بيننا وبين السردانيين حفرة من أعماق الحفر تؤخر لزم من مديد صلحنا معهم — أولئك الذين كانوا من رعايا الخديوية المصرية

وزيادة عن ذلك اليسوا يدعون باننا سنحارب الدراويش نصره لا إيطاليا ؛ أليس لانقاذ كسلا سيذهب اخوتنا ضحية ؟ أنى لست ساذجاً الى حد اعتقد فيه أنه يمكن انقاذ كسلا بواسطة دنقلة أو أن السياسة الإنكيزية من عاداتها أو من تقاليدها مساعدة أى انسان كان . ولكن بما أن المحتلين يقولون أنه لاجل ايطاليا ستصرف دماؤنا وأموالنا فاني أتساءل هل من الإنسانية أن يكافوننا — نحن معشر المصريين المحملين بأثقال الديون والمصائب — بواجب انقاذ دولة عظيمة أوروية « علامات استحسان »

لقد كان يكون فخارنا عظيماً اذا كانت وظيفتنا في العالم

لو حقت على أحد لا عتبرت خيانة وجنوناً « علامات
استحسان »

أما من جهة استرجاع السودان فكلنا يريدده وكلنا
يجاهر بذلك علنا كل يوم. لا ننا نعتقد اعتقاداً صحيحاً أن مصر
بدون السودان تكون أحقر أرض في الأرض وأقفر بقعة
في الدنيا وبطلبنا جلاء الجنود الانكليزية عن بلادنا لا نطلب
فقط تحرير مصر من الاسكندرية الى وادى حلفا بل نطلب
تحرير كل وادى النيل اذ لا يمكن أن يحكم النيل كله الا
بحكومة واحدة « علامة استحسان »

وانا نود من صميم أفئدتنا أن نسترد المقاطعات السودانية
التي هي لبلادنا روحها نفسها. وانى قد أعلنت من جهتي
هذا الاحساس عدة مرات وقلت منذ خمسة أسابيع لآباء
وطنى من أهل الاسكندرية ان أعظم واجب على سمو
الخدوي عباس باشا هو اعادة املاك مصر المنقودة اليها .
وأنا أعيد هذه الليلة ما قلته وما أقوله دائماً أبداً . ولكنا
ما أردنا قط ولا نريد أبداً أن نسترجع السودان تحت قيادة

و يخاطرون بالقاء البلاد وأبنائها في هاوية
أجل أيها السادة. يخاطرون بالقائنا في أعماق الهاويات
وأخطرها: أنى أريد أتكلم على حملة السودان .

ما علم خبر هذه الحملة حتى شعرت الامة كلها بخاطر ذلك
الامر وبالمصيبة العظيمة التي تنشأ عنه ولا بد انكم شاهدتم
ذلك بانفسكم فان هذه الامة التي لها من الصبر كنوز ما انفكت
عن البكاء والنحيب والاستغاثة « تأثير شديد »

وليس تكدر أمتنا من هذه الحملة التي لا لزوم لها ناشئا
من الضعف والجبين وليس خوفنا من الحزب هو الذي يحملنا
على القضاء عليها بل ان الذوق السليم والنظر الصائب هما اللذان
يظهران لنا النتائج الخطرة التي تنتج من مشروع كهذا

ولقد قام رجال من الانكليز الذين لهم في العالم السياسى
أعظم المراكز وأسماها كاللورد روزبرى واطهر واعدم امتنانهم
من هذه الحملة وقضوا عليها بأشد عبارة وأحد لهجة . فلا
يقبل لنا اليوم خصومنا عندما نبدى رأينا بشأن هذه الحملة
أننا نريد أن نضعفهم عسا كرنا انفسهم . هذه التهمة التي

هي السياسة الحقيقية بالامة الانكليزية . هذه الامة التي لا تزال محترمة معتبرة عند جماعة مقهورين مثلنا . عند الذين يريد بعض سواها أن يضحوهم هم ومستقبلهم في سبيل نجاح آمالهم الباطلة

وما من مرة حانت الفرصة الا وتكلمنا عن الامة الانكليزية بكل اعتدال واحترام وسيكون كذلك شأننا الى الابد نتكلم عنها بأشرف لسان اذ نحن واثقون من أن هذه اللهجة تطابق اعتقادنا وتليق بكرامتنا «علامات استحسان» ولقد رأينا من عام ١٨١٢ أشد المناظر وقعا على النفوس: رأينا أكثر من ٦٠ ألف مصري ماتوا في التجريدات التعسة لأعوام ١٨٨٣ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ ورأينا تهقر التعليم والتربية ورأينا انحطاط الآداب العامة وفقر الفلاح والوطن نفسه وكم رأينا من أشياء مؤلمة ومن مناظر مفتة للاكباد ومع ذلك كله قد حافظنا على سكينتنا وبقيت ثقتنا عظيمة بالامة الانكليزية وبوعودها وبشرفها « تصفيق طويل »

واليوم يسيئون مقابلة تساهلنا وصبرنا وسكينتنا

الاحتلال ولكانت ولا محالة قضت عليه (تصفيق) . ولكن
وأسفاه قد تساق الامم غالباً في أجهل السبل على يد من
تثق به أكثر من غيره !

ولئن قالوا ليس في السياسة شيء من الشرف وأنها ليست
شيئاً آخر غير الكذب والخيانة فاننا لا نستطيع أن نتصور
طرفة عين أن أمة بلغت من العظم والمدنية مبلغ الأمة
الانكليزية تجسر يوماً من الايام على أن تخون علناً سيرتها
وتحتقر أمام الناس شرفها (تصفيق شديد متواتر) . فانها
على نسق كل الامم غيورة على كرامتها التي تقضى عليها ولا
محالة قضاء تاماً اطالة أمد الاحتلال الانكليزي الى أجل غير
محدد

وكل الذين يعرفون للشرف معنى يعتقدون مثل غامبتا
(أن ليس هناك سياسة حقيقية فعالية مثمرة اذا اعتدت
القوة ولو لزمان مؤقت سريع الزوال على المبادئ الراسخة
للعادلة والانسانية) . (تصفيق عظيم متواتر)
وان السياسة المؤسسة على مبادئ العدالة والانسانية

الحقيقيون في مسألة مصر . فهم ينشرون في كل مكان عن حالتها الاخبار الكاذبة ويخلقون كل يوم حججا سافلة واهية لاطالة امد الاحتلال البريطاني وهو الحمل الثقيل الذي لا يستطيع تحمله « تصفيق »

ومن سوء حظ أولئك المشهورين بالمبالغة في الدفاع عن انكسار أن أعمالهم توصلهم غالباً الى نتائج مخالفة بالمرّة للغرض الذي يعملون له لانه كما قال حقاً فيكتور هوغو : « للحقيقة والحرية مزية خاصة بهما وهي أن ما يعمل ضدّهما وما يعمل لهما يخدمهما على السواء » . « تصفيق شديد »

أما ما يختص بالامة الانكليزية فلانستطيع الا احترامها ومهما وقع فانتنا نحترمها دائماً كما نحترم كل الامم الاخرى . اذ أنه لا يصح بغض أية أمة ولا يقضى على شعب من الشعوب بخطأ بعض أفراد من أبنائه . وأنا نعلم حق العلم أنه اذ كانت الامة الانكليزية موافقة على الاحتلال راضية به فذلك انما هو لكونها جاهلة لحقيقة احساس المصريين لانها لو كانت تعلم احساسنا لأظهرت عدم رضائها باحتلال مصر كهذا

بقدر استطاعتي في المدافعة عن وطني العزيز سأستمر — ولا
يقتنى في طريقي الا الموت — في وصف مصائب مصر وآلامها
والمنادات في كل مكان بحقوقها المقدسة والمظالمة بحريتها
واستقلالها « تصفيق شديد متواتر »

وانا نعلم حق العلم اننا بدفاعنا عن مسألة بلادنا الشريفة
وبتقديس أنفسنا لها نعرض أنفسنا للضرر والخطر . ولكن
اعتقدوا جيدا أيها السادة ان همتنا لا تقترب ابدا لحق بنا من
جراء ذلك ضرر أم لم يلحق « تصفيق واستحسان »

فليس هناك من شيء أجمل في عين الوطني من المجاهدة
في سبيل بلاده . فضلا عن ان المجاهدة بالنسبة لنا ليست
أمرا صعبا . ضد من نجاهد نحن ؟ ضد الامة الانكليزية ؟
كلا ليس جهادنا ضدها . انما هو ضد فريق من الناس
يعملون لتأييد الاحتلال الانكليزي في مصر الى الابد قضاء
لاغراض شخصية أو أملا في تحقيق اطماع

أجل انا نجاهد ضد هذه الفئة التي اعضاءؤها أعداء
للحقيقة وضدهم وخدمهم نبذل كل قوانا فانهم وخدمهم الآثمون

« تصفيق متضاعف »

وانا معشر المصريين نحب مصرنا الاسيفة بكل اخلاص
ولا نود لها شيئا آخر غير يقظتها وسعادتها . ولكن من سوء
الحظ يوجد في هذا البلد طغمة من الرجال يطعنون أشد
الطعن على الوطنيين ويدعون مع ذلك انهم المدافعون عن
الاحتلال الانكليزي على انهم لو كانوا حقيقة المدافعون عنه
لحسبوا عارا عليه وخجلا . فان انكثرا نفسها لا تستطيع ان
تبغض أو تحقر مصريا وطنيا اذ من ضمن الاسباب التي
تتجلبها لنفسها للاقامة في مصر تربية المصريين . فهل من
الجاز ان يكون المصريون حسنى التربية من غير ان يكونوا
وطنيين محبين لبلادهم ؟ كلا . « علامات استحسان »

ولقد كان أولئك الذين يدعون الدفاع عن الاحتلال
الانكليزي يزعمون انهم وقفوا الى الابد اذ يظنون بسداجة
لا مثيل لها ان الاجحاف الذي لحق أخيرا بأحد أخوتي
يضعف قواى أو يوهن عزيمتى أو يقل مجاهدتى فى سبيل
سعادة بلادى . فأخطأوا الظن لاننى بعيد عن أن أمل وسأستمر

لو لم يكن احساسى بالواجب على قد دعاني لاطاعة امرهم
والاذعان لرغبتهم . فحنت الى هذه الحفلة وفؤادي منشراح
من انى اخاطب نخبة نزلاء الاوروبيين اولئك العاملين بالنشاط
الذين هم بيننا طليعة المدينة الغربية « تصفيق شديد » (١)

ومما يزيدني سروراً أنى واقف امام جمعية اصدقاء لبلادي
اوفياء لها لم يقصدوا بمجيئهم هذه الليلة سماع خطيب بليغ بل
جاؤوا ليظروا علامة ودهم لوطنى ضعيف ولمسئلة مصر
الشريفة

أجل أيها السادة . يتكلم الانسان امامكم بكل ارتياح
وافتخار عن الاوطان ويدافع عن حقوقها المضمومة ويطلب
لها مستقبلا سعيداً . فانكم كلكم تنسبون الى اوطان شريفة
حرة وسعيدة وتحبون هذه الاوطان وتعشقونها عشقا صحيحا
ولا استطاعة لكم على غير موافقة الذين يحبون اوطانهم مثلكم

(١) لم يتيسر فى غير هذه الخطبة من الخطب التي مضت
معرفة المواضع التي صفق فيها بالضبط الحاضرون او التي اظبروا فيها
علامات الاستحسان

الكبير الى الصغير امام عينيه أربا أربا فلا يتغير له اعتقاد ولا
يجبن له قلب ولا يثنى له عزم
قام ذلك المصرى الشهم الكريم يقدم برهانا على قوة
ايمانه ووطيد ثباته ووجهه لبلاده فأعلن بناء على دعوة الاوروبيين
القاطنين بمصر انه سيلقى بالفرنسية خطابا فى مسرح زينيا
بالمنغرا الاسكندري فهافت الناس من عليه القوم رؤوساوا كبرهم
جاها الى سماع هذه الخطبة النفيسة التى القاها فى مساء الاثنين
٣١ ابريل سنة ١٨٩٦ والتى نالت فوق ما نال سابقوها استحسانا
لم يسبق له مثيل وهذا تعريتها !

(خطبة بالفرنسية)

(فى الاسكندرية)

٤

« أيتها السيدات . أيها السادة

انى أقف بينكم متكلمًا وانفعال نفسى عظيم . ولقد كان

بودي أن اعتذر للذين شرفونى بدعوتى الى القاء هذه الخطبة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الثلثون

١٨٩٦

ظن أعداء المرحوم وفي مقدمتهم المحتلون ان حادثة الجيش التي نصبوها لي ثقل من عزمه أو ترعبه فترجمعه عن عمله فلا يسمع الانكاز صوت مصري يحتج ولا برهان صديق يدافع فأخذوا يكتبون المقالات الضافية موجّهين الينا كل صفات الذم التي ينفر فيها الحر الكريم حتى ان احدى جرائد المحتلين صرحت بأن هذا الحادث قد اخفت معه صوت ذلك الوطني الكبير ؟

ولكن المرحوم وجسمه مصري ودمه مصري وقلبه مصري وقضيته مصرية لم يجد في هذا الحادث الا برهاناً جديداً على ان عمله مستمر وانهم لو قطعوا افراد عائلته من

مُصْطَفَى كَامِلِ ابْنِ شَبَّانَا

فِي ٣٤ رُبْعًا

سَيْرُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خُطَبٍ
وَأَحَادِيثَ وَمَسَائِلَ
نِسَابِيَّةٍ
وَعَمْرَانِيَّةٍ

« أَحَادِيثُ بَهَارِنَا
كِرْمَاءُ لُصُوفِنَا »

مبدأ الفقيد

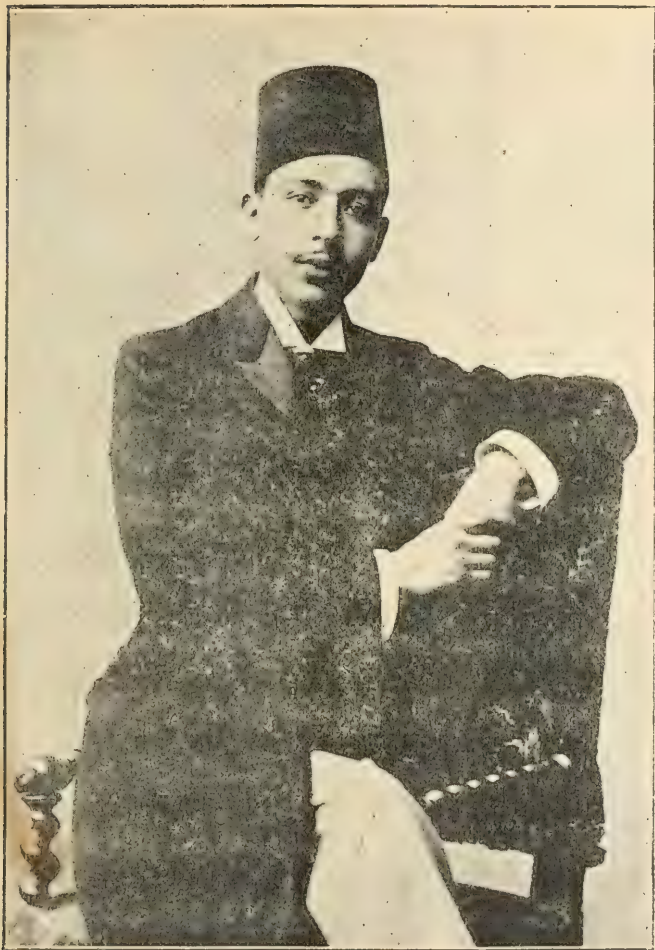
الجزء الخامس

﴿ الطبعة الأولى ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

« للمؤلف على فهمي كامل »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م



﴿ مصطفى كامل باشا ﴾
(في الثانية والعشرين من عمره)



صحيفة موضوع

- ١٦٥ قول جريدة انفار دل لكسندرى فى تلك الخطبة
- ١٦٨ كتاب الى جريدة المؤيد « »
- ١٧٣ بين مكاتب المؤيد والمترجم (حديث)
- ١٧٥ من هم الدخلاء (مقالة)
- ١٧٧ نيشان من الفضة
- ١٧٩ الى اهالى الاسكندرية (كتاب)
- ١٨١ قول جريدة الديبا فى الخطبة
- ١٨٢ « السياسة الاستعمارية الفرنسية » « »
- ١٨٥ حادثة الجيش - للمؤلف
- ١٩١ شمم الضابط المصرى - للمؤلف
- ٢١٥ الحادثة واللورد كرومر (كتاب)
- ٢١٨ من اللورد كرومر الى المترجم (جواب)
- ٢١٨ تمهة الحادثة للمؤلف
- ٢٢٦ الجرائد الاوروبية وحادثة الجيش
- ٢٣٠ حديث على بعد الزاد (مقالة)

صحيفة موضوع

- ١١٥ قول جريدة الرايبيل في المراسلة السياسية
- » » التيمس » » ١١٢
- » » ذي ديلي تلغراف » » ١١٦
- » » ذي ديلي مسنجير » » ١١٧
- » » الابزرفر » » ١١٧
- » » سانف جيمس غازت » » ١١٩
- » » ذي جلوب » » ١٢٠
- ١٢٢ كلمة عامة — للمؤلف
- ١٢٥ غلادستون مرة أخرى (كتاب)
- ١٢٩ بين محافظ اسكندرية وحكمدارها بشأن خطبة
وطنية
- ١٣٢ خطبة في الاسكندرية (خطبة)
- ١٥٠ قول جريدة المؤيدفي تلك الخطبة
- » » الفارد لسكندري » » ١٥٥
- » » الاجبشيان غازت والاهرام » » ١٥٥

صحيفه . موضوع

٨٠	قول جريدة غازت دي بروسيا في تلك الخطبة
٨٠	الاستقالة من خدمة الجيش - للمؤلف
٨٢	من المترجم الى المؤلف (كتاب)
٨٥	بين المؤلف ونظارة الحربية - حديث
٨٩	الى المستر غلادستون من المترجم (كتاب)
٩١	من المستر غلادستون الى المترجم (جواب)
٩٣	بقلم الوزير الانكليزي (كتاب)
٩٤	قول جريدة الاكلير في المراسلة السياسية
٩٧	» » الديبا » »
١٠١	» » الفيجارو » »
١٠٤	» » لابوليتيك كولونيل » »
١٠٥	» » البوست » »
١٠٧	» » الريدبليك فرنسيز » »
١٠٨	» » لوسوار » »
١١٠	» » الموند » »

— فهرس الجزء الرابع —

صحيفة	موضوع
٣	الوزارة الفرنسية الجديدة (مقالة)
١٠	الى اللورد سالسبرى (خطاب)
١٥	قول جريدة الاكلير في ذلك الخطاب
١٦	» » الاكستراجبلات » »
١٨	» » البرلينرتاجبلات » »
١٩	» » دى روسيا » »
٢١	مذكرة للمترجم في شأن » »
٢٢	تحالف يتحتم (مقالة)
٤٠	كلمة عن هذه المقالة — للمؤلف
٤٢	خطبة باريس (خطبة)
٧٥	قول جريدة الفيجارو في تلك الخطبة
٧٧	» » زيتونغ » »
٧٨	» » بطرسبرج » »

من الامور القاسية التي يرفضها العقل أن المصريين الذين
سلبهم الطليان كسلا يذهبون لانقاذهم في كسلا نفسها !
(المسلمون والتجريدة) - انى اعتبر الحملة على دنقلة
بمثابة تهيج للأمم الاسلامية بافريقيا . فان هذه الامم على
جانب عظيم من التعصب والصلابة ومن مبدأ الاحتلال الى
الآن لم تحج الى مكة مع بقية الامم الاسلامية بسبب افعال
طريق مصر فى وجوها . ولذا فانها نائمة على مصر وتنتظر
الفرصة المناسبة للهجوم على بلادنا رغبة فى تأدية فريضة الحج
وانى أخاف ان الحملة على دنقلة تهيجهم وتكون بسبب
ذلك مبدأ أعظم المصائب وأشد البلايا ! »

﴿ انتهى الجزء الرابع ﴾

(فى يوم الثلاثاء ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٠٨ ميلادية)

أما من جهة الجنود فالجيش المصري لا يكفي أبدا
لقهر السودانين وانكتر امضطرة لان تكمل الفتوح بجنودها
وهذا مما يزيد الامور تعقيدا علي تعقيد وينشئ اشيا كل
فوق المشا كل !

ومن ذلك كله ترى ان الحملة السودانية تعسة مشؤومة
والخفق العظيم الذي يتظاهر به المصريون الآن ضد الاحتلال
ليس في غير موضعه

وقبل الختام أذكر لك أمرا غريباً : وهو ان انكترا
تدعى امام أوروبا انها ذاهبة الى السودان لنصرة إيطاليا
وتوعز هنا لوزراء مصر ان يجيبوا على احتجاج جلالة السلطان
ضد الحملة « انها لم تسير الا لان الدراويش مشغولون بكسلا
عن غيرها وليس من مدافع عن دنقلا . . » أليس هذا
الامر غريباً ؟

أو ليس من الاغرب ان الايطاليين لا يزالون يظنون
ان انكترا ذاهبة الى السودان لاسعافهم !!!
ولنفرض ان انكترا ذاهبة حقاً لاقادهم . أليس حقيقة

(بربر) التي هي أم كثيراً من دنقلة والتي هي على بعد اثني عشر يوماً من كسلا

وعلى ذلك فلا تكسب إيطاليا شيئاً من هذه التجربة
ومن الذي سيكسب اذاً من كل ذلك؟ انكترا وحدها!
وحيث ان التجربة سائرة فماذا يكون؟ يكون ولا
شك أحد أمرين: أما انتصار جنود مصر وأما انهزامهم.
فان انتصروا فدنقلة تكون المحطة الاولى وانكترا تظهر
وقتئذ الحاجة للتقدم نحو الامام لاسترداد السودان كله.
وان انهزموا تضطر انكترا الى المدافعة عن مصر بنفس
جنودها وتعمل لتنظيم جيش جديد. الامر الذي يؤجل في
الحالتين ميعاد الجلاء

ولا ننس ان المال والرجال لازمان في الحالتين. وعلى
فرض ان صندوق الدين يدفع الخمسمائة ألف جنيه المطلوبة
منه فمن المستحيل ان يدفع فيما بعد غير ذلك مما يجبر انكترا
على أن تنفق من جيبها الخاص. الامر الذي يزيد الاحوال
تعقيداً!

راية خليفة الاسلام .
وأنا بحاربتنا لهم اليوم نحماهم على أن يعتبرونا أصدقاء
أوفياء لانكترا وبذلك لا يعتبرونا مسلمين
ولقد أوضح هذه الحقيقة بكل صراحة الغازي مختار
باشا - وهو الرجل العظيم الكفاءة في مثل هذه المسائل -
في تقريره الذي كتبه في عام ١٨٨٦ عندما أرسله الباب العالي
يقصد تسوية مسألة مصر مع السير درومندوف .

وما هو مقصد انكترا الحقيقي ؟ وماذا تكسب ايطاليا
من هذه التجربة ؟ - لقد أحسنت انكترا اختيار الفرصة .
فانها لما رأت ايطاليا مغلوبة النجاشي ظهرت في الميدان وأعلنت
رغبتها الكريمة في انقاذ ايطاليا وكيف ذلك ؟ بتجريدة
على دنقلة .. ولكن كسلا لا تنفذ بواسطة دنقلة ! لانه يلزم
على الاقل مسيرة خمسين يوما للذهاب من كسلا الى دنقلة
ولا تظن أبداً ان الدراويش يتركون كسلا ويسيرون خمسين
يوما للمدافعة عن دنقلة . واذا كانت انكترا تريد حقيقة
خدمة ايطاليا كان يجب أن تسير التجربة من سواكن الى

عندئذ لا نشاء جيش جديد مما يحتاج لاعوام وأعوام
والذى يزيد هذه الفكرة قوة ويحمل على قبولها هو
ما يحس به المشتغلون بالسياسة في مصر من أن انكلترا تفتح
باب المسئلة السودانية عند ما تطالبها أوروبا - وفرنسا على
رأسها - بالجلء عن مصر

وبالاختصار أقول أن المصريين غير راضين بالحملة
ويخافون أن تخدع أوروبا أيضا هذه المرة . والمصريون
كافة يقولون اليوم ويكررون هذه العبارة : « انا نريد حقاً
استرداد السودان ولكن قبل استرداد السودان نريد استرداد
مصر نفسها »

. كيف يسترجع السودان ؟ - لا يسترجع السودان
بالحرب . ان السوادنيين هم مسلمون متعصبون في الدين ذوو
صلابة وعناد ولم يقبلوا ولن يقبلوا أبداً أن تحكمهم انكلترا .
وأول نتيجة لجلء الانكاي عن مصر تكون استرداد
السودان بلا حرب ويكفي أن يعلم السوادنيون أن الانكاي
قد تركوا وادى النيل لعودوا تحت راية مصر التي هي

هذه الحماية التي يعتبرها المصريون مصيبة عظيمة :
« احساس المصريين » - هل المصريون مرتاحون لامر
الحملة السودانية ؟

كلا . وألف مرة كلا . يعلم المصريون اليوم ان انكترا
لا تريد بارسال الجنود المصرية في السودان الا أطالة أمد
الاحتلال الانكيزي اطالة لا نهاية لها . فهم سيكون ابناءهم
وأخوتهم الذين سيضحون في سبيل تحقيق مقاصد الانكيز
وليس بكاؤهم لأقاربهم عن ضعف في قلوبهم أو عن جبن .
بل بالعكس كان المصريون يعدون أنفسهم سعداء لو كان ابناء
الوطن ذاهبين لان يكتبوا بدمائهم صحيفة نخر ومجد لمصر
ويردوا « لمصر المصريين » لا « لمصر الانكيز » الاراضي
المنقودة ولكن المصريين تعلموا من التجريدات التعسة
لعام ١٨٨٣ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ أن أقاربهم حاربوا ويحاربون
السودانيين لمصاحبة انكترا ليس الا

ويقول الناس كافة هنا أنه ليس ببعيد عن ذهن الانكيز
ان يكون المقصد من الحملة ابادة الجيش المصري والاضطرار

— حديث على بعد المزار —

« في الحملة الذنقلية »

لما قررت حملة دنقلة أرسل مدير جريدة « الاكلير »
الباريسية الشهيرة كتاباً الى المرحوم يسأله رأيه في هذه الحملة
ورأى المصريين فأجابه على سؤاله بجواب نشرته جريدة
« الاكلير » في عددها الصادر بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٨٩٦
واليك ترجمة ما جاء فيها بعد كلام من عندها :

« وسواء كان الايطاليون في كسلا أو لم يكونوا فيها وسواء
كان الدراويش هم الغالبون أو هم المغلوبون فان الحديث الذي
يقرأه القراء هنا والذي جرى على بعد يفتنهم أعظم فائدة .
والذي تكرم علينا بهذا الحديث هو (مصطفى كامل) المصري
العظيم النشاط

وهو يشير الى كل المشا كل وكافة المصائب التي سيخلقها
في مصر التداخل الانكليزي المبعوض من ابناء مصر . وهو
يوضح لنا نوع خاص حالة التهييج الاسلامي لذي هو في
الساعة الحاضرة خطر عظيم على من تعرضت انكسرتا حمايتهم

واسترد استقالته . وفي الحال صدر له الامر بالتوجه الى
أورطته ليؤدي بها وظيفته الا أنه بعد ذلك سيق امام مجلس
عسكري (!!!) وحكم عليه في الحال بالسجن والتجريد من
رتبه بحجة انه حاول الفرار من الخدمة . !

ولاشك ان كل من يطلع على هذه الحادثة الغريبة يحكم
بان الدناءة والوقاحة لم تكونا من جانب المحكوم عليه السيء
الحظ !!! »



هذه آراء الجرائد وما كتبتة في هذا الحادث . أما
أصدقاء المرحوم فقد رأى فريق منهم أنه اذا استمر في عمله
السياسي يضر بعائلته كثيراً أن لم يضر نفسه أيضاً ولذلك
كان بعضهم ينصحه بأن يضافي الانكليز ومما يدعش القاريء
أن هذا البعض كان يتظاهر بوطنية تفوق وطنية جاري بالدي
الايطالى . وكان المرحوم يقابل قول هؤلاء الجبناء بالاحتقار
والازدراء واستمر في عمله قوى القلب على الرأس لان الحياة
بلا وطنية ليست الاموتاً مرذولاً وعاراً أبدياً !

الاستعمارية) التي قالت في عددها الصادر بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٨٦٦ تحت عنوان « انتقامات انكليزية » ما ترجمته بالحرف الواحد :

« لقد انتقم اللورد كرومر بصفة غير لائقة من المعارضة التي يبديها في سياسة مصر (مصطفى كامل) المصري الطائر الصيت

وبيان ذلك أن لمصطفى كامل أخا اسمه على فهمي كان ملازماً اول في الاورطة الأولى بسواكن . ولما كان مصطفى كامل يخطب في فرنسا على مصر الخطب الجليلة التي صفق لها استحساناً كل انسان . كان الانكليز في سواكن يسيئون معاملته (على فهمي) اشد الاساءة باعتبار انه راض عن خطة شقيقه وأخيراً أحيل على الاستيداع في شهر نوفمبر بسبب واه جداً

ومن ذلك الحين أخذ على فهمي يدرس علم الحقوق في المدرسة الفرنسية ثم رفع في ١٥ ارس الماضي استقالته اذ لم يكن يعلم كغيره بامر الحملة على دنقله فلما علم بأمرها توجه للسردارية

بعد ان وقفت على سر المسألة وعرفت كما عرف غيرها قيمة
الوعود والعهود الاحتمالية وأن الايمان الانكليزية ايمان
مؤقتة لا تبرر وانما هم يملأون بها أفواههم تخديراً لأعصاب
الامم التي يدخلون بينها دخول المحتل المحتال على هضم الحقوق
ودوس الكرامة الذاتية

ولقد بلغ من عناية الصحافة الفرنسية بهذا الشأن أن
نحو مائتي جريدة فيما أذكر قد خاضت غمار هذا الحادث
وبينت ما فيه من الظلم وتعمد الاساءة وكلها مجمع على ان
المقصود من هذا الظلم المبين انما هو الانتقام من شخص المترجم
على أمل أن يخفت صوته أو يلين جانبه ولكنه لم يكن من
هذا الطراز . وأنى أقول أنه قد كان اصيحة هذه الجرائد
صوت رن في الآفاق كافة وعرف من لم يكن عارفاً أن
الاصلاح الانكليزي لحمته وسداه الظلم المبين وأن هذه المظاهر
ظواهر لا ينخدع بها الا البسطاء

ومما يذكر في هذا المقام أن كل الجرائد التي كتبت
هذه المسألة قد نقلت ما كتبه جريدة الماتان وجريدة (السياسة

فيه وسط غير صالح

— ❖ — الجرائد الأوربية ❖ —

(وحدات الجيش)

قد يحدث القارىء نفسه بأن هذا الحادث يمكن ان يعتبر عاديا لما أنه قد يقع أمثاله في كل آن وليس للظلم حد محدود. نعم ان هذا الحادث قد كان يصح اعتباره عاديا أى غير مقصود بالذات لولا أن الذى وقع له أخو مصطفى كامل ألد اعداء الانكليز وكاشف الستار عن مساوئهم ومساوىء الاحتلال. فالحدث على هذا الاعتبار لم يكن عاديا أو شخصيا وان وهم أحد أنه كذلك

ولقد قامت قيامة جرائد أوروبا على أثر هذا الحادث العسكرى ترغى وتزيد فاضحة الأنكليز مشهورة بما يصدر منهم من الاعمال التى لا يبررها شرع ولا قانون وقد زادت الجرائد الفرنسية على الاخص حدة وشدة فى هذا الموضوع

نقطة « كوشه » فرأى لى بينها مطبخاً ولما تحقق أن فيه غذائى ضرب القدر برجله ضربة الشجاع المقدم فانقلبت وانقلب ما فيها رأساً على عقب ولقد أساء بذلك الى المروءة كما أنه أساء الى واجبه لأن الجندى غير مجبر بحكم القانون على تناول الغذاء الذى يقدم له من الجيش وانما هو مجبر فقط على اداء واجبه العسكرى وله أن يأكل ما شاء ويشرب ما شاء مما أحله الله للعالمين وذلك هو الحد القانونى العسكرى ومن هذين المثالين المتناقضين . اللذين بسطناهما للقراء نعرف ان بين صفوف الفقراء من له قلب يحمل أشرف العواطف ويتأثر بألطف المؤثرات كما أن بين مصاف الوزراء والرؤساء من يقبل الارض ليرقى سلماً . وانه ظاهر من المثال الأول أن من الجند من يؤدي أكثر مما يجب على الأخ نحو أخيه وقت الشدة ومن المثال الثانى أن من الضباط من لا يكتفى بما يأتيه من قصور بل يضيف اليه الاساءة الى المظلوم بلا سبب . وان الاباء والذل لا يجتمعان فى نفس واحدة وثمين الجواهر لا ينقص من قدره أن الوسط الذى يعيش

الى تضحية قوته الجسمية ودفعه الى أن جعل راحته وفتحاً على راحتي وأى نفس تلك النفس التي للمروءة فيها اسمي مكان؟؟
الا أن المصري الذي لم يطرأ على فطرته طارئ لا مثيل له في كرم الاخلاق وجمال الطباع . انه زكى بفطرته ويكاد الكرم يكون جزءاً منه

لا ينكر علينا صحة هذا القول أحد وفي كل يوم يقع تحت الحواس ألف دليل ودليل على أن نفس المصري قد ركبت فيها المرءة تركيباً عجبياً واصبح التسامح خلته التي تفرد بها بين أفراد سائر الامم

ولما كانت الاشياء تتميز بأضدادها فاني كما ضربت مثالا على مروءة المصري وشهامته أضرب مثالا آخريين أنه متى طرأ على فطرته طارئ خرجت عن طورها وزايلتها تلك السجايا الفاضلة والأخلاق النادرة . فقد رأيت ضابطاً من ضباط الاورطة نفسها عمل عملاً شذبه عن عواطف السبعائة نسمة الذين هم أفراد هذه الاورطة

مرّ ذلك الضابط يوماً على مطابخ الاورطة بالقرب من

نعم ان هذا جندي الكريم لم يتصد لخدمتي الا بأمر
من ضابطه الاعلى وهو الاخ الوطني الفاضل اليوزباشي أحمد
أفندي زكى ولكنه ملكنى عواطف عالية ليست مما تجري
عليها الاوامر. عواطف مصرية لوصورتها ريشة الرسام تجلت
في منظر يبهر أعين الناظرين

تلك العواطف التى هى غذاء العصبية القومية يجب ان
نميتها لانها مكيئة كميئة فى أفئدتنا لا ينقصها الا دروس
صغيرة يقدمها الاستاذ عمليا لا بنائه الطلبة كما يقدم مثلها رئيس
المصنع الى عماله الصناع ورئيس المصلحة الى من يشرف عليهم من
الموظفين وقائد الفرقة الى جنده وما الامة الا مدارس أو
مصانع أو مصالح أو جيش على رأس كل منها أستاذ أو معلم
أو رئيس أو قائد . فاذا عرفت هذه الرؤوس واجباتها
الحقيقية تألف ما بين القلوب وتجاذبت النفوس أهذاب الحب
تم رسخت فيها أعراق الفضائل فتكونت تكونا حسنا وكان
لها الذكر الجميل فى العالمين

ليت شعرى ما الذى حدا بذلك الجندى الشهم المقدام

طويلاً حسن البزة على جانب عظيم من الخلق العظيم وهو من جنود البلوك الذي أنا فيه. رأيتُه وقد كاتفتي واجتهد في أن يأخذ طوله في الصف حتى لا يختل النظام وذلك بأن تقاصر شيئاً فشيئاً ثم مديده الى ذلك الحمل الثقيل الذي كنت أئن تحته ونقله الى عنقه ووسطه فكان يمثل جنديين في جندي كما مثل الحب الجنسى والمروعة العالية في مصري سار هذا الجندي وهو بجوارى فسألته عن اسمه فقال « أحمد القافلة » فمدته وحمدت قافلة بين افرادها مثله وأصبحت أسير صنعه الجميل. وقد لبث ذلك الشهم المقدم يقدم لي هذه الخدمة في كل رحلة من رحلاتنا العسكرية حتى حل يوم اجتيازنا لعطمو ر أبي « صارى » وهو يبلغ ٢٧ كيلومترا تقريباً فقطعه وهو مقيد بهذه الأغلال الثقال وكانت الارض رملية والحر شديداً وكنا كلما وقفنا ببلد او قضيانا ليلة في قرية ذهب ليبحث عن الخضر والبقول ليقدم لي ما غاب عني من طيب الغذاء الى غير ذلك مما لا استطيع أن أفي له شيئاً من حق الشاء الجميل

اكرهوا الاحتلال فاننا أشقياء تعساء الحظ مسلوبو
الكرامة مادام فينا . اكرهوه لانه قد كره لكم كل ما تحبه
الامم او تريده لذاتها ولو أراد لكم الخير لا نصرف عن
بلادكم بسلام !

اننا نحن المصريين لتحمل صدورنا قلوباً هي أشرف
من القلوب التي تحملها صدور قوم يدعون العظمة ولو كانوا
عظماء لاحترموا ما أسلفوا لنا من عهد ووعود !
واني اقص عليكم من قصص شتى قصة يأخذ منها المصري
مالم يأخذ وان كان قد مر تحت نظره وسمعه كثير من
امثالها :

كانت الاورطة السابعة التي أُلحقت بها جندياً بسيطاً تعمل
في انشاء السكك الحديدية بين بلدة « سرس » وبلدة « أبني
فاطمة » فكانت كلما أتت أربعة او خمسة كيلومترات انتقل
معسكرها الى رأس هذه المسافة . فلما انتقلنا اول مرة واصطف
الجند واخذنا في المسير وكل جندي حامل بندقيته وسونكيتته
ورصاصة وفراشه (وغير ذلك من المثقلات) : رأيت شابا

لسان التلفون وفيما بين دقيقة مجرد ذلك الضابط من رتبة وينزل
من مرتبته الى مرتبة الجندي البسيط وذنبه أنه شقيق
مصطفى كامل ان كان هذا الشرف يعد ذنباً !

حاشا أن أحتقر مرتبة الجندي فانها مع العدل أشرف
من مرتبة الضابط العظيم مع الظلم وانما أنا أحتقر الصوت
الذي نادى بوجوب نشر العدل في أرجاء مصر حتى اذا
أظلمت سماءها كان خائناً للعهد حائثاً في اليمين !

اكرهوا الاحتلال أيها المصريون فبقدر كرهكم له
يكون حبكم للوطن اعمالوا جهدكم لإخراج العدو من بلادكم
فلا تزالون في أرضكم ضيقة صدوركم دامية قلوبكم حتى ينجلي
هذا العدو واذ ذاك ينجلي الظلم والعدوان

اكرهوا الاحتلال وألحوا في كرهه فقد ألح في ارهاق
الجسوم وازهاق الارواح . لا تزالون فوق أرضكم وتحت
سمائك على ضفاف نيلكم غرباء حتى يكون الامر لكم
وزمامه في أيديكم واذ ذاك تنالون ماشئتم من العز والسؤدد
والارتقاء

كافة فعلقت عليه الاقوال الضافية الاذبال . ولا جرم ان
حادثا كذالك الحادث كان جديراً ان يكون موضوع الحديث
لا لذاته ولكن لانه كان مذكراً للمصريين بأن العدل بين
يدى الانكليز في مصر اسم لا مسمى له على الاطلاق !

تناولت الجرائد ذلك الخطاب الرنان بالمناقشة الحادة
فانقسمت فيه كماداتها الى قسمين : اذ أخذت الوطنية منها
تطلب اعادة التحقيق أمام ناظر الحرية وقد عضدتها في هذا
الطلب أغلب الجرائد الاوربية المحلية . وأما الجرائد الاخلاقية
عربية كانت أو انكليزية فقد كان أمرها - جبا ان أخذت
ذلك الحادث دليلاً جديداً على نزاهة الانكليز وعدلهم وأنهم
أكثر أهل الارض انصافاً !

وقد قوى الصوت المطالب باعادة التحقيق ولكن
الانكليز كانوا قد صمت آذانهم عن سماع ذلك الطلب العادل
لان تحقيقه كفيلاً بكشف الستار الكشيف الذي أسدلوه على
الحقيقة الناصعة وهي براءتي وحاشا أن يريدوا ذلك !
هل سمعتم أو رأيتم أن موظفا عادلاً يوقف ضابطاً على

*
* *

وقد رد اللورد على كتاب المرحوم بأن هذا العزل كان من عمل الجيش أمام مجلس عسكري عال وأنه لا يمكنه بأى حال من الاحوال أن يتداخل فى الامر الى غير ذلك من التمحل الغير المقبول ولو كان يريد اللورد كرومر أن يمثل عدل حكومته فى مصر كما يدعى وكما ملاً تقايريه العديدة بهذه التخريصات لأشار فى الحال بعمل تحقيق دقيق ولكن هكذا أرادت السياسة الانكليزية أن تنتقم من أخى فى شخصى لتوقفه من طريق الارهاب عن عمله السياسى ولكن خاب فالها فقد كالأحتلال بعد ذلك الصاع صاعين لأنه لمس ظلمهم بيده وعرف مبلغ مدينتهم فى معاملة الأمم الأخرى

*
* *

وانا فى غنى عن القول بأن هذا الكتاب قد أحدث حركة غير عادية فى الدوائر الرسمية وكان له من الشأن فى ذلك الاوان ما لا يزال أثره عالقا بالاذهان ثابتاً فى صحائف الصحائف : فان القوم قد تحدثوا به كثيراً وتناولته الجرائد

في وجودى في مصر أوفى أعمالى فيها ما يضر بالاحتلال
هذا وأرجوكم ان تفضلوا بقبول عظيم احترامى
(مصطفى كامل)

وقد ذيلت جريدة الفار الغراء هذا الكتاب الذى
صدرته بمقدمة مفيدة — بما يأتى
ونحن نؤمل ان طلب التحقيق الذى تطلبه الجرائد يقبله ناظر
الحربية وان تحقيق هذه المسئلة لا يكون الا فى وجهه على فهمى
بالذات ولا ريب ان رجلا تقع عليه تهمة خطيرة كهذه التهمة
وعوقب عليها مثل هذا العقاب الشديد كما اتهم وعوقب
على فهمى يجب ان يسمع دفاعه عن نفسه الذى هو من
حقوقه القانونية

واذا رفض طلب تحقيق هذه المسئلة يكون للناس جميعاً
الحق فى الظن بأن نظارة الحربية لا تريد ايضاح هذه المسئلة
وتبيان حقيقتها وانها بمعاقبتها على فهمى لم تقصد معاقبة ضابط
جنى جنائية ما بل أرادت أن تضطهد فى شخصه شخص أخيه
الذى هو خصم سياسى وعامل نشيط . اه

الخدوي المعظم لان يكون من رجال حرسه الخاص فعارض
السردار في ذلك الطاب ورفض قبوله. وفي شهر نوفمبر الماضي
احيل على الاستيداع. وفي ١٥ مارس الجارى ارسل استغفاؤه
من الاسكندرية للسردار قبل ان يعلم بخبر تجريدة دنقلة.
وفي اليوم الثانى علم بها وعاد في الحال للقاهرة وقدم نفسه
لنظارة الحربية لتلقى أوامر السلطات العسكرية وفي الوقت
نفسه أرسل الى السردار كتاباً يظهر له فيه رغبته في الرجوع
الى الخدمة وفي اليوم عينه عين في الاورطة الخامسة عشرة
برتبته ملازماً أولاً واستمر يؤدي وظيفته مدة ثلاثة أيام
الا أنه أول أمس جرد من رتبه وسجن بحجة انه هارب
وان الامور التي سردها لسيادتكم تقوم برهاناً ضد دعوى
هربه من الخدمة فان الضابط المستودع الذي يستغنى لا يد
هارباً والهارب لا يطالب من نفسه الرجوع الى الخدمة عند
سماعة خبر الحرب

وانى احتج على عتاب رجل ذنبه الوحيد انه شقيقي
وارجوكم يا حضرة اللورد ان تعملوا ضدى وحدى اذا رأيتم

الواجب وخرج منصوراً عاد الى عمله الوطنى رافعاً لواء
فرنسا صائحاً في كل لحظة ومكان بلادى ! بلادى !
انى واثق من حكمتك انى لا تقل عن وطنيتك فكن
كما انت لاتزعزعك الحوادث ولا يدخل اليأس على قلبك
فانه من عمل الشيطان . .

سامكث بمصر حتى يصدر العفو عنك قريباً
٢٤ مارس سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل

(الحادثة واللورد كرومر)

كتب رحمه الله في يوم ٢٣ مارس سنة ١٨٩٦ خطاباً مفتوحاً
للورد كرومر وقد نشرته جريدة الفاردي لـ كسندرى في نفس
التاريخ كما نشر المؤيد باللغة العربية تعريبه وهذا نصه !
مصر في ٢٣ مارس سنة ١٨٩٦

ياجناب اللورد

كان شقيقي على فهمي ملازماً أولاً في الاورطة الاولى
بسواكن ونظراً لثناء رؤسائه عليه ومدحهم فيه طلبه سمو

ياأخي ان الوطنية تظهر في هذا الوقت الذي حفر بالمكارد
فلا تقدم على مايهته لك الشيطان امام هذا الحادث واقتد
باسياد البشر الانبياء والمرسلين فقد رؤوا مصاعب جمّة وصادفهم
من الآلام مايدك هوله الجبال كل ذلك وهم صابرون فاصبر
فإن الله مع الصابرين

انى لا أبكى حتى ارواحنا في سبيل خدمة الوطن فان
التاريخ مليء بجلى الحوادث التي اراق فيها ابناءه الصادقون
دمهم في سبيل نصرته ورفعة شأنه

فايكن امامك في كل لحظة هذا الوطن الذي عرفه
وشنطون وجان دارك وجاريلدى وكوشوت وهم ذوو
الجنسيات المختلفة الذين تلقوا هذا الدرس من شهداء خدمة
الاطوان وفي مقدمتهم امراء المسلمين سواء كانوا عرباً او تركاً
او غيرهم

انى قرأت في كتاب فرنسى أن نائباً اضطهد لوطنية
وهو المسيو ميرمان فدعوه الى خدمة الجندية فمكث فيها
ثمانية اشهر يحمل السلاح بلا نصب ولا تعب حتى اذا قضى

فضابط بالحملة ثم الاورطة الثانية فاركان حرب الحملة ثم الاورطة
الثانية ثم واقعة عطبرة (مع الامير محمود) ثم واقعة ام
درمان الى ان وقعت في مرض التيفود ثم نزولني مع ارسالية
المرضى ومكثت شهرين في المستشفى العسكري بالعباسية ثم
شفيت الى ان كانت استقالتى مرة اخرى وقبولها وخروجه
من الجيش حيث كان ٢٢ يناير سنة ١٨٩٥

هذه هي الحادثة بوجه الاجمال مما سيجيء مفصلا في
تاريخ « مصر والاحتلال الانكليزي » الذي سأضعه بمشيئة
الله بعد ختام سيرة المرحوم وكل آت قريب

*
**

عرف القاريء ان المرحوم جاءني في السجن في العباسية
وقال لي ماقل وبعد ان خرج وقصد المنزل أمسك القلم
وكتب لي خطابا جاء فيه بعد شرح طويل
« عليك بالصلاة وذكر الله ومحاربة الشيطان فكل ذلك
خير سلاح للمؤمن . واعلم ان ربك لبالمرصاد ولا بد ان ينتقم
لك ولو الدنيا والآل بيتك ووطنك من هؤلاء الظالمين . واعتقد

أحمد افندي زكي (الذي استقال من الجيش لشممه وشهامته
وعدم تحمله رياء المرائين وتفاق المنافقين وهو الآن مهندس
شهير ومقاول كبير وقد نجح في عمله نجاحا باهرا) لانه كان
أحد رؤسائي الضباط في المدرسة الحربية

عملت في هذا البلوك جنديا فاشتغلت في كل عمل يعمل به
الجندي ما عدا حمل الاثقال فالظاهر انها كانت امتيازاً سيئته
رحمة اخواني الضباط وحنو النفوس الآبية نحو النفوس المظلومة
فكنت شريك البنائين في السكك الحديدية وفي ورش
الاشغال وغيرها .

ثم حضرت واقعتي فاركة والحخير ودخلت دنقله وانا
جندي أحمل السلاح وأسير وسط الصفوف حتى يوم ٤
اكتوبر سنة ١٨٩٦ فهو يوم ظهرت شمسهُ مع تنفيذ عفو
سمو الخديوى عنى حيث قابلت السردار كتشنر باشا فأعاد
الى رتبي ونياشينى واقام اخواني الضباط احتفالات يطول
شرح تفاصيلها وعينت بالاورطة الثانية فالاورطة الثامنة عشرة
فأركان حرب كروسكو فأركان حرب السكة الحديدية

كشيف وكفي أن يكون من ظلم الانكليز في مصر !
على هذه الحال وصلت الى أسوان ومنها الى حلغا وفي
كل محطة نصل اليها أدخل الى سجنها ولا أخرج منه الا الى
سجن المحطة الاخرى كأنى رسام سجون أنقل منها للناس
أبناء ظلم الانكليز في مصر !

وقد كانت خواطر الضباط المصريين عامة لاسيما في
حلغا متأثرة جدا والذين كانت بوادر تأثيرهم في أتم ظهور
أولئك الضباط الذين انتظروا الباخرة على الشاطيء . وليكن
قومندان الارطة التي رافقتها وهو ابراهيم بك فتحى (فتحى
باشا الآن) رأى أن فى امساكى بالباخرة تخفيفا لآلام
المنتظرين فأبتمانى تلافيا لما عسى أن يحصل اذا التقى المظلوم
والشهود !!

ولقد بقيت بالباخرة حتى اذا جن الليل خرجت الى
أحد القشلاقات مع الحرس . وفى الصباح جاءنى فتحى بك
وقال لى انك صرت جنديا بسيطا وقد وضعك السردار فى
أورطى فاختر لنفسك بلوكا فاخترت بلوك حضرة اليوزباشى

مشغل بالحراس وقد دهشت من هذه الحالة أيما دهش .
لانى كنت أظن كما يظن كل ضباط العالم أن الرجل الذى
جرد من رتبه مثلا أو نزل رتبة أو رتبته لا يمكنه فى هذه
الحال طويلا بل يطلق سراحه ويكون له مال الجندي وعليه
مأخذه . أما هذه الحالة فانى كنت أعتقد أن وراءها ضرب
الرياض . لانه لا معنى لتقييد متهم على زعمهم هذا القيد فيجزم
من الحرية الشخصية ويقطع طريقا لا يقل طوله عن ألف
كيلومتر تحت هذه الحراسة الثقيلة ولكن هكذا قضى ظلم
الانكليز فى مصر !

ما وصلت الباخرة (الكسندرا) الى شاطيء مدينة قنا
حتى جاءني أحد الضباط وقال لى انا وصلنا الى قنا وأنا أعلم
أن أخاك الأكبر (حسين بك واصف) وكيل تفتيش الري
بها فهل تريد منه شيئا ؟ قلت له لا أريد منه الا أن أراه
أو يرانى ان أمكن . قلت هذا ولم أكن عارفاً أن الاوامر
السرية تحول بينى وبين رؤية أقرب قريب منى . وهكذا
الظلم يحول بين الاذن وما تسمع والعين وما ترى لانه حجاب

العابث وقلبه الاسود هو وأغلبية أعضاء مجامسه العسكرية
جزته عائدا من السجن الى عابدين اذ وصلت الى قشلاقها
بعد أربع ساعات وهناك (أى فى القشلاق) أودعونى
وتركونى

وبعد الظهر رافقت الاورطة السابعة بملابس السفر
وعدة الحرب . وقد سرت الى المحطة فوجدت الناس
عديدين والاصدقاء منهم متأثرون تأثرا بليغا وكانهم يريدون
أن ينقضوا على القطار ليأخذونى منه أخذا

سرت فى وسط العساكر لابين رفقائى الضباط ولم
يكن معى من الخواس ما يعينى على معرفة موقفهم ازائى .
وقد سار بنا القطار وأنا أفكر فى والده بارة شريفة كان فى
وجودنا شفاؤها وسيكون فى بعدنا عنها داؤها وفى أخ أقصى
أمانى أن أكون معه جنبا لجنب أعينه على ما هو بصدده
من الخدم الوطنية العظيمة وفى هذا الشتاء الابدى الذى
حلق طائرہ على مصر منذ وفد عليها الانكايذ
وصل القطار الى نجع حمادى ومن ثمة ركبنا البحر وأنا

ثم حل الليل والهلم والسهاد وحل (شرف الدين) يقوم لى بخدم أقلها يستحق عليه من المكافأة ما يشتري به المرء ألف ضابط كضابط السجن هذا وما أصبح صباح يوم الاثنين ٢٣ مارس حتى فتح ذلك الجراب أو غرفة السجن وإذا الضابط ومعه جند كثير يقول لى « هيا » فخرجت معه وسرت وحولى اثنان منهم يقودنا صف ضابط كما حصل عند خروجى من الحربية فى ذلك اليوم المشهود . فقلت له أنذهب الى البليجون (الميدان الذى تتمر فيه العساكر على ضرب النار فى شمال العباسية وتسكنه الطوبجية الآن) فقال كلا . انك ذاهب الى قشلاق عابدين

فعلمت أنه ما ذكر تلك الكلمة عند دخولى فى هذا الجب وهى قوله للباشجاويش عند اغلاق الباب على « لا تدع أحدا يدخل عليه فهو مضروب بالرصاص غدا » الا ليؤلمنى أو ليحمانى على الحاق الاذى بنفسى لو كان مثلى يجعل لمثل قوله شأننا

وما جزته من الشوارع عند مفارقتى وجه السردار

أن أتكم فقاطعنى وقال :

« يا أخى

ان النفوس العزيزة لترخص فى خدمة الوطن . وأنت
إذا عوقبت فلا والله ما عاقبوك على ذنب جنيته أو اثم ارتكبته
وانما يعاقبونك لانك أخو من يرى الحياة رهينة رفعة
الوطن »

سمعت هذه الكلمة وقد أنعشتنى وأرسلت فى
قوة خفية لأدركها . فما لكت نفسى وتعانقتنا . ثم قال انى
تاركك الساعة فلا تضجر ولا تيأس . فان يوما أرى فيه
الكثير من أمثال هذه المظالم لهو يوم الافراج عن الوطن .
فأنت بما وجه اليك من التهم أول مثال سيقدمه الوطن
على ظلم الانكليز يوم لا ينفع الظالمين ظلمهم
ثم سلم وسلمت وانصرف وانصرفت معه آمالى وفكرى
وخاطري وفؤادى ولم يبق منى فى غرفة السجن الا هذا
الجسم الذى كنت أنتظر ما بين ساعة وساعة أن يحل به
الاتقام الموعود

انقضت تلك الليلة كما انقضت حتى اذا طلع النهار فتح
الباب فانتقلت نفسي انتقالا جائبا من الضيق الى السعة . ومن
الوحشة الى الانس . ومن العناء الى الهناء . ومن الانقباض
الى الانبساط . اذ رأيت شقيقي المترجم وافدا على كما ينفد
الندى على الزهرة الجافة . وقبل أن يعرف القراء ما قال لي
وما قلت له أذكر أنه كان في الاسكندرية ولما اتصل به
ما جرى جاء في الحال الى القاهرة ثم قصد أن يقابلني في
السجن فلم يأذن له الضابط الجهني بذلك . وكان قد رأى
أمام باب المدرسة الحربية حركة غير عادية فسأل عن السبب
فقيل له ان الادجوتات جنرال دخل المدرسة ليتخير من
تلاميذها ضباطا لان الجيش في حاجة الى الكثيرين منهم .
فما صدق المترجم أن سمع هذا حتى قصد ذلك الضابط
الكبير وعرفه بنفسه وطلب منه أن يرى أخاه في السجن
فهرس له وبش وأجابه الى ما طلب وأرسل معه بكباشيا
انكليزيا

فلما وقعت العين على العين أقيمت بنفسى إليه وأردت

والضماير . يحتمكم أولئك المردة في رقابنا ولا يرعون عهدا ولا
ذماما ويقبضون على أزيمة الاحكام وللقبض على أيديهم
ألزم وأحيم .

اللهم بك الحول ولك الطول وأنت على ما تشاء قدير
قلت كلاما كثيرا أن لم يكن هذا منه فانه شبيهه ببعضه .
ولم أكد أنتهى منه حتى سمعت هزة في الباب فانفتح ودخل
أونباشى (هو شرف الدين) يحمل قدحا من الماء ورغيفا
وقطعة من الجبن وقال بصوت الخائف الوجمل « اقبل منى
ما أتيتك به » فقبلته شاكرا وسألته عن اسمه فقال : أنا فلان
الذى كنت فى الاورطة الاولى وكنت أنت مدافعا عنى
حينما كنت أحاكم أمام مجلس عسكري تهمة وجهها الى
أحد صف الضباط فكان حسن دفاعك عنى خير كفيل لظهور
براءتى : الخ الخ

أعطانى هديته الثمينة فى هذا الوقت الذى لا تظهر فيه
الا المروءة وقال لى بعد ذلك ! « انى أنجيك بنفسى فهل لك
فى الحرب » فقلت له على الفور ! « ذلك لا يكون أبدا »

هاجتني هذه الكلمة بعد بضع دقائق . وقد مثل لي
الشیطان من صور المخاوف ما شاء ان يمثل . فكانت تتوارد
على ذهني أشكال شتى تصور أقلها يبعث على الرعب الشديد .
وماذا أقول وماذا أصف مما كان اذ ذاك ??

واخيرا تغلبت على كل شيء وتساندت حتى هدأت
نفسى فانبعث لساني يقول كلاما أذكر منه مايلي :-

« سبحانك اللهم ولك الحجّة البالغة الغالبة . أ كذالك
يلقى الابرياء فى غيابات السجون . ويتركون بين المحن
والفتون . ?? أ كذالك يمثل بالاجرار الاوفياء على أعين
الناس ويلقون صنوف الاهانات بلاسبب ?? اللهم لا اعتراض
على ماجرت به المقادير ولكنه الغضب للحق يحل اللسان
من عقاله . وأى شيء أدعى الى الغضب من رؤية الخصم حكما
والمتصدر للانصاف ينتهك حرمة الحق انتهاكا ولا يخشى
زقيا ولا حسيبا ??

أنت الشهيد على مالقيت من الظلم البين . أنت الرقيب
على هؤلاء الظالمين المفسدين . أنت العليم بما فى السرائر

ومن هناك سرت الى السجن الحربي والظاهر أن
التعليمات كانت قد سبقتني الى حكمداره ليعاملني معاملة قاسية
وهو ضابط ما كنت أعرفه من قبل. فاستتباني ذلك الحكمدار
كما يستقبل عشماوى فريسته وساربي وحولى بعض الجنود
الى غرفة صغيرة عرضها متران وطولها متران وارتفاعها نحو
عشرة فهى مسدخنة لا غرفة أو مغارة من مغاور الجن فى
السجن ووضع الاصفاد فى رجلى وتركنى على الارض لا وطاء
ولا غطاء ولا زاد ولا ماء ولا أنيس ولا رجاء ثم أغلق الباب
وقال للباشجاوئيش وهو يغلقه:

« لا تدع احدا يدخل عليه فهو مضروب بالرصاص

غدا »

وقد قصد ان يسمعى هذه الكامة فسمعها. سمعتها وانا
ثابت الجأش مستقر الايمان ذاكر قوله تعالى « لكل أجل
كتاب ». سمعتها وما كل من سمعها يعرف من معناها
ما أعرف سمعتها وأنا من أعرف الناس بتأثير المقدوف حين
يرترننى تحت من الرصاص فما بالك حين يرتزنى صدر انسان !!

حولي يزدادون كلما خطوت خطوة. ومنهم من كان يظن أنني قاتل او سارق ومنهم من كان يقول انه هارب من الحرب ومنهم من كان يقول بل انه أخو « مصطفى كامل » وهذا هو القول الحق

وقد استقباني الضباط المصريون متأثرين لما لاقيت من هذا العدوان والظلم القانوني . بل قابلوني وهم غاضبون صاخبون لما أصابني اعتداء واقتراء . ورأيت منهم حركة هي التي كنت أنتظر أن أراها منهم . وتقدم الى أحدهم وقال :

« يا أخانا المظلوم .

أنا نعتقد أن رئاسة الجيش المصري قد مثلت اليوم رواية من أشنع وأفظع الروايات . اذ ظلموا ضابطاً مصرياً بريئاً وتحاملوا زورا وعدوانا على فتى ذنبه أنه أخو « مصطفى كامل » فمرنا فأنا طوع اشارتك »

فلم يسعني الا أن شكرت لهم هذه العناية بشأني أجزل الشكر وأشرت عليهم باستعمال الحكمة والروية حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

الارض فيها تغور بي من شدة الحنق لو كنت حاملا سلاحى
لاذود عنى بحده تلك اليد الظالمة . تلك اليد التى تمتد الى ولا
وجدان لمن مدها .

أقول وددت فى تلك الساعة لو كنت أملك سلاحى
لافضل به بين الظلم والعدل . بين الغدر والوفاء . بين الباطل
والحق . بين الاثم والطهر . بين الخطل والسداد . ولكن سبق
السيف العذل وخرجت من هذه الغرفة وأنا لأعنى على شىء .
وما زلت كذلك حتى تركت الحربية وسرت فى الطريق
وهناك وجدتنى سائرا بين جندين مدججين بالسلاح شاهرين
السونكيات على البنادق وخلفناصف ضابط يقودنا . ولكن
الى أين ؟ هذا ما لم أكن به داريا !

خرجت من الحربية الى بولاق ومنها الى الازبكية ومنها
الى باب الشعرية ثم الفجالة فالعباسية مخترقا ما تخلل هذه
الشوارع من الاماكن التى يقبح ذكرها . وقد استغرقت
مسافة السير من الحربية الى قشلاق العباسية أربع ساعات
ونصف . اذ وصلت فى الساعة الرابعة بعد الظهر والناس من

حرفاً . وإنما كان جوابه علي طلب اعطائي « حق الدفاع عن
نفسى ولو بتقرير أ كتبه » : لا : ثم التفت الى من حوله .
أما رندل باشا فقد هز رأسه ويمين الله لقد كان قلبه أشد
اهتزازاً . وأما فضلي باشا فقد كان أفصح من زميله اذ قال
نعم . نعم . ولو فطن لمغزى الجواب ما نظقت به شفتاه . وأما
زهري باشا فانه قال :

« دعوا الضابط يدافع عن نفسه لان التهمة كبيرة .
ودعوه يحضر لنا وصول البريد عن الاستعفاء أولاً
واسترداده ثانياً »

قال هذا فلم يسمع منه قول لان الآذان قد صمت عن
استماع كلمة الحق ولان الغرض غشى تلك العقول تنفيذاً
لل قضاء المحتوم

وأشار السردار كتشتر باشا في الحال الى مكسويل بك
وهذا قام يخطر في المجلس حتى جاء الى ورفع النجوم عن
كتفي وكأنيما كان يرفع الحدقتين من العينين أو يستل لباب
الجمجمة من الرأس . ووددت في تلك اللحظة التي كادت

فدهشت وقلت على الفور بأعلى صوتي :

« انى ما استقلت فى زمن الحرب . وهذه وصول البريد يؤيد تاريخها قولى . فان تاريخ الأستغناء سابق تاريخ صدور أوامر التجريدة . ولنفرض جدلا أنى استقلت فى زمن الحرب ثم استرددت الاستقالة قبل اعلاني بالالتحاق بأورطة ما لاني من ضباط الاستيداع فان استقائى صحيحة واستردادها صحيح ولا حق لاحد فى مصادرتي فى هذا العمل اللهم الا اذا كان فى الامر سر سياسى ! سلوا المدعي مكسويل بك وهو يجيىكم ان اراد أن يجيب . ألم أحضر وأقابله وأسأله الالتحاق بخدمة أركان الحرب ??

سلوا ضمايركم بعد ذلك هل فى المسألة ما يستدعى هذه الضجة القائمة من زمن بعيد على رأسى ! ماذنبى ! ماجريرتى ؛ أى حدث أحدثته فى القانون ??

اذا كانت محاکمتى على شىء لم آتته فانى أطلب مما تسمونه عدلا أن يعطينى حق الدفاع عن نفسى ولو بتقريراً كتبته « قلت هذه الكلمة متأثرا منفعلا فلم يسمع السردار منها

زكى . سرنا كلانا هو يحمل سيفه وأنا أعزل كما هي القاعدة
المتبعة في إيقاف الضباط

دخلنا غرفة مكسويل بك كاتم الاسرار وقدم اليه
الضابط الخفير خطاب قومندانة قسم المحرسة فأمرنا بالراحة
في قاعة هناك

قضينا في هذه القاعة من الساعة الثامنة صباحا الى
منتصف الساعة الثانية عشرة ثم نودينا فدخلنا غرفة وهناك
وجدت السردار كتشير باشا يرأس مجلساً عسكرياً عالياً وقتياً
أعضاؤه الادجوتانت جنرال رندل باشا وكل من اللوائين
محمد زهرى باشا والمرحوم أحمد فضلى باشا وكان المدعى
الميرالاي مكسويل بك

وما رأيت هذه الهيئة حتى أدركت في الحال أن هناك
مكيدة مدبرة ولكنى ما كنت أتصور أنها بسبب الاستعفاء
خاطبنى السردار قائلاً :

« انك استقلت في زمن الحرب ولذلك نحن نحاكمك

« الآن »

وما بزغت شمس يوم السبت ٢١ مارس حتى أخذ كل
عامل في عمله . وخرجنا للطابور وقد كنت أمرن الضباط
وصف الضباط القدماء على ما غاب عنهم من القوانين الحديثة
والتغييرات التي طرأت على نظام الجيش

وفيما أنا كذلك جاءني المأسوف عليه الكريم الخلق
البكباشي سعيد أفندي ناصر أركان حرب قسم المحروسة
وهمس في أذني قائلاً :

« جاءت اشارة تليفونية من الحربية بايقافك وارسالك
اليها حالاً تحت حراسة أحد الملائمين الاولين »

فدهشت من هذا النبأ كما دهش حامله الى دهش
لا يقدر . دهشت لانني لم أصنع ما يستدعي ذلك . ودهش
هو لانه كان من أعز الاصدقاء . ولقد كرر سؤالي عما عسى
أن أكون قد أتيت به على وهم أن ثمة عملاً مخالفاً للقانون ارتكبته
وزاد الدهش دهشاً أن الايقاف مصحوب بطلب الذهاب الى
الحربية مع ظروف التجريدة الحاضرة

فقصدت الحربية مع حضرة الملائم الاول محمد أفندي

وهاهي التجريدة على وشك أن تتحرك . أفلا تزال مصمما
على الاستعفاء مع علمك أن الجيش في حاجة الآن الى ضباط
كثيرين » ؟ ؟

قال هذه الجملة وهو باسم . فاجبته : « سأسترد استعفائي
انما أرجو منك أن تساعدني على الالتحاق بخدمة أركان
الحرب لا البيادة حتى أقوم بعمل تظهر أهميته في المستقبل :
فوعدني خيراً وحياءاً كل منا الآخر وانصرفت . ثم كتبت
الى السردار خطاباً مسجلاً وقد استرددت فيه استقالي الاولى
وماهي الا عشية حتى تلقيت في صباح الخميس ١٩ مارس
خطاباً من الحربية وفيه الامر بتعييني بالاورطة الخامسة
عشرة من أورط الرديف . فتأملت كثيراً لان عملها على
ماخطر ببالي لا يذكر بجانب الجيش العامل . فقصدت في
الحال قومندان الاورطه ولما قابلته كلفني « تطقيم » ٤٨٠
جندياً من أسلحة وملابس ومهمات من مخازن القلعة . فاديت
ذلك في أسرع وقت وقد عدت في منتصف الليل مع الجنود
في يوم الجمعة ٢٠ مارس الى القشلاق بالعباسية

منهم ظلم بلا سبب وتحومل عليه بلا سبب ؟
كانوا يفكرون في عاقبة الظلم وكفى ..

*
* *

عرف القراء من هذه الحوادث المتكرره أن الاضطهاد
الذي وقع على بلغ النهاية وأن خدمة البلاد تناديني مع كل
وطنى أن أكون شريك أخي في أعماله فقدمت الاستقالة
على أثر عودتنا من الاسكندرية وحدث في هذا الشأن
ماحدث

ألا فليقرأ المصرى بامعان مايلي :

بعد أن قدمت الاستقالة أعلنت الاوامر العسكرية
أمر التجريدة وقد كنت بالاسكندرية فعزمت على السفر
الى العاصمة وقبل أن آخذ القطار استلمت اشارة برقية من
مصر مفادها أن الحربية أرسلت في طلي وأنه يجب حضوري
ولما وصلت الى مصر قصدت في صبيحة يوم الثلاثاء ١٧
مارس سنة ١٨٩٦ حضرة امير الالي مكسويل بك كاتم أسرار
الحربية وسألته عن سبب طلي فقال « انك قدمت استغفاءك

على حاميتها فصادق على هذا الاستيداع وركبت اول باخرة
سارت واحتشد لتوديعي قبل ان اركب جميع الضباط
المصريين على مرأى من الضباط الانكليز الذين يسكنون
الشاطيء المطل على مكان رسو البواخر

فكان منظر الوداع بتأثيره بمثابة انذار للانكليز بأن
الحق منتصر ولو كان فردا والظالمين مخذولون ولو كانوا جيشاً
جراراً . وقد شاهدت بعض الضباط من ابناء التيمس وهم
جاثمون في أماكنهم والباخرة على وشك المسير يستعينون
بالنظارات المعظمة لشهود حركات المودعين ولو استطاعوا أن
يجدوا آلة يستعينون بها على استماع ما قيل في الوداع من
العبارات ما تأخروا لحظة من الزمان !

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
الا ان الظالم لا يستقر له بال من التلق وان أوهم ظاهره

غير ذلك

فياليت شعري في أى شيء كان يفكر الضباط الانكليز
وقد شاهدوا الضباط المصريين عن بعد ملتفين حول واحد

كبار الضباط العادلين الذين درسوا اطوارى وعرفونى حق المعرفة وقد كبر عليه وقتئذ ان يحاكم « على فهمى » بلا سبب ولكن هكذا اراد عدل الاحتلال

خلا المجلس بنفسه للمداولة وتظهر البراءة او تحقق التهمة فسأل الرئيس أقل الضباط رتبة وأحدثهم بالخدمة عهدا وهو سامى افندى فى هذا الشأن فأجابه على الفور ببراءتى فسأله

« لم تبرئته وهو مذنب ؟ »

فقال له « هكذا رأيت »

فناقشه الرئيس مغضاله القول بلا حجة ولا دليل فقال له مهما حاولت اقناعى فن الحق ظاهر امامى ظهور الشمس فى كبد السماء فهو برى . برى . برى . وبعد الاخذ والرد والمناقشات الحادة تقرر احالتى على الاستيداع . هذه الاحالة التى هى اشبه شىء بسلاح يستعمله الرئيس الحربى المطلق ضد من يثقل عليه وجوده أمامه ! وقد وافق وقوع هذه الحركة قدوم السردار الى سواكن للتفتيش

المصرى تأبى أن تصبر على المهانة مهما كان المهن عظيمًا وتأبى
ان تذلل لغير العزة الالهية ولو وقف لها الدهر بكل سبيل !!
أبين كيف ان الشمم يصل بصاحبه الى الجوزاء ويذلل
الصعاب أبين لهم كيف أن فؤاد الضابط المصرى والانتفة
العالية صنوان لا يفترقان !!

أبين هذا لانى واثق ان مثل هذه القصة المدهشة
لا يبعد ان تحدث فى نفوس مطالعها شيئًا جديدًا وطالما كان
مثل هذه النوادر من أكبر ماتصلح به الاخلاق

جرت العادة فى المجالس العسكرية بعد ان يترافع جانب
الادعاء وجانب الاتهام (النيابة) ويناقش كل عضو من أعضاء
المجلس الطرفين فيما يراه : يخرج المدعى والمتهم ويتداول المجلس
سرا (موضوع المداولة «هل المتهم مذنب أم برىء»)

وعلى هذه القاعدة اختلى المجلس للمداولة بعد ان دافعت
عن نفسى بنفسى ودافع حضرة البكباشى ابراهيم افندى
صبرى بصفته مدعيا (ابراهيم باشا صبرى الآن) وقد كانت
مرافعته فى الحقيقة لى اكثر مما كانت على لانه كان من

الى محاكمة كانت السبب في القاء النفور بين الضباط
المصريين والضباط الانكليز . وكان المجلس المنعقد للمحاكمة
تحت رئاسة القائم مقام سيدني بك قائد الاورطنة العاشرة وفي
المجلس ضباط مصريون اذكر منهم المرحومين القائم مقام
محمد بك مختار والصاغ محمد افندي سامي

شهر الضابط المصري

أبين بمناسبة ذكر انعقاد هذا المجلس في سواكن
لما كفى ضرب من ضروب الشمم المصري العسكري لاخواني
المصريين المعاصرين والعاقبين ليعرفوا أنهم من عنصر سام
شريف لا يقبل الضيم ولا يعنو له ساعة من الزمان !! أبين
ضربا من ضروب الشمم المصري العسكري لهذا الجيل
وللجيل الآتي ليعرفوا أنهم من عنصر سام شريف يأنف
الذل ويقول دائما النار ولا العار والموت في العز خير الف
مرة من الحياة في الذل !!

أبين في هذا الفصل كيف ان عزة نفس الضابط

والى القراء ثالث الامثلة الدالة على اطراء تلك القاعدة
كنت ملاحظ ضرب النار بسوا كن ولما كانت الارطة
التي كنت تابعا لها هي الارطة الاولى رأى أحد الضباط
الذين يغارون من تقدم بلوك آخر على بلوكه في تمرين ضرب
النار ان يدس دسيسة أمام البكباشى جديج . والمرء اذا
انقطعت الصلة بينه وبين وجدانه هان عليه كل أمر جفاء هذا
الى الميدان يحمل قلبه الضغائن والاحقاد وهي تكاد تمزقه
تمزيقا فأول ما بادرنى به الفاظ لا يقبلها الا الجبان الضعيف
الجنان فلم أطق الصبر بل كلت له الصاع صاعين ولما رأيت منه
بوادر الشر استعددت لمقابلته ومقاتلته قرنا لقرن اذا اقتضى
الامر وبديهي أنهم لم يكونوا يتوقعون منى هذه الجرأة
وان كانوا يبغون أن يروها منى ليتخذوا منها سلاحا يحاربونى
به بدليل ان البكباشي لم يكذب يتصل به ماجرى ان لم يكن
عارفا به من قبل حتى وقفنى عن العمل مدعيا انى أعمل عملا
على غير نظام قانونى وانى فوق ذلك لم أحترم ضابطا أعلى
(هنا بيت القصيد) وكانت نتيجة هذا الاتهام انى قدمت

وما انتظم عقد الجمع حتى ألقى عليهم خطابا تكلمت فيه على
وجوب الاتحاد وكان من الامثلة التي ضربتها بيانا لما في
الاتحاد من القوة وما في التفرق من الضعف مثل العصي
يسهل كسرها متفرقة ويصعب كسرها مجتمعة وهو المثل الذي
عناد الشاعر بقوله :

كونوا جميعا يا بني اذا اعترى خطب ولا تفرقوا آحادا
وكان المثل فيما أذكر واضحا يبدو أنه خفي على المترجم
الدخيل فترجمه الى لويد باشاقومندان المحطة الذي كان حاضرا
اذ ذلك اني أحرص الضباط المصريين على الضباط الانكليز
خاصة والمحتلين عامة . وقد صدر الامر في اليوم التالي بايقافي
وقد جرى بسراى المحافظة تحقيق سرى أمام القائد العام
لسواكن فأنجلي عن براءتى مما نسبته الى دخيل السوء فأفرج عنى
ذاك ثانى النماذج على أن القوم كانوا موسوسين الى
حد تصديق كل ما يقوله وسطاء السوء اذا صح أن يبنى على
قولهم ظلم برىء أو الجور على طالب انصاف والله لا يهدى
كيد الخائنين

والمسألة تهمه قبل كل أحد وهو لم يكن يري « أن أخوا
« مصطفى كامل » يخلص من يده بأي حال ». وبعد أن
تحدث العميد والسردار ورئيس مجلس النظار في هذا الشأن
قصدوا سمو الخديو وطلبوا أن يصدر جنابه العالى أمر بالغاء
الطلب وكان لهم ما أرادوا وتعين مكان الملازم الاول المنقول
الملازم الاول ابراهيم أفندي أدم الذي هو الآن في المعية
من الضباط العظام

ياالشرف وياالشرفاء ! ياالحرية وياالاحرار ! أفرأيتم
أيها القراء أو سمعتم أن مثل النفوس التي تسكن جرم كتشنر
وكرور و مصطفى فهمى تنزل من سماء عظمتها الى مثل هذا
العمل ??

تلك فاتحة المسكيد وانموذج منها والى القراء انموذجا
آخر يدلهم على مبالغ حرص الانكليز على الانتقام على غير
ذنب وتعمد الاذى بلا سبب اننا أقننا في سواكن زينة باهرة
في نادي الضباط احتفالا بذكرى مولد النبي صلى الله عليه
وسلم ودعونا الى شهود هذا الاحتفال كل الضباط الانكليز

أحبه كان يطربني من حيث لا يريد ويحسن وان كان يبغى
الاساءة لان ذكرى ذلك الشقيق في وقت الضيق كانت
داعية اطمئنانى . على أنه قد ترتب على مامر بالقراء وصفه
اننى قدمت استقالتى الى القائم مقام هيجت بك وهو لم يقبلها
وكانت فاتحة الاطاف أن المعية السنية قد كتبت الى
نظارة الحربية في شأن تعيينى فى الحرس الخديوى بدلا
من الملازم الاول محمود أفندى حلمي اسماعيل الذى نقل
الى الارطة التاسعة وقد كان ذلك فى شهر يونيو سنة
١٨٩٥ . ولكن الانكايز الذين يعرفون انى أخو « مصطفى
كامل » شق عليهم الامر كثيرا فأرغى منهم من أرغى وأزبد
من أزبد واعتبروا أن هذا الطلب من المعية السنية يعتبر اهانة
أو شبه اهانة (على الاقل !) لهم وقام الفريق كتشنر
باشا سردار الجيش المصرى وقصد من فوره مدينة
الاسكندرية حيث قابل اللورد كرومر ورئيس مجلس النظار
والله أعلم بما دار بين هؤلاء من الحديث بيد أن الذى لاشك
فيه أن السردار كان يتكلم فى المسألة كلام من نال منه الغيظ

غير متوقعة عند أولئك الرؤساء وقد ترتب على طلبها أنهم
أرادوا الانتقام من ذات المترجم في ذاتي فتمتقت لهم الذمم
الطاهرة أو السرائر التي لا تخون ! أن يجردوني من رتبي
ونياشيني كما يجرد السيف من نغمده وينزلوني الى صف جندي
بسيط : رأيت أن أضع تحت أنظار القراء تفاصيل تبعث على
الدهش من هذه الحادثة ليعرف من لم يكن قد عرف كيف
يقدم الانكايز على الكيد للعاملين المخلصين ولكيد الشيطان
أحكم وأعظم ولترى نابتة العصر مثالا محسوساً على مبلغ عدل
الانكايز وعسى أن يذكروا هذا المثال عند الاقتضاء



بينت في الجزء الثالث من هذه السيرة كيف كان الضباط
الانكايز العظام يضطهدون شخصي الضعيف على أثر اذاعة
نبأ العريضة السياسية التي رفعها المترجم الى مجلس نواب فرنسا
وكيف أن البكباشي جدج قد بلغ من تفننه في اضطهادي أنه
كان يتناسى اسمي كلما دعاني ويذكرني بذلك الاسم الشريف
« مصطفى كامل » ناسياً أنه بتسميته اياي بذلك الاسم الذي

قدرها!!!!

اما الجرائد الانكليزية فابتدأت من ذلك التاريخ تلقبه
بالتائر المهيج المأجور كأن شعور أبناء الشرق لا يكون نحو
بلادهم كما هو في قلوب أهل الغرب عامة والانكليز منهم
خاصة!!

حادثة الجيش

﴿ تجريدة دنقله ﴾

« تفاصيل تدهش القراء »

يذكر قراء هذه السيرة من مطالعة مامر بهم انى قد
قدمت استقالتي من الخدمة فى الجيش وذلك على أثر العودة
من الثغر الاسكندري بعد أن ألقى المترجم خطبته الوطنية
السياسية تلك الخطبة التى ألهمت نفوس من سمعواها وأحدثت
فيها شيئاً جديداً ويذكر وزاً أيضاً ما دار من المناقشات بينى وبين
بعض الرؤساء . ولما كانت هذه الاستقالة فى ذلك الاوان

ولما بلغ مسألة الجلاء عن مصر حقق بكل جهده احترامه
لانكائرا ولكنه أضاف على ذلك سؤاله هل من اللائق
بدولة عظيمة تعتبر نفسها استاذاً ان تحتقر علنا عهودها
وتخلق كل يوم حججا واهنة لأطالة أمد الاحتلال . وكذا
يطلب الخطيب من انكائرا أن تترك مصر وخصوصا لان
الامن موطن فيها

وبعد ان اثني الخطيب على عزيز مصر عباس حلمي
باشا اختتم الخطيب خطبته العظيمة بقول غمبتا (ليس المستقبل
بمستعص على أحد)

ولقد قوبل كلام مصطفى كامل بتصفيق طويل
واستحسان عظيم . ودايلا على مال الخطيب من المكافحة في
نفوس مواطنيه أقر المجتمعون على ان يقدموا له هدية تقيسة
تذكارا لهذا الاحتفال . وحقما ان تحويل مصر الى بلد
انكائري المشرب يخطو خطوات ضعيفة ان كان له خطوات
ومهما كرر المحتلون من الجمل الحسنة والعبارات المقبولة
فان المصريين يقدرون (منافع) الاحتلال البريطاني حق

ولم تكد الساعة الثامنة من ذلك اليوم الموعود تأتي حتى امتلأت قاعة المجتمع أي قبل ابتداء الخطبة بزمن وكان من لم يستطع الحصول على مكان في القاعة يبذل جهده لظهور محبته وشدة ميله للخطيب الشاب ويعمل كل ما في وسعه ليبرهن على ان مصطفى كامل انما يترجم بالحق عن احساسات الشعب المصرى

ولقد قال الخطيب في خلال كلامه ان مبدأ المصريين هو « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » ولذا يرى انه يجب على المصريين ان يعملوا للتخلص من النير الانكليزى مع تضمين اوروبا على نتائج الحرية التى يطالبون بها . هذه الحرية التى تظهرها انكلترا لسائر الدول بمظهر مخيف مزعج ولم يفت الخطيب ذكر العلاقات الودية الحسنة التى توجد بين المصريين والاوروبيين القاطنين بمصر هذه العلاقات التى تخدم مصر أجل خدمة ولقد اظهر الخطيب من احساسات الاحترام والمحبة للاوروبيين ما يشعر به من نفسه خصوصا وان اكثر الاوروبيين النازلين بمصر هم اصدقاء أوفياء لها

لا يمكنهم ان يحكموا أنفسهم بأنفسهم (وهنا أوردت جريدة
الديبا بالحرف الواحد ترجمة كل ما قاله الخطيب بشأن
الاحتلال) ثم قالت : وبعد ان أتم الخطيب خطبته أقر
المجتمعون على قرار معناه دعوة أوروبا الى تسوية مسألة
مصر . اهـ

وكتبت جريدة السياسة الاستعمارية الباريسية ما تعريبه !
« لقد حصلت أول أمس في الاسكندرية مظاهرة
وطنية اشترك فيها كل رجال الشبيبة المصرية بلا استثناء وكل
ذوي الحيات فدلّت هذه المظاهرة دلالة صريحة على حقيقة
احساسات المصريين نحو الانكليز الذين لا تزال دعواهم انهم
اكتسبوا محبة الاهالى ورضاهم

فإن مصطفى كامل الذى التى في فرنسا الخطب البديعة
عن مصر كان أعلن بأنه سيخطب خطبة عربية في التياترو
العباسى بالاسكندرية بشأن الخطبة التى يجب على المصريين
اتباعها امام الاحتلال الانكليزي وأحسن طريقة للمطالبة
بحقوقهم

﴿ خطبه والجرائد الاوروبية ﴾

نقدم لقراء هذه السيرة المرغوبة مثالا مما كتبه الجرائد الاوروبية عن المرحوم بعد القاء أول خطبة في الاسكندرية فقد كتبت جريدة الديبا فصلا ضافيا تحت عنوان (المصريون والجللاء) هذا تعريبه :

« القى مصطفى كامل الشاب المصرى الذى خطب فى مدائن أوروبا على مصر وكتب أخيراً الى المستر غلادستون بشأن الجللاء كتابا نشرناه هو وجواب زعيم الاحرار عليه خطبة طويلة فى مدينة الاسكندرية على جمهور من المصريين طلب فيه الجللاء عن مصر

وبعد أن دعا ابناء وطنه الى السعي بجد واستمرار لنيل حرية بلادهم مع ملازمة الاعتدال والحزم واجتتاب كل ما من شأنه الاضرار بمسئلة مصر قال مصطفى كامل الاقوال الآتية التى يصح ان تؤخذ بكل حق حجة على الذين يدعون أن المصريين مجردون عن الذوق السياسى الذى بدونه

وقد برهنتم في هذه المظاهرة المعدودة على انكم ألد أعداء الدخلاء خاربوهم باقلامكم وأستكم حتى تتبدد طغمتهم وتفشل مساعيهم وتتحد كلمتنا وتجتمع قلوبنا

وبرهنتم كذلك على حبيكم للامير الجليل . حافظوا على ولائه وتعلقوا به فانه أخلص بني مصر لمصر أعز الله أيامه وما مثلي أمامكم ومثلنا جميعاً أمام الوطن العزيز الا كمثل رجل وجد أمه عليلة سقيمة فأحس من نفسه بالحنو والشفقة عليها فقام مناديا اخوته للعمل معه لشفاء علتها حيث وجدهم جميعاً يحسون بنفس احساسه ويشعرون بشعوره فقرح بهم وفرحوا به واجتمعوا على خير أمهم المحبوبة

فليتم لنا هذا الاجتماع المرغوب حتى يبرأ الوطن من علته ويسلم من دائه العضال . دمتم له يا أعز بنيه واصدق حماته

مصر في ١٠ مارس سنة ١٨٩٦

(مصطفى كامل)

بعد ان عاد المرحوم الى مصر من اشعر كتب كتاب
شكر لاهالى الاسكندرية نشرته جريدة المؤيد وهذا نصه :

﴿ الى أهالى الاسكندرية ﴾

ابناء وطنى الاعزاء

يعجز قلمى واسانى عن ان يؤديا لىم واجب الشكر
على ما أظهرتموه نحوى من العواطف الشريفة وما أبدىتموه
لى من علامات الود والاكرام . ولولا انى معتقد انكم لم
تقصدوا بمظاهرتكم نحو أضعف خدمة الوطن الا اعلاء منار
الوطنية ورفع شأن الوطن العزيز لكنت أخجل ان أمسك
القلم وأسطر هذه السطور

وان الامة المصرية لذاكرة كلها مظاهرة « ٣ مارس »
الشريفة التى أظهرتم فيها رغائبكم وطالبتكم بحريتكم وسعادتكم
الاجتماعية وبرهنتم على انكم تقدرون الوطنية الصادقة حق
قدرها وتعرفون مزية السكينة والاعتدال فى خدمة الاوطان
فاعملوا دائما بهذه المبادئ الحقة لنبلغ الآمال وتشرق لنا
شمس السعادة والاقبال

هتاف الاخلاص والحب وهو يحييهم تحية الابن لابائه أو
الاخ لاخوانه

سار بنا القطار ونحن في سرور عظيم فقال لي رحمه الله

مامعناه :

« انى أرى ان الساعة التى يجب عليك فيها الاستقالة
من الجيش نهائياً قد أذنت فقدمها غداً لتكون بجاني حتى
نعمل عملنا الوطنى باتقان ونجاح فأجبتة الى طلبه وما وصلنا
القاهرة حتى كتبت الاستقالة فى الحال مخاطباً قائد الجيش
الفريق كتشير باشا (الانكايزى !) وقصدت البريد
لاسجائها وقد كان برفقتى صديقى الحميم من أيام الطفولة
حضرة الصاغ محمد أفندى حافظ

سجلت الخطاب وأبلغت المرحوم فسر كثيراً وأخذنا
نضع نموذج العمل على قاعدة متينة فقرر رأينا ان أقيم أنا
بباريس ستة أشهر لأؤدى امتحان الحقوق وستة أخرى
فى لوندرة لاتقوى فى اللغة الانكليزية التى كنت أعرف
منها وقتئذ شيئاً قليلاً. وطدنا العزم على ذلك وسألنا الله النجاح

خصوصاً: اخواني اذا أردتم معرفة الدخيل في مصر الذي
قصده في خطبتي فابحثوا عمن تألم من كلامي عن الدخلاء
واعتقدوا انه هو ذلك الدخيل المقصود»

*
* *

عاد المرحوم الى مصر بعد القاء هذا الخطاب فودعه
أبناء الثغر وداعا لم يره أحد غيره حيث احتشد على رصيف
المحطة وخارجها نحو ثمانية آلاف نفس وفي مقدمتهم رايتو
الوطنية وحماتها وفوق رؤسهم الاعلام المسالمة وقدموا
للمرحوم نيشانا من الفضة رسم على أحد وجهيه صورة النخل
المصرى ومسلة الثغر وكتب على الوجه الآخر هذه الجملة :

برهان الاخلاص

﴿ من أهالي الاسكندرية ﴾

(للوطى الغيور مصطفى كامل)

فتقبل الهدية شاكراً وقد أمضت عليه باقات الازهار
والرياحين وما تحرك القطار حتى هتف له هذا الجمع الكبير

نحترمه ونجده ونحفظ له في نفوسنا شكرا وامتنانا . وغرباء
بجاهرون بالعداوة لنا . وهذا القسم ناقشه مناقشة الخوصوم
المجاهرين بخصومتهم لبعضهم ولكن لاناقشه الا بكل
أدب واحترام وأخيرا غرباء لا يعدون انفسهم في مصر غرباء
بل يعدون انفسهم مصريين لهم الحق في التكلم عن مصر
والبحث في شؤونها كالمصريين انفسهم وهم لا يتصدون
بهذا التداخل الا الاضرار بها والعمل ضد صالحها وهذه
الفئة هي ولا محالة فئة الدخلاء التي أقصدها وأجاهر
بالعدوان لها وأحاربها آناء الليل واطراف النهار بقلمي ولساني
وكل ما استطعت

واني أسر اذا رأيت غريبا دخل مصر فقيرا ثم صار
فيها غنيا وعرف لها الجميل واحبها ودافع عنها . اني احب ذلك
الغريب وأتمنى له زيادة في الثروة واتساعا في العيش والسعادة
اما الدخلاء فاني آسف على انهم اصبحوا أغنياء في مصر
ومن مصر وبمصر ولا يعملون الا ضد مصر

وبالجملة اقول لكل المصريين والنزلاء عموما والسوريين

من هم الذخلاء

« انى أعتقد أن الجمهور فهم كلامى وليس من حاجة لشرح جديد ولكن اجابة على سؤالكم أقول لكم زيادة للايضاح: انى سررت جدا من تغيظ الذخلاء ولكن تعجبت للغاية من ان بعض أصدقائى السوريين ارنابو فى فهم كلامى مع اننى قلت فى أول خطابى مانصه بالحرف الواحد « فداوموا أيها الوطنيون الاعزاء على اكرام وفادة ضيوفكم ونزلائكم الذين يشتركون معكم فى الاحساسات نحو هذا البلد الامين » ولا شك اننى قصدت بلفظ « نزلاء » الاوروبيين والسوريين وكل نزيل . وايضا احكامى أقول ان الغرباء فى مصر على ماأرى اربعة أقسام : غرباء يعملون أعمالهم الشخصية دون ان يضرروا بالمصريين او ان يشتغلوا بشؤون مصر . وهذا القسم نحترمه ونجمله ونساعده على سعادته لانه يقوم بالواجب عليه . وغرباء يعملون مايعمله القسم الاول ويزيدون على ذلك دفاعهم عن مصر ونضالهم عن حقوقها . وهذا القسم

ولم نشك ان فريقاً ممن هم أسرى بطونهم سيملأون
الارض صخباً وعويلاً عند سماعهم خطبة مصرى يسأل
انصاف أهل بلاده وابعاد تقاليد الحرية الحقيقية عنه وقد
دعاهم بالدخلاء رمزاً لافراد معروفين لدى العموم ولم يكن
في ظن أحدان هؤلاء الخوارج (اذا كان نعيمهم بالدخلاء
لا يرضيهم) يتموجون في حفلة صفاء تموج السيين بتصد
اقلاق الجمهور وأن جرائمهم المكدره تحرف أقوال الخطيب
الى حد الاختلاق والتمويه ولم يعلم هؤلاء المختلقون أنفسهم
مكانة الباطل وان ترهاتهم لم تثمر ولن تثمر الى الابد
ولما رأيت هؤلاء الافراد يدورون في المدينة كبشرى
السوء ينفثون سموم الضغينة في صدور من لم يتلق الخطبة
ولم يسمع نداء الخطيب ويفهمونهم بأن الغاية منها غير ظاهرها
نشطت الى زيارة حضرة الخطيب سائلاً منه تفسيراً لما
التبس على بعضهم فهمه فقال :

ماخلط الدخلاء وخبطوا بعد ذلك حتى قصد مكاتب
المؤيد الاسكندري المرحوم لمحدثه في مسألة الدخلاء وكتب
لجريدته مانصه :

« نعلم كما يعلم كل عاقل ان الحر العادل لا يخدم الا بلاده
ولا يعمل الا لمعزتها وكرامتها واذا كمل في المروءة والشهامة
يعمل خير غيرها متى كان ذلك في وسعه واقتداره لان خدمة
بني الانسان فرض على كل انسان ولذلك لا يسعنا اذا عدلنا
الا ان نحمد عمل مصطفى كامل لانه يخدم قومه ويسعى
لاعلاء شأن بلاده ولقد نشرنا مفصلا في المؤيد خطبته
الحكيمة التي كان لها دوى بيننا كما سيكون لها ذلك في
أوروبا والشرق لانها تحث على السكون والثبات وتوضح
غاية أبناء مصر في تمنيهم الجلاء فقط بل لانها جمعت من
العناصر المختلفة لسماعها ما كان فيه أوضح برهان على تمنى
المصريين ونزلاء مصر التخلص من الاحتلال الذي لا ينطبق
على مصلحة البلاد وأهلها بشيء وان مصر أشد البلاد تمسكا
بحريتها واستعدادا لحكم نفسها بنفسها

نزلاء مصر للعمل فيها ويلزمنا ان نعمل بالامانة والنشاط كما
هو شعارنا ولا عبرة بافراد مر قوا منا مروق السهم عن
القوس . واذا قيل ان هذه الفئة من السوريين قلنا اذا صحت
نسبتهم هذه فسوريا كغيرها من بلاد الله يوجد فيها الطيب
والخبيث ومن الظلم ان يطالب الجنس بذنوب افراد قليلين
من أسافلهم

ولقد كان الواجب علي بعض الجرائد ان تحترم هذا
الشاب وان تثني علي اعتداله وان كان لها رأى يخالف مبدأه
فلا حرج عليها أن تبديه بالتأدب والاعتدال لا بالسفه والبذاءة
وقلة الحياء

هذا ونحن نختم كلامنا بتوجيه الرجاء الى حضر تكم
ان تنشروا كتابتنا هذه المذيلة بأسمائنا ونكرر القول بأننا
لسنا للانكليز ولا للفرنساويين ولا للنمساويين ولا
للروسين ولا للالمانيين ولا ولا الخ . . بل نحن قوم نسعى
ونعمل لمعيشتنا بالطرق القانونية مع الدعاء بحفظ سمو الخديوي
المعظم الذي نستظل بظل عدله ونعيش في حماه

عندهم بل تقضوا أيديهم منا حيث لا يستطيعون أن ينفضوا
أيديهم من المصريين وهم في بلادهم. وفي يقيننا ان الانكليز
لو وجدوا أدنى ميل من المصريين لا عرضوا عنا كل الاعراض
ان لم يجعلونا فريسة في طريق استمالتهم سواء أخاصنا لهم
أو لم نخلص لان قانون المصلحة فوق كل شيء وهو وحده
القانون المعمول به عند الامة الانكليزية واذا قطعنا النظر عن
حجم المسكان فسياستهم بل سياسة العقل والروية على الدوام
تقضى بمودة الحزب الاكثر عددا. وهذا كله على فرض
ان للسوريين رأيا في الاحتلال وهو لا يكون الا عند الانكليز
يوم يكون في مصلحتهم

هذه ملاحظتنا بعثنا بها الى حضرتكم لتشرورها في
جريدتكم الحرة ولم يدفعا لكتابتها الا ما قرأناه في احدى
الجرائد من الملاحظات على خطبة حضرة الوطنى الكامل فانها
ملاحظات كاذبة لا يقصد بها سوى اثاره الخواطر الساكنة
اننا بلسان جريدتكم الغراء نعلن الانكليز والمصريين
معا اننا قوم لا دخل لنا في أمر الجلاء والاحتلال بل نحن

فيما لا يعينها

وربما يخطر على بال بعض المصريين ان الرابطة بيننا
معاصر السوريين المسيحيين وبين الانكليز تميل بنا لمناسبة
قوم آخينا هم فاحلونا على الرحب والسعة منهم او لمعاكستهم
في بلادهم بل الذي يظن هذا هو في ضلال مبين

ولسنا في حاجة الى اجهاد الفكرة لا قناع المصري الذي يظن
فيما هذا الظن بأنه مخطيء الحقيقة بل يكفينا لا قناعه ان توجه
افكاره الى العلاقة الحالية التي بين انكلترا من جهة وبين
روسيا والمانيا وفرنسا من جهة أخرى فلماذا نحن معاصر السوريين
نميل لانكلترا دون هاته الدول الثلاث نصيرات مصر على
انكلترا؟؟

ويوجد هناك أمر آخر وهو اننا نحن السوريين في
استطاعتنا ان نجاري كل الامم في ميدان الحياة الا الانكليز
فانهم يسبقوننا ولهذا لا يكون من صالحنا ان يكونوا في مصر
لانا اذا فرضنا انهم يساعدوننا اليوم فما ذلك الا لكي يستعملونا
ضد المصريين حتى اذا استقر لهم الامر كنا والمصريين سواء

« لقد كنا ممن حضروا خطبة هذا الشاب الغيور المجتهد
الذي يجب أن يسمى (الشرقي النشيط) بحق لانه ربما كان
اول شرقي ضحى مصاحبه الخصوصية خير وطنه اذ الذي
عرفناه بالسمع عنه انه من نابغي الحقوق مما في استطاعته
ان يكون في وظيفة مهمة في الحكومة او محامياً شهيراً

واننا والحق يقال قد اعجبنا بخطبه اعجاباً فائقاً وشفقنا
له مرارا وما الذين ينكرون على هذا الشاب نعمة الله التي
وهبها اياه بالقدرة على البيان وحسن الالتقاء والاعتدال
سوى الاندال الجبناء

ونحن معاشر السوريين نزلاء هذا القطر لا يحق لنا
التداخل في امر الجلاء والاحتلال لانا لانعد انفسنا غير
ضيوف في مصر نزلاء على قوم كرام فأكرموا وفادتنا
واوسعوا لنا في بلادهم المسكنة الرحيمة ولم يكن يخطر على
البال ان تقوم فئة طاغية باغية تعمل لايجاد الفقرة بيننا وبين
المصريين وانكته قدر فيكان ودفعت المطامع الخصوصية
هذه الفئة السافلة « بل الافراد القليلي العدد » لان تتداخل

شك عظيم القيمة جدا

ونقول مرة ثانية ان خطبة حضرة « مصطفى كامل »

أفندى نجت نجاحا عظيما وعلامات الحب والاستحسان التي

أظهرها له الثمانمائة نفس من أبناء وطنه هي تشجيع ثمين

ومكافأة يستحقها هذا الشاب الشهم الذي ابتداء وحده في

أوروبا وفي مصر بطلب تحرير بلاده

وانه يظهر في مسألة خدمة وطنه المقدسة بكفاءة حقيقية

واقترار صحيح في الكلام ولقد أظهر في خطابه بالامس

اعتدالا ومهارة زادا حججه قوة وبيانا» اهـ

*
* *

قلنا ان هذه الخطبة رنت في الآفاق وقد طير ملخصها

مكاتبو الجرائد الافرنكية واثنوا على الخطيب ثناء كبيرا .

ولكن مأجورى الانكاز دخلاء البلاد أخذوا يجرقون

الارم بسبهم وشتائمهم وهيجوا السوريين عموما ضد المترجم

فقام كرام القوم منهم وأرسلوا للمؤيد كتابا نشره في يوم

السبت ٧ مارس سنة ١٨٩٦ وهذا نصه :

يأتى بهذه الثمرة المرغوبة

وان قاعة الخطابة الفسيحة كانت ممتلئة بالحاضرين وكان
الازدحام عظيما على السلم والشرفات حتى وفي الشارع المطل
عليه مرسح الخطابة « وهنا أتت الجريدة بملخص الخطابة »
ثم قالت :

« ولما طلب حضرة « مصطفى كامل » أفندي من الذين
يشترون معه في الرأي ان يرفعوا أيديهم علامة على طلب
الجدلاء من أوروبا رفع الحاضرون جميعا أيديهم فوق
رؤوسهم

وان أقوال حضرة الخطيب أحدثت في سامعيه أعظم
ما يمكن من التأثير وخرجوا من القاعة ببطء يتناقشون
كثيرا في الخطبة واستمرت المناقشات في الشوارع والقهوات
بعد ذلك

ولقد قدم للخطيب كثير من الازهار وفتح اكتباب
ليقدم له هدية نفيسة تكون أثرا صناعيا نفيسا تذكارا لخطبته
ولقد قوبل خبر هذا الاكتباب بكل ارتياح وسيكون ولا

قلوب أبناء وطنه وليعرفهم بحقوقهم وواجباتهم ويفصح عن مطالبهم

فهل من عمل أشرف من هذا ؟ ان حضرة مصطفى أفندي كامل يؤدي هذا العمل بغيره عظيمة قلبية ولكن الذي يدهشنا حينما نفكر في شبابه الغض هو ما يرى في لهجته من الادب العظيم والاعتدال الكثير

فهو لا يتجاوز حدود مناقشة سياسية حرة ويؤيد أبناء وطنه في اعتدالهم ولطفهم مع كل الاوروبيين ويسألهم ان يقلدوا الافرنج في آرائهم وأفكارهم بشأن التقدم والمدنية

وهو يبحث قبل كل شيء عن ايجاد أوزادة حب الوطن في قلوب سامعيه وبالجملة لا ينصح لهم الا نصائح حكيمة اذا فلا يصح الا ان نشكره كثيرا ونؤمل ان عمله يأتي بالثمرة المقصودة منه وان في كل الازمان التي كهذه الازمان يقوم فيها رجال مدفوعون بحب الوطن ينادون به في بلادهم ويأتي عملهم دائما بنجاح وثمره

ونحن نؤمل ان عمل « مصطفى كامل » أفندي الشريف

أصبح الاجانب أنفسهم يسمون رجالها بالمارقين المستأجرين
هذا ونحن نختتم هذه المقالة بالدعاء الى الله تعالى ان
يعضد مصر وينيلها امنيته العظيمة متمنين ان تم هذه النتيجة
المحمودة على يد ابناءها انفسهم وليس ذلك بعسير على قوم
يقودهم رجل حزم ووطنية مثل سمو العباس والله المستعان»

*
* *

وقالت جريدة الفارديكسندري الفرنسية ماتعريبه :
« لقد حضرنا بالامس في القاعة المسيحية الخطابة التي
ألقاها حضرة مصطفى أفندي كامل فأثرت علينا اجمل تأثير
وانا نسر كثيرا لرؤية شاب مصرى عمره ٢٢ عاما
تربى في القاهرة ولم تؤهله تربيته ولا شعائر المحيطين به
للخطابة فأصبح فصيح النطق والمترجم الصادق عن ابناء جنسه
الخطيب الخطير الذى يدافع عن مسألة بلاده الشريفة
ويعلم العموم ان الخطيب الشاب تجول في قسم من
بلاد أوروبا ليعرف أهلها بمصر ويدعوهم الى حبها وهو
يخطب اليوم في مصر ليزيد الاحساس الوطنى الخالص في

الخطيب بالدخلاء فانه كان يقصد به فريق المارقين الذين
أضروا مصر بما اتوه فيها من اعمال التفريق ومساعي
الاذى فنحن نوافق عليه وقد جهرنا به قبله واذا كان قد
أراد التعميم وقصد بكلماته انه يشمل فريقا معروفا من نزالة
مصر فقد أخطأ خطأ عظيما لاننا كلنا عثمانيون لكل واحد
ما للآخر وعليه ما عليه دون فرق في المذهب والعنصر ومع
ذلك فانه ان كان من هذه الفئة قوم قد مرقوا عن الوطنية
وخدموا الاغراض الاجنبية والمطامع الانكليزية فان العثمانيين
عامة ومصر خاصة تذكر ان منهم رجالا وقفوا للدفاع عن
حقوق هذه البلاد وتضحية كل نفع خاص في سبيل مصاحتها
العامة وان شاء حضرات القراء الا الايضاح قلنا اننا نحن
الذين تجردنا لهذا العمل قبل ان يخطر ببال احد من سكان
مصر ان يطالب بحق او يدافع عن مصلحة وهو موضوع
لانحسب الدخول في غماره ولكننا اشرنا اليه مضطرين تقريرا
للحقيقة ودفعا لبعض الظنون والاهام ومع ذلك فاننا على
ثقة بأن حضرة الخطيب قد وجه كلماته الى فئة معلومة

في مصر . وذكر تفاخر الاوروبيين ومباهااتهم ببلادهم
وتقدمهم وأمل لمصر مثل ذلك وقال « ان الرجل لا يسمي
وطنيا الا اذا خدم وطنه في شقائه أكثر من خدمته له
في رفعته وهنائه »

ومن جملة ما جاء في هذا الخطاب « ان سمو العباس
اعزه الله أرسل ليسترد لمصر حقوقها ويعيد اليها املاكها
المنقودة فليكن منا رجال اوفياء يساعدونه على هذا العمل
الخطير وينسون أشغالهم في جانب خدمة البلاد فان الوطن
يستغيث بكل ذي شعور حي والامة تستنجد بكل ذي
احساس شريف » ولا مرأى في ان كلمات الخطيب عن سمو
العباس معربة عما في خاطر كل مصري وضميره فلقد شهدت
الامة باجمالها بان عزيز مصر الحالى هو الذى بث فيها روح
الامل واحيا مائت الهمة ونهض بها هذه النهضة الشريفة
فليحذ كل فرد من افراد مصر حذو سمو العباس والله
يحسن العاقبة زعيم وكفيل

اما ما تخلل هذه الخطبة من التنديد بخطة الذين سماهم

تريد وضع يدها على وادي النيل فان ذلك مخالف لشرفها
ومصلحتها وانما الخلاف بيننا وبين انكلترا هو «ان دول أوروبا
ذوات المصلحة في مصر - تقول معنا ان زمن الجلاء قدحان
منذ أعوام والمسترغلا دستون زعيم الاحرار وأكبر سياسي
انكلترا يقول ذلك القول عينه وبعض ابناء التاميز يقولون
ضد ذلك» وقد ثبت ان الدول العثمانية وفرنسا وروسيا والمانيا
متفقة على سحب الاحتلال الانكليزي وان المسترغلا دستون
يقربان زمن الجلاء قدحان وأن حزبا من الانكليز يطالب
في لندن نفسها حتى في قلب دار الندوة الانكليزية بالجلاء
عن مصر والمعتمد عليه في العالم كله تقرير الامور على حسب
الاغلبية والاغلبية معنا فنحن أذن الفائزون على شرط ان
نحترم ونعمل بوطنية خالصة ونزاهة تامة

وقد أطل حضرته الكلام بعد ذلك على استحالة نقض
انكتر الوعودها ونفي الدعوى المختلفة بعدم تأييد سلطة الجناب
العالى وتوطيد الامن وأشار الى وجوب قيام خطباء مصريين
يرشدون أوروبا والامة الانكليزية نفسها الى حقيقة الاحوال

ما خاطبنا الوطنيين بهذا القول ولقد آن ان يعلم الذين يتجاهلون منهم ان الانكليزي لا يظهر الرضى والميل لمن يعمل منهم على عكس ما تقضى به الشهامة الوطنية وعزة النفس القومية وينطبق على مصالحة البلاد وحقوق الوطن المقدسة الا ربما ينال منه غرضه ويقضى من استخدامه لباته حتى اذا نال منه ما يريد ويشتهي نبذه بذ النواة وقلب له ظهر المحن فان من خان بلاده مكروه حتى عند الذين ينفعون بنحياته بخلاف المقيم على عهد بلاده المدافع عن حقوقها واستقلالها فانه محترم مكرم حتى في أعين خصومه وأعداء بلاده

اما تداخل انكلترا في شؤون البلاد الداخلية فقد قضى حضرة الخطيب عليه بعبارة واحدة اذ قال « وبديهي ان نواميس الوجود قاضية بسوء ادارة كل مصالحة وطنية تتداخل في شؤونها تداخلا فعليا رجال غرباء لا يفقهون لغة البلاد ولا يعرفون شيئا من عادات أهلها واخلاقهم »

ثم ذكر الاحتلال ووعود انكلترا وثقة الجميع بكلماتها وان ليس في انكلترا انكليزي يجسر على القول بأن انكلترا

من الناس نسيت ان الامل داعي العمل فلبست ثياب اليأس
وقضت بظنونها على مستقبل الوطن العزيز وجعلت مهمتها
في الامة تثبيط الهمم « الى ان قال « وعندي ان الرجال اليائسين
وان كانوا اقل من القليل يضررون بلادهم أعظم ضرر بما يقولونه
ويكررونه اذ قتل العواطف الشريفة واخماد نار الغيرة الوطنية
هما ولا محالة أكبر جناية تجنى على الوطن وأهله « وهي
كلمات نرفها اليوم كما زققنا معناها من قبل الى بعض رجالنا
الذين حسبوا حق مصر ضائعاً بطول المدة فضعفت قلوبهم
ووهنت عزائمهم وهم يجهلون ان اليأس أضر ما يكون بمصلحة
البلاد وقد كان من الواجب عليهم ان يأملوا من حيث يأسون
لا ان يأخذهم اليأس حيث يجب الرجاء

ثم ذكر الفئة التي هي على نقيض اليائسين فلا ترضى
بالاعتدال والسكون ولو الى حين فالح بالاشارة عليها بان
تعتدل في غيرتها وتخفف من حدتها فان التطرف قريب في
تأثيره من اليأس وقال بعد ذلك « ولا تظنوا أن عملكم خير
بلادكم يقابل من الانكليز بالازدراء والاحتقار « وكثيرا

ويتخذونها حجة علينا لدى أوروبا والبعوضة جهل في عين
من يريد

ثم استطرد الخطيب الى ذكر صفتي التسامح والتساهل
اللتين عرفت بهما الامة المصرية واسمالة قلوب الاوروبيين
وامتدح الاسكندرية ولبن عريكة أهلها وحسن اتفاقهم مع
الاجانب وحث على التمسك بهذا الامر واختتم كلامه في
هذا الشأن بقوله: ليكن مبدؤنا دائماً « أحرار في بلادنا كرماء
لضيوفنا »: وحبذا الدعوة وما أجدرها بالاجابة فانها تدل على
الكرم وتثبت صفاء النية والقطر في حاجة لان يبرهن على
هاتين الصفتين

وانقل الخطيب من هذا الكلام الى معنى الاعتدال
فقال « انه غير ما يفهمه بعض الوطنيين فقد يفهم بعض الناس
بالاعتدال الكف عن كل عمل يخدم البلاد ويسبب سعادتها
فتراهم مقصرين كل التقصير عن واجباتهم وهؤلاء مخطئون
الاعتقاد لان الاعتدال لا يفيد التهاون والاهمال وما أجمل
الاعتدال مع العمل على خدمة الاوطان وان في مصر فئة

الوطني انما هي نشأة جديدة في بلادنا تمكن بها الحضور من اظهار رغائبهم والجهر بعواطفهم فان اقتراح طلب الجلاء في مجتمع عام أمر لم يسبق له مثيل في الشرق وتصديق الحضور جميعهم على هذا الاقتراح دليل على حتمية ما يرغب فيه سكان الثغر بل ما يتوق اليه كل ساكني مصر

ونحن موردون الآن شذرات من هذه الخطبة ومعقبون عليها بما يحتمله المقام وتسمح به الظروف فقد جاء فيها بعد شكر الحضور والحث على السكينة والملاينة والاعتدال ان « مثل مصر اليوم وهي على باب السعادة المقبلة مثل مريض قارب الشفاء ينصحه الطبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للهراء لئلا ينتكس بالعلة فتعود بويل عليه أشد من ويلها الاول فلنحترس جميعا معشر المصريين من التعرض الى ما وراءه تعرض الوطن نفسه الى خطر عظيم »

وهو كلام خليق بالتدبر والاستبصار وقد طالما نصحننا بالامر الذي أشار اليه حضرة الخطيب فان أدنى حركة تبدو منا في هذه الايام يجسمها الخصوم بمنظار الغرض

وسكان الثغر خاصة لمظاهرتهم بشعائرهم الوطنية وعواطفهم الشريفة نحو مصر فان الاجتماع الذى جرى فى مساء يوم الثلاثاء وجمع بين العدد العظيم من المصريين والسوريين وغيرهم من الاجانب ولا سيما كتاب الجرائد منهم : انما كان برهانا كيدا وحجة دامغة على ان رأى الجميع فى الاحتلال الانكليزى واحد وأمنيتهم فى الجلاء واحدة

ولا مرء فى ان النتائج التى تستتج من هذا الخطاب ومن الصفة التى تم بها الاجتماع لكثيرة جدا ونحن لا نعددها فى هذه النظرة بل نعددها منها اهمها وهى ان مصر عارفة حقوقها واثقة بمستقبلها محبة لاميرها كارهة للمداخلة الاجنبية فى شؤونها الداخلية عازمة بالرغم عن كل دسيسة على ان لا تعيش الا بالوفاق والوئام مع الاجانب الذين ينزلون فيها معتقدة ان زمن الجلاء قد حان متكلمة على شرف انكسرت اوروبا لتحقيق أمنيتهما العظيمة واحباط مساعي المفسدين

ولا ينكر أحد ان الكيفية التى اختتم بها هذا الاجتماع

نظرة عامة

﴿ اجتماع وطني ﴾

قلنا في عدد أول أمس ان نحو ٨٠٠ رجل من سكان
الشعر على اختلاف أجناسهم حضروا في مساء يوم الثلاثاء
الفات في قاعة المسرح العباسي لاستماع الخطبة التي القاها
حضرة الوطني الاديب مصطفى أفندي كامل وقد توخينا في
الامسالك عن الكلام على هذه الخطبة الى اليوم - أن نقف
على التأثير الحقيقي الذي ينجم عنها والعواطف التي تغيرها
وتولدها في أفئدة المصريين وقلوب ساكني هذا القطر

وقد تصفحنا هذه الخطبة وطالعنا أهم جرائد البلاد التي
ذكرتها وحادثنا أكثر الذين سمعوها أو سمعوا بها فلم نر ونسمع
الا كل مامن شأنه ان يعود بالثناء على الخطيب لفصاحة منطقه
واعتدال لهجته مع شدة تعلقه بوطنه واشتعال نار الغيرة
والحمية في فؤاده الملهب بدم الشباب وعلى المصريين عامة

للحق العاملين بالنميمة والفساد

أما جريدة الفاردي السكندري فقد أطنبت في مدح
خطبة المترجم الذي بحكمته وقوة بيانه الف بين القلوب
الوطنية والنزلاء محبي مصر وهو الامر الذي كازله أشرف
وقم على النفوس الحرة خصوصاً من شاب لا يتجاوز عمره
اثنين وعشرين حولاً قام نائباً عن أبناء وطنه بالدفاع
عن حقوقهم

وأما جريدة الاجبشيان غازت فقد قالت عكس ما كان
ينتظر منها لكنها أشارت الى ان الاكثرية دلت على حب
البلاد لاستقلالها برفع أيديهم ولم تعلم ان العدد القليل ممن
لم يرفعوا أيديهم الاثيمة اشارة الارتياح والقبول قد نكسوا
رؤوسهم حياء وخجلاً لانهم شعروا بأنهم غير أبناء البلاد
ومحبها الذين تؤلمهم آلامها وتشقيهم مصائبها بل هم الدخلاء
الذين لو أنصفت لرأيتهم معنا تعال الحرية والعدل «
أما جريدة «الاهرام» فقد قالت مانصه:

له اذ سأل الجمع بقوله « من يطلب منكم استقلال وطنه
فليرفع يده » وقد رفعت جميع الايدي ممثلة سؤلها معونة
دول التمدن والانصاف وقد كان هذا التمثيل على جانب
من الانكسار والاستكانة تسيل معه القلوب الحساسة
رأفة وحنواً

ولا عبرة بأفراد من الخوارج الذين كانوا في هذه الحفلة
على مثل شوك القتاد وعيون الجمهور ترمقهم شزرا فان هؤلاء
قد أحسوا بمرج الموقف ولم يحل دون فرارهم بوجوه الكآبة
والجلب الا الازدحام وتعذر وجود الطريق واننا اذا الفيناهم
قد شغلوا صحفهم بعد ذلك بندامتهم المعلومة فاننا على استعداد
لتسميتهم ولو انهم أشهر من ان يبينوا

وعندي ان من وخزه قلبه وتامل عند سماع أفصاح
حضرة الخطيب بشأن الدخلاء ومهنتهم لهم الدخلاء الذين
يعنيهم ويراد طرحهم في زوايا السخرية والاحتقار
واني أمسك القلم عن الخوض في عباب هذا الموضوع
حتى أرى ماسيكون من هؤلاء المكدرين للسلام الكارهين

بشعبها المحب لوطنه العزيز أشد الشعوب تمسكا بحريته التي
يشتريها بكل عزيز وغال ولا شك ان دول الارض طرأ
تحترم هذه الاحساسات وتعمل جهودها على انصاف مظلوم
يسألها بلسان قلبه تحقيق أمانيه في زمن الحرية والمساواة

وان انكثرت الاعظم شما وأعز نفسا من ان تكون امام
عدلها ناكثة وعدها الشريف بترك بلد يحكمه قومه ويدير
شؤونه أبناءه احراراً لا وصاية عليهم ولا شك ان مظاهرة
الامس تكشف لها الخفي في النفس فان الاسلاك البرقية
طيرت خبر هذه الخفلة الوطنية الى أوروبا وتناقلت جرائدها
ما كان من بحث مغزاه وجوب انصاف مصر وأهلها السائلين
منها وسيطا كريما

اما باقات الزهور التي قدمت بالامس لخطيب مصر
فمنها تسم رائحة الحب الاكيد لشاب عاقل ينادى في الملا
انصاف وطنه وصوته الجهوري من الشعب المنصت اليه يؤمن
على قوله

ولقد طلب حضرة الخطيب في نهاية خطبته التصديق

أفي مصر حياة

« كانت أهالى الاسكندرية مساء اليوم تنتظر بريد العاصمة الحامل للمؤيد كل الانتظار ليتلقوا خطبة الخطيب الفاضل والوطنى العامل مصطفى أفندى كامل ولا غرو فهى الخطبة الاولى التى أقدم على القاها شاب مصرى غيور عرف واجب الوطن وضرورة التمانى فى حبه المقدس الواجب بعد أن مر على الاحتلال الاجنبى ١٤ عاما تنفست فيها الصدور صعداء الملل من ثقل لا ترضى على احتمالها الشعوب ذات الشعور الشريف

وكأنى فى ليلة الامس وأنا فى وسط جمهور تألف من كل العناصر والملل بين مصريين ونزلاء وخوارج فى حفلة صفاء وأنس لأسمع مع شدة الزحام وضيق المكان مع رحبه الازفرات فى موضعها وظهور ارتياح عام وتصفيق حاد متواصل ينبىء بأن روح الحياة وان خفيت فى الصدور فهى على أهبة الظهور متى كانتمة داع لظهورها وان مصر

على طلب الجلاء من أوروبا. فأقرروا بالاجماع على الموافقة
على آراء ومطالب الخطيب مما جاء برهانا شاطعا وحجة دامغة
على ان المصريين كافة موافقون على عمل المترجم العظيم خلافا
لما يشيعه ذوو الغايات الدنيئة

ولقد كان لهذا القرار تأثير كبير في الدوائر السياسية
بمصر وأوروبا. ولا بدع في ذلك فانه أول قرار أقر عليه
المصريون في مجتمع عام ضد الاحتلال الانكليزي
مانشرت الجرائد الوطنية نص الخطبة حتى أخذ
السرور من قلوب الاصدقاء والمنشطين اذذاك مأخذا
عظيما

وقد كتب مكاتب جريدة المؤيد الاسكندري وقتئذ
وهو حضرة كامل أفندي دياب جملة نشرها المؤيد في يوم
الخميس ٥ مارس سنة ١٨٩٦ هذا نصها :

ومستحيل علينا أن نصل الى السعادة التامة ونفوز
برغائبنا الوطنية الا اذا اتحدت كلمتنا واجتمعت قلوبنا على
محبة البلاد بصدق وتجرد عن الشخصيات . فلتتحد قلوبنا ولساننا
ولا يكن مثلنا مثل عائلة اشتعلت النار في دارها وافرادها
متباغضون فبدلاً من ان يجتمعوا لاطفائها اخذوا يتنازعون
ما أبقته يد النار من المتاع غير ناظرين الى ان النار تصل
اليهم فتحرقهم وتحرق متاعهم وتقضى على دارهم القضاء الاخير
اذالم تزل آثار الشقاق من بينهم ويجتمعوا على اطفائها
وان يوماً تجتمع فيه قلوبنا على محبة البلاد وخدمتها
وتتحد فيه كلمتنا يكون يوم تحقق الامال وعنوان سعادة الحال
والاستقبال ويحق لنا فيه ان نقف امام الامم كافة وننادى
باعلى صوتنا وبكل فخر « نحن بنو مصر الاحرار » اه

*
*
*

ولقد أثرت هذه الخطبة في نفوس سامعيها والذين قرأوها
في الجرائد اجل وأجمل تأثير . وقبل انفضاض الحاضرين
من قاعة الخطبة طلب الخطيب منهم ان يقرأوا برفع أيديهم

فاعملوا لسعادته وتذكروا دائما قول نغمبتا الشهير « ليس
المستقبل بمستعص على احد ». نعم لنعمل لسعادة الحال والاستقبال
وننفذ ناموس الطبيعة لئلا نخرج انفسنا من نوع الانسان
ذلك الناموس القاضى على كل فرد بالعمل حتى تستريح
النفس فى السكينة والظلام . ولقد كنت أحضر فى اوروبا
مجتمعات يتردد عليها كثير من الغريبين ذوى الجنسيات
المختلفة . فكان كل يفاخر القوم ببلاده وذويه . الامريكاني
بحرية اوطانه وشرف تاريخها وحسن نظامها وكبار رجالها .
والفرنساوي بشهامة أبناء وطنه وفضل جنسه على النوع
الانسانى وحرية مبادئه وشرف تاريخ بلاده العظيم . والالمانى
والانكليزى وغيرهم كذلك وأنا أنظر الجمع وقلبي فائض
حزنا وفؤادى ممتلىء كآبة وعيناي مغرورقتان بالدموع .
وايس يجرى على لساني غير ذكر مصائب مصر وآلامها .
فهل لنا أن نفاخر الامم يوما من الايام ببلادنا واطنانا ؟
هل لنا أن نكون أمة حية قوية محترمة ؟
انى أوئل ذلك من صميم فؤادى

الى منابع النيل أنوار العلوم والمعارف وتصبح كما كانت مهدياً
للفضائل والآداب ومشرقاً لشمس المدنية في كل بلاد الشرق
ومرسحاً للتنافس في الصناعة والتجارة ومجمعاً آمناً لاجانب ذوى
المصالح فيها . طريقاً سهلاً للرائدين . لا ريب عندى فى انكم
كلكم تحبون ان تنسبوا لمصر اذ يكون هذا شأنها . يفتخر
عندئذ كل منكم ان ينادى بأعلى صوته (انا مصرى)

وايكن ألا تحبون كذلك « مصرأ » وقد خيم عليها الشقاء
وحل بها البلاء وسبقها الامم وأصبحت تعد فى مصاف
الشعوب القاصرة تنادىكم وانتم حولها « الا فانصرنى يا أعز
البنين . الا فارفعوا شأنى بين الامم واجعلوا لى مكانا فسيحاً
بين الشعوب المتقدمة الحية » ؟ أجل . تحبونها ويحب عليكم
ان تحبوها وتحنوا عليها كما يحن المرء على أمه الشفيقة اذا
اعتلت ويسعى فى خدمتها ويبحث عن دوائها

ولا يكن حبكم واقفاً عند حد الحب وحنانكم عند حد
الحنان بل ليتجاوزا ذلك الى العمل على خيرها واعلاء شأنها
وثقوا ايها الوطنيون الاعزاء بان المستقبل لكم ولها

السودان وتاريخ جلوس العزيز على أريكة ملك مصر أن هذا
الأمير الجليل أرسل ليسترد لمصر حقوقها ويعيد لها أملاكها
المفقودة . فليكن من رجال أوفياء يساعدونه على هذا العمل
الخطير وينسون أشخاصهم في جانب خدمة البلاد . فان
الوطن يستغيث بكل ذي احساس شريف

ولا يجب علينا أن ننسى ان أميرنا المحبوب سهل علينا
كثيراً خدمة الوطن الشريف فانه هو الذي أسمع أوروبا
ان مصر ترغب بغيره وتشوف في نيل حريتها التامة وهو الذي
أزال الخلاف القديم بين مصر والدولة العثمانية وأيد العلائق
الحسنة وأجبط مساعي الدخلاء مریدی التفريق فلنساعده
جميعاً فان في مساعدته خدمة مصر وأهلها

وغنى عن البيان ان الصادق في حب بلاده لا يعرف الا
عند الحاجة والوطنى لا يسمي وطنياً الا اذا خدم وطنه في
شقاؤه أكثر من خدمته له في رفقته وهناءه

ولا ريب عندى في انكم كلكم تودون مثلى ان تكون
مصر بلاداً حرة منتشرة في سائر ارجائها من الاسكندرية

أراكم أيها الوطنيون الأوفياء والمستوطنون الاعزاء
صنقتم وهللتم وبدت عليكم علامات البشر والسرور عند
ما ذكرت اسم عزيزنا المحبوب . فاسمجوا الى أن أحمدكم من
صميم فؤادى واشكركم على المسكنة السامية التى لاميرنا
الكريم فى نفوسكم الدالة على ان الشعب المصرى كله قدر
هذا السيد حق قدره عارف انه حقيق بأن يجب ويخدم
بصدق واخلاص جدير بأن يساعد فى خدمة الوطن العزيز
ولقد كنتم من نحو شهرين تهملون وتكبرون بعيد
جلوسه الكريم وكنت أنا ذلك اليوم فى أوروبا أهمل
واكبر مثلكم ولكننى كنت أفكر فى تذكار آخر يعادل
تذكار جلوس العزيز أهمية وخطارة . أتعلمون ماهو ذلك
التذكار ؟ هو تذكار فصل السودان عن مصر . فان اليوم
الثامن من شهر يناير بعينه عام ١٨٨٤ قضى نوبار باشا بترك
هذا الوادى الذى لاهياة لمصر بدونه وبعبارة أخرى قضى
هذا الرجل بالاحلال مصر نفسها

وانى استنتج من توافق هذين التاريخين تاريخ فصل

أجل . أيها السادة أجل . ان تحذير الامة من أعمال
الدخلاء صار واجبا على كل مصرى شريف الاحساس مخلص
النية لبلاده . وما نبلاء المصريين وفضلاؤهم بجاهلين طغمة
الدخلاء بل الكل يعرفها والكل اذا لقيها يشير اليها . فلتحبطوا
أيها الوطنيون الفضلاء مساعي هذه الفئة السيئة ولتردوا
رجالها على أعقابهم خاسرين فالدخيل الدخيل هو العدو
الالذ وهو الخضم الحقيقي الذي تجب محاربتة بالقلم واللسان
حتى تعرفه الامة وتنبذته وتجتنبه كل الاجتناب

ولا يسلم شعب راغب في الحرية المدنية والسعادة الاجتماعية
الا اذا اتحدت أفراده ومنعوا الدخيل من القاء بذور الفتن
والتفريق بينهم وبين بعضهم مما يكون وراءه ضياع بلادهم
وضياعهم هم أنفسهم

والحمد لله أن أصبحت مصر عارفة بحقوقها وأصبح
ابناؤها عارفين بواجباتهم نحوها مستظلين جميعا — على خلاف
ما يشتهيه الدخلاء — براية الوطنية الشريفة الحامل للوائها
عزيز مصر وأميرها الجليل عباس حلمي باشا

بانفسنا ولا نرضي أن نبقى قصراً تحت حكم وصى ننظر تقدم
الامم الاخرى نظرة الكئيب التعس دون أن نستطيع
محاكاتهما ومجاراتها . اذا قلنا لها ذلك وأسمعنا هذا الصوت
صوت الحق كانت ولا ريب أول أمة قاضية علي الاحتلال
آمرة حكومتها بالاسراع بالجللاء . لان من شأن كل أمة
متمدنة تمدنا عظيماً كالامة الانكليزية أن تحترم الشعوب
المطالبة بحقوقها العارفة بواجباتها

وإذا كان صالح مصر يقضى كما قلت بوجوب وجود
خطباء من أبنائها يطوفون العواصم والمدائن في أوروبا وعلمين
آراءهم مجاهرين باحساساتهم مطالبين بحرية بلادهم . فوجود
خطباء مثلهم في مصر نفسها يرشدون الامة الى الخير
ويحذرونها من الوقوع في الشر أصبح أمراً محتماً خصوصاً
في هذا الزمن الذي يعمل فيه الدخلاء على التفريق بين بعض
الوطنيين وبعض والشقاق بين المصريين والاوروبيين
ويكيدون للامة أعظم كيد ويدسون الدسائس لخلق القلاقل
واحداث الاضطرابات

ويكفيها لاستمالة الامة الانكليزية نحو مطالبنا الشرعية
أن نقول لها بكل صراحة : « لقد صار الشرقيون في ريب
من احترامك لشرفك وشك في محافظتك على الوفاء بعهودك
فهل لك أن تطالبي بالجلء عن مصر لتحققى للعالم كله بقاءك
على عهدك الاول الشريف ولقد غرر بك أيتها الامة الخطيرة
بعض ذوى الغايات وقالوا لك ان الامن لم يستتب في مصر
وان الخديوى لا يستطيع حكم بلاده برجاله ليجبروك على
الحكم بلزوم الاحتلال فاعتقدى ان ذلك محض اختلاق
وان الامن مستتب والامة كلها مخلصه لاميرها معجبة به
حجة له

والا فهل يرضى الانكليز بأن يقال عنهم انه ليس في
امكانهم اعادة الامن الى ديار مصر بعد احتلالهم لها أربعة
عشر عاما ??

اذا قلنا ذلك للامة الانكليزية وعرفناها اننا لا نبغض
الانكليزى بل نبغض المحتل من حيث هو محتل ولو كان من
أقرب الناس الينا لاننا أمة حية متمدنة نريد أن نحكم أنفسنا

الآن وعهد كل عاقل بالامة الانكليزية انها اذا وقفت على
الحقيقة وأرشدت الى الصواب كانت في مقدمة أمم أوروبا
مطالبة بالجلاء

وعسير على الامة الانكليزية الوقوف على الحقيقة الا
اذا قام فيها خطباء من أفرادها ومن المعربين أنفسهم يبطلون
مآذيعه التيمس واخواتها من ذوى الاغراض السافلة من أن
الانكليز لم يقوموا في مصر الى الان بالواجب عليهم . ولقد
سألنا شيخ الاحرار غلادستون أن يكون من أبناء جنسه
المرشد لامته عن حقيقة مسألة مصر وعن ضرورة الجلاء
وأملنا أن يجيب طلبنا ويحقق أمنيتنا

واكن ارشاد الامة الانكليزية الى ما ينتظره المصريون
منها وما يعتقدونه في شرفها لا يكون الا برجال من أبناء مصر
يقومون وينادون في كل بلاد أوروبا بحقيقة أحوال مصر
وأمانها وآمالها ليزيدوا من أنصارها ويكون للوطن المصرى
من الامم الاوروبية نصراء عند مطالبته الامة الانكليزية
باجبار حكومتها على الجلاء

الشرف الذي اذا ذكره المصري منا وتذكر شأنه في العالم
انحنى احتراماً واجلالاً فكيف باهله وذويه . كيف باشد
الناس حرصاً على المحافظة عليه ??

والا فهل يرضى أبناء انكلترا أن يستعمل شرفهم آلة
دنيئة لامتلاك بلاد حرة واستعباد أمة حرة ؟ وهل ترضى
الامة البريطانية الغيورة على مقامها واحترامها أن يقال عنها انها
لاشرف لها ولا احترام لسكاتها العلية وعهودها الصريحة ??
انى لا اظن ذلك واعتقد انكم كلكم على رأي

وهل تسمي المروءة مروءة اذا كان معناها ان أمة
أوروبية استغاث بها أمير شرقي فاغاثته ونصرته ثم عملت
على ضياع ملكه واسترقاق أمته وشعبه !!

كلا . ثم كلا . ان شعبا عظيما كالشعب الانكليزي لا يرضى
أن يترك في تاريخه العظيم صحيفة سوداء تنسى الامم الآتية
آثاره الحسان ومننه على بني الانسان

اذن فنقطة الخلاف الوحيدة بيننا وبين بعض الانكليز
هي ان زمن الجلاء على رأينا قد حان وعلى رأيهم لم يحن الى

بعض الانكليز هو - هل زمن الجلاء عن مصر حان او لم
يحن - فدول اوروبا ذات المصالح في مصر تقول معنا ان
زمن الجلاء قد حان منذ أعوام والمستر غلادستون زعيم
الاحرار واكبر سياسي انكلترا يقول ذلك القول بعينه غير
خائف لوما أو تعنيفا . وبعض ابناء التاميز يقولون ضد ذلك
ان زمن الجلاء لم يحن وان مصر في حاجة الى وصى عليها !!

وقد نرى بعض المتحزين للاحتلال الابدى - وهم
ليسوا من الانكليز والانكليز لا يستطيعون ان يكونوا
على رأيهم - يقابلون مطالبنا الشرعية بالسباب والشتائم
فهل يستطيعون اليوم ان يقولوا عن المستر غلادستون انه
عدو لبلاده كما يتهموننا بنكران الجميل ??

وبعيد عن ذهنى انه يوجد على الارض رجل انكليزى
يحب وطنه حبا حقيقيا يستطيع القول بان انكلترا تريد
وضع يدها على وادى النيل فان ذلك الامر بل هذا الجرم
العظيم مناقض كل المناقضة لمصلحة انكلترا نفسها ولشرفها
العالى الشأن . نعم . نعم ذلك الامر مناقض لشرفها ذلك

وحدها لا لغيرها

واذ ولجت موضوع الوطنيين المصريين ازاء الانكاي
فأراني في حاجة لان أستميحكم الاذن في التكلم عن مسألة
الاحتلال وابداء رأي فيها بكل صراحة

وليس من غرضي ان أطعن على الحكومة المحلية أو
أنتقد على أعمالها فكلكم تعرفون مثلي مواضع الخلل في
الادارة ومواضع الكمال والانتظام . وبديهي ان نواميس
الوجود قاضية بسوء ادارة كل مصلحة وطنية يتداخل في
شؤونها تداخلا فعليا رجال غرباء لا يفقهون لغة البلاد ولا
يعرفون شيئا من عوائد اهلها وأخلاقهم

وليس غرضي كذلك ان أندد بحكومة جلالة الملكة
أو بالامة الانكليزية لاني أرفع عن أن أدافع عن بلادي
بالظن والسباب . بذلك السلاح الذي يستعمله بعض
السفلة من الدخلاء . فضلا عما أحس به دائما من وجوب
احترام الشعب الانكليزي . وانما الذي أريد ذكره وايضاحه
هو ان الخلاف حقيقة الخلاف بيننا معشر المصريين وبين

وتوجد فئة أخرى على نقيض اليأسين عظيمة الغيرة
شديدة الحدة لا يرضيها الاعتدال والسكون . ورجالها وان
كانت قلة عددهم تعادل قلة اليأسين تراهم يقيمون الحجة
ليلا ونهارا على المعتدين من الوطنيين فلا يعجبهم السكون في
الوطنية والرضى بالمدة حينما قصيرا النيل الشرف الاسمى
احيانا طوالا . وهوؤلاء المتطرفون الغلاة لا يجب ان نهملهم
اهمالنا اليأسين بل يجب ان نسمع اقوالهم ونناقشهم في آرائهم
لاقناعهم بحكمة السكينة والاعتدال مع العمل بجد وغيره على
خير البلاد وسعادتها

ولا تظنوا ايها الاخوان الاعزاء ان عملكم خير بلادكم
يقابل من الانكليز بالازدراء والاحتقار . كلاتم كلا . ان
الانكليزي الذي يحقر مصريا يجب بلاده ويدافع عنها
بصدق واخلاص يكون محقرا لنفسه ولقومه لانه هو وكل
مواطنيه اول العاملين في الامم على تقدم بلادهم ولا يرضيهم
ان تبقى سعيدة في داخلها فقط بل يبذلون كل مافي وسعهم
لاتساع نطاق مستعمراتهم واستدرار الخير من موارده لها

العمل فلبست ثياب الأيس وقضت بظنونها على مستقبل
الوطن العزيز وجعلت مهمتها في الأمة تثبيط الهمم واقعاد
العزائم فلا تنادي في المحافل والاندية الا بأنه ليس لمصر
حظ في المستقبل من الحرية والسعادة الاجتماعية وان شعبها
قد مات من زمن طويل وليس لمفكر عاقل ان يؤمل له
مستقبلا جديدا . وتري رجال هذه الفئة اليائسة يرمون كل
رجل يقوم بالدفاع عن حقوق البلاد المقدسة بعدم الخبرة
وقصر النظر قائلين له :

(لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لاحياة لمن تنادي)
وعندي ان الرجال اليائسين وان كانوا اقل من القليل
يضررون بلادهم أعظم ضرر بما يقولونه ويكررونه اذ ان قتل
العواطف الشريفة واتحاد نار الغيرة الوطنية هما ولا محالة
اكبر جناية تجنى على الوطن واهله فليكن من واجباتنا ان
نترك هؤلاء اليائسين في سفين يأسهم تصعدهم أمواج
الافكار وتهبط بهم حتى يصلوا الى شاطئ الخير وبر الرفاهية
فذكركم عندئذ بفساد من اعلمهم وخطأ آرائهم

وأعظم القوم فيهم قد حضروا هذا الاحتفال ولبوا الدعوة بلطف وتكريم وهو ما يدلنا على اشتراكهم معنا في الاحساسات نحو هذه البلاد العزيزة

وأول مدينة في مدائن القطر سكنها الاوروبيون ووجدوا من أهلها بشرا وائتلافا هي ولا جرم مدينة الاسكندرية ولكم الحق يا أهلها وأعز أبنائها ان تفتخروا بذلك أعظم الافتخار . فداوموا أيها الوطنيون الاعزاء على اكرام وفادة ضيوفكم ونزلاءكم الذين يشتركون معكم في الاحساسات نحو هذا البلد الامين . ولا يكن مبدؤنا دائما « احرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

وقد يفهم بعض الناس بالاعتدال الكف عن كل عمل يخدم البلاد ويسبب سعادتها فتراهم مقصرين كل التقصير عن واجباتهم وهؤلاء يخطئون الاعتقاد لان الاعتدال لا يفيد التهاون والاهمال . وما أجمل الاعتدال مع العمل على خدمة الاوطان

وان في مصر فئة من الناس نسيت ان الامل داعي

تستعمل في غير موضعها تكون دوا ما أضر من البلاده والحمول
فلذا أناديكم — وان كنتم أعلم مني بالواجب — مناداة محب
لبلاده وندينتكم بنوع خاص ان تنفوا باعتد السهم وسكونكم
تهمة من يرمونكم بحب الهياج والاضطراب

ومثل مصر اليوم وهى على باب السعادة المقبلة مثل
مريض قارب الشفاء ينصح له الطبيب بزيادة التحفظ وعدم
التعرض للهواء لئلا ينتكس بالعلة فتعود عليه بويل أشد من
ويلها الاول . فلنحترس جميعا معشر المصريين من التعرض
الى ما وراءه تعرض الوطن نفسه الى خطر عظيم

وان صفى التسامح والغفران اللتين اشتهرت بهما الامة
المصرية كانتا من أعظم الاسباب التى استمالت قلوب
الاوربيين نحوها وجعلتهم يعتبرون مصر كقطعة أرض من
أوطانهم فهم يقطنونها آمنين مطمئنين ممتعين براحة البال
والبعد عن البلبل . ولذا وجدنا منهم على اختلاف جنسياتهم
وملهم نصراء أشداء للمطالبة بحقوق مصر وتحقيق رغائب
أبنائها . ويفرحنى كثيرا ان أرى اليوم الكثير من أكابر

هذه الفرصة لاحداث ما يقلق ويضر لتلقى التبعة عندئذ على
أهل الاسكندرية وعليك أيضا « نخالفهم في الرأي وجئت
تغركم الباسم معتمدا على همتكم وشجاعتكم . وان أفضل صفة
اتصف بها أهل الاسكندرية هي ولا غرو صفة معرفة الواجب
والشعور الصادق بحقيقة الحوادث . والواجب اليوم على
المصريين كافة انما هو التمسك بالصبر والاعتدال أكثر
من ذى قبل

وقد اتخذتم يا أبناء الاسكندرية في كل بلاد مصر مثالا
للهمة والحماسة فلتكونوا كذلك مثالا صادقا للدعة والسكون
والاعتدال لتصبحوا وتمسوا أساتذة لمصر كلها في تأدية الواجب
نحو الوطن المحبوب

ولقد أشاع عنكم بعض كثيرى الظنون أن غيرتكم
وحميتكم يستعملان أحيانا ضد صالح البلاد وأنكم تنفذون
من حيث لا تشعرون ما رب ذوى الغايات باحداث القلاقل
وكنتم كلما أسمع مثل هذه الاشاعات استغربها كل
الاستغراب ولى الحق في ذلك الاستغراب . لان الغيرة التي

قبل ان أقف بينكم الليلة خطيباً زادني حبها وميلاً لاهلها واني
أحمل كل ذلك الا كرام من أهل الاسكندرية على عظيم رغبتهم
في اعزاز مبدأ الوطنية الشريف لا على اكرام شخصي الضعيف
ويسرني أن أحادثكم اليوم في شؤون الوطن العزيز . هذا
الوطن الذي تجبونه جباً مفرداً وتعملون جميعاً خيره وسعادته .
وأراني موقفاً لحصولي على هذه الفرصة الثمينة التي
أبادل معكم فيها ما يخلج في نفوسنا من الآمال والاماني التي
هي معنى الحياة والباعث القوي على العمل بجد ونشاط
ويلزمي ان أقول لكم اني قبل مبارحة القاهرة تأخبرت
بعض أصدقائي بأمر هذه الخطبة فأشار عليّ فريق منهم
بعدم القاءها مع الذين ذاك بقولهم « انك اذا ذهبت الى الاسكندرية
واجتمعت بأهلها وحادثتهم في مصائب مصر وآلامها ربما
نتج عن ذلك شيء من هياج الافكار الامر الذي لا تحمد
عقباه . لانهم شديدو الوطنية وأنت شديدها وقد تدعوا شدة
الشعور بالواجب الى ما يتجاوز الحدود أحياناً » وزاد بعضهم
على ذلك قوله « ولربما انتهز خصومك وخصوم الوطن العزيز

ما ظهر المرحوم على المسرح الا وأخذ التصفيق حده
وارتفعت الاصوات بالدعاء للوطن . فكنت تسمع سباعا
في مسرح تصيح بصوت الشهامة والحب « لتحي مصر
بجلاء الانكليز »

وبعد ان هدأت الاصوات وعم السكون بدأ المرحوم
خطابه وهذا نصه :

خطبته

(٣)

على جمهور عظيم

﴿ في ٣ مارس سنة ١٨٩٦ ﴾

« سادتي وأبناء وطني الاعزاء

ما اقتربت من مدينتكم اترأهرة حتى شعرت من نفسى
بارتياح زائد وانشراح خاص لاننى عهدتها وأعهد لها مدينة
الحياة الحقيقية ومهد الرجال المشهورين بالشجاعة والبسالة
والاقدام . والمقابلة الودية التي قوبلت بهامن كرمائها وسادتها

أو أرسل وكيلى ليحفظ النظام ؟

فأجاب صبرى باشا : كلا فان الامر لا يحتاج الى شىء
من ذلك . وأحب أن لا تشوش على الخطيب خطبته بهذا
العمل . وغاية ما هنالك أن ترسل ضابطا يلبس لباسا ملكيا
ليطمئن خاطرنا

*
**

من ذلك يظهر للقارىء مقدار تغيظ الانكليز من ذلك
الصنع وأنهم لا يودون أن يعرف المصرى قدره فى الوجود
وكان المترجم قد طلب من المحافظة قبل القاء الخطاب
أن ترسل بعض رجال البوليس لمنع الغوغاء فلبت المحافظة
دعوته . وما وافق الساعة التاسعة مساء حتى كان قد هرع
الى (المرسح العباسى) جموع من الكبراء والعظماء من
الوطنيين والاجانب وجم غفير من أهل العلم والفضل وذوى
الحيثيات والمكانات . وكنت اذذاك بملابسى العسكرية أنظم
الحفلة مع المنظمين . وتلك كانت أول مرة اتقى فيها المترجم فى
دور الجهاد الوطنى العنيف خطابا سياسيا عظيما فى الاسكندرية

السياسية خوفا من حدوث هيجان !

فأجابه صبرى باشا : أتخشى الى هذا الحد أن تحدث

خطبة مصطفى كامل هيجانا ؟ فقال نعم

فقال : أوكد لك أن الخطيب متعلم عاقل لا يدعو الى

هيجان ولا يحث على ثوران . وكل ما علينا أن نحافظ على

النظام برجالنا . ولو دعت الحالة الى حضورنا . . وأظهر

هرفى باشا اصراره على ظنه فقال له صبرى باشا :

انكم تكبرون الرجل من حيث تريدون أن تضعوا

من شأنه . ماذا يقول الناس يا هرفى باشا اذا منعتم خطيباً

مصرياً من الخطابة الا أنكم خشيتم بأسه وشدة تأثيره فى

سامعيه ؟ دعوه يخطب وهذا هو رأي

فقال هرفى باشا : اننى أمرت من الداخلية أن أمنع

مصطفى كامل من الخطابة بأى سبب . فأعطنى أمراً أستند

عليه . .

فقال صبرى باشا : انى مستعد لان أكتب اليك أمرى

فقال هرفى باشا : أتذن لي أن أذهب الى مكان الخطبة

الييت في ذلك الاوان مهوى أفئدة أجمع من الوطنيين
المخلصين . ولم يكن يمضى يوم الا وقد زاره من لا يملون عن
ثلاثمائة نفس وأرباب الييت يستقبلونهم بمزيد الخفاوة
والاكرام

وقد سببت هذه المقابلات المتوالية عناء جما للمترجم
ولسكنه صبر بحكم الضرورة وكان نبأ هذه الخطبة قد دوى
في أسماع الانكايير . وأبغض شىء لديهم أن ينهض من الوطنيين
من يستطيع أن يحرك أوتار القلوب ويستجمع العواطف مصرفاً
اياها كما يشاء . ولا ندرى ما كان تأثير ذلك الخبر بيد أن الحديث
الآتى يعرفنا شيئاً مما دخل الى أذهان المحتلين اذ ذاك

*
**

حدثنا سعادة المفضل اسماعيل باشا صبرى وكيل نظارة
الحقانية السابق بمناسبة هذه الخطبة وقد كان اذ ذاك محافظاً
لمدينة الاسكندرية أنه جاء هرفى باشا وكان حكامدار البوليس
بالعز ودار بينهما ما يأتى :

قال هرفى باشا : انى أطلب أمراً بمنع القاء الخطبة

ولا جرم أن مثل هذا الاختيار الحسن كان جديرا
أن يقتدر قدره وقد قدره أو تلك الوطنيون الغيورون
سافر المترجم وقد رافقته الى الثغر يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٦
وقصدنا هنالك فندق (آبات) ولكن صديقنا اسماعيل بك
الشمي الذي كان آنئذ قاضيا بمحكمة المنصورة الابتدائية
المختلطة دعانا الى منزله ملحا في القبول هو واخوته الكرماء
أهل الاخلاص والغيرة العالية فأجبنا دعوتهم وقصدنا منزله
الأهل على شاطئ البحر بجهة (النفوشي) وهو بيت عال
نخيم شيده ذلك الفاضل على مقربة من منزل العائلة القديم
(منزل شيمي بك الكبير والد حضرة الداعي وهو من كبار
المصريين فضلا ونبلا وقد كان مديرا للبلدية وللسكك الحديدية
ورئيسا لمحكمة الاستئناف المختلطة تغمده الله برحمته ورضوانه
وبارك في أبنائه البررة النجباء)

وما نشرت الجرائد نبأ قدوم المترجم اليه لغرض القاء
هذا الخطاب الا وقد أخذ كبراء الثغر وفضلاؤه
وأعيانه يتوافدون بمنزل شيمي بك للسلام عليه فكان ذلك

الماضى « انك لا تبغض المسلمين البتة » فهاهم المسلمون يأتونك
اليوم حيث جاءهم الدور يسألونك أن تدافع عن مصر
ومع ذلك أفليس من الواجب على انك لترا أن تحترم
هى نفسها العهود العلية والمعاهدات الدولية الضامنة لمصر
حريتها قبل ان توصى تركيا - التى تعتبرها أقل بلاد أوروبا
مدينة - باحترام فقرة من معاهدة برلين مختصة بالارمن ؟
هذا واننى أرجوك أيها السيد المبجل أن تتفضل بقبول
عظيم احترامى «
(مصطفى كامل)



وقد عقد المترجم نيته فى تلك الاثناء على القاء خطبة
عربية وطنية سياسية بمدينة الاسكندرية . وما اختار ذلك
الشعر الجميل الجليل ليرن فى أرجائه صدى أول خطبة عربية
له فى وادى النيل الا لانه كان يعتقد اعتقادا ثابتا أن سكان
ذلك الشعر على جانب عظيم من الحماسة والوطنية الصحيحة
وقد حفظ لهم التاريخ الحديث أجمل ذكرى فى الشمم وعزة
النفس والاباء

وهذا تعريب الكتاب الثانى !

مصر فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٩٦

أيها السيد المبجل

اعذرني اذا كنت اكتب اليك مرة ثانية . فان عدداً
عظيماً من ابناء وطني لما رأوا « أن زمن الجلاء على ماترى
قدحان منذ أعوام » كلّفوني ان أرجوك التكرم على مصر
بأحداث حركة فى الرأى العام الانكليزى لصالح الجلاء
وان الحركة الخطيرة العديمة المثل التي أحدثها فى انكلترا
لصالح الارمن بعض جمل نطقت بها فى شأنهم — حيث لم
تكن وقتئذ الا أحد ابناء بلادك الخصوصيين كما تقول —
هو أعظم كفيل لنا بأن مساعدتك لمصر يكون لها أعظم فائدة
والأفهل مسلمو مصر أقل استحقاقاً لرعايتك العالية
من مسيحيي الارمن ؟؟؟ . أو هل أنت كما أشاعوا ذلك فى
كل بلاد الشرق عدو ألد للاسلام ؟؟؟ ذلك مالا تتجاسر
على ظنه

ولقد قلت فى خطبتك التي أقيمتها فى شهر أغسطس

حاشا لله ان تتشبهه بالانكايز وهم في مسألة مصر قد
اصبحوا الكذب من مسيلمة بعد ان لعبوا باموال الامة
ذات اليمين وذات الشمال ظانين ان الزمان لا يغدر بهم وهو
الحكم العدل الذي يبئد الظالمين مهما طال حكمهم ويعيد
العادلين مهما اختفى عدلهم والله على كل شيء قدير.

*
**

﴿ غلادستون مرة أخرى ﴾

بعد أن ذاع كتاب المرحوم للمستتر غلادستون وردهذا
وعلقت على الكتابين صحافة العالم الشروح الضافية التي
لوجعت لكانت في ذاتها كتابا ضخماً ذا أجزاء عدة : رأى
رحمه الله ان يرسل الى غلادستون مرة أخرى كتابا آخر لان
الوطنية لا تلزم الصمت مادام في عروق الوطنى دم وفي قلبه
نبض وله في الوجود وطن جميل ثمين رؤف رحيم ابناؤه كعصر
وطننا الذي اذا ذكر اهتزت دقائق أعصابنا حينئذ اليه
وكان المال والدم أقل ما يغدى به

وكان المترجم يقرأ أسباب السابين ويسمع عويل المأجورين
فلم يزد الا قوة على قوته شأن الاخلاص في القلوب والوفاء
في الصدور لبلد لاهياة لنا الابهة ولا شرف الا بالدفاع
عن بيضتها

واذا كان المرء يكره بطبيعته من وعد ولم يف ولو كان
في اخلاقه مالا يضر : فما بالك بحكومة انقها في السماء وقدمها
في الماء ابناها يقولون صباح مساء انهم مصادر الفضيلة في
حين ان حكومتهم لا تفي بعهود ووعود قدمتها للعالم اجمع
بانها ستترك مصر ريثما تعود السكينة التي احدثتها فتنة عرابي
الى ربوعها وقد عادت هذه السكينة وحثت هي في يمينها وهزأت
بتاريخها وداست شرفها تحت اقدامها ???

انى اذا كتبت ذلك وانا متأثر بجرمة دولة كبيرة
كانكلترا فانما اكتب لاحذر النابتة الحاضرة ومن يخلفها
من الكذب في القول واخلاف الوعد . لان رجلا يكذب
على الله والناس لا يكون الا عدوا للفضيلة عداء الماء للنار
ويغرس في الارض شجرة لا تثمر الا سما زعافا

حكومتها على نفسها من العهود مالو اخذ ما يشابهه أقل الناس
اخلاقا على نفسه لوفى به في أجله وما حث في يمينه . وكيف
يحث الطاهر في يمينه وهو ميثاق من روح الله والله لا ينصر
المهاطين ؟

وإذا التمس للجرائد الانكليزية عذر في حملتها على
السائل والمحيب لان الحجة قد اصبحت أقوى من ان تتحملها
نفس تحاول الهروب من الحق : فما العذر الذي يلتمس لعجز
الشام الذين دخلوا مصر سائلين محرومين فاستقبلهم كرم القوم
وحيتهم بالبشاشة فاطعموا حلوا بعد ان كان غذاءهم الخُظَل
وكسوا حريرا بعد ان كانوا اخوان الخيش والعراء ?? اولئك
الذين هم أضر على بنى الانسان من الشيطان ..

قامت جرائد الاحتلال المأجورة التي يتبرأ منها الانس
والجان تسب المرحوم سبا بذيثا وكذلك حملت على المستر
غلاستون حملة منكرة كأن انجلترا أمها أو اختها وهي لا
انكليزية ولا مصرية بل بعضها سورى اهان سوريا بنسبته
اليها والبعض الآخر رومي أو مالطي أو من جنس آخر

انه يوجد في انكلترا حزب على رأى الوزير الاول لانكلترا
سابقا ويتشجعون بذلك على الاستمرار في خطتهم العدائية
ضد الانكليز أملا في بلوغ أمانهم

ونحن نقول انه لا يمكننا في الحالة الحاضرة ان نفكر
في الجلاء عن مصر . وافتكارنا في ذلك يكون كافتكارنا في
الجلاء عن افريقيه الجنوبية والانكليزى الذى يشير الى الجلاء
عن مصر أقل اشارة يكون قد سب وطنه سبة شنيعة « اه
يرى القارىء الكريم مما اقتطفناه من أقوال الجرائد
الانكليزية ان الغيظ قد بلغ من نفوس اصحابها ومحريها
حدا خبطوا معه وخطوا فهم كانوا يسفون المرحوم لالذنب
جناه الا لانه مصرى يجب عليه ان يحب بلاده كما يجب
الانكليزى بلاده ويسعى لغرس حبها في أفئدة الاطفال
والبنات وكل آدمى تحت سماء النيل

وكذلك حملت على المستر غلادستون حملة شعواء فنسبت
اليه الخرف بعد ان خدم بلاده خدمة المخلص الحر . ونسبت
صحافة الباطل ان الحق لا يحتاج الى دليل فقد اخذت

ويقول المستر غلادستون في كتابه انه مجرد الآن من
النفوذ وياحبذ لو كان الامر كذلك فان أبناء جنسه كانوا
يسرون من ذلك !

على اننا سعداء الحظ اذ نرى المستر غلادستون لا يستطيع
اليوم تنفيذ آرائه الخطرة المضرّة . ولكن من يقول ان رجلا
سياسيا مثل غلادستون قضى السنين الطويلة في خدمة جلالة
الملكة وكان فيها مستشارها الاول لا يمكنه ان يتحمل مسؤولية
أقواله هذه بمجرد بعده عن السلطة واعلانه انه « أحد أبناء
بلادهم الخوصيين »

وأن الانكليز لا يجدون في قول المستر غلادستون انه
مجرد عن كل سلطة شيئا من المبالغة ولكن غير الانكليز
لا يظنون ذلك . ومراسل المستر غلادستون - تعني به مصطفى
كامل - يتكلم باسم مئات من المصريين يمقتون الاحتلال
وغير أوفياء للانكليز . وكذلك مئات الالوف والفرنساويين
الغير الواقفين على الحقائق والذين لا منية لهم غير انتهاء الاحتلال
والكثيرون غيرهم سيظنون عند قراءة كتاب المستر غلادستون

المعارضة»

ذى جلوب

وكتبت جريدة « ذى جلوب » الانكليزية الشهيرة
فصلا تحت عنوان (حالتنا فى مصر) هذا تعريبيه :

« لقد نجح مصطفى كامل الذي يلقب نفسه « بابن وادى
النيل » فى طريقة الحصول على كتاب من المستر غلادستون
بشأن الجلاء . وهذا الكتاب يحتوى على بعض ارشادات
وتصريحات فهو يعرفنا انه اذا كانت مصر لم تسقط مرة ثانية
فى وهدة الفوضى والمصائب التى انقذها منها الاحتلال
الانكليزى فليس الفضل فى ذلك للمستر غلادستون . ولقد
كننا نعرف شيئا من هذه الحقيقة ولكن قد علم العالم كله
الآن ويعلم الى ما شاء الله ان من رأى المستر غلادستون انه
يجب علينا نحن معشر الانكليز ان نغادر مصر وان هذا
الواجب قد حق علينا منذ أعوام . ويظهر غير ذلك ان المستر
غلادستون كان قد تداول مع المسيو وادنجتون بشأن تحقيق
الجلاء عن مصر

حتى يعلم اللورد سالسبرى براء الحكومة الفرنسية في شأن
حل مسألة الاحتلال المشكلة اه
سان جمن غازت

وقالت جريدة - سان جمن غازت - الانكليزية
ماتعريبه:

« لا ريب عندنا في ان الامة الفرنسية حاذقة ماهرة
ولكنها لم تدرك مغزى أفكار المستر غلادستون فانها لو
كانت ادركت ما ارتبكت في فهم عبارات كتابه الذي بعث به
الى مصطفى كامل - ذلك الذي يصف نفسه بأنه أحد أبناء
واذى النيل

فلقد سأل هذا الشاب المستر غلادستون رأيه عن المسئلة
المصرية . فأجابته على سؤاله بكتاب يفيد ان المستر غلادستون
صار شيخاً كبيراً بعيداً عن عالم السياسة ! ومن رأى هذا
الرجل السياسي الذائع الصيت ان المسئلة المصرية كان يمكن
حلها بل كان يلزم حلها منذ أعوام لولا معارضة المعارضين .
والمستر غلادستون لم يعلم ولا يعلم لماذا كانت هذه

والفرنسية ويصحب هذه المطالب ايضاح خطة الحكومة
الفرنسية في سياستها التي أعلم من مصدر موثوق به انها خطة
سلمية ودية

ولا شك ان المسألة المصرية هي من ضمن هذه المسائل
ومهما كانت النتيجة السريعة للمداولات التي فتحت الآن
على أساس جديد فان الحكومة الانكليزية لا بد وان تجيب
بصفة سلمية عن أسئلة فرنساحتي يكون من وراء ذلك تحسين
العلائق الودية بين الدولتين

وفي استطاعة «ذى ديلي مسيجير» أن تؤكد بصحة القول
بأن البارون دي كورسل حاصل لتعليمات جديدة للمداولة في
الجلء عن مصر الامر الذي ترك الكلام فيه من عهد الموسيو
« د كرية » سفير فرنسا في لندره

ومهما بولغ في القول بأن فرنسا ستستفيد من علائقها
الودية مع روسيا ومن التنافر الحالى القائم بين انكلترا ومانيا
لتنال تعضيد هاتين الدولتين في طلب تداخل الدول كلها بشأن
مصر فاننا نظن بأن فرنسا لا تنادى الدول (لعقد مؤتمر)

ذی دیلی مسیجیر

وجاء في جريدة (ذی دیلی مسیجیر) الانكليزية التي
تصدر في باريس تحت عنوان « الانكليز ومصر - حل
عاجل » ما تعريبه :

« بعث المستر غلادستون كتابا « نشره بعد » بشأن
احتلال الجيش الانكليزي لمصر الى مصطفى كامل الذي هو
من اشهر دعاة الوطنية المصريين

ونحن تلقاء هذا الكتاب نقول ان المكاتب الباريسي
لجريدة (الاوزرفر) الخطيرة اتبع نشر كتابي غلادستون
ومصطفى كامل بالتلغراف الآتي :

« علمت من مصدر موثوق به ان البارون دي كورسل
أطال الحديث مع مسيو (برتلو) وزير خارجية فرنسا
وأخذ وأعطى مع اللورد دو فرين بشأن مسائل سياسية عديدة
وهو حامل معه الى لندره جملة مطالب تطالب بها الحكومة
الفرنسية بشأن مسائل مختلفة حيث يقدمها الى اللورد
سالسبري وهي المسائل المشتركة فيها فوائد الدولتين الانكليزية

المستر غلادستون حتى اخذ يطعن على المترجم بالوقاحة
المهودة في بعض مكاتبي التيمس . وقال انه اقام في باريس
بضعة اشهر ليظهر للملا بانه يوجد مصريون يعربون عن
آرائهم . وقد انتهز هذه الفرصة ليذيع اسمه وصحته بين العالم
ثم قال عن كتاب المستر غلادستون انه ركيك العبارة
مرتبك مخبط في مبانيه ومعانيه . وهو لا يعجل حل المسألة
المصرية التي هي اكثر المشا كل ارتباكا وتعقيدا وأنه من
الواجب الصبر على حل المسألة المصرية حتى يظهر في مصر
كثيرون من أمثال مصطفى كامل ليقوموا بادارة اشغال
الحكومة المصرية بدون مساعدة اجنبية الى مامائل هذا
الكلام مما يدل على مقدار تعيظ الانكاي من كتاب المستر
غلادستون على هذا المنوال واعلانه على رؤوس الاشهاد ان
زمن الجلاء قد وافى منذ اعوام

ذي ديلي تلغراف

واكتفت ذي ديلي تلغراف بنشر مضمون كتابي
غلادستون والمرحوم تاركة الخدم لقرائها

من يقول « كما يشتهون » فذلك هو الرجل الذي يحاط بنعوت
الكرامة والاحترام ولو كان هزاعا . وكل من ينطق بابت
شفة لا توافق اهواءهم فذلك هو الرجل المطعون بكل سنان
والمزق السيرة من كل لسان وبنان ولو كان المستر
غلاستون زعيم احرارهم ورئيس وزارتهم بالامس

التيمس

ولما كانت نقشات الحق الا انكليزي لما يكرهون تظهر
دائما على صفحات جريدة التيمس فقد الفينا مكاتبا في
القاهرة يغدو ويروح مفتشا عن منزلنا ليري كتاب
غلاستون بعيني رأسه . وقد تم له ذلك وزار المرحوم في
حضورى وسأله ان يريه كتاب غلاستون بالذات . ولا
يسأل القراء عما نفت من الاحقاد اثناء قراءته له وتحققه من
خطه وامضائه . وكان يقول بعد ذلك لكل من لقيه ان
غلاستون كثير الكتابة بلا غرض كثير الكلام بلا فائدة
ونحن لا ندري ما الذى أتاه غلاستون من الخطأ !!

اما مكاتب التيمس في باريس فانه ما اطلع على كتاب

وهذا كان دائماً شأن حكومة الاحرار فهي ليست
صريحة مثل حكومة المحافظين لانها لم تجسر على ترك مقاليد
المحافظين انفسهم . وهذه الخطة كانت دائماً عجز الاحرار
والمستر غلادستون يعش نفسه بقوله الآن « واني لا أستطيع
في الامر شيئاً » اه



الجراند الانكليزيت

(والمستر غلادستون)

مانشر كتاب غلادستون في مصر وفي باريس حتى
احتدم الانكليز غيظاً واخذوا يطعنون على ذلك الشيخ بانه
صار خرفاً في السياسة لامبدأ له فلا يعول عليه وان لم يقولوا
شيئاً من ذلك عند ما صاح بصوت عال مزعج في المسألة
الارمنية ودعا اوروبا الى اثاره حرب صليبية ضد جلالة
السلطان الاعظم

وهذا مايدلنا على مبدأ الانكليز الحقيقي وهو ان كل

« كتب المستر غلادستون الى الشاب الوطنى المصرى
مصطفى كامل الذى سأله عما اذا كان زمن الجلاء قد حان
أو لم يحن « بأن زمن الجلاء قد حان منذ اعوام »
وكل قارىء لهذه العبارة يتساءل لماذا لم يحل المستر
غلادستون مسألة مصر اذا كان اعتقاده ان زمن الجلاء قد حان
منذ اعوام فيجيب غلادستون على هذا السؤال بجواب يلقى
فيه المسئولية على الدول ؟؟

ويقول المستر غلادستون بسداجة مسلية تكاد تكون
طفلية « ولاى سبب لم تجب الدول رغبنا الشريفة ؟ انى
لا أعلم فى الامر شيئاً »

وأنا وان لم نكن نحسب ان المستر غلادستون برىء
من تبعة الاحتلال مثل هذه البراعة وهو ساذج الفكر الى
هذه الدرجة - بل بالعكس يظهر انه هو السياسى اليقظ الذى
يجب الوقوف على كل شىء بغاية الدقة - لكن يظهر اننا
كنا مخطئين وانه فى المسائل الحرجة المشككة يجهل كل شىء
ولا يستطيع الوقوف على شىء !!

غلاستون في الوزارة ???

ذلك ما لا يعرفه المستر غلاستون ؟؟؟ ويدعي ان عدم
تسوية مسألة مصر من خطأ الدول التي لم تأت بأجوبة في
المخابرات توافق الرغائب الانكليزية مما يفسر بأن انكلترا
اشتطت شروطاً لم تقبلها الدول

ومهما قال المستر غلاستون فان انكلترا لم تعمل
ما استطاعت من الحسن في سبيل حل مسألة مصر

وعند قراءة العبارة التي يقول فيها المستر غلاستون
انه اصبح احد ابناء بلاده الخصوصيين يتساءل الانسان
عما اذا كان المستر غلاستون يحل مسألة مصر حلاً شريفاً
كما يشتهي اذا عاد الى منصب الوزارة ؟

ومهما كانت النتيجة فان الثمرة التي يستفيدها كل منا
من كتاب غلاستون هي ان ساعة الجلاء عن مصر قد
أذنت منذ اعوام « اه

وكتب مسيو (موريس اريس) في جريدة الرايل تعليقا
من هذا القبيل على كتاب المستر غلاستون هذا تعريبه :

وليس المستر غلادستون الوزير الاول السابق ممن يستثنون عن هذه القاعدة فلقد كتب اليه في هذه الايام الاخيرة الشاب الوطنى المصرى - مصطفى كامل - أحد رجال الشبيبة المصرية المتربية في أوروبا يسأله رأيه عن حل مسألة مصر ويذكره بأنه هو نفسه غلادستون الذى كان نصيراً لسياسة الجلاء عن مصر وانه جاهر مراراً عديدة بأن من العار الكبير على الشرف الانكليزى ان تحتل مصر الى أجل غير مسمى خلافا لتعهدات بريطانيا العظمى

وقد قال له ذلك الشاب المصرى فى كتابه انه وان لم يستطع مدة وجوده فى الوزارة تحقيق رغائبه الشريفة فلا بد أن يكون الآن باقيا من نصراء الجلاء ويرجوه ان يبدى رأيه بشأن ميعاد الجلاء فأجابه المستر غلادستون من يبارتيز اتى ذهب اليها لينتفع بمياه حماماتها بأن آراءه لم تتغير ولن تتغير قط بشأن مصر ويزيد على ذلك اعترافه بأن زمن الجلاء قد حان منذ أعوام

ولكن لماذا لم تحل هذه المسألة الخطيرة عندما كان المستر

الانكليز هذا الادعاء وفي المصريين طبقة جديدة تلت عن
اوروبا كل ماتحتاج اليه لادارة شؤون البلاد العمومية
ولماذا تنكر انك ترا على هذه الطبقة فضلها ولا تتركها تدير
شؤون بلادها بنفسها???

ويظهر من تعصب الانكليز هذا ضد المصريين كنه
مقاصد انك ترا من رغبتها في اطالة امد الاحتلال والبقاء على
شواطئ النيل - وهو الامر الذي يضر منه المصريون - وهذا
التعصب لا يقضى عليه شيء آخر سوى اتحاد الدول
الاوروبية» اه

جريدة الموند

وكتب مسيو (جول دولايورث) في جريدة الموند
الباريسية الشهيرة تعليقا على كتاب المستر غلادستون لمصطفى
أفندي كامل ما تعريبه

«لوزراء الانكليز كما غيرهم من رجال السياسة العديدين خطة
خاصة عند ما يكونون خارج الحكومة وسياسة أخرى عند
ما تلتقي اليهم مقاليد الاحكام

وعلى رأيي انا الذي طلبت كثيرا الجلاء عن مصر
ورفعت مسألة مصر فوق منبر خطابة مجلس النواب انه
لا يمكن طلب الجلاء عن مصر الا بعمل تشترك فيه الدول
الاوربية . فان هذه المسئلة صارت دولية ولا يمكن فرنسا
وحدها ان تقوم بأمورية طلب الجلاء ولكن ذلك لا يمنع
ان تكون هي الداعية الى اتحاد الدول في هذا الشأن وهذا
الامر متعلق بالحكومة ويجب عاينها ان تنهز الفرصة السائغة
للقيام به

وعندى ايضا ان روسيا تقدر طلبنا بالجلاء عن مصر
حق قدره . وارجح من جهة أخرى ان النهضة الحالية المسببة
عن اخلاف بين انكلترا والمانيا تحل المسئلة المصرية نهائيا .
على انه ليس من المقبول مطلقا ان دولة وحدها تصبح السيدة
الاميرة على قنال هو الطريق الوحيد للشرق الاقصى
وان الحجة العظمى التي يحتج بها الانكليز لوجودهم في
مصر هي ان المصريين ليسوا اهلا لان يحكموا بلادهم بانفسهم
ولذلك أقامت نفسها وصية عليهم !! ولست أدري بم يبرر

احرار انكثرا التي يجاهر فيها أولئك الاحرار بانهم نعرء
الجلاء عن مصر - ان اليوم الذي تجي فيه ساعة الجلاء
لا يكون من الاحرار الا مثل ما فاه به شيخهم الكبير يقولون
رغبنا في الجلاء ولكن اوروبا لم تساعد عليه» !! اه

جريدة لوسوار

«قصد محرر من جريدة (لوسوار) المسيو جول
لافوس احد مشهورى الساسة فى فرنسا واحد كبار النواب
المسموعى الكامة فى المسائل الخارجية لیسأله رأيه .
وقد نقل المحرر عنه حديثا تناقلته جرائد مهمة كجريدة
الاستافيت وجريدة النيويورك هيرالد الشهيرة وغيرهما
قال مسيو لافوس بعد ان قرأ الكتابين ما يأتى :

« حقيقة ان المستر غلادستون هو من رجال انكثرا الذين
يعتقدون اعتقاد اصححا - كالسير شارل ديلاك - ان الجلاء
عن مصر لازم لمصلحة بريطانيا ولكن المستر غلادستون
امسى قصياً عن المنصب وربما بقى قصيا عنه الى الابد

وجاء في جريدة (الريبوليك فرنسيز) ماتعريبه :
« طالما تساءل الناس عن سبب امتناع المستر غلادستون
حينما كانت الاحكام بيده في انكسار عن تحقيق الجلاء عن
مصر مع كونه لم يترك فرصة الا جاهر فيها بأن الجلاء محتم
على انكسار او مفيد لها

وصحيح انه كان قد فاه في سراي وستمنستر (سراي
البرلمان الانكليزي) باقوال صريحة مهمة متعلقة بمصر. ولكنه
من ذلك الحين لم يقل شيئاً عن المسألة المصرية حتى جاءه
شاب مصري وطني وسأله عن رأيه في هذه المسألة الخطيرة.
فأجاب المستر غلادستون ذلك الوطني المصري - مصطفى
كامل - بكتاب رضى ان يجاهر فيه بسره السياسى

فهو يقول انه ليس هو الذى لم يرغب فى الجلاء بل ان
الدول لم تساعد على تحقيقه وان الحكومة الفرنسية لم
تدأب فى سعيها وراء هذا الحل !!

وأن مجاهرة المستر غلادستون هذه كانت غير منتظرة.
وجوابا عليها نقول للذين ينشرون الاحاديث السياسية عن

بكل سذاجة . فهو يقول انه كان ولا يزال نصير الجلاء
ولكنه لم يستطع في الامر شيئا لانه صار احد ابناء بلاده
الخصوصيين !!

ولكن أليس من الصواب ان المستر غلادستون متفق
الآن مع رجال سياسة انكلترا ???

على أن كتاب المستر غلادستون لم يقنع - علي مانظن -
مصطفى كامل وان يكن سرورنا مما فيه الدليل القوي على ان
التاريخ يتجدد الى الابد

والذي نراه نحن بمناسبة هذا الكتاب الخطير انه من
الصعب جدا بل ومن المستحيل على انكلترا ان تقبل من
نفسها الجلاء عن مصر في هذا الحين . ونزيد على ذلك ان
اللورد سالسبورى اذا اضطرته الدول الى تحقيق الجلاء في
هذا الوقت الذى تغيرت فيه السياسة الاوربية بسبب
حوادث ارمينيا والكتاب : كان فى ذلك سقوطه وسقوط
وزارته . اذ لا تثبت قدماه يوما كاملا بل يسقط محتقرا
مرذولا من كل الانكليز « اه

الجلء عن مصر وذلك لان الدول لم ترغب مساعدته !!!
وأن اللورد سالسبرى لا يستطيع الاتيان بعذر كهذا
ولكن من الجائز أن دول أوروبا التي لا يطلب هو منها حل
مسئلة مصر تعود اليه وتطلب منه ذلك « اه

جريدة البوست

وكتبت جريدة (البوست) الباريسية ماتعريبه :
« انقطع الكلام عن مصر عندنا مدة أسبوع واحد
ولكن نحن الآن مضطرون لاعادة الكلام عليها
والذى يدعوننا الى اعادة الكلام عن مصر كتاب بعث
به المستر غلادستون الى ذلك الشاب المصرى الوطنى
« مصطفى كامل » الذى ذكره بتصريحاته القديمة والذى
يزيدنا رغبة فى الاشارة الى هذا الكتاب والعناية بأمره
هو أن جرائد انكليزية علقت عليه أخبارا من شأنها أن تحدث
أعظم تأثير

والمستر غلادستون يجيب الشاب المصرى — الذى
يجب علينا ان نقول انه يعبر عن أفكاره احسن تعبير —

الحجة الحديثة «

لابولتيك كولنيال

وكتبت جريدة « السياسة الاستعمارية » الباريسية

ماتعريبه :

« بعث مصطفى كامل الشاب المصرى المشهور اسمه

في كل بلاد فرنسا كتابا الى جناب المستر غلادستون يسأله

فيه عن رأيه في المسألة المصرية فأجابه زعيم الاحرار والوزير

الاول لانكلترا سابقا بكتاب عظيم مهم للغاية

ومن تلاوة الكتابين اللذين تبودلا بين المستر غلادستون

ومصطفى كامل يرى القراء ان تصريحات المستر غلادستون

ربما ضايقت اللورد سالسبرى ولكن يعلم الناس كافة أن الوزير

الاول لانكلترا لا يتضايق أبداً حتى اذا ذكر بنفس وعوده

الصريحة !!

والمستر غلادستون الذى استعاض بابتعاده عن السلطة

بعض الصراحة في القول يعلن اليوم بأنه لم يستطع « خلافا

لرغبته » الوفاء بالوعود التى وعدت انكلترا بها أوروبا بشأن

المحافظين لا يبصر رجالها امامهم سوى مصالح انكلترا ولا يفكرون الا في اتباع التقاليد السياسية القاضية بانهاك حرمة الحق والذمة والشعائر الانسانية والاستغراق في الانانية وحب الذات

ولهذا عند ما يقول المستر غلادستون « انه لا يعلم لماذا لم تأت المخبرات التي جرت في عام ١٨٩٢ بنتيجة عن الجلاء »
تراه يذكرنا بالبغى من الابكار الكاذبات التي مع اعترافها بأنها على وشك أن تضع حملها تقول كما يقول المستر غلادستون اذا سئلت عن سبب هذا الحمل « انى لا أعلم في الامر شيئاً !! »

وعندنا ان هذا التشبيه الفلسفي المحض لا ينقص شيئاً مطلقاً من خطورة الحالة التي أوجدها اعتراف المستر غلادستون « بأن زمن الجلاء قدحان من أعوام » خلفه اللورد سالسبرى فاذا كان وقت الجلاء قدحان من قبل سنة ١٨٩٢ فتحقق الجلاء في سنة ١٨٩٦ يظهر أنه من الامور الطبيعية

ونحن نتنظر بشغف زائد أقوال الانكليز عن هذه

يقول الشيخ السياسي الهرم المخنك في ذلك الكتاب
ان زمن الجلاء عن مصر على ما أعلم « قدحان منذ أعوام »
فاذا دققنا النظر في ذلك القول رأينا ان الزمن الذي يشير اليه
المستر غلادستون قدحان قبل عام ١٨٩٢ عنه ما كان هو
القابض على أزمة حكومة بلاده ولكن لم تطابق أعماله معتقداته
ذلك ما لا يفصحه المستر غلادستون . وهنا تظهر هذه
الظاهرة الغربية التي تبدو عند كل السياسيين وقما يتولون الاحكام
بعد ان كانوا خارجها . فعند ما يكونون خارجا عن الحكومة
يرون كل أمر سهلا ويجدون من أنفسهم استعدادا غريبا
لقبول التسهيلات الفائقة لحل كل المسائل ورغبة تامة في
الوفاق العام والتقدم السلمى لمصالح بلادهم . وعلى هذا المبدأ
وعد المستر غلادستون نفسه بمنح ايرلاندا استقلالها الداخلى
وهو الامر الذى تخلى عن الوزارة قبل ان يتمكن من نيته
ولكن عند ما تكون الاحكام في أيديهم يرون الاشياء
بأشكال جديدة !!

فسواء كانت الحكومة موكولة الى الاحرار أو الى

ونحن لانشك في مجيء الوقت الذي تحل فيه المسألة المصرية
حلاموافقالعهودانكتراولفائدتهاالحقيقيةولحريةمصرتحت
سيادةالبابالعالمىولمبادئالقانونالعالموالانصاف» اهـ

جريدة الفيغارو

وكتب المسيو «دينس جيلير» محرر السياسة الخارجية في
جريدة (الفيغارو) الشهيرة بعددها الصادر بتاريخ ٣ فبراير
ماتعريبه :

« لقد أصبح المستر غلادستون أحد أبناء بلاده الخصوصيين
كما ينادى بذلك وسهل عليه أن يعترف بتصريح ربما ضايق
للورد سالسبرى في المخبرات الجارية دائماً بشأن الجلاء عن
مصر . فقد كتب لزعيم الاحرار ذلك الشاب المصرى —
مصطفى كامل — يذكره بارائه القديمة التي كان مغزاها دائماً
انه لا حل للمسئلة المصرية الا بالجلاء

فأجابه المستر غلادستون بكتاب لا شك في انه زائد
في الصراحة وان كان معصراحتة هذه يحتاج الى تفسيرات
وتوضيحات تكميلية

الاتفاق عليها - من أن يساعد المساعدة الصادقة ويعضد
التعضيد القوى من الدول التي « كفرنسا والدولة العلية »
مسئلة الجلاء عن مصر من القواعد الاساسية السياسية ??

على ان المستر غلادستون قد ابتعد اليوم عن عالم السياسة
ويقول بنفسه - واني لا استطيع في الامر شيئا - أنا لست
الا كاحد ابناء بلادى الخصوصيين - ولكنه لا يظهر مثل
هذا التواضع والخضوع والابتعاد عن الاعمال عند ما يكون
الامر متعلقا بالمسئلة الارمنية

وعلى كل حال فمن البديهي انه لا يمكن المشتغلين بمسئلة
مصر وجلاء الانكايز عنها ان يعتمدوا عليه الا ان
ولقد أصبح من خصائص حكومة المملكة ان تتساءل -
هل لم تكن اطالة الاحتلال بلا داع ثقيله جدا على السياسة
العمومية لانكرا بل وعلى سياسة دول أخرى ??
وهل لم تحرمها من وداد تحتاج اليه بعض الاحايين
وهل لم تجعلها محلا للشكوك والظنون السيئة اذا لم
يكن ضررها الحسى والمعنوى اكثر من نفعها ??

غلاستون رأى الجلاء عن مصر . والمستر غلاستون كذلك
لا يعلم لماذا لم تساعده الحكومات الاخرى في ذلك أو بعبارة
أخرى لم تدفعه إليه !!

إذا فمن السهل علينا امام جهالة كهذه أو تجاهل للحقيقة
ان نفقه كيف جرت الاشياء لاهلها تجرى دائماً فى مجرى
واحد سواء كانت الحكومة الانكليزية بيد الاحرار أو
بيد المحافظين

وهو انه عند ما تتكلم الدول بشأن الجلاء تجيب انكلترا
بكل عظمة وتشامخ انها الدولة الوحيدة التى من شأنها تحديد
وقته وتحقيقه !!

وعند ما تسكت الدول عن الكلام انتظارا لقيام انكلترا
به تلقي هذه الدولة تبعه الاحتلال على سكوت الدول الاخرى
والذى يزيد هذه الخطة غرابة من قبل المستر غلاستون
هو أن زمن الجلاء على ما يعلم « قد حان منذ أعوام » فما الذى
ينتظره اذن .. ??

ألم يكن متحققا — انه لو كان عرض شرائط يمكن

لمسئلة مصر الاحل واحد وهو الجلاء «
وفي الواقع ان هذا الرأى هو رأى المستر غلادستون
كما يظهر من عبارات كتابه المرتبكه
ولكن لماذا لم يحقق المستر غلادستون وعود الجلاء عن
مصر حينما كانت السلطة فى يده ??
فهل ذلك لانه لم يستطع كما حسبه مصطفى كامل على
ماظهر له ?

وعلى كل حال فقد علمنا ان تأخره عن تحقيق الجلاء لم
يكن ناشئا عن اعتقاده بأن زمنه لم يحن لانه يقول بصرح
العبارة « وان زمن الجلاء على ما أعلم قد حان منذ أعوام »
واذا كان الامر كذلك - ولسنا نحن القائلين بضده -
فعدم اقدم المستر غلادستون على العمل للجلاء أمر لا تفسير له
ولا يمكن ان يفسر أبدا بما قاله هو نفسه :
« واني لما كنت أخيرا فى المنصب أملت مساعدة
الحكومات الاخرى .. الى آخر ما قال وأطلع عليه القراء »
وان مصطفى كامل لا يعلم أكثر منا لماذا لم يحقق المستر

رجال السياسة : له سياسة عند ماتكون الاحكام بيد غيره
وسياسة أخرى عند ماتكون بيده !!

ا. همبير «

جريدة الديبا

ونشرت جريدة الديبا الباريسية في ٣ فبراير الجملة الآتية :
أرسل المستر غلادستون كتابا الى مصطفى كامل بشأن
مصر . ومصطفى كامل هذا هو شاب مصرى ذكى محب
لبلاده راغب أشد الرغبة فى جلاء الانكيز عنها
وقد أقام بضعة أشهر فى باريس وكتب فى أول يناير
الى المستر غلادستون يسأله عما اذا كان لا يزال نصيرا للجلاء
وفى أى وقت يمكن فى نظره تحقيقه ؟

ويوجد فى كتاب مصطفى كامل هذا فقرة تستحق
بصمة خصوصية جوابا صريحا وان لم تكن الهمة مراسله
العالمى الشأن - يعنى المستر غلادستون - جوابا عنها وهى :
« ولو انكم لم تستطيعوا الوفاء بوعودكم فاننا لانزال نظن ان
اعتقادكم اليوم كاعتقادكم فى سالف الازمان وهو انه لا يوجد

الانكليزية عن مصر؟ ان مراسل مصطفى كامل - يعنى به المستر غلادستون - يجيب عن هذا الموضوع الحرج بقوله « وانى لما كنت فى الوزارة أملت مساعدة الحكومات الاخري » الى آخر ماقال

والمستر غلادستون اما ان يكون ساخراً من العالم كله واما ان يكون مراده انه كان مستعداً فى عام ١٨٩٢ لان يأمر بالجللاء عن مصر لو ساعدت فرنسا على تحقيق رغائبه الكريمة . ومن المستحيل عليه ان يفهمنا ذلك . ولكن ربما يريد ان يقول ان فرنسا لم تستعجله عندئذ كما يجب . وأى حاجة كانت له فى ان تستعجله فرنسا ؟

انه من الغريب العجيب ان رجلا سياسيا يعتقد ان عملا سياسيا موافقا كل الموافقة لشرف بلاده ولصالحها ثم لا يأتي به بحجة ان حكومة أجنبية لم ترجه الا تيان به
فإن هذا العذر لا يمكن قبوله . وخلاصة القول ان تصريحات المستر غلادستون من الغرابة بمكان والنقطة الوحيدة التى هى جلية صريحة فى كتابه ان الرجل العظيم ككثير من

للجلاء عن مصر ويسأله فيه عما اذا كان باقيا على آرائه
القديمة أو تغيرت . فأجابته المستر غلادستون بكتاب كله
أدب ولطف . جاهر فيه بأن آراءه لم تتغير . وانه يعتقد دائما
مقاله في الماضي من ان (شرف انكلترا ملتصق باحترام
عهدنا نحو مصر) واطاف على ذلك قوله « ان وقت الجلاء
على ما علم قد حان منذ أعوام » ولقد كان الناس يعلمون
كافة ان المستر غلادستون عند ما كان يعمل ضد وزارة
المحافظين اعلن بغيره زائدة في مجتمعات عديدة حاجة
انكلترا الى ترك ارض الفراغة . ولكن كان يظن انه
متى استولى غلادستون على منصة الاحكام رأى أشياء بغير
العين التي كان يراها بها من قبل واتباعا لخطه اسلافه وعملا
بمذهب (بيلبوكيه) الذي يعتبر ان كل ما يكون امثلا كه
حسنا فمن الحسن المحافظة عليه . ولكن يظهر انه لم يكن
على شيء من ذلك وان المستر غلادستون — ولو انه لم يسر
أحدا بما في نفسه بقى مدة وزارته الاخيرة من أنصار الجلاء
الصادقين . ولكن لماذا لم ينتهز الفرصة اذا لاجلاء الجنود

ما انتشر كتاب المستر غلادستون حتى تناقلته كافة الشركات التلغرافية واهتمت به كل الدوائر السياسية في مصر وفي غيرها وعلقت عليه الصحافة الاوروبية التعليقات المهمة . فمن ذلك ما نشره المسيو الفونس همبير أحد كتاب فرنسا السياسيين وأحد نواب مدينة باريس في مجلس النواب الفرنسي في ٣ فبراير بجريدة الاكلير الباريسية وهذا تعريبه :

« كتاب غلادستون »

﴿ والجرائد الاوروبية ﴾

جريدة الاكلير :

« تبودلت مكاتبة مهمة بين مصطفى كامل والمستر غلادستون . ومصطفى كامل هو شاب مصرى مغرم أشد الغرام بتحرير بلاده وقد أقام في باريس وعرفه فيها معرفة جيدة كل الكتاب المشتغلين بمسألة وادى النيل . وهو قد كتب أخيرا الى « الشيخ الكبير » - أعنى غلادستون - كتابا يذكره فيه بأنه كان في سالف ائمن نصيرا عليا

I can see I sympathize with what I
understand to be your feelings as an
Egyptian but I am wholly devoid
of power. My opinions have always
been the same, that we ought to quit Egypt
after having fulfilled the wishes which
we went there with honor and benefit
to that country; so far ~~as~~ the ~~present~~
bure arrived some years ago. When
I was last in office I hoped for the aid
of other governments in arranging
this important matter and steps taken
in 1892 by Mr Washington encouraged
this hope. But no step was taken in
correspondence with our expectations,
for what reason I know not. My influ-
ence was made in Parliament in
1893 and I have nothing to add. I think
I was ready to do my best towards giving it
effect but that I have been entirely disarmed
of the power being now simply a private
citizen of my country. There he knows to be
your obedient servant
W. Gladstone
London Jan 14. 1896

اتبعه مسيو وادنجتون في عام ١٨٩٢ شجع املى غير ان
المخبرات لم تخط خطوة واحدة مع عظم ما أملنا اذ ذاك —
ولست أدري لاي سبب

ولقد جاهرت بكل تصريحاتي في مجلس النواب سنة ١٨٩٣
ولم يبق عندي شيء أضيفه عليها. ولكن كنت مستعدا لعمل
كل حسن في سبيل اعطاء آرائى تأثيرها الا اننى تركت
المنصب بالمرّة ولست الآن الا أحد أبناء بلادى الخصوصيين.
واني أشرف بان أكون منك الخاضع الصادق

بيارتز في ١٤ يناير سنة ٩٦ . و. غلادستون «

*
* *

وانا ثبت هنا الاصل الانكليزى بخط المستر غلادستون
كأثر تاريخى وشهادة منه نسجلها على الانكليز كما سجلنا
غيرها وهو هذا

يكون له أعظم أهمية في هذه الايام التي يحسب فيها الجم
الغفير من أبناء ديننا المسلمين انكم اكبر عدورآه الاسلام
واني مع انتظار الجواب على كتابي هذا أرجو منكم أيها
السيد المبجل ان تفضلوا بقبول عظيم احترامى»

مصطفى كامل»

فبعث اليه جناب المستر غلادستون كتابا باللغة الانكليزية
جواباً على خطابه السابق هذه ترجمته :

« سيدى العزيز

انى أستحسن ما فهمته من احساساتكم نحو بلادكم بصفة
كونكم مصرياً . ولكننى مجرد بالمرّة عن كل سلطة
أما آرائى فانها لم تتغير قط . وهى دائماً أنه يجب علينا ان
نترك مصر بعد أن نتم فيها بكل شرف وفى فائدة مصر
نفسها العمل الذى من أجله دخلناها

وان زمن الجلاء على ما أعلم قد وانى منذ سنين
ولما كنت فى منصبى أخيراً أملت مساعدة الحكومات
الاخرى توصلنا الى تسوية هذه المسئلة المهمة . والسلوك الذى

تحرير بلاده ان يتصدكم اليوم ليسألكم رأيكم عن حل مسألة مصر
فلقد كنتم منذ احتلت انكلترا وطننا أشد نصراء
الجملاء وجاهرتم مرارا عديدة بأعلى صوتكم انه لا يليق
ببريطانيا العظمى ان تحتل مصر الى أجل غير محدود فان هذا
يمس بشرفها أشد المساس

واننا سـجلنا كل تصريحاتكم وحفظنا مجاهراتكم . ولو
انكم لم تستطيعوا الوفاء بوعدكم عند ما كانت السلطة في
يدكم لاسباب نجهلها بالكلية فاننا لانزال نظن اعتقادكم الآن
كاعتقادكم في سالف الزمن أى انه ليس لمسئلة مصر الاحل
واحد وهو الجملاء

ولهذا رأيت من المفيد ان أرجو منكم في هذا الوقت الذى
اضطرت فيه أحوال المسئلة الشرقية ان تعرفونا عن حقيقة
احساسكم نحو حفظنا

فان كنتم لانزالون من نصراء الجملاء كما نظن ذلك
فمتى تظنون انه يمكن تحقق هذا الجملاء المنتظر من عهد بعيد؟
وفضلا عن ذلك فان تصريحنا منكم بشأن مسألة مصر

الى المنزل وبعد الاستراحة وفد عليه الكثيرون من الاصدقاء
وفى مقدمتهم أعضاء الحزب الوطنى الذين أظهروا له عظيم
ارتياحهم من جهاده الذى شرف كل مصرى وأملوا جميعاً
النجاة القريبة من هذا الاحتلال

* *

*

وكان المرحوم وهو فى باريس قد أرسل الى المستر غلادستون
كتاباً سياسياً بعد ان طالت الازمة الارمنية واشتد هياج
الشعب الانكليزى ضد الدولة العلية بتأثير أقوال المستر
غلادستون نفسه وهذا تعريبه :

مراسلتى السياسية

بين المترجم والمستر غلادستون

باريس فى ٢ يناير سنة ١٨٩٦

« أيها السيد المبجل

اسمحوا لاحد أبناء وادى النيل . لوطنى لأمنية له الا

بالجيش وتآلم القوم من أعمال أخي ونظرت في حظي الذي
حتم عليّ أن أسترد استقالتي التي كنت قد قدمتها اليّ
قومندان الاورطة وأنا بسواكن وقلت في نفسي لا بد من
الاستعفاء حالا. ولكنني أجلت الامر الى حين وصول المترجم
لاهتدي بهديه وأقتدي برأيه

وما جاء يوم الاثنين ١٣ يناير حتى سافرت الى الاسكندرية
لاستقباله فوصلت الباخرة في الساعة السادسة صباح اليوم
التالي وما وقع نظر كل منا على الآخر حتى التهبت نفسانا من
شدة الوجد وفرط السرور فتعانقنا وحيا كل منا أخاه
تحية اللقاء. وركبنا الى المحطة وقد وصلنا الى مصر قرب
الظهر. فكانت غاصة بالجماهير الذين جاؤوا ليحيوا خطيبهم
المنفوه ومحاميهم الباسل. فدهش رحمه الله من هذا الشعور
والتفت اليّ قائلا « ألم أقل لك ان الشعور الوطني كامن في
نفوس مواطنينا الاعزاء ويكفي لظهاره ان يقوم منا رجال
يجاهرون بالدفاع عن حقنا المسلوب» ؟؟
ثم سلم رحمه الله بيده على كل قادم للقاءه. وركبنا العربية

قد دهش كل الضباط العظام من انكايز ومصريين
عند ما علموا أنه أخوك فهل أنت الذي زودته بهذا
الا كاذب ??

سمعت هذا السؤال أيضا فاضفت الي الاستخفاف به
الاعراض عنه . ولم أجبه بكلمة بل تركته يمضي في حديثه
لأعرف النهاية فقال :

ان أخاك يسيء كثيرا الى مواطنيه بأعماله هذه وان
يبلغ من الاحتلال شيئا . بل ربما امتد اليك والى غيره الاذى
بسببه فقلت له :

اني لا أزال في الجيش ضابطا لاعلاقة لي بالسياسة
فأرجو منك أن تأذن لي بالانصراف لما جئت لاجله

وهنا تبسم ابتسامة ذات عدة معان . ثم سلم وسلمت
وانصرف كلانا وفي قلبه مضمض . هو يريد أن أصعق وأنا
أريد أن يطهر جو مصر من نفسه ليعود الى سابق نقائه
وصفائه !!

فكرت كثيرا بعد ان تركت مكسويل بك في مركزى

قال ربما عرفت « دعاية هذا السؤال » !! هل تعلم كم كان لتأثير أ كاذبيه السياسية في خطبته الباريسية على نفوسنا نحن قواد الجيش المصرى ??

فاجبته على هذا السؤال بابتسام يشعر بالاستخفاف . وهو فى اعتقادى احسن جواب على مثل ذلك السؤال ثم مضى فى حديثه فقال :

لوعرفت مقدار تأثير تلك الا كاذيب لعذرتنا . لانه ماجاء الى مصر كما تعرف ويعرف كل ضابط مصرى قائد عام اتصف بالشدة فى مواطن الشدة واللين فى مواطن اللين فى معاملة الضباط المصريين والمساواة بينهم وبين الضباط الانكليز مع استقامة الاحوال والمحافظة على الاموال : مثل قائدنا الحالى كتشنر باشا . فكيف يقول أخوك الذى لم يعرف من الدنيا غير الكلام المؤثر . ماقاله فى تلك الخطبة التى كلها أ كاذيب فى أ كاذيب عن نظارة الحربية ??

سمعت هذا السؤال ولم أتعب من القائه على . ثم أردت أن اجيبه بما يناسب المقام وفهم هو ذلك فقال :

الثالثة

١٨٩٦

وفد عليّ ذلك الكتاب الكريم ولله هو من وافد
ولله در مرسله من موفد . فأخذت أعد الايام يوما فيوما
وأحصى الساعات ساعة بعد ساعة واستبطيء الزمان . وكلما
فرت لحظة تنسمت أريجيه واستنشقت هواء الشمال الذي
يحمل ذلك النفس الطاهر

جاء أول شهر يناير سنة ١٨٩٦ وكنت قد قصدت
نظارة الحربية لاتناول مرتبي وهناك لقيت الميرالاي
مكسويل بك كاتم اسرار النظارة فبادلنا السلام ودار بيننا
هذا الحديث --

قال كم سن أخيك ؟

قلت واحد وعشرون عاما

ثم قلت ماداعية هذا السؤال ؟ ؟

لقرب قدوم أعز عزيز لدى واجبته في الحال بما أعلم عن
تأثير الخطبة التي ألقاها في باريس والتي نشر المؤيد تعريبها
الذي كان قد أرسله المرحوم إليه في نفس اليوم الذي بعث
إلي فيه بهذا الخطاب



سنة ١٨٩٥ خطابا قال فيه :

« سررت جدا من وجودك في مصر هذا الوجود
الذي سيكون أكبر مساعد لك على دراسة الحقوق والخلاص
مما أنت فيه لتكون الى جانبي نعمل قلبا وقالبا في خدمة وطننا
العزير فأحمد الله على ذلك

قد كان خطابي الاخير في باريس أكبر وقع في الدوائر
السياسية الاوروبية . ولا شك أنه سيؤثر في مصر تأثيرا
كبيرا سواء على الوطنيين أو على الاعداء الالقاء . وقد
تعرفت هنا بالكثيرين من كبار رجال الحكومة الفرنسية
الذين أوامل أن يؤدوا أكبر اخدم لمصر والمصريين

سأبرح بمشيئة الله تعالى باريس في يوم الجمعة ١٠ يناير
المقبل فأكون عندكم في يوم الاربعاء ١٥ منه وسأرسل اليك
تلغرافا عند مبارحتي مرسيليا لتتظرنى في الاسكندرية
« مصطفى كامل »

باريس في ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٥

وما قرأت هذا الخطاب حتى سررت سرورا كبيرا

وقد أخذت منذ ذلك الوقت أترقب كل ما ينشره المترجم دفاعا عن الوطن وإيقاظا لعاطفة الوطنية في الصدور . وكان أول ما قرأت له في ذلك الحين - أى بعد عودتي الى العاصمة - مقالة في (النوفيل ريفيو) وخطابه الى اللورد سالسبرى ثم خطبته في باريس تلك الخطبة التي كانت بمثابة شعلة من النار ألقاها في صدور صنائع الاحتلال عباد الدرهم والدينار الذين لفظتهم بلادهم فأصبحوا بلا وطن ..

ولما ظهرت الجرائد الاحتلالية في هذا المظهر وأضافت الى جرائمها القديمة جريمة جديدة أخذ المصريون يشعرون بمركزهم السياسى . وعلموا بل ونظروا الاحبولة التي ينصبها لهم الاحتلال تحت صوت أبواقه الذين لم ينجحوا في عملهم حتى مع بسطاء الناس بل باؤوا بالخذلان الميين . وقد أخذ المصريون النجباء يوالون قطع جرائد الاحتلال حتى بلغ بهم التحمس مبلغا عظيما فداسوها بأقدامهم ومثلوا بها أقبح تمثيل . وكذلك يجازى المعتدون

وقد استلمت من المترجم في يوم السبت ٢١ ديسمبر

فأذعنت لهذه المشيئة التي صادفت من نفسى هوى
مكينا وقدمت استقالتي منشرح الصدر قرير العين وكنت اذ
ذاك ملاحظ ضرب نار . ولكن رئيسى وهو قومندان
الاورطة التي كنت ملحقا بها ألقى علىّ في الرجاء ان أرجع
عن الاستقالة وأسترد طلي ففعلت

وما مضى شهر نوفمبر حتى كادت روجي تبلغ التراق
لشدة ما وقع على نفسى من الضغط ولما كان يتفنن فيه
البكباشى جديج من صنوف الاضطهاد الثقيل على النفس .
وأدت الحال الى مناقشة بينى وبينه في ميدان ضرب النار
واتهمنى بالاهمال ثم انتهى الامر باحالتى على الاستيداع .
فوصلت الى مصر يوم الخميس ٥ ديسمبر سنة ١٨٩٥ وأنا
فرح مستبشر وقد صحت عزيمتى على تقديم استقالتي بعد
عودة المرحوم لانى استأنفت دراسة الحقوق بالمدرسة
الفرنسية بالقاهرة

ولما وصلت الى مصر طيرت نبأ وصولى الى المترجم
فوردي علىّ منه الرد تلغرافيا بالارتياح والسرور

وقالت غازت دى بروسيا بعد ان نشرت الملخص
ماتعريبه :

« ان للحجر صوتا فى الماء وللطينة علامة فى الحائط
ولا بد ان يكون كذلك لكلمات مصطفى كامل تأثير على
السياسة الاوروبية بشأن المسئلة المصرية وان لم يكن له سوى
نشر الشعور الوطنى بين مواطنيه الذين يسميهم الانكليز
(أغناما) لكان من أعظم عطاء الرجال

وانا نقول لمصطفى كامل ان اليوم الذى فيه تنال بلاد
الفراعنة حريتها هو اليوم الذى يجب ان يوجد فيه الكثيرون
من أشباه مصطفى كامل . . . » اه

*
* *

علم القراء الكرام مما تقدم أنى كنت سألت المترجم
رأيه فى استقالتي من خدمة الجيش بعد ان لاقيت مالاقيت
من الاضطهاد عقب مجاهدته فى خدمة وطنه واذا عاين مقاصد
الاحتلال السيئة فى كل مكان فأجابنى باستحسان تلك النية
وأشار على بوجوب تقديم الاستقالة حالا

مكاتبتنا عنها (وذكرت المخلص) . . . ثم قالت :

« ان التحالف الثنائي يجد من التحالف الثلاثي اتحادا في
اجابة هذا النداء لانا نرى صحف هذه الممالك المتحالفة تعطف
على المصريين وتؤمن على كلماتهم وليس في العالم صحافة تنكر
على المصريين حقهم الا الصحافة الانكليزية (طبعا) ولكن
لماذا لا تعرض هذه المسئلة على بساط البحث ؟

ان الذى فى يده عرضها هو جلالة الساطان عبد الحميد
لانه صاحب السيادة والكلمة الشرعية على مصر ووجود
الانكليز فيها يهدد بلاد العرب والبحر الاحمر الذى هو معتبر
فى نظر جميع الدول كقناة عثمانية

ربما يكون لدى جلالته ما يمنع هذا الغرض ولكن
الدلائل كلها تثبت عكس ذلك اللهم الا المسائل التركية الداخلية
التي تعرقل كثيرا نجاح المسئلة المصرية

فليستمر المصريون فى الدفاع عن وطنهم وحريةهم
وايكونوا يدا واحدة فان الاستقلال رأس الحرية وهى أنفس
ما يكون . . . » اه

انه يوجد سياسى واحد فى العالم يرضى لدولته وأمته بهذه
الاهانة !!

وكذلك اذا كانت أوروبا تدعى الانسانية وتقوم وتتعهد
عند حدوث أى أمر بسيط فى تركيا يقع بين مسلم ومسيحى
فلماذاهى لم تطالب الحكومة الانكليزية بالجلاء ؟ أمن مصلحة
الدول ان تملك مفتاح الشرق للأسد البريطانى الموهوم ؟ أمن
مصلحة المانيا ان تحمل آذانا سليمة صماء فى أن واحد ؟ ان
المانيا على ما تعتقد اذا سكنت اليوم فهى لا تسكت غدا
والاعمال مرهونة لاوقاتها .. » اه

وقالت جريدة بطرسبورغ ما تعريبه :

« لاشك ان حركة الخواطر فى مصر بأزاء الاحتلال
أصبحت قوية التيار شديدة الحركة . وليس هناك برهان
أقوى على صدق هذه النظرية من قيام مصطفى كامل المصرى
فى عواصم أوروبا وعلى الاخص فى باريس - التى اتخذها الحزب
المصرى مركزاً لأعماله السياسية - بأعمال كبيرة صادقة . فقد
خطب أخيراً خطبة فى باريس هذا ملخص ما أرسله الينا

وقالت زيتنغ الالمانية مآعريبه :

« جاءنا من مراسلنا الخصوصى بياريس ماخص الخطاب الذى فاه به أمس مصحفى كامل المصرى بالقاعة الجغرافية بها وسمعه الكثيرون من كبار الكتاب فرنسيين وغيرهم وهامى خلاصته (ونشرت ماخص الخطاب) ثم قالت :

« وانه لايسعنا أمام هذه البراهين القوية والحجج الدامغة الا أن نصفق اعجاباً بمصرى يخطب بلغة أوروية فى عاصمة من أهم عواصم أوروبا ويسجر الحاضرين (وهم من كبار المدارك وأرباب الاقلام) بقوة تأثيره وحسن القائه ونهى المصريين خصوصاً بل والشرق عموماً بهذا المصرى العظيم الذى عمل فى بضعة أشهر ما لا يعمله غيره فى سنين فقد كرر الخطابة وأعد الاحاديث ونشر الرسائل وكتب المقالات وبالجملة فهو فى حركة ليل نهار كما يظهر من أعماله ..

وهل الانكليز الذين بيدم مقاليد الامور يرون بعد هذه التصريحات من الشرف ان لا يبروا بأقسامهم! انالانظن

الامة وآلام مواطنيه من الاحتلال الانكليزي بلغتنا التي
اتقنا اتقاننا لا يميزه عنا فيه الالهجته الشرقية

شرح مصطفى كامل هذه القضية بل العقدة الدولية شرحا
لا يحتاج بعده الى اسهاب وقد صنف له الحاضرون وهم من
قادة الرأي العام في فرنسا وبينهم مراسلو الصحف الاوروبية
وغيرها تصفيقا متواترا

وأملنا من الحكومة الانكليزية وصحافة التاميز ان
تعير كلمات الخطيب وشكوى المعريين حقها من الألتفات
وان تفي بوعودها فان أبيض صفحة للحكومات ان تكون
صادقة فيما تقول ولا ينكر احد او يتجاهل الوعود الصريحة
التي فاه بها سواس الانكليز عند احتلالهم مصر

كما ان أملنا عظيم في حكومة بلادنا ان تأخذ بناصر ابناء
وادي النيل لان طلبهم عادل . ولان مصالحنا في بلادهم
مقدمة على مصالح كل الدول لاهميتها سواء كانت مادية أو
أدبية الخ الخ اه

حدا محودا !

وان أوروبا كلها هي الحكم في مسئلتنا فلتنطق بحكمها
العالي . فهو لا يكون ضد صالحنا بل يكون المكافأة الحقيقية
على السكينة التي استعملها المصريون والصفات الجميلة التي
برهنوا دائما عليها وهي التسامح والصبر وحب الحرية « اه

*
* *

نشرت اغلب الجرائد الفرنسية نص هذه الخطبة
الكبيرة فاخذت جرائد العالم ماخصها وقد علقت عليها تعليقا
جميلا يشف عن تقديرها الخطيب حق قدره واحلال المصريين
عموما المكان اللائق بهم من التجارة والاعتبار
وقد قالت جريدة الفيغارو وهي من اكبر الجرائد
الفرنسية الخطيرة ما يأتي :

« ان الخطيب الذي سمعناه امس بالقاعة الجغرافية
الكبرى لم يكن اوروبيا بل هو مصرى صميم تعلم في فرنسا
ونال شهادة الحقوق من كلية طولوز
وقد وقف مصطفى كامل ساعة من الزمان يعرب عن آمال

أن تفترق الأمم في مسألة كهذه تهتم الإنسانية كلها . فليس فقط من واجبات فرنسا والروسيا أن تساعدنا على نيل حريتنا بل ذلك أيضا من واجبات ألمانيا والنمسا إذ أن كل دولة محبة للسلام يجب عليها أن تعمل لتخليصنا وان مصلحة أوروبا ومصلحة مصر ومصلحة القانون العام وكل المصالح تكون راضية مرضية يوم ترد بلادنا الى نفسها

وإذا كان فرنكلين في القرن الثامن عشر قد حرك الساكن من فرنسا واستمالها لامته بقوله لفولتير « انى أضع وطنى تحت حمايتك » فهلا يؤثر عليكم نفس هذا التأثير نداء مصر المظلومة المقهورة ؟ اننا نسأل المساعدة بدون تمييز فى الاحزاب من كل رجل ذى قلب وكل رجل ذى سريرة !

وان مصر تحت النير الانكليزى تشابه الام التى تسب وتشتم وتلوث كرامتها وأبناؤها ناظرون اليها بنظرات حزن وكآبة . فلثقتهم بالعدالة لا يعاقبون بأنفسهم المعتدين على أمهم . ولكن لتأت ساعة العدالة بسرعة لان للصبر أيضا

اليوم مصر وهي البلاد التي تمدنت من غير أن تمتلكها
دولة ما؟ لم لاتحررها أوروبا وتبرهن بذلك على انها تعمل
لخير أفراد البشر بلا استثناء وبخلو عن الغرض؟

وهل كانت صربيا وبلغاريا ورومانيا التي حررتها أوروبا
أكثر استحقاقاً للرعاية من مصر؟ وهل فيها طبقة متنورة
مصرية مثل الشبيبة المصرية؟ وهل يستحق الارمن الذين
تدخل أوروبا في تركيا لاجلهم مساعدة أكثر من
المصريين؟ ولم لا يكون تسامحنا وصبرنا مسببين لاسترداد
حريتنا؟ ان حوادث تركيا انقت أنظار المسلمين كافة الى
مصر وهم يتساءلون جميعا اذا كان في أوروبا تعصب ضد
الاسلام فبعضهم يحقته والبعض الآخر يكتفي بأن يشك في
الامر! فلتعجل أوروبا وتعرفهم بحقيقة احساساتها نحونا؟
هل هي مع انكترا ضد الاسلام أم هل هي معه؟ فان
كانت باقية على الحياد فلا تستطيع الا عدم الرضاء باستعباد
أمة كأمتنا. والا فهل ليس للانسان الذي أوجدته المصادفة
من افريقية نفس الحقوق التي لانسان أوروبا؟ انه لا يمكن

ينشر الانكايز هذه الاكذوبة في مصر فقط حيث لاتصدق
أقوالهم ولكنهم ينشرونها في الشرق كله !!
وتخشى انكلترا من الآن ان تحرير مصر يزيد من
تفوذكم واحترامكم في العالم الاسلامى بقدر ماينقص من
تفوذها واحترامها ولهذا تحاربكم بالا كاذيب

*
**

وفضلا عن ذلك فليست فرنسا وانكلترا هما الدولتان
الوحيدتان الواقفتان في مسألة مصر بل هناك عالمان احدهما امام
الآخر : العالم الاسلامي والعالم النصراني . فما مسألة مصر
الاستعباد
الاستعباد
هذه الدولة للاسلام كله . فمصر بموقعها الاستثنائي أصبحت
مركز العالم الاسلامى وملتقى المسلمين كافة وبتقدمها ومدنيتها
صارت مدرسة المحمديين . فالطلبة تفد عليها من الشرق كله .
وتحرير مصر يكون برهاناعلى سلامة نية أوروبا نحو المؤمنين
برهاناهم في حاجة اليه كما أنها في حاجة اليه . وفي الواقع
فان دول أوروبا امتلكت بلادالشرق بحجة تمدينها فلم لاتحرر

والتيمس التي هي أعدى الجرائد لنا أذرت في العام الماضي
بحدوث ثورة في الاسكندرية في شهر رمضان ولقد انقضى
شهر رمضان بأكله دون ان تحصل مشجرة واحدة. والآن
هاهي التيمس تكذب نفسها بنفسها اذ نشرت أخيرا (ولكن
لتثبت هذه المرة انفصال مصر عن تركيا انفصالا تاما)
« ان المصريين ليسوا متعصبين في الدين ! » وان الامثلة الدالة
على كرمنا وجودنا لاتعد . وجرائد الانكايز نفسها تعترف
بذلك عندما تريد اثبات قضاياها فهي تدعي ان الفلاح يجب
الاحتلال ويتمنى بقاءه !! فكيف يتفق ان الاهالي يكونون
أصدقاء وأعداء للاحتلال في آن واحد ??

ومع ذلك فالوشايات والسعايات هي سلاح معتاد
للسياسة الانكايزية يستعمله الانكايز حتى ضدكم . فهم
يمثلونكم لنا بمسيحيين متعصبين في الدين ويدعون انكم
لاتساعدوننا أبداً على استرجاع حريتنا بلا علة غير كوننا
مسلمين على حين انكم ساعدتم الامريكانيين واليونانيين
والطليانيين والبلجيكين الذين هم كلهم مسيحيون . ولا

*
* *

ولكن اذا كانت هناك اشاعة يجب القضاء عليها فهى
ولا شك اشاعة التمصب الموهوم الذى يزعمون وجوده بين
المصريين . فان الانكليز يريدون أن يمثلونا فى أوروبا أمة
متعصبة أى معادية للمدينة الغربية . الامر الذى يكذبه كل
تاريخنا . فان مبدأنا هو (احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا)
ولم نقابل الاجنبى الا بالاحترام والترحاب وكل الامم تتاجر
عندنا بكل راحة وسلام وكلهم مادحون خطتنا وكثير من
اليونانيين يسكنون القرى وتجارهم المسكرات والتساييف
بالارباح . تجارتان كالتاهما تمنعها الشريعة الاسلامية ومع ذلك
لم يلاقوا اعتراضا ولم يعتقد عليهم أحد ما . ولقد ترأس فى
العام الماضى نوبار باشا الذى هو أرمنى مسيحي أعظم حفلة
دينية لنا وهى حفلة الكسوة الشريفة والجموع ترمق الاحتفال
بعين البشر والاحترام . ونوبار باشا رجل قضى حياته بيننا ودرس
أخلاقنا وطباعنا فلو كان يعلم عنا اننا متعصبون ما كان قبل
أبدا مثل هذه المهمة

النيل نراها تملأ جو أوروبا بالسعايات والوشايات فينا فهي تدعي ان المصريين لا يقدرّون على حكم بلادهم بأنفسهم . تلك الدعوى التي يرفضها كل ذى ذوق سليم . وتنادى بأن الجلاء ينقص من قيمة القراطيس المصرية ويجعل مالية البلاد في فوضى . مع ان الناس كافة يعلمون ان المصريين هم أكثر الأمم احتراماً للأوروبيين وانهم ما تظاهروا مرة واحدة في حياتهم للتخلص من المراقبة المالية التي أسست في مصر لهذه الغاية بل هم يريدون ان يديروا شؤون ما ليتهم بعض هذه المراقبة . ولقد احترم نظام المراقبة كل المصريين من عهد تأسيسها حتى الرجال الذين ثاروا مع عرابي ضد أميرهم . فلقد كتب محمود باشا سامي الذي كان عضد عرابي ومساعده الاوّل في كتابه الوزاري الذي رفعه الي الجناب الخديوي في ٤ فيراير سنة ١٨٨٢ بمناسبة قانون التصفية والقوانين المالية ما معناه (ان هذه القوانين اكتسبت صفة معاهدات دولية وحكومة سموكم لم تغفل عن احترامها والوزارة تجتهد في مراعاتها المراعاة التامة الصادقة)

عسكريا ويتهم العربان بالعصيان ولكن في الوقت الذي كان يستعد فيه الانكليز لاجابة طلبه أرسل العربان الفطناء فريقا منهم يؤكده للحكومة خضوعهم ويطلب تغيير الحاكم . فاضطر الانكليز لتغيير هذا الشخص بالرغم عنهم

ومع ذلك فهل ثمة برهان يثبت لكم دسائس الانكليز اكبر من حالة تركيا الحالية ؟ أليست انكلترا هي التي جعلت أوروبا على وشك الوقوع في حرب عامة ؟ أليست هي المسببة لكل ذلك ذريعة لان تضع يدها نهائيا على مصر ؟ انها تؤمل بهذا التأثير الدموي الذي تؤثر به على جلالة السلطان ان تحمله على ترك وطننا . ويهدده رجال السياسة الانكليز بالاعزل اذا قاوم مؤملين ان يجدوا في خلفه ساطانا يدعن لانكلترا . ولذا فاننا نناشد أصدقاءنا في أوروبا ان يتنبهوا كثيرا لئلا يقعوا في أشراك تكون نتائج الوقوع فيها أشد خطرا من خطأ

عام ١٨٨٢

*
* *

وفضلا عن الاسباب التي تخلفها انكلترا للبقاء في وادي

وفي الواقع ان الانكليز أمهر أهل الارض في احداث
القتال ويكفي أن آتيكم بمثالين على ذلك . لما عاد الجناب
الخديوى من الاستانة عام ١٨٩٣ تظاهرت الامة بمظاهرات
سرور وارتياح فابي الانكليز الآن يكدروا الصفو ويغيروا
الاحوال فاحدثوا هيجاناً في واحة بريس بالقرب من أسيوط
والكى يجعلوا له أهمية أرسلوا بلوكاً من العساكر الى أسيوط
وأملأ في جعل الشرارة ناراً وحريراً أمرأوا حكمدار بوليس
أسيوط أن يأمر أهالى المدينة بتركها فلما لم يرض ذلك الموظف
الامين باجابة طلبهم منتظراً أوامر صريحة من ناظره
انكشف الستار عن الحقيقة وخاب الانكليز في مقصدهم .
ولتغيبهم من فشلهم اكتنفوا بأن يرفقوا في الحال حكمدار
البوليس . وفي الصيف الماضى حال وجود الخديو في الاستانة
اجتهدوا في احداث اضطرابات في واحات الوجه البحرى
وذلك ان حاكم الواحات الذى هو صنيعه لهم والذى أرسل
هناك لينفذ أغراضهم كدر خاطر العربان حتى أظهر هؤلاء
عدم امتنانهم منه فأرسل في الحال الى النظارة يطالب ممدداً

ولقد دافع عن الفلاح خير دفاع مجلس شورى القوانين
الذى هو هيئتنا النيابية فانه أوضح كل الاختلاسات والمصاريف
التي تصرف بلا فائدة وحيث رأى الاحتلال منشأ المصائب
كلها فلم يرض بالموافقة على مصاريف جيش الاحتلال
ووافق على ذلك باسم الحكومة رياض باشا لما كان رئيس
الوزارة

ولقد تعود الانكليز أن يخلقوا كل يوم أسبا با جديدة لا طالة
أمد احتلال ضار كاحتلالهم لبلادنا ففصلوا ذلك السودان عن
مصر مساعدين في هذا الامر بنوبار باشا عامل انكلترا
الحاذق . فتمت طلبت أوروبا الجلاء تقويم ولا محالة المشا كل
فيما وراء الحدود ويجد عندئذ الانكليز حجة « ان عليهم تأييد
أركان الامن » . وبما ان الامن مكدر صفوه دائما بوجودهم
ففيهم يجدون دائما هذه الحجة لا طالة اقامتهم . وأن السودان هو
أجل ذخيرة للسياسة الانكليزية . فاذا نجحت انكلترا في أن
تغش أوروبا ببعض اضطرابات وقلقل يسهل عليها احداثها
فاقول ان مصر يقضى عليها الى الابد

ولقد اضررت كثيرا بالفلاح زيادة المصروفات فاصبح لا يشتغل ولا يكد الا لدفع ما عليه . ونتيجة هذه الحال أن ديون الفلاح التي كانت في عام ١٨٨١ لا تزيد عن السبعة ملايين من الجنيهات زادت عام ١٨٩٤ عن ٢١ مليوناً ولا همّ للانكليز الا ان يملأوا جيوبهم من أموال الامة مهباً اضر ذلك بفوائد مصر . ولقد أكرهوا أخيراً سكان القاهرة والاسكندرية على دفع بدل الخدمة العسكرية خلافاً لما كان حاصلًا من قبل . ولا يعلم أحد فيم تستعمل كل المبالغ المتحصلة ! وحباً في سلب الاهالى اموالهم منع الانكليز زراعة الدخان في مصر وهو الامر الغريب الذي لا أشبهه لكم الا اذا فرضت أن الحكومة الفرنسية منعت زراعة العنب في فرنسا لتربح المبالغ التي يدفعها في الجمارك مرسلو العنب والنبيذ من البلاد الاجنبية . هذا ما أتاه الانكليز في مصر واليوم كل الناس مضطرب الي شراء الدخان من الخارج والحكومة تربح مبلغاً عظيماً على حين ان الفلاح يشن من حرمانه زراعة كانت خير زراعة تكسبه

من الجنيهات خلافا للمعاهدة لوندرد التي وضعت في عام ١٨٨٥
وحدده بمبلغ خمسة ملايين فقط . ولم تأت زيادة المليونين
هذه الا من رواتب الموظفين الانكليز والمصاريف التي
أنشأها لمصالحهم . فلقد كانت المصاريف في عام ١٨٨١ تبلغ
(٧٢١٦ ٢٨٨) جنيها بما فيها فوائد الديون والايادات
كانت تبلغ (٩٦٥٠٠٠٠) أما اليوم فالمصروفات صارت
(٩٦٠٠٠٠٠) جنيها والايادات (١٠٢٦٠ ٠٠٠) (وينتج
من هذه الارقام ان المصروفات العمومية زادت فوق المليونين
من الجنيهات والفضل في ذلك للانكليز !) . والايادات
زادت (١ ١٧٥ ٠٠٠) جنيها . مبلغاً نتج عن الضرائب الثقيلة
التي تثقل كاهل الفلاح المسكين . وان دراسة بسيطة للميزانية
ترشد الى وجود مبالغ مقررة لنظامات لم توجد ولن توجد
فترى مثلاً مبلغ (١٥٠ ٠٠٠) جنيهاً مخصصاً للخزانات التي
لا تنشأ (!) ومبلغ (٤٠ ٠٠٠) جنيهاً مخصصاً لمجاري العاصمة
التي لم يظهر لها الآن أثر في الوجود ! ففي أي شيء تستعمل
هذه المبالغ ؟

كلها يبد السردار الانكليزي ككتشر باشا الذي لا يؤدي
حسابا لاحد ما . وقد يقع غالبا نقص في عدد ضباط الجيش
فلم تر ابدا مرتباتهم موفرة وينقص غالبا عدد من المطايا حيث
لا يعلم بل يعلم جيدا أين تذهب الدراهم المخصصة لسرايتها
وأما عقد المقاولات في هذه النظارة وفي نظارة الاشغال فلا
أقدر على وصف دخائله لكم بل أراني في حاجة الى تخصيص
خطبة أخرى لكشف الغطاء عن مثل هذه الفضيحة

*
**

ولم يأت الانكليز في نظارة المالية بشيء جديد غير انهم
زادوا في المصاريف وأثقلوا الضرائب . وقد تقررت المسئلة
المالية في مصر بقانون التصفية في عام ١٨٨٠ وكان المؤسس
للمراقبة الشئانية . وكانت المالية من ذلك العهد سائرة على
مايرام باعتراف الانكليز أنفسهم كما يؤخذ ذلك من التقرير
الذي رفعه السير ادوار ماليت قنصل انكلترا الجنرال اذ ذاك
بتاريخ ٢ يونيو سنة ١٨٨٠ الى اللورد غرانفيل
ومبلغ المصاريف الادارية في مصر هو اليوم سبعة ملايين

اما الآن ففي الجيش خمس وسبعون ضابطا انكليزيا بيدهم
ادارته وهم الواقفون دون غيرهم على اسراره . فليس من
ضابط مصري يعلم لم هو في سواكن بدلا عن طوكر ولم
هو في وادي حلفا لافي القاهرة . ولا يوجد مصري واحد
في قلم المخبرات الذي لا تخفي علاقته مع السودان والدر او يش
وكم من أمور تجري هنالك وكم من تقارير يرفعها رؤساء
القبائل الى الحكومة ولا يعلمها الخديو نفسه ولا الوزراء
وان حظ البحرية لاسوأ من حظ الحربية . فلقد
كانت لنا قبل الاحتلال بواخر قوية قوة نسبية وكانت توجد
مدرسة بحرية اما اليوم فلا بواخر ولا مدرسة قضت عليهما
يد الاحتلال كما قضت على السفن التجارية التي كانت تسير
في البحر الاحمر خدمة للشركات الانكليزية
اما الاختلاسات في تفقات نظارة الحربية فدونها
الالتفاظ والعبارات ! يقبض سنويا الخمسة وسبعون ضابطا
انكليزيا فوق المليون من الفرنكان مقدار ما يقبضه الخمسة
ضابط مصري الذين في الجيش كله . وميزانية نظارة الحربية

عليها الانكليز قبل غيرها ولذا أضر بها كثيرا تداخلهم في شؤونها. فليس الجيش المصرى الآن الا آلة في أيديهم وتعليم الضباط أصبح تعاميا بسيطا والمدرسة الحربية التي كانت تعد في السابق من المدارس العالية وكان اكثر طلابها يتخرجون من مدرسة المهندسخانة أمست اليوم في عداد المدارس الابتدائية بل وأقل فلقد خاب من زمن قريب اكثر تلامذتها في امتحان الشهادة الابتدائية. ثم ان الروح التي تدب في جيوش العالم وهى روح محبة الوطن غير موجودة في جيشنا فانه اذا تظاهر ضابط من الضباط بالوطنية كوفىء بالرفق. والعساكر الذين لم يتعلموا في الجيش ولا خارجه لا يعتبرون الخدمة العسكرية الا سخرة جبريه وان وجود الضباط الانكليز وحده على رأس الجيش كاف لقتل كل عاطفة وطنية فيه

ولقد غير دينه وتجنس بالجنسية المصرية الفرنساوى الكولونل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) الذى نظم الجيش المصرى تحت حكم محمد على وذلك كيلا يجرح احساسات العساكر الوطنية

باجراء التحقيقات الجنائية فليست للنيابة الآن اختصاصاتها
القانونية والقضاة القابلون للعزل تراقبهم لجنة مراقبة تسلب
منهم كل حرية واستقلال وقضاة الاستئناف هم وحدهم غير
القابلين للعزل ولكنهم مهددون دائماً بسلب هذا الامتياز
منهم ولا يحترم الانكليز في مصر اى شكل من أشكال العدالة
فترام يهددوننا في كل لحظة باشاء محاكم مخصوصة لتفصل
في بعض القضايا التي تهتمهم كثيرا او قليلا . ولقد أنشؤا في
الشتاء الماضي محكمة وظيفتها محاكمة الاهلين الذين يتشاجرون
مع عساكر من الانكليز . هذه المحكمة التي هي بغير مبالغة
فريدة في التاريخ . محكمة من حقوقها ان تحكم علينا بالاعدام
بلامرعاة نصوص القانون وبغير تحقيق . وان تأسيس هذه
المحكمة لاعظم انتهاك علني للحق وجناية فظيعة على المدينة .
ولا بد ان تستولى كآبة عظمى على الانسان عند ما يعلم ان
هذه المحكمة أسسها قوم يعرفون الحق العام ويعيشون في
القرن التاسع عشر !

أما نظارة الحربية والبحرية فهي النظارة التي استولى

وبما ان هؤلاء هم المكلفون بانتخاب أعضاء مجلس شورى
القوانين والجمعية العمومية فيسير على الانكليز ان يسقطوا
من أعضائهما من يريدون . ومما ذكرت ترون ان الادارة
الداخلية صارت بيد الانكليز وأصبح من السهل عليهم ان
يحدثوا التلاقل في البلاد حسب ما تقتضيه أهواؤهم ويضطهدوا
الوطنيين كل اضطهاد ممكن ولا شك ان الحالة تصير أشد
حرجا اذا عين مستشار انكليزي في كل مديرية كما أشاعوا
ذلك أخيرا

*
* *

وليس سوء الحال في نظارة الحقانية بأقل منه في نظارة
الداخلية . فقد كانت المحاكم الاهلية قبل تداخل الانكليز في
شؤونها تجارى المحاكم المختلطة وتعادل محاكم أوروبا . ولكن
من عام ١٨٩١ أعني من يوم تعيين السير جون سكوت مستشاراً
لنظارة الحقانية نقضت حتى المبادئ الاولية للحق والعدالة . فلا
تمييز بين القوى التشريعية والتنفيذية والقانونية ولا توزيع في
الاختصاصات ولا ضمانه للمتحاكمين . والبوليس أصبح مكانها

كانت نظرة زاهرة في الازمنة الماضية ليس فيها اليوم الا
عشرة طلاب نصفهم من الارمن ونظارة المعارف تمنع الطلبة
من الحضور الى فرنسا وتجبرهم على الذهاب الى لندره وان
كانوا يعترفون بأنهم لا يتعلمون فيها تعليماً حسناً

*
* *

ولقد استولى الانكليز كذلك على نظارة الداخلية
بانشاء وظيفة مستشار انكليزي بها . وان تعيين هذا المستشار
يعد أقسى ضربة على استقلالنا الادارى . ولم يظهر هذا
المستشار قط بصفة مستشار بل على أثر تعيينه صار الأمر
الناهي في النظارة وما الناظر معه الآن الا شبحاً . وقد دعت
هذه الحالة نوبار باشا الرجل العظيم الاخلاص لانكلترا
والمنشئ لوظيفة المستشار هذه ان يقدم استعفاءه بحجة
ضعفه . ومن يوم دخول المستر غورست في نظارة الداخلية
صار البوليس والمديرون والمأمورون والعمد وبالجملة كل
الموظفين تحت ادارته فهو الذى يعين العمال كباراً كانوا أو
صغاراً وبشارته وحسب غرضه سيعين اغضاء مجالس المديريات

شأنه سعادة بلادنا أو مجدها . وان اتحاد مصالحنا واتفاقها
الاتفاق التام يظهر ان في هذه النظارة ظهوراً تاماً فلقد أنشأ
الانكليز في كل مدرسة قسماً انكليزياً فأصبحت كل مدرسة
قسمين قسماً انكليزياً تنظر عليه اخيرات والاتفاتات وقسماً
فرنسياً وياعتبرونه القسم الاسفل ويعادونه أشد عداوة . وأسوأ
من ذلك ان الانكليز ملؤا قلوب التلامذة بغضاً وعداوة
بعضهم لبعض فلقد لقنوا تلامذة القسم الانكليزي أن تلامذة
القسم الفرنسي هم العدو لهم . وبذلك صارت العلائق بين
الفرنساويين والانكليز أحسن بكثير من علائق هؤلاء
التلامذة فيما بين بعضهم . ولا أراني في حاجة لان أقول
لكم ان المحتلين يطعنون دواما على تركيا وفرنسا امام التلامذة
ويعلمونهم أن لادولة قوية في العالم غير انكلترا . ولقد بلغ
عداؤهم للنفوذ الفرنسي انهم سعوا لهدم أركان إحدى
النظامات النافعة لمصر المرتبطة بكم وهي الارسالية المصرية
في فرنسا . هذه الارسالية التي من وظيفتها تتميم تربية شباننا
النجباء والتي وهبت مصر رجالها العظماء وبنيتها الفضلاء والتي

واحدة أمر تربية التلامذة على الاخاء وحب الوطن . وما
وضع الانكليز أيديهم على هذه النظارة حتى زادت المصاريف
زيادة ثقيلة ونقص عدد التلامذة الذين يتعلمون مجاناً نقصاً
عظيماً فلقد كان عددهم في عام ١٨٨٠ ألفي طالب وأصبح اليوم
(٤٥٠) على ان ميزانية نظارة المعارف التي كانت في عام ١٨٨٠
(٥٥٠٠٠) جنيه صارت اليوم (١٠٥٠٠٠) جنيه تماماً وأكثر
هذه الميزانية يصرف في مرتبات الموظفين الانكليز الذين
يعيشون عيشة الملوك ولا عمل لهم

وما دخل الانكليز مدرسة الا ودخلها السقوط
والاختلال فلقد كان عدد الطلبة في مدرسة الطب - هذه
المدرسة التي أسست في حكم (محمد علي) على يد الفرنسيين
الشهير كلوت بك - يبلغ مائتي طالب حيث لم يكن فيها
أحد من الانكليز . وهم لا يتجاوزون اليوم عشرة طلاب
والفضل في ذلك لو كيلها الانجليزى !

وان نظارة المعارف هي الميدان الذي يرى فيه الانسان
أكثر مما يرى في غيره جهاد الانجليز ضد كل ما كان من

آمنة بالنسبة للوطني فان كان صاحب جريدة اهتموه بالتعصب
ونصبوا له دائما وأبدا الشرك . وان كان محاميا وجد امامه
قضاة من الانكليز وغير الانكليز معادين له ومستعدين
للحكم عليه هو نفسه . وان كان من ذوى الاملاك والاراضى
منعوا النيل عن رى أرضه ! وبالجملة خياة المصرى اليوم
عذاب مستمر



وإذا كان من التقاليد الانكليزية عندنا ادخال السياسة
فى كل أمر فقد أدخلوها فى الفرع الذى كان يجب أن تنأى
عنه بعيدا ألا وهو نظارة المعارف العمومية . ولذا كان حالها
اليوم يرتى له فقد كانت هذه النظارة زاهرة أيام كانت ادارتها
بيد المصريين والفرنساويين . كانت المدارس عديدة وأغلب
التلامذة يتعلم مجانا وكانت تلقى الدروس باللغة العربية التى هى
لغة البلاد وكانت تعلم الفضيحة والآداب تعليما تاما . أما اليوم
فالمدارس تقفل أبوابها والمجانبة صارت الاستثناء وعدة
القاعدة وأصبحت الدروس تدرس بغير لغة البلاد وأهمل مرة

فرنسا أن ندير أمورنا وننظم بلادنا على نمط البلاد الأوروبية
وليس الغرض من القول بعدم كفاءتنا الا تبرير تداخل
الانكليز في أمورنا واستيلاءهم على بلادنا

وكل مرامي السياسة الانكليزية بيننا موجهة الى قتل
كل عاطفة وطنية فينا ويمكننا أن نلخص هذه السياسة كلها
في المادة الآتية

« ان الحكومة الانكليزية لا تسمح بأن يوجد على أرض

مصر وطني مصري »

نعم أيها السادة لسنا في مصر ذلك البلد الذي كانت تحترم
فيه سابقا حقوق الانسان . لسنا على تلك الارض التي أرشدنا
فيها التعليم الفرنسي الى أن لكل أمة حقا في الحرية
والاستقلال وهدتنا صراحة الضمير الفرنسي الى حب
الوطنيين واحترامهم وتشريفهم وبعض الخائنين واحتقارهم
نحن صرنا في الهند أو في بلد أسوأ حالا من الهند نحن في
بلد تساء معاملة الوطنيين فيه ويسبون ويضيق عليهم ويشجع
فيها الخائثون ويكافؤون . حتى الحياة الخصوصية أصبحت غير

مايراد ان ينزع من يد حفيد محمد علي وليست المسئلة تتعلق
بضياع الشام من مصر بل بضياع مصر نفسها ؟

* *

ولقد تم استيلاء الانكليز على الادارات المصرية
وملأوها بالموظفين الانكليز الذين يقبضون المرتبات العالية
وسلم أغلب الوظائف الباقية الى أناس لا آراء لهم أو رجال
لا يعرفون لهم أوطاناً ورفقت ويرفت علي اندوام بلا اشفاق
كل كاره للاحتلال . وان تعيين الموظفين الانكليز في
الوزارات المختلفة جعل أمور الحكومة بين أيديهم ولكي
يعلموا ضرورة وجود أولئك الموظفين يعينون في الوظائف
الاخرى جهلاء ليبرهنوا لاوروبا على ان المصريين غير
اكفاء لان يحكموا أنفسهم بأنفسهم ومع ذلك فالوطنيون
الذين يبعدونهم عن الوظائف هم في الغالب المتعلمون والاكثر
كفاءة لادارة بلادهم . وان القول بعدم كفاءة المصريين هو
في الحقيقة سبة لفرنسا وللإسائذة الفرنسية الذين أعطونا
من نحو قرن الشهادات الناطقة بكفاءتنا . نعم منذ قرن تعلمنا

على قبول الوزراء الذين تشير بهم انكلترا . ويفقه العالم أجمع
مقدار الألم الذي يشعر به حفيد « محمد علي » العظيم النفس
الشريف اذ يرى نفسه مضطرا لان يحكم بلاده مع وزراء هم
آلات لانكلترا

وفي الوقت الذي كان الانكليز يعملون فيه ضد سلطة
العزیز أخذوا يجهدون في تقليل احترامه . فمن عام ١٨٩٣ أخذ
اللورد كرومر يوحى الى الجرائد الانكليزية أن تطعن على
شخص أمير مصر بادنى المطاعن وتهدهد أقباح تهديد . وهكذا
يعامل أمير شريف يستحق أن يعجب به أعداؤه أنفسهم من
كتاب أمة معجبة بحريتها ومدنيتها

واستلنتم أيها السادة لان تنذكروا السخط والحق
الذين تظاهرت بهما فرنسا في عام ١٨٤٠ عند ما اتحدت الدول
على سلب الشام من يد (محمد علي) حتى اضطر (لويس فيليب)
ان يحضر الى فرنسا جثة نابليون ليغير حركة الرأي العام
على ان ودكم لمصر وأميرها لم ينقص عما كان عليه في
ذلك الحين . فماذا ياترى يكون مقدار تعيظكم اليوم على

٩ فبراير سنة ١٨٩٢ عن سلطة الجناب الخديوى الذى كان
جلس قبل ذلك بأيام قلائل على الأريكة الخديوية ما نصه
« واننا نعتبر تنوية هذه السلطة وتأيد هذه السطوة
من واجباتنا المفروضة المقبولة » . ولكن لم يمض
على هذا القول عام واحد حتى عمل الإنكليز ضد وعدم هذا
كما هي عادتهم

وذلك ان الجناب الخديوى غير وزارته بغير استشارة
اللورد كرومر كما هو حقه المطلق فتجاسر معتمد الملكة على
ان يعارض رغبة الأمير . وفوق ذلك أمر جميع الإنكليز
الموظفين فى الحكومة المصرية أن يمتنعوا عن الذهاب الى
ادارتهم وان يعتصبوا أمام الوزارة الجديدة فأسس بذلك
« اعتصاب الموظفين »

ولقد استفادت وزارة لندرة من صمم وصمت أوروبا
فقرضت على خديوى مصر أن يطلب رأى اللورد كرومر فى
أمر انتخاب الوزراء . ويعلم الناس كافة بماذا تفسر خشونة
اللورد كرومر فى اعطائه الآراء . فالخديو اذن مكره اليوم

التام لوادى النيل . فيطلبون مثلاً توحيد القضاء ولكن ليس ذلك منهم رغبة فى توحيد القانون بل ليصلوا الى الغاء المحاكم المختلطة وهى الهيئة الدولية التى يعتبرونها جزءاً حصيناً يمنعهم من تحقيق أهوائهم الصادرة عن حب العسف والسيطرة نعم ان المصريين يكونون سعداء عند ما تثق أوروبا بكفاءة قضاتهم وترضى بأن ينصب للجميع قاض مشترك ولكن مادام الانكليز محتلين مصر فالمصريون يدركون ان من فائدتهم تأييد المحاكم المختلطة



ولم تقصر انكرا على محاربة النفوذ الاوروبى والفرنساوى بل صارت تعتدى يومياً على السلطة الشرعية التى للمجناب الخديوى واعتداؤها الذى استمر خفياً زمناً طويلاً لا ظهر للعالمين عند ما استلم زمام الاحكام خديونا الخالى عباس حلمى باشا فى اول حكمه اعلان الانكليز كما كانوا أعلنوا من قبل أنهم يعززون سلطة الامير اذ قال اللورد كرومر « وكان يومئذ السير بارنج » فى تقريره عن عام ١٨٩١ المكتوب فى

مصالحتنا هو في الحقيقة ضد مصلحة فرنسا لانها هي الدولة التي اشتغلت أكثر من غيرها في صالح مصر منذ عهد (محمد علي) الى حوادث سنة ١٨٨٢ المشؤمة . وهي الدولة التي منحت مصر ادارة منظمة وعلمت أبناءها . وهي التي رقت الامة المصرية وسارت بها في طريق التقدم والمدنية

وان المقارنة بين الماضي والحاضر تنتج لنا نتيجة خطيرة وهي أن فرنسا ساعدت قبل سنة ١٨٨٢ على ارتقاء مصر وأدخلت فيها كل مبتدع جديد من ضروب الحضارة من غير ان تعتدى على استقلالها المحدود وبدون أن تبحث عن سلطة فعلية فيها . أما انكلترا فقد استولت من ذلك العام على كل سلطة ولم تستعملها الا لتدمير نظمات المدينة في القطر . وولقاء هذه النتيجة الخطيرة أقدم ثانية عبارات الشكر عن أمة صديقة شكورة يزداد تعلقها بكم من يوم الى آخر

وحيث كان الانكليز مصممين حقيقة على الاستيلاء على بلادنا تراه يتظاهرون كثيراً ضد الضمانات التي لاوروبا في مصر اذ هم يشعرون بان هذه الضمانات عقبة في سبيل امتلاكهم

وحده لا يستطيع تكوينها

ولقد جرت على هذا المنهج كل أعمال الانكليز في مصر
وكل فعل من أفعالهم دليل جديد على الحرب الدائمة التي
يقيمونها في وجه النفوذ الفرنسي . فسواء في الحياة العمومية
أو الخصوصية وسواء في الادارات أو في التجارة كل ما يأتي
من فرنسا أو يمس بفرنسا يعتبره الانكليز العدو الذي كل
شيء ضده مقبول

ويكفيني أن أقول لكم ان الانكليز يسمون الوطنيين
الحقيقيين في مصر العاملين لتحرير بلادهم « بالحزب
الفرنساوي » كما يطلقون على الجرائد الوطنية « الجرائد
المتفرنسة » . واسمحوا لي أن أقول لكم ان هذه الاسماء
والالقباب عزيزة علينا وان تكن تأتينا من أعدائنا
فانها تظهر لنا هذه الحقيقة المسلية لنا وهي « ان الانكليز
أنفسهم يعترفون بان مسئلتنا ومسئلة فرنسا في مصر ليست الا
مسئلة واحدة » . ولذا فاني لا آتيكم اليوم بتفصيلات خاصة
على أعمال الانكليز ضد نفوذكم . اذ كل ما عمله انكلترا ضد

غفلتنا ووقفنا على الغاية الحقيقية للمحتلين

*
* *

وان أول عمل أتمه انكلترا على شواطئ نهر النيل
كان الاجتهاد في استعاضة النفوذ الاوروبي وخصوصاً النفوذ
الفرنسي بنفوذها ومبدأ أعمالها المتواليّة ضد فرنسا كان
الغاء المراقبة الشائئة فتعيين مستشار انكليزي في نظارة
المالية وضع المحتلون يدهم على الخزينة المصرية . اذ هذا المستشار
أخذ يعمل كل شيء وهو الآن فيها كل شيء . وان الصيغة
التي ألغيت بها المراقبة الشائئة ثبت وحدها أن الغرض
الاساسي من سياسة الانكليز في مصر هو القضاء على النفوذ
الفرنسي

ففي يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٨٢م أي بعد احتلال القاهرة
ببضعة اسابيع أعلن السير كوثفين المراقب الانكليزي « انه
بناء على أمر وارد من حكومته لا يحضر من وقتئذ فصاعد
جلسات مجلس النظار » فكان في الحقيقة ذلك الاعلان الغاء
للمراقبة الشائئة . لانها كانت زوجية والمراقب الفرنسي

تكرر ذلك كلما رأيت حاجة للتكرار . وقد أرادت بذلك أن تسكن على الاخص خواطر الدولتين العثمانية والفرنسية اللتين يههما أمر مصر أكثر من غيرها واللتين لتعودها على احترام وعودهما حسبنا أنه يجدر بهما أن تثقا بكلام الوزراء الانكليز

واقدم كانت انكليترا تعلم أن وعودها وعهودها تؤثر في مصر أحسن تأثير « كما وقع بالفعل » لأنه لم يكن يوجد اذ ذاك مصري واحد يظن ان دولة كبيرة حرة ومتمدنة تستطيع أن تنكث في وعودها العلنية وتسخر الي هذا الحد بكلمة الشرف التي نطقت بها

أما الآن فقد زالت هذه الاوهام . فلما رأينا انكليترا تقضى على مصالح أوروبا التي ادعت احتلال مصر لصيانتها . ولما رأيناها عاملة ومجدة في سلب سلطة الجناب الخديوي منه وهي السلطة التي ادعت أنها تقويها وتعززها . ولما رأيناها أخيرا استولت على كل الادوات ومملاتها بالموظفين الانكليز وشاربت فيها كل الوطنيين المصريين تنهبنا اذ ذلك من

بفخار فرنسا والفرنسيين

فهل ينال الوطنيون المصريون هذه السعادة يوماً ما؟
انى أومل ذلك بل وأراني على ثقة من بلوغ هذا الأمل.
وانى بذلك الأمل وبهذه الثقة جئت اليوم أدافع امامكم
عن مسألة مصر المظلومة

*
**

لقد اتبع الانكليز من يوم دخولهم مصر سياسة واحدة
يمكن تلخيصها كلها في هذه النقطة الرابع :
أولاً . استغلال أوروبا بوعود الجلاء المكررة من حين
الى آخر !

ثانياً . الاستيلاء على كل سلطة وتفوذ في البلاد !
ثالثاً . خلق الاسباب الموجبة لاستمرار الاحتلال !
رابعاً . نشر النائم في أوروبا على المصريين واشاعة
الاخبار الكاذبة عن أحوال مصر !
فلقد سكنت انكلترا حالة القلق الذي وجدته في أفكار
رجال السياسة الأوروبية بوعدها بالجلاء عن مصر وكانت

صوتى بان الامة المصرية هي أحق أمة بهذه العناية اذ لأمة
في الوجود رأيت مارأته من انتهاك حقوقها المقدسة

فلقد كانت هذه الامة قبل عام ١٨٨٢ من أمم القرن
التاسع عشر فصارت اليوم على يد انكلترا المتمدنة في حالة
لا تزيد عن أحوال أمم القرون الوسطى !

وعلى ذلك فهل لمصر الحق في أن تحول بنظرها الى
أوروبا الحرة مستنجدة وفي انتخابكم مدافعين عن حريتها !
وهل لاحد من أبنائها مهما كان متواضعا أن يتطلع اليوم وهو
يخاطب نخبة الامة الفرنسية الى تحرير بلاده وهو التحرير
الذى طالما وعدنا به والذي تنتظره بشغف من زمان مديد
خصوصا وانه لم يضع قط هباء منشورا الدفاع عن المسائل
الشريفة في باريس عاصمة الانوار والمشرق الابدى لشمس
كل حرية والمهد الدائم لكل استقلال

فكم من أناس يحبون بلادهم أتوا باريس من أقطار
شاسعة ودافعوا عن حرية أوطانهم في هذه العاصمة الكريمة
ثم عادوا الى ديارهم أحرارا مستقلين ينادون في كل مكان

ولقد كان يحلولى أن أقوم بواجب الاعتراف بالجميل
الذى تفرضه على هذه المظاهرة المؤثرة التى تظاهرتم بهالو
كان فى الاستطاعة الاتيان بكلام يعرب عن احساساتى . ولو
استطعت مع ذلك أن أعرض عليكم آلام المصريين وآمالهم فانى
أخشى أن لا أكون المترجم القادر فى الاعراب عن تعلقهم
الشديد بروابط الوداد التى تربط وطنينا . وان ما نلاقه من
علامات البشر وما يلقىه علينا من التشجييعات أخص الوطنيين
الفرنسيين لانستغربه منكم . لاننا نعلم أنكم الامة الشجاعة
التى تاريخها عبارة عن تحرير كل المظلومين . ولهذا جئنا
ندافع بينكم عن مسئلتنا واثمين باننا نجد قلوبا عالية كريمة
مستعدة دائما لقبول المطالب العادلة

وبديهى ان مسألة مصر جديدة بمثل هذه العناية
والرعاية لا لأن وجود الانكاز على شاطئ نهر النيل أضر
كثيرا بمصالح خطيرة فقط بل على الخصوص لما تدعو اليه
كل أمة راغبة بشغف زائد فى استرداد حريتها واستقلالها من
العناية بامرها كما تستحق . واننى أتجاسر على المجاهرة رافعا

خطبة باريس

(٢)

التي رحمه الله الخطبة الثانية من خطاباته السياسية الكبرى في مدينة باريس مدينة النور والعرفان بل مدينة المدائن . ألقاها بالفرنسية في القاعة الجغرافية الكبرى في يوم الأربعاء ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٥ على جمهور كبير من كبار الفرنسيين وغيرهم من مكاتب الصحف الأجنبية وفي مقدمتهم مكاتب الجرائد الانكليزية ليسمعوا بأذانيهم الآم المصريين من أعمال الاحتلال التي تخالف الشرف بما أتاه ساسة الانكليز من الخنث في الايمان والاخلاق بالعهود . اما الخطبة فها هو تعريبها !

« ايها السيدات . ايها السادة

أحاول الكلام في موضوع ما أنا بصدده ولكن فؤادي يشعر بالحاجة الى شكركم على اهتمامكم العظيم بمسئلة مصر . هذا الاهتمام الذي أردتم اظهاره بوجودكم هنا اليوم

جنديا في ساحة القتال . والجندى الباسل لا ترعزعه نيران
البنادق ولا سفار السيوف فكيف يتأثر بصياح خائن لا سلاح
بيديه الا الكذب ولا هم له الا الافتراء على العالمين ؟؟

لقد كان شعاره في العمل الاخلاص والثبات وهمه أن
يؤدي الواجب بشرف وشهامة ونزاهة واقدام فلا التهديدات
تقفه في طريقه ولا الشتائم تقل من عزيمته ولا التهم تثني
عنانها عن الجهاد . بل كان كلما زاده شرار الدخلاء سببا وقولا
ازداد نشاطاً وعملاً . لأن أهمل الباطل لا يرمون خدام
الحقيقة الا بما تحمله أفواه السوقة والانذال

فعلى العامل الخالص أن يعرض عن هؤلاء السبائين بغير
سبب الطعنين على غير موجب التهم الا قضاء أغراض الطامع
المغتصب من ترويج مصلحته وتحسين سياسته . وهؤلاء
جديرون بأن يفض عنهم النظر ويسد دونهم السمع ويلقى
بوريقاتهم تحت الاقدام فذلك خير ما يعامل به الضالون المضلون

الجزائر البريطانية المستعمرين يضربون على النعمة القديمة
وعجيب من هؤلاء الافاكين الضالين هنا وهناك أنهم
لا يحسنون التفنن في الكذب كما هو المنتظر من فلسفتهم
وسفسطتهم !! وانه من العار عليهم لو كانوا يعقلون أن يظهروا
في مظهر القصور عن ابتكار نعمات جديدة ..

قلنا أن هؤلاء المأجورين في القاهرة ولندن قاموا
يموهون ويضللون وهذه ولاخر وظيفتهم التي ينقدون عليها
الاصغر الرنان ويلاقون فيها بالزاني والاحسان . قاموا ينسبون
المقالة المذكورة الى غيره . فلنفرض المستحيل ونسلم لهم بأنها
لم تكن له فهل بذلك يرد على القول وهل كان ديدنهم النظر
الى القول من حيث هو مخفيء أو مصيب أم النظر الى القائل??
اللهم لا اعتراض على حكمك فبضدها تتميز الاشياء
ولولا الكذب ما كان للصدق قيمة ولولا الظلام لماعرف
فضل النور ..

ولكن هل تأثر المترجم بذلك الافتراء ؟

كلا - فانه كان يعتبر نفسه في هذا الجهاد الشريف

من انكلترا خصيتهم المشتركة فان من صاحبها أن تراهما في شقاق ولفائدتها في الهند وفي آسيا الصغرى دفعتهما دائماً ضد بعضها . واذا أدركوا اليوم أعمالها المضرّة المحزنة فليتحذروا ضدها

فلنكن اذا ذوى صراحة في النمائز ولنجب صوت السرائر ولنبدل كل قوانا في تحقيق التحالف مع الدولتين الحييتين فان تحالفا كهذا يكون أقوى التحالفات وينتج عنه تحرير مصر ونهضة تركيا وأخيرا الاتفاق الابدى بين المسلمين والمسيحيين

فليمد جلالة السلطان يده الى فرنسا والروسيا وليتحقق هذا التحالف ! فانه اذا تحقق كان ضمانة عظمى للسلام العام . ويرضى به ولا شك تمام الرضى مسلمو الارض الذين قلبت انكلترا أحوالهم وأصبحوا في أشد الحاجة للطمانينة والسلام»
تناقلت الجرائد الارووية كما طير البرق ملخص هذه المقالة وما نشرت نبأها شركة هافاس حتى قام المأجورون للضلال في مصر تبعاً لقيام ساداتهم وقادتهم من صحافيين

أما فرنسا والروسيا فصوالحهما في كل مكان قاضية
بالمحافظة على حقوق جلالة السلطان وليس لهما صالح مناقض
لصالح تركيا ولهما مع القسم الاعظم من المسلمين علائق دائمية
ومحتاجتان الي البقاء الى الابد في سلام مع العالم الاسلامي
ولا يوجد على الارض مسلم واحد يستطيع انكار هذه
الحقائق . ولكن ربما اعترض بعض الناس بنية سليمة على
اتحاد تركيا مع فرنسا والروسيا بأن هذه الدولة الاخيرة كانت
في أزمنة كثيرة عدوة للدولة العثمانية . فأجيب على هذا
الاعتراض : نعم حاربت الروسياتر كيا وكانت عدوة لها ولكنها
كانت عدوة صريحة ظاهرة معلنة عداها وانتهت عداوتها
بالامضاء على المعاهدة المقررة انتهاء الحرب . ولكن انكثرت
التي يجب ان يتألف التحالف ضدها كانت دائماً عدوة في
زى صديقة فكانت أدنى اعداء الدولة وأشددم خطراً
عليها . ومن غير ان تقيم سلاحاً في وجهنا قهرتنا كثيراً بالمكر
والدسائس . أما الروس فلم يجرحونا الا في براز
وفضلاً عن ذلك فان الروس والترك لهم أن يشتكوا

يكبرونها بمهارة خاصة بهم فلا يغفلون آونة عن التهم على
الدولة العلية وسبها بمناسبة هذه المسئلة ولا يقصرون لحظة
في أن يظهروا لدولتنا عداؤهم لها

*
**

يظهر اذن جليا ان كل حوادث هذه الثمانية عشر عاما
من تاريخ تركيا لا تؤيد سياسة العزلة وبعبارة أصح
سياسة الازعان لانكترا وانها الى الابد ممقوتة هذه السياسة
الضارة

وان احوالة الحالية للدولة العلية تدعو جلالة السلطان
الى الدخول في اتحاد يكون له منه قوة وفائدة . فلكي ينجو
من تقسيم ملكه الساعية اليه انكترا يجب ان يدخل في
الاتحاد الثلاثي او الاتحاد الفرنسي الروسي . ولا يوجد
شك في أمر الاختيار !

وليس هناك لالمانيا والنمسا مصالح متحدة مع مصالح
تركيا وايطاليا تهدي هدى انكترا وتهدد دائما أبدا الباب
العالي بالاستيلاء على طرابلس كما استولت على مصوع وكسلا

ولولا ان المشير شاكر باشا جاء معيدا للسكينة بنشاطه
وهتمته لاستمر الهيجان زمانا طويلا .

وبعد كريد هاج الانكايز اليمن . فان لهم فيها صديقا
لا يخالف لهم أمرا اسمه ^د بن حميد الدين وهو رئيس قبيلة
من العرب وله نفوذ عظيم . وما أوحى الانكايز بالهيجان
حتى صار وهاج العصيان في بلاد اليمن عاما ولم تخمد نار
الا في عام ١٨٩٠ . ومن ذلك العهد صارت الاضطرابات في
اليمن ثانوية كما هي في كريد

وفي أبان ثورة اليمن هذه بذل الانكايز جهودهم في
الاستيلاء مرة على شاطيء (فو) الكائن على منبع نهر
شاة (العرب) ومرة أخرى على جزيرة سيجرى بالقرب
من (مثلين)

ولما لم تفلح مساعيهم في كريد واليمن أعدوا من عهد
بعيد مسألة أرمينيا . فمن عام ١٨١٩ اشتغلت الدسائس
الانكايزية في آسيا الصغرى واليوم نراها عيانا . ولقد كبرت
المسألة الارمنية التي لم تبلغ من العمر الاستسنيين ومنشؤها

عاد السير درو مندوولف الي لندن ممزقا لها
ولم تحدث بعد ذلك مخبرات بشأن مصر الا في عام
١٨٩٠ وفي هذه المرة رفض اللورد سالسبورى صراحة بعد
بعض مناقشات تحديد أجل الانجلاء فغابت تركيا بذلك
مرة فوق المرار الاخرى

*
* *

واذا لم يسر الانكليز من عدم استيلائهم على مصر تماما
عاكست انكلترا الدولة العلية في كل جهة بعد رفض اتفاقية
السير دور مندوولف

ففي يونيه عام ١٨٨٩ ذهب الى جزيرة كريد انكليزى
ذو دسائس اسمه (ستيمان) احد مكاتبى جريدة التيمس
وهاج سكان كريد ضد الباب العالى واعد ايام مساعدة
انكلترا. وفي ١٦ يوليومن السنة نفسها قال اللورد سالسبورى
في خطاب القاه فى وليمه بلندن ان فصل كريد عن الدولة
التركية من الامور الجائز وقوعها . فاحدثت اقواله تأثيرها
المرغوب وحدثت معارك عديدة بين المسلمين والمسيحيين .

انكثرا والروسيا . ولكن لما سوى الخلاف في لندن يوم
١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ بترك (مير وسحاق) (وذو الفقار)
الى الافغانستان وأخذ روسيا (البنديجية) لم تكن هناك
حاجة للتقرب من تركيا وشعر بذلك سياسو لندن وسان
بطر سبرج كما شعر به سياسو الاستانة . ومع ذلك فلم يترك
السير درومندوولف الاستانة واستمر يخبر ظاهريا مع النية
الثابتة في عدم الاتفاق على شىء ما . واتقد سافر الى القاهرة
مع مندوب عثمانى بعد اقامته في الاستانة وقضى كل عام ١٨٨٦
يتخبر مع مختار باشا ثم عاد جأة الى لندره وترك مختار باشا
وحدء وهو لا يزال الآن في مصر متعجبا من سلوك السير
درومندوولف ومن ماجريات الاشياء . واذا دعت وزارتا
باريس والاستانة وزارة لندن الى تفسير كل هذه الامور عاد
السير وولف الى الاستانة ومعه اتفاقيته المشهورة التي كانت
قاضية القضاء المبرم على مصر وكاد يضى عليها جلالة السلطان .
والفضل في عدم امضاء السلطان عليها عائد الى فرنسا والروسيا
اللتين عارضتا حين ذاك أشد المعارضة . واذا لم تقلح الاتفاقية

السودان المصري. فرأينا عندئذ الفصول الأخيرة من الرواية:
انهزام الجنرال هكس باشا في شندى وفشل طاهر باشا في
طوكر وضياع سنكات وطوكر وشندى واستيلاء غردون
باشا على الخرطوم وانتصار الجنرال ستوار في أبي قلعة وموت
غردون وتتمة لكل ذلك استيلاء الطليان علي مصوع أتباعا
لارشادات الانكليز! وبذلك تعدت انكلترا أعظم تعد على
حقوق جلالة السلطان بعد أن خدعت تركيا بكل مهارة
واحتات مصر



ولقد استعمل الانكليز دائما الدولة العلية سلاحا
لاغراضهم ضد صواالحها نفسها. ففي عام ١٨٨٥ لما اشتد
الخلاف بين انكلترا والروسيا بسبب الافغانستان أرسل
اللورد سالسبوري الى الاستانة السير درومندوولف بحجة
الاتفاق مع الباب العالي بشأن مسألة مصر. ولم يكن سر
مهمته الا النظاهر بذلك والتأثير على تركيا تأميرا حسنا ينال
منه التقرب منها في الحالة التي تشتعل فيها نيران الحرب بين

عرايى . ولم يكن بين الانعام عليه بالنيشان والعصيان الا
شهران !!!

وبعد ثمانية أيام من اعلان عصيان عرايى انهزم هو
وجنوده فى واقعة التل الكبير وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢
دخل الانكليز العاصمة وبعدها بثلاثة أيام أخبر اللورد
دوفرين الباب العالى ان لاجابة لارسال جنود تركية فى
مصر وانتهت على هذا الشكل هذه الرواية المضحكة المبكية
بفهمته ضحك الانكليز اى الذين اداروا ستائر فصولها !



وبعد هذه الرواية المحزنة لعبت انكلترا رواية اخرى
مخزنة ايضا رواية السودان فلقد انتهزت هيجهانه (المشجع
عليه احتلال الانكليز لمصر) وطلب اللورد كرومر (وكان
اذ ذلك السير افلن بارنج) من الحكومة المصرية فصله عنها
ورفض حقوقها عليه . الامر الذى حمل شريف باشا على
تفضيل الاستعفاء عن الرضى بقبول مثل هذا الطلب . ولا يمكن
نوبار باشا رضى بما لم يرض به سلفه وفصل مصر عن

الاسكندرية . وبما ان الانكليز شعروا حينئذ بأن الحوادث
داعية الي تشجيع عرابي زيادة عن ذي قبل حمل اللورد
دوفرين الباب العالي على الانعام على عرابي بالنيشان العثماني !
ذلك الانعام الذي صارت بعده الحوادث كما يشاء الانكليز .
فلقد ضربت الاسكندرية في ١١ يوليو وغرر الانكليز بالباب
العالي مرة أخرى فرفض الانضمام الى مجتمع الاستانة الدولي
بججة أن انضمامه اليه يعد انكارا للسيادة مصر وأخيرا لما
كافته الدول رسميا في ١٥ يوليو عام ١٨٨٢ أن يحتل مصر
قبل الانضمام الى المجتمع الدولي عوضا عن هذا التوكيل
الصريح . وبعد قبول تركيا الانضمام الى المجتمع بايام قبلت
التوكيل وطلبت جلاء العسكر الانكليز الذين احتلوا بعض
الاراضي المصرية عقب ضرب الاسكندرية . ولما كانت
انكلترا اذ ذاك في آخر فصل من الرواية لم ترفض صريحا
الجلاء ولكنها عرضت على الباب العالي وضع اتفاقية حرية .
وعلى ذلك انقضى كل شهر أغسطس في المخبرات واجابة
لطلب انكلترا أعلن جلاله السلطان في ٥ سبتمبر عصيان

تركييا في الامر

وقد دفع الباب العالى هذه الدفعة في غير طريق الهدى حيث أرسل الى القاهرة لجنة تحقيق مركبة من أحمد أسعد أفندى وقدرى أفندى اللذين لم تكن مأموريتهما في الحقيقة الأزيحقا لعرابي عضد الخليفة . الامر الذي دفع بعرابي الي الامام وحمله على الظن بأنه النائب الحقيقي عن الخليفة في مصر . ولذا كان يري في كل مظاهراته مدافعا غيورا عن حقوق جلالة السلطان

وما نال عرابي ثقة المصريين الا بمدافعتة عن تركيا وتظاهره بالولاء لها

ولم تغفل انكارتا وقتئذ عن تشجيع الباب العالى على تعضيد عرابي . ولسكى تزيد تداخله في الامر أمرت وزارة ثوندره وكيلها في مصر « السير ادوار ماليت » أن يطلب من الخديوى أن يرجو تركيا في ارسال مندوب عال . وبالفعل كان ذلك ووصل درويش باشا الى القاهرة في ٧ يونيو سنة ١٨٨٢ . وبعد وصوله بأربعة أيام حدثت مذبة

العدائية ولكنهم وبالأسف نسوها بعد ذلك بقليل حين
ظهور المسئلة المصرية في عالم الوجود تلك المسألة التي أطاعت
فيها تركيا انكثرا اطاعة الصبي لولى أمره وسببت بطاعتها
هذه احتلال الانكليز لبلادنا

وفي الواقع فان الدسائس الانكليزية نجحت تماما في
تركيا عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ فما تظاهر عرابي مظاهرتة
الحرية التي كان القصد منها عزل الوزارة المصرية في سبتمبر
سنة ١٨٨١ حتى شجعت انكثرا الباب العالي على انتهاز هذه
الفرصة لنيل سلطنة فعلية على مصر . وما رأى الانكليز
فلاح سياستهم في الاستانة وسماع نصائحهم حتى زادوا منها
وغرروا بالدولة اذمنوها بالوصول الي محو امتيازات عائلة
« محمد علي » واعادة وادى النيل ولاية تركية بتشجيعها
عرابي والحزب الوطنى . ولم تكتمف وقتئذ وزارة لندن
بتشجيع الباب العالي على تعضيد عرابى بل أوحى الي الجرائد
أن تساعد على ذلك . فرأيناها حينذاك تسمع أوروبا أن
الطريقة الوحيدة لايقاف تيار القلاقل في مصر هي تدخل

وبعد ذلك بعامين حدث حادث (دولسينيو) الذي
ظهرت فيه انكلترا بمظهر العدو الالذ للدولة العلية . فلقد
كانت تشجع فرنسا على أن تطلب من أوروبا عقد مؤتمر
لسلب (دولسينيو) من تركيا وتدعوها الى عمل مظاهرة
بحرية . وفضلا عن ذلك فانها كانت تعد روسيا بالاتفاق
معها على محاربة تركيا اذا لم تتنازل هذه عن (دولسينيو) .
وانكلترا التي كانت تتظاهر عام ١٨٧٨ بالدولة الغيورة على
استقلال الدولة العثمانية ظهرت عام ١٨٨٠ بمظهر دولة تسعى
الى تقسيم تركيا . فلم تترك فرصة تمر دون أن تتعدى بأشد
وطأة عليها . ولما تغيرت الوزارة التركية في ١٢ سبتمبر عام
١٨٨٠ وتولى سعيد باشا منصة الاحكام فان اللورد
غرانفيل قبل أن يعرف رأى الصدر الاعظم الجديد في مسألة
(دولسينيو) - التي كان يطلب اعطاؤها الى الجبل الاسود -
دعا دول أوروبا الى عمل مظاهرة بحرية تحت قيادة القائد
الانكليزي سيمور
ولقد تأثر كثيرا وقتئذ سياسيو الدولة من هذه الخطة

واطرادا لخطتها بعد هذا النجاح نرى انكترا تقب الامور
وتشجع المجرمين على الجرائم وتبذر بذور الشقاق في قلوب
المؤمنين ضد أوروبا كلها وتحفر هاوية عميقة بين الاسلام
والنصرانية لصالحها الخاص . لاشيء آخر غيره

وعلى ذلك فإذا يلزم لعدم نجاح انكترا في نواياها
وفشلها ذلك الفشل الذي يكون عنوان السلام في العالم ؛
الجواب على ذلك هو أن يختار الباب العالى بكل صراحة
الخطة التي تأمره بها رغبة المحافظة على ملكه

*
**

ولقد اتبعت تركيا من عام ١٨٧٧ الى الآن سياسة
ضارة بها . سياسة عزلة وانفراد جعلتها في كل الحوادث آلة
في يد انكترا وتاريخها في هذه الثمانية عشر عاما الاخيرة
يثبت خطر هذه السياسة

فلقد اختلست منها انكترا في عام ١٨٧٨ وقت اجتماع
مؤتمر برلين جزيرة قبرص مقابل وعددها لها بالمساعدة في
الحالة التي تسعي فيها روسيا لامتلاك بعض اراض في آسيا !

وتشجيعا . حتى أن روسيا وفرنسا اضطرتا الى المداخلة في
اناثهم ذلك الجزاء

وبديهي انه كان من الصعب على الدولتين الحبيبتين ان
يعملا غير ماعملتا ولكن الثلاثمائة مليون من المسلمين
لا يمكنهم ادراك اسرار السياسة ولا يحكمون على الاشياء
الا بظواهرها

وانا نعلم حق العلم نحن الذين تعلمنا في فرنسا أن ليس
في أوروبا تعصب ضد الاسلام وليس لانكثرا أقل يد على
فرنسا والروسيا ونعتقد كل الاعتقاد ان هاتين الدولتين
تداخلتا في المسئلة الارمنية لا كعدوتين بل كصديقتين .
تداخلتا لكيلا تتركا تركيا معرضة وحدها لهجمات انكثرا
ولكن لسنا الا عددا قليلا ومن الاسف ان المجموع تحم
بعكس حكمنا

ولذا فاننا في هذه الساعة نرى أنفسنا امام سلطنة عثمانية
ضعيفة وأمم اسلامية قليلة الثقة في فرنسا والروسيا الدولتين
الاكثر احتياجا الى زيادة احترامهما ونفوذهما في الشرق .

ولقد رأينا ان انكلترا تسعى على الخصوص لان تبرهن
للعالم الاسلامي بانها المتصرفه القادرة في اوروبا ومحزننا ان
نقول انها كادت تنجح في هذا القصد . اذ ان نصف المسلمين
يظنون اليوم ان في اوروبا تعصبا ضد الاسلام ويظن النصف
الآخر ان انكلترا تملى رغباتها ليس لالمانيا والنمسا
وايطاليا فقط بل أيضا لفرنسا والروسيا اللتين يعلم عنهما ان
مصالحهما مناقضة كل المناقضة لمصالح بريطانيا . وكيف لا يظن
المسلمون ان انكلترا هي الدولة الآمرة في اوروبا أو
ان النصرانية كلها متعصبة ضد الاسلام عند مايرون أمورا
كالتى رأوها أخيرا في تركيا

رأوا هنالك الارمن ملطخين بدماء جرائم عديدة .
رأوا الارمن هنالك متزيين بزى المسلمين وغالبا بزى العلماء
ليظن ان المسلمين هم المعتدون . رأوهم يجرمون كل الفضائل
ويقترفون ذنوب المذابح التى يقدمون عليها متسلحين بأسلحة
انكليزية . رأوهم هنالك يبدرون بذور البغضاء والموت في
كل انحاء المملكة ثم ينالون جزاء سيئاتهم هذه تعصيذا

كلها بلحها

ويتساءل الكل هل أفلحت السياسة الانكليزية في أحد الامرين واذا لم تكن أفلحت فهل في امكانها أن تفلح أما الجواب على الامر الاول وهو اكرام الحضرة السلطانية على الاعتراف رسميا باحتلال مصر فمستحيل فلاح الانكليز فيه لان جلالة السلطان عبد الحميد ينكر على نفسه صفته أميراً للمؤمنين اذا اعترف لانكلترا بالبقاء في مصر ولو بصفة نظرية . لان مصر هي مركز الاسلام ومفتاح مكة والمدينة وما اعطاء مصر لانكلترا الا اعطاء السلطة الاسلامية الدينية والدنيوية الى الملكة فيكتوريا . وبذلك لا يكون السلطان خليفة للمؤمنين ويمضى بيده على قرار ضياع حقوقه

وأما حمل السلطان على اهمال أمر مصر حينما من الزمن فيمسر لانكلترا اذا لم تبرهن الروسيان فرنسا للحكومة العثمانية على رغبتها المشتركة في المحافظة على حقوقها في وادي النيل

تحققه لا لان تركيا تبغى شيئاً آخر غير السكينة ولكن لانه
يظهر ان انكلترا غير راغبة في الكف عن تشجيع المهيجين
على القلاقل والثورات

ولقد ظهرت الآن مشروعات بريطانيا العظمى ووضح
سر سياستها في الشرق : فما دامت مشكلة مصر قائمة ومادام
الباب العالمى لا يتنازل لانكلترا عن حقوقه على وادى النيل
تدوم القلاقل وتكدر مشكلة الارمن صفو السلام ولا يمضى
زمن يسير حتى تخلق مسائل أخرى

وليس القصد من كل الدسائس البريطانية والطرق
الممقوتة التى يستعملها المهيجون الانكليز والخطة التى اتبعها
الجرائد الانكليزية الا الخط من مقام الحضرة السلطانية
واخفض من كرامتها وتغدير العالم الاسلامى بأن انكلترا
تسير الحوادث فى أوروبا كما يشاء هواها . ويؤمل الانكليز
من اضهاد جلاله السلطان اكرامه على الاعتراف رسمياً
باحتيال مصر أو على الاقل اهمال مسئلتها مدة من السنين فى
زوايا النسيان . هذه المسئلة الحيويه التى يطالب مسلمو الارض

ولم يمتص على هذا الكتاب - أو الرد - يوماً حتى
نشر المترجم مقالة في مجلة (النوفيل ريفيو) وهي من أكبر
المجلات الفرنسية. هذه المقالة التي يجب على كل مشتغل
بالسياسة أن يحفظها لأنها جمعت فأوعت وقد نشرت بتاريخ
١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وهذا تعريبها :

تحالف يتحتم

﴿ السلطان وأوروبا ﴾

« لقد أمضى جلاله السلطان في الشهر الماضي على مشروع
الإصلاحات الأرمنية ظاناً أنه يضع بذلك حداً للاضطرابات
التي تقيمها أكثرها في مملكته . وأنه لتحقيق بالشكر على سماعه
نصائح فرنسا والروسيا بغاية الحكمة إذ إن قراره
بالإصلاحات الأرمنية دعت إليه الحوادث وكان ضرورياً
لتحقيق السكينة والطمأنينة . ويود اليوم الرأي العام الذي
اتبعته منذ أشهر المظاهرات الأرمنية أن يرى السكوز سائداً
في تركيا . وأنا نود وتتمنى ذلك مثله ولكننا لأنظن إمكان

والتكريم ويضع يده في يده ويفتح قلبه لقلبه وذلك جزاء
المخلصين

ووردت عليه الرسائل تترى من كل حدب وصوب
فكان يرد عليه في اليوم عشرات من الكتب من أفضل
يخطبون ووده ويطلبون التعرف به لان جريدة الاكبر نشرت
مع الكتاب عنوانه فكان أكرم الله مشواه وأحسن اليه
يتولى بنفسه الجواب على كل كتاب بما يناسب المقام . وقد
كتب في احدي مذكراته اذ ذاك ما يأتي :

« لم يطر على البريد مطراً غزيراً من الرسائل كما أمطر
على عقب الكتاب الذي بعثت به الى اللورد سالسبري في ١٣
نوفمبر سنة ١٨٩٥ وكلها تدور حول محور توجيه الشاء الى
شخصي الضعيف مع اني أرى عملي بسيطاً وواجباً على كل مسلم
لان جلالة مولانا أمير المؤمنين رأس الدولة العلية والدولة
العية رأس الدول الاسلامية وليس هذا الميراث الكبير الا
ملجأ للمسلمين فمن البلاهة والحمق ان نسمع ولا تتحرك
شفاهنا التي تتصل بقلوب تشعر وتأنم »

الكبير سالسبورى من يفند دعواه ويكشف الستار عن
افتراءاته واكاذيبه وتضليلاته وتمويهاته لان الرجل كان من
رفعة الشأن فى العالم السياسى الاوربى بحيث كان يظن أنه
لن يجد من يغلبه على أمره ويبين خطأه للعالمين !

وليس ذلك كل التأثير الذى كان من نصيب الرد المذكور
فقد وثق هذا الكتاب عرى المودة بين المترجم
والكثيرين من سفراء الدولة العلية فى عواصم اوروبا . لان
الدولة دولة الخلافة الاسلامية العظمى وكل ما يقال فيها
يهم كل مسلم عثمانيا كان او غير عثمانى وسفراء الدولة العلية
بالطبع فى مقدمة من يهمهم هذا الشأن فلا غرو اذا كانوا
يحترمون من يذب عن بيضة الاسلام وينضح عن عاصمة
السلطنة ويوادون كل محاص فى الدفاع . ولا نغالى اذا قلنا
ان الرد الذى اطعم عليه القراء كان حادثة تاريخية يحفظها من
عرفها من العثمانيين اذ ذلك بمزيد الاجلال والاحترام
وقد احدث عمل المترجم هذا التفاتا كبيرا من كبراء
العثمانيين فكان من يلقاه منهم حيث كان يلقاه بمزيد التحية

وقالت جريدة دي روسيا ما تعريبه :

« نصطفى كامل المصري الحق في ان يعلن استياء المسلمين من السياسة الانكليزية بأزاء الحوادث الارمنية فهاهم مسلمو روسيا ينشرون استياءهم على صفحات الجرائد حتى يكاد يبدو لقارئها انها مكتوبة بنار أو ان المسلمين على أهبة الوثوب لسحق الارمن أو الاخذ بالثار من المسيحية .

والاجدر بالسياسة الانكليزية ان يخففوا من لهجتهم فان الكلمات العالية الضخمة في ابان الحوادث ليست الا كبريتاً يزيد النار اشتعالاً وهناك ينفجر بركاننا المسيحية والاسلام وتصير الارض شفقاً أحمر من الدماء البشرية البريئة وهي اكبر جريمة يرتكبها السياسي الذي لا يرى الشرف الا في مذهب « ومن بعدى الطوفان »

أما الدوائر السياسية فقد أحدث فيها هذا الرد هزة لم تكن متوقعة من قبل . وقد تحدث السياسيون بهذه المعركة القلمية طويلاً ووقع عند ثم الرد موقع الدهش والاستغراب لانهم لم يكتفوا بحسبون أن سيتعرض للطاغية

لكلمة التوحيد عندهم بسوء

انديلا شك في ان سياسي أوروبا وعلى الاخص حكومة
بلادنا التي لها في بلاد الدولة العلية بأوروبا من المصالح ما ليس
لدولة أخرى مثله سيهتمون بهذا الكتاب النفيس ويقدر
شعور المصريين قدره فلا يعملون عملا يغضب ثلاثمائة مليون
نفس ليرضوا خمسمائة ألف اه

وكذلك نشرت الجرائد الالمانية والروسية نص الخطاب
وقد قالت جريدة البرلينر تاجبلات الالمانية «ان كتاب مصطفى
كامل كشف النقاب عن حقيقتين طالما ذكرناهما وهما قوة
ارتباط المسلمين بخليفهم المحبوب وادراكهم للدسائس
الانكليزية اما ارتباط المسلمين بالخلافة فهو أمر طبيعي
وخصوصاً فإنه أقوى اليوم منه في الازمان الغابرة لان الخليفة
الحالي اشتهر بالرحمة وقوة المدركة والخروج من المشاكل التي
تنصبها له انكلترا في الغالب بسلام . واما ادراك المسلمين
للإشراك التي تنصبها انكلترا لتركيا والاسلام فهو ينفرهم عنها
ويحذرهم من غيرها وهوها»

« ليس في شدة لهجة الانكليز امام المسئلة الارمنية
الاسر واحد وهو الفات أوروبا الى شىء جديد لتنى به
شيئا قديما وليس هذا القديم الا المسئلة المصرية تلك المسئلة التي
كان يجب ان تكون موضوع البحث مع مسئلة الشرق الاقصى
ان العالم كله يشك في نوايا انكلترا التي أجرت تجاريها
السياسية في القلوب القاسية والمدارك الضعيفة فهي ترسل
جوادها الذهبي ليلعب دوره الثعلبي امام تلك القلوب والمدارك
فيسحرها ثم يسخرها كيفما شاءت أهواء مائة زمامه
الحكومة البريطانية

عرف قراؤنا مصطفى كامل المصري ومنتدار كراهة
الحكومة الانكليزية له لانه يدافع عن أقدم واجب وهو
تحرير بلاده . فقد كتب كتابا للورد سالسبرى ناقشه
فيه مناقشة الشيخ الساكن الحكيم لذي البطش والجبروت
وشرح بأوضح عبارة العلاقة التي تربط المسلمين عموماً
بجلالة السلطان عبد الحميد بصفته رئيسهم الديني وأورى ان
ثأرتهم لا تلبث ان تنفجر كالبراكين اذا مس هذا الممثل

وارتباطهم بخلافهم ومبلغ تأديبهم في المخاطبة وقوة حججهم
وادراكهم دسائس انكثرا ضد المسلمين خاصة والعالم
عامة وانه اصبح من الواجب على الذين كانوا يتهمون
على المسلمين ويسخرون برءوسهم وقلوبهم ان يفتقوا قليلا امام
هذا الكتاب الذي هو الاول في بابہ وان المسلم يشعر من
نفسه على الدوام بقوة لا تخاف دولا ولا ترهب باطلا ولا
تحيد شعرة عن الحق وانه لو قال بعضهم ان مصطفى كامل تعلم
في فرنسا فصار كاحدنا ادراكا وعلميا وهو مما لا يصح ان
نقيس عليه جميع المسلمين لكان جوا بنا عليه ان العلم العصري
منتشر بين الكثير من المسلمين وان الشعور الديني لا يعرف
فلسفة ولا علما ويلازم الجهلاء اكثر من العلماء

فعلى قواد السياسة الاوروبية ان يدركوا هذه الحقائق
ولا يطوحوا بالمسيحيين القليلين الذين يعيشون بين المسلمين
العديدين الى التهلكة فان التاريخ لم ينسنا الحروب الصليبية
وهولها . . . » اه

وقالت جريدة الاكستراجبلاط النمساوية ما تعريبه:

والصبر واذا كانوا فقدوا مجموع ثقتهم بانكثرتا فلم يضيعوا
ذرة من حسن اعتمادهم على أوروبا التي ينتظرون منها بكمال
السكون والخشوع حكمها العادل الذي يشقون منذ الآن بانه
لا يناقض مصالح الخلافة والاسلام في شيء

هذا وارجوكم يا جناب اللوردان تفضل بقبول عظيم احترامى
« مصطفى كامل »

*
* *

ما نشر هذا الكتاب حتى طيرته شركات البرق الى
انحاء العمور وعلقت عليه الجرائد الكبرى تعليقا كبيرا .
فالجرائد الفرنسية كاللا كلير . والديبا . والنيفارو . والطان
وغيرها ذكرت المترجم بالشهامة ونهاية الادب في مخاطبته
الوزير الاول الانكليزى . وقد كتب المسيو ارنت كتابا
لجريدة الا كلير قال فيه

ان الكتاب الممتوح الذى وجهه مصطفى كامل المصرى
للورد سالسبرى ردا على خطابه الاخير بجد هال ليس الا
مثالا صالحا يفقه منه كل اوروبى قوة الشعور عند المسلمين

رغب عن مقاضاة بطريق الارمن الذى ضبطت عنده أوراق
وخطابات من اشهر سياسي انكلترا ؟
ماذا تقولون اذا قابل جلالته صنيعكم معه بايجاد الصعوبات
والمشاكل فى البلدان الخاضعة لاحكامكم ؟
ان فى سلوك الدولة البريطانية هذا المسلك خطرا كبيرا
عليها وعلى التمدن الاوروبي. واننا كلما رأينا الانكليز جارين
على خطتهم الحالية نسائل انفسنا عما اذا كان الغرض الذى
يسعون اليه هو القاء بذور الشقاق بين الناس وايداع الحقد
والضعينة فى صدورهم. ونسائل عما اذا كانت المأمورية
التي عهد الى انكلترا القيام بها هي حفر بئر عميقة بين المسلمين
والنصارى على حين ان الدول الاخرى المتمدنة تعمل على ضم
القلوب المتنافرة تحت راية الاخاء. وهل اذا كانت اوروبا
بأسرها تحترم العقائد وتجل الديانات بمقدار واحد أليق
بانكلترا ان تتعمد خدش عواطف ثلاثمائة مليون من المسلمين ؟
بالرغم عن جميع المخاطر المحدقة الآن بالمسلمين كن
واثقا ياجنب اللورد بانهم لا ينفكون عن ملازمة السكنية

عبد الحميد من سأمى مقامه أولا يلتفتون اليه كأنه حادث بسيط
كلا . . ثم كلا فان سقوط الخليفة يسقط المصائب على المصائب
ويزيد في البلايا والنكبات . اذ قد تكون عاقبته في العالم كله
وخيمة على السلام الذي تتمنون بقاءه في موئل حصين وحرز
مكين . ويكون من أمر مسلمى الهند يومئذ — وهم الذين
تحسبونهم أصدق رعايا الدولة البريطانية ولاء — أنهم يكونون
أول المنادين بالثورة الجاهمين نحو الاضطراب ضد السيطرة
البريطانية دفاعا عن ملاذ الخلافة الذي يشون الدعوات بحفظه
في كل جمعة من كل أسبوع . الغالب أن جنابكم لا تنظرون
في مستقبل تأثير سقوط الخليفة على المسلمين . انه لا يقل عن
التأثير الذي يلم بالنصارى الكاثوليكيين اذا تمكنت انكلترا
البروتستانية من انزال قداسة البابا عن عرشه الروحاني
قد أظهر جلالة السلطان الاعظم موافقته لمشروع
الاصلاحات الذي قدمته الدول الاوروبية أفليس من الواجب
على انكلترا بعد ذلك ان تقلع عن تحريض الاشقياء وحث
المسيحيين ؟ اتلومون جنابكم جلالة السلطان الاعظم لكونه

الفاخرة والعبارات الجليلة التي تعنون بها تمسك الدولة
الانكليزية بعدم التحيز للاغراض أفلمستم تريدون بها بناء
على ذلك القياس الذي هو الحقيقة بنفسها التحيز والغرض؟
أليست تلك الالفاظ من قبيل التي أودعتم فيها معنى الوعد
بالجلاء عن القطر المصرى !!!

صرحتم في خطابكم بأن تجزئة بلاد الدولة وتفريقها على
الدول الأوروبية أمر في أقصى مراتب الخطورة والجسامة
وانه يمكن أن يلقى « بما يوجد في القارة الأوروبية من قوة
وتمدن في مهواة الخسومة والعداوة التي ليست الا مصيبة
دهماء وبلية عظيمة ». وان هذا التصريح ليطمئن خاطرنا ويودع
المسرة في قلوبنا . ولكن لو تتبعنا أعمال الدولة البريطانية
لوجدناها ترمى الى غاية واحدة ألا وهي انزال جلاله السلطان
الاعظم عن عرشه السامى كما يتضح للمتعمق في خلال خطبتكم
حيث يجدها بمجموعها حملة قاسية ضد جلالته

أخطر على بالكم يا جناب اللورد ان المسلمين في أنحاء
عمور ينظرون بعين الرضا والسكون سقوط جلاله السلطان

بالحمية والذود . ولو كان صدور هذا القول من فرنسا أو من روسيا لصدقنا به لان أعمال الحكومة الانكليزية ومساعدتها لاتزال الى الآن غير موافقة له ولا منطبقة عليه وقد يعلم جمهور العالم ان انكلترا هي التي لاتزال توالى الارمن بالتشجيع والتحريض على متابعة المنهج الذى سلكوه بارشادها وانها ما فتئت ترسل اليهم الذخائر والاسلحة وتحضهم على الاسترسال في العصيان والتمرد بواسطة الكتابات المهيجة وبغير هذا من الوسائط كالوعد بارسال أسطول ضخمة لمساعدتهم ومواصلة بطريقتهم فى الاستانة العلية بخطابات تتضمن ما يشابه هذه الوعود

ولا يخفى على جناب اللورد أن المسلمين قد توصلوا بالتجربة الى الوقوف على عادة اعتادها رجال السياسة البريطانيون ألا وهي اخفاء بعض النوايا فى طى ما يلقونه من الكلام بحيث اذا ما حان وقت التنفيذ جاءت نتيجة الاعمال مناقضة على خط مستقيم لما سبقها من مقدمة التصريحات وفتاحة المجاهرات . ومن هذا القبيل تلك الالفاظ

العالية وجميع المسلمين الذين قرؤوه او وقفوا على خواه .
تهبج رحمه الله وكتب لذلك اللورد كتابا باللغة الفرنسية
هذا تعريبه :

خطاب مفتوح

﴿ الى اللورد سالسبرى ﴾

باريس في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٥

جناب اللورد

يستميحكم الاذن مسلم معجب بالتمدن الاوروبي كي
يعرب لمقامكم السامى عما كان لخطبتكم الاخيرة من سوء الوقع
لدى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . فلقد رأوا فيها
برهانا جديدا على ماتضره انكثرا للاسلام وللخلافة من
العدواة والخصومة

نعم قد سبق لجنابكم أن قلتم ان تداخل الدول الاوروية
في المسئلة الارمنية لم يكن الغرض منه تخصيص دين دون آخر

للقضاء على كل ما يعمل في مصلحة مصر فان كتب كاتب عن
مصر قالوا عنه انه ما جور للمسيو دلونكل وان خطب خطيب
قالوا الخطابة كتبها المسيو دلونكل حتى عندما تأسس حزب
مصر لم يستحيوا ان يقولوا عنه حزب دلونكل مع ان المسيو
دلونكل ليس الا عضوا كسائر الاعضاء

وبالجملة ان اقوال جرائد الانكليز هذيان في هذيان
وأجمل جواب يجيب به المصريون على أكاذيبها هو ولا بدع
قول فيكتور هو جو شاعر فرنسا الشهير وفيلسوفها الكبير
(ان للحقيقة والحرية مزية خاصة بهما وهي ان من يعمل لهما
أو ضدهما يخدمهما على السواء) والسلام
باريس في ٥ نوفمبر سنة ٩٥

(مصطفى كامل)

*
* *

لما قرأ المرحوم الخطاب الذي القاه اللورد سالسبرى
الوزير الاول للحكومة البريطانية في جلدهال وحمل فيه باشد
لهجة على جلالة الخليفة الاعظم مما اهاج الدوائر السياسية

ولا بد أن جرائد الاحتلال في مصر انتهزت الفرصة
ونددت بالوطنيين العاملين على تحرير بلادهم من النير
الانكليزي الثقيل قائلة كعادتها ان المسئلة المصرية قبرت الى
الابد وان المسيو دلونكل نصيرها الوحيد تلطخ بالتهم فلم يعد لها
في أوروبا معضد ولا نصير وقد كان بالامس يشتري (ولست
أدري بأى مال) الجرائد الروسية والالمانية والفرنساوية
ولسنا في حاجة لان نجيبها على هذه الاقوال الساقطة اذ
كل عاقل يعلم ان المسيو دلونكل هو نائب من النواب الذين
تهممهم مسألة مصر وان المصريين اذا كانوا احترموا كرمود
فلم يقوموا الا بواجب تفرضه عليهم الوطنية الحققة

وسواء ثبتت على المسيو دلونكل تهمة سكة حديد
الجنوب أو لم تثبت فلا ضرر على مسألة مصر التي ان فقدت
نصيراً وجدت بدله انصاراً وان عدمت واحداً فلا تعدم آلافاً

ولا تعجب اذا كان الانكليز وخدمهم هم الباكون غداً
على ما أصاب المسيو دلونكل لانهم كانوا يستعملون اسمه

سكة حديد الجنوب لا تثبت عليهم تهمة الا اذا امر المجلس
بعد مطالعة أوراق القضية بحماكتهم وقضى عليهم القضاء
بما ينسبونه اليهم

ولم يكن في استطاعة وزارة المسيو بورجوا محاسبة
النواب المتهمين في هذه المسئلة قبل ان يصدر المجلس أمره بذلك
لانه لا قانون يسوغ محاسبة نائب من النواب قبل تصديق
المجلس ولا قانون هناك يحجر على النواب الدخول في شركات
مالية وما ينسبونه للمسيو اتين وروش وروفيه ودلونكل
والآخرين هو انهم كانوا أعضاء في شركات فرعية من شركة
سكة حديد الجنوب وانهم لم ينفدوا المبالغ التي نقدوها الا
لانهم نواب ذوو كلمة ونفوذ لانهم أعضاء في الشركات
يستحقون هذه المبالغ مقابل أعمالهم واتعابهم

فوجه التهمة هو انهم استعملوا نفوذهم في المجلس ولدى
الحكومة في عقد شروط مضرّة بصالح الحكومة وموافقة
اصالح الشركة . وعمما قليل تلبس هذه المسئلة القريبة ثوبها
الحقيقي ويكشف عنها الستار

على المشروبات الروحية والمحصولات وسن قوانين خاصة
بالعمال وحرية الشركات ومشروع انشاء جيش استعماري
واخيرا المحافظة على الروابط القوية التي تربط فرنسا
بجليفها روسيا

ولا غرو اذا كانت مسألة سكة حديد الجنوب هي
المسألة التي لفتت الانظار اكثر من غيرها اذ بسببها
سقطت وزارة الميسو ريو وبها بدأ الميسو بورجوا خطابه
الذي قال فيه « ايها السادة : ان اقتراع مجلس النواب في
جلسته الاخيرة أوجد امام الرأي العام مسألة يجب ان يجب
عليها أولا من دعمهم ثقة رئيس الجمهورية الى حكومة البلاد »
ولذلك فاننا نطيع أمر المجلس باجراء تحقيقات تكميلية في
هذه المسألة التي اقترح عليها أخيرا (أى مسألة سكة
حديد الجنوب) ومهما كانت نتائج هذه التحقيقات فاننا
نشرها تماما لنسمح بذلك للمجلس ان يحكم حكمه السياسي
والادبي على الامور التي يظهرها التحقيق »

ومن هذا التصريح الوزاري يرى ان المهتمين في مسألة

الذين كانوا متغيبين عن المجلس . ثانيا وجود المسيو كافينياك في
وزارة الحربية . ثالثا عدم رضى المسيو هانوتو بالوجود مع
وزراء اليوم

وعلى ذلك لا يبعد ان تحدث قريبا أزمة وزارية في
فرنسا تسلم بعدها الاحكام للمعتدين كذى قبل . والجفاء
الذى اظهره بالامس حزبا الوسط واليمين للوزارة عند قراءة
رئيسها خطة سيره يدل على ذلك . والذى يحمل الكثيرين
من الكتاب على القول بان عمر هذه الوزارة لا يتجاوز الشهر
هو ان حزب اليمين يبغض المتطرفين اكثر من بغضه المعتدلين
فينضم هذا الحزب الى حزب المعتدلين الذى يزيد عدد
اعضائه عن نصف اعضاء المجلس بنحو ٤٠ نائبا

والمسائل الاصلية التى جاء بها خطاب المسيو بورجوا
هي مسألة سكة حديد الجنوب والحجر على النواب من
الدخول في شركات مالية ومناقشة الاخصام في المرافعات
بعضهم بعضا ونشر التحقيقات القضائية والاقتراع على الميزانية
قبل آخر العام ومسألة الضرائب التدريجية وتعديل الضرائب

لهم الداء وسقوط الوزارة الاخيرة كغيرها من الوزارات لم
يكن الا لتحزب هاته الفئات المختلفة ضد حزب الوسط
(اي حزب المعتدلين) وانضمام حزب اليمين (حزب
الملكيين) اليها

اما الجمهوريون المعتدلون فقد طلبوا من رئيس الجمهورية
تشكيل وزارة من المتطرفين لانهم لما رأوا ان رجال هذا
الحزب يسعون دائماً في اسقاط الوزارة المشككة من حزبهم
ارادوا ان ينتقموا ويسقطوا وزارتهم الراديكالية وبذلك
يبرهنون لهم وللامة الفرنسية كلها على انهم وخدم القادرون
على تولى الاحكام وان غيرهم اشتراكيا كان او متطرفا لا يستطيع
مجاراتهم وادارة الامور مثلهم فلذلك الحوا كثيرا على المسيو
فليكس فور الذي اقترح المتطرفون ضده في انتخابه رئيسا
للجمهورية ان يشكل منهم وزارة تقضى بنفسها على حزبها
وما تشكلت وزارة المسيو بوجوا حتى رأينا الجرائد
جميعا تندد بها وتنذر بقرب سقوطها . ويعلمون هنا هذه
النبوة السياسية بثلاثة اسباب . اولا حضور النواب المعتدلين

الوزارة الفرنسية الجديدة

لما سقطت وزارة الميسوريو اجتمع رئيس الجمهورية الفرنسية برئيسى مجلس النواب والشيوخ و برؤساء الاحزاب ذات الشأن ليستشيرهم في امر تشكيل الوزارة فاشار عليه المتطرفون والمعتدلون معاً بتشكيل وزارة من المتطرفين برئاسة الميسو بورجوا فعمل الرئيس بما اشاروا به وكلف الميسو ليون بورجوا بتشكيل الوزارة فشكلت متطرفة محضة وألقى رئيسها بالامس خطابه الافتتاحي مينا فيه سياسة وزرائه الجديدة وقد ان أن نبحت في هذا الخطاب ووقعه عند النواب

نذكر للقراء لماذا اجمعت الاحزاب على تشكيل وزارة متطرفة عند ماسقطت وزارة الميسو ريبو عقب المناقشة في مسألة سكة حديد الجنوب فالاشتراكيين والمتطرفون والمتحدون (وهم الذين لم يكونوا جمهوريين ثم رضوا بالجمهورية) طلبوا تشكيل وزارة متطرفة لانهم لم يفلحوا مع الجمهوريين المعتدلين ولم يستطيعوا تنفيذ مطالبهم فضلا عن انهم اعداء

DT
107
.6
M8A3
v. 4-6



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

858139

أَعْلَى السِّيَرَةِ وَالنَّبِيَّةِ

كان قد عزم المترجم ان يسافر الى الاستانة العلية في سنة ١٨٩٥ ولكن الازمة الوزارية الفرنسية حالت دون ذلك ورأى من الصواب بقاءه في اوروبا مدافعا عن مسألة مصر ومسألة الدولة العلية بازاء الحادثة الارمنية

وقد كتب رحمه الله بمناسبة الازمة الوزارية مقالة نشرتها جريدة الاهرام في يوم الاربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وهذا نصها:

Mustafa-Kamil

مُصْطَفَى كَامِلًا

في ٢٤ ربيعاً

Mustafa Kamil Basha

سِيرَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مِنْ خَطَبٍ
وَأَحَادِيثٍ وَمَسَائِلٍ

سَيِّئَاتِهِ
وَعَمْرَاتِهِ

« أحرار في بيوتنا
كرماء لضيفنا »
ص ١١١

الجزء الرابع

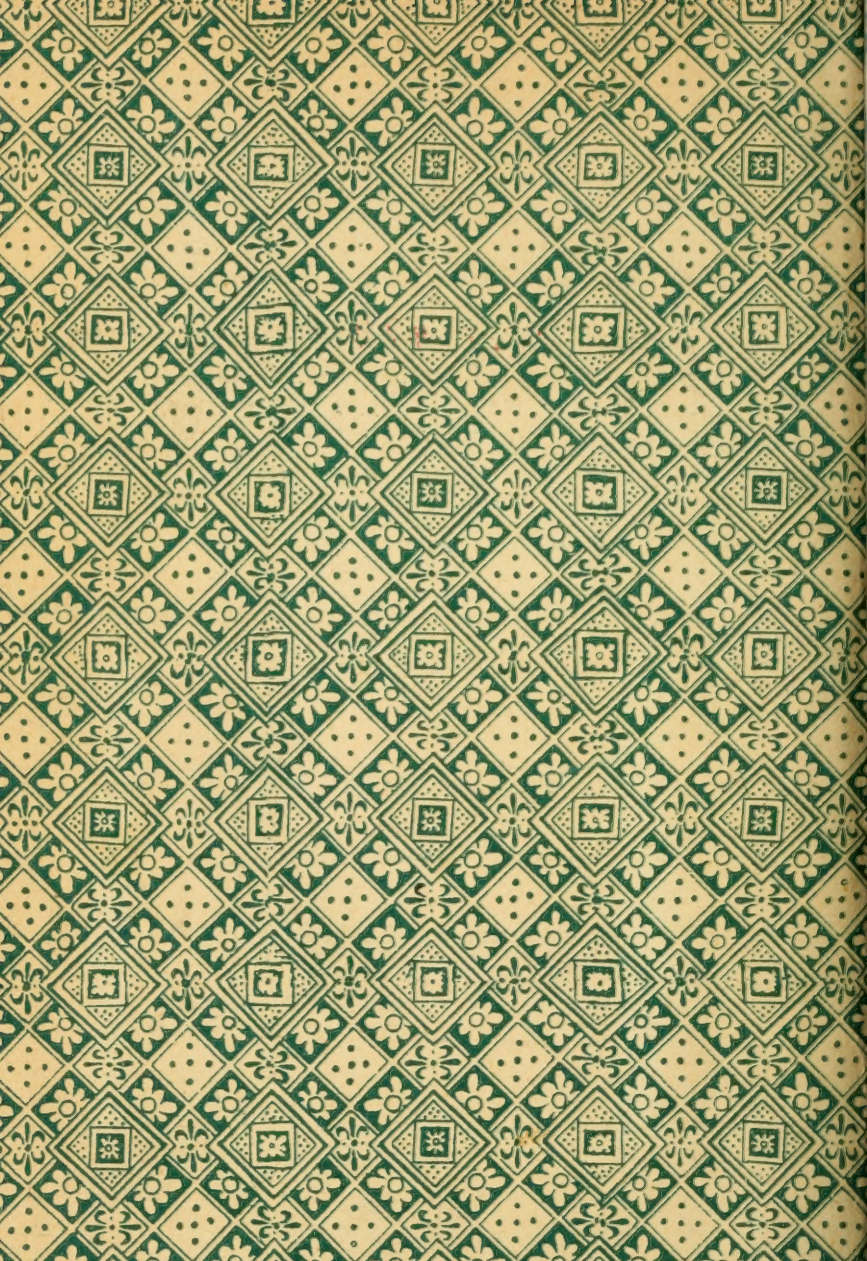
﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء خمسة قروش صاغ ﴾

« حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م — ١٩٠٧ - ١٩٠٥

(مطبعة « اللواء » بشارع الداوين ثمة ٢٩ بمصر)



PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

DT

107

.6

M8A3

v.4-6

Muṣṭafā Kāmil

Muṣṭafā Kāmil Bāshā

